## دراسات في **تاريخ تهامة والسراة**

خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

[ق ۱ هــق ۱ ۱هـ / ق ۲ م ـ ق ۱ ٦ م]



# دراسات في تاريخ تهامة والســـراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

[ق ١ هـ ق ١٠ م ] ق ١٦ م ]

الجزء الأول

تأليف :

## أ ٠ د ٠ غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية حامعة الملك خالد

الطبعة الأولى

37314-77-74

## عیثان بن علی جریس، ۱٤۲۳هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس، غثيان بن علي

دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية/

غثيان بن على جريس. -أبها ١٤٢٣هـ.

٤٣٧ ص، ٥ر٢١ ×٤٢ سم

ردمك: ۸-۲۲۳ - ۹۹۲۰ و ۹۹۲۰

١- تهامة - تاريخ إسلامي ٢- بلاد السراة - تاريخ إسلامي

أ\_ العنوان

1277 / 2977

ديوي ۹۵۳,۱۵۷

ردمك: ٨-٢٢٣ - ٤٩٣٦ رقم الإيداع: ١٤٢٣ / ١٤٢٣

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م

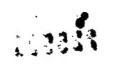
حقوق الطباعة محفوظة المؤلف

## 

لَقَدْكَانَ لِسَبَإِفِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةً جَنَّتَانِ عَن يَمِينِ وَشِمَالِّ كُلُواْمِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْلَةُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبَّ عَفُورٌ اللهُ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَيَدَّلَّنَهُم بِعَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثْلِ وَشَيْءِمِّن سِدْرِقَلِيلٍ اللهُ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَزِي ٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ١ وَجَعَلْنَابِيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَكرَكَنَافِهَا قُرَى ظَهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِهَا ٱلسَّنَيْرُ سِيرُواْ فِهَا لَيَا لِي وَأَيَّامًا عَامِنِينَ ٥ فَقَالُواْرَبِّنَابَكِعِدْبَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظِلَمُواْ أَنفُسُهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقَنَاهُمُ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّافِى ذَالِكَ لَأَيْتِ لِّكُلِّ صَبَّادٍ شَكُورِ ١

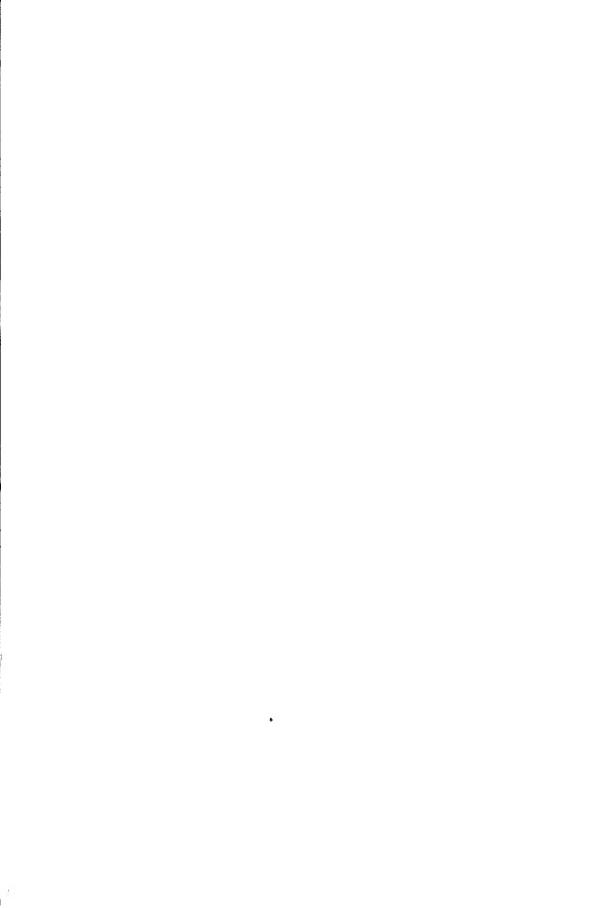
سُلِوَٰ کُوْا الْمُرْکَبُّ إِ ( من آية ١٤ حتى آية ١٩ )

225594



#### [محتويات كتاب] دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ ـ ق ١٠ هـ / ق ٧ م - ق ١٦ م)

الصفحة	الموضوع		
٥	آية قرآنية	1	
٩	الإهداء	۲	
19-11	المقدمة	٣	
01-71	السراسة الأولى: بـ لاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة	ŧ	
	الثانية عشرة للهجرة		
97-00	الدراسة الثانية: دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات	٥	
	الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام		
144-44	الدراسة الثالثة: تاريخ مضلاف جسرش (عسير) خلال القرون	7	
, , , , , ,	الإسلامية الأولى		
176-177	الدراسة الرابعة : بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني	٧	
197-170	الدراسة الخامسة: بالاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة	٨	
	والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق ٣ هـ - ق٨هـ)		
Y & A — 1 9 V	الدراسة السادسة: صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال	٩	
	العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة		
<b>**</b> £- <b>*</b> £ <b>9</b>	الدراسة السابعة: ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال	١.	
	العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة		
£77-770	الدراسة الثامنة: ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في	11	
	العصور الإسلامية الوسيطة		
£47-£74	كتب وبحوث للمؤلف	17	

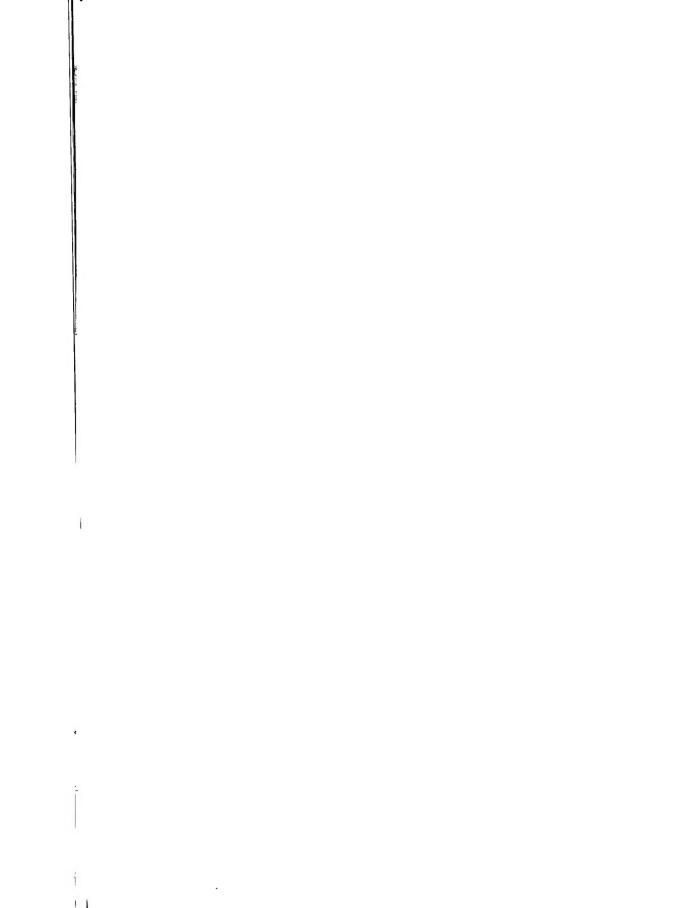


# الإهداء

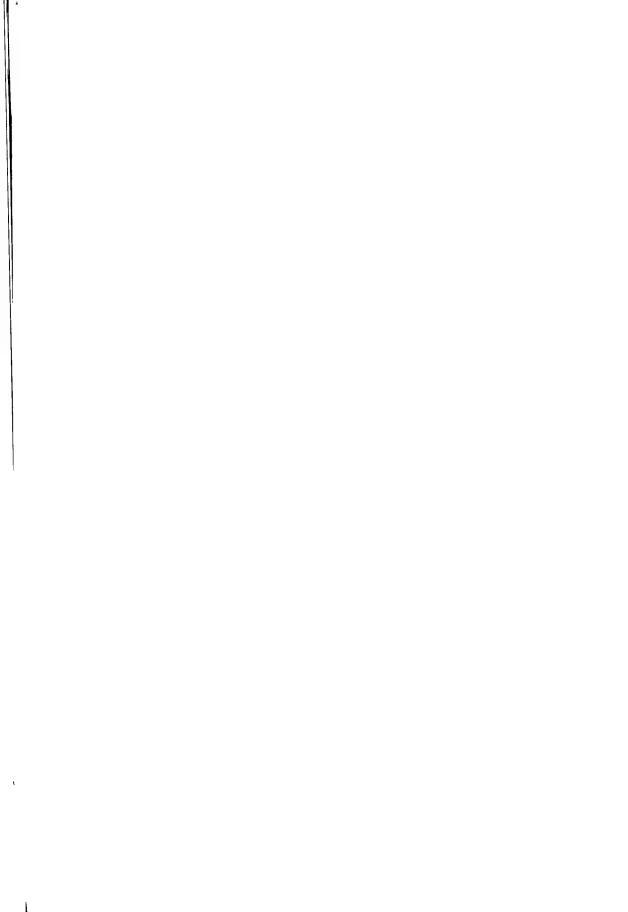
- إلى أبناء شبه الجزيرة العربية الكرام •
- إلى الباحثين والمفكرين من أبناء المملكة العربية
   السعودية •
- إلى ذوي الهمـم العاليـة مـن أصـحاب الأقـلام الواعـدة ، مـن أبـناء بـلاد تهامـة والسراة ، ممن يبحـثون في تـاريخهم وحضـارتهم ذات الماضـي المجيد والحاضر المشرق •
- إليهم جميعاً أهدي كتابي هذا ، آملاً أن يكون نافعاً ومفيداً للدارسين والباحثين في تاريخ المنطقة (التهامية والسروية) ، ولبنة في بناء صرحها الحضاري المرتقب .

والله الموفق ،،،









### دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ ـ ق ١٠ هـ / ق ٧ م – ق ١٦ م)

#### مقدمـــة :

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

إن السدارس لعسلم الستاريخ يدرك الصعاب التي يقابلها المؤرخ عند تناوله بالدراسة موضوعاً من موضوعات التاريخ السياسي أو الحضاري ، وتتفاوت هذه العقبات والصعاب من مؤرخ لآخر ، ومن موضوع إلى موضوع ، فمن ناحية الموضوع فكلما كان الموضوع الذي يتصدى له الباحث يتسم بالندرة والشح في مادته العلمية ، أو صعوبة في اللغة التي تخدم الموضوع المراد البحث فيه ، أو تتطلب الدراسة الاستعانة بالمصادر والدراسات الأثرية كي تثري البحث في جانب أو آخر من جوانب الموضوع، فيكون القصور في هذه الدراسات الأثرية سبباً في زيادة متاعب الباحث ،

والسناظر في تاريخ وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام حسى عصرنا الحاضر يجدها تتفاوت في ثراء وأصالة الدراسات التي خرجت عنها حتى الآن ، وذلك بحكم المادة العلمية المتوفرة عنها سواء التاريخية أو الأثرية ، فعلى سبيل المثال نجد أن التاريخ القديم لهذه البلاد ، كان أوفر حظاً حيث حظي باهتمام الكثير من الباحثين العرب والأجانب أكثر من غيره من حقب التاريخ التالية ، حيث خرجت العديد من الدراسات التاريخية والحضارية والأثرية عن بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية وفي مقدمتها بسلاد اليمن ، ومنطقة الفاو ، وبعض المواقع الأخرى في منطقة الخليج

العربي ، بالإضافة إلى أرض الحرمين ، ورغم ذلك لا نستطيع القول إن العصور القديمة أو التاريخ القديم لشبه الجزيرة قد استوفى حقه دراسة وتحقيقاً ، فما زالت هناك مناطق لم يكشف السنقاب بعد عن تاريخها كاملاً ، ومن ثم لا يزال هذا الحقل في حاجة إلى المزيد من الدراسات والأبحاث وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الأثرية التي تساهم بما لايسدع مجالاً للشك في إماطة اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية التي قلما نجدها في المصادر الكلاسيكية المعروفة ،

ثم يأي العصر الإسلامي ، وتتبدل أحوال سكان شبه الجزيرة العربية بإشراقة نسور الإسلام من الشر إلى الخير ، ومن الظلمات إلى النور ، وتصبح المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية لأربعة عقود تقريباً ، ثم تعصف الأحداث السياسية بالعالم الإسلامي فتتحول عاصمة العالم الإسلامي إلى كل من دمشق ، ثم بغداد ، ثم القاهرة وأخيراً استانبول في عصر الدولة العثمانية ،

وهمانا ، فشبه الجزيرة العربية لم تعمر طويلاً كموطن للعاصمة السياسية في الدولة الإسلامية ؛ وهذا الوضع قد أثر بشكل أو بآخر على اهتمام المؤرخين هذه البقعة ، وبالتالي على الاهتمام بتدوين تاريخها وحضارها ، ولذا لا نجد مادة علمية ثرية في كتب التراث الإسلامي تتناولها ، وإنما مانجده غالباً هو مجرد نتفاً يسيرة قد تشير إلى منطقة دون أخرى ، وأفضل المناطق التي نالها بعض الإهتمام من مدويي التراث خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة هي أرض الحرمين الشريفين ، يليها بلاد اليمن ، وأحياناً أخرى بلاد اليمامة والبحرين ، أما ماعدا ذلك فقد سادها التجاهل والنسيان مسن أرباب القلم ، وإن ذكرت في بعض المصادر فلا يتم ذلك ، إلا بشكل عرضي وليس أساسى ه

أما في العصر الحديث ، وخصوصاً بعد الائتلاف المبارك الذي حدث في القرن (١٢هـــ /١٩م) ، بين كل من الأمير محمد بن سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب

وما ترتب على ذلك من جمع أغلب مناطق وأجزاء شبه الجزيرة العربية تحت راية الستوحيد والتي شعارها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، ثم تعاقب الدول السعودية الثلاث التي استطاعت – وخاصة الدولة الثالثة بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل "يسرحمه الله" – أن تجعل من معظم شبه الجزيرة العربية دولة عصرية حديثة تساير بقية دول العالم في شتى مجالات الحياة وأساليب التقدم التي لا تتعارض مع شريعة الإسلام ،وإذا ما أخذنا في التنقيب عن تاريخ هذه الحقبة ، فإننا لا نجد صعوبة تذكر في تدويسن أحداثها ووقائعها، حيث لفتت هذه الفترة الزمنية أنظار العديد من المؤرخين المحدثين عرباً وأجانب ، فكانت محط اهتمامهم ، وترتب على ذلك الكثير من المدونات المحدثين عرباً وأجانب ، فكانت محط اهتمامهم ، وترتب على ذلك الكثير من المدونات المحدثية ، وقد ساعد على ذلك أيضاً وفرة الوثائق والمخطوطات التي تتناول هذه الفترة ، ومنها الكثير الذي لم يسبق نشره ، ولم ير النور بعد ، والموزعة فيما بين الأرشيفات العربية والأجنبية في العديد من الدول والمكتبات العالمية ،

ومن خلال استعراضنا السابق لحقب التاريخ الثلاث (القديم – الإسلامية المبكرة الحديث) التي مرت على شبه الجزيرة العربية ، نلاحظ أن العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة هي الأقل حظاً من الحقب الثلاث سواء في توفر المادة العلمية أو في اهتمام المؤرخين بها والحديث والكتابة عنها ، ولذا حينما يتصدى الباحث لموضوع ما يتناول تساريخ وحضارة بعض هذه المناطق النائية أو المعزولة من شبه الجزيرة العربية ، بخلاف الحجاز واليمن ، فإنه يصطدم دون شك ، بالعديد من المصاعب والعقبات الناجمة عن ندرة المادة العلمية التي تساعد في توضيح تاريخ وحضارة تلك المناطق ، وخاصة في الفترة الزمنية من فجر الإسلام حتى القرنين الحادي عشر والثابي عشر الهجريين ،

وقد دفعتني هذه الندرة ، وذلك الغموض ، للغوص في بطون المصادر وأمهات كستب التراث للكشف عن تاريخ وحضارة بعض تلك المناطق التي طواها النسيان ، وقد أثمر ذلك الجهد عن إخراج هذه الدراسة المتواضعة التي تتناول بلاد تمامة

والسراة، وهي البلاد الواصلة بين حواضر بلاد اليمن والحجاز الرئيسية ، وهي مساحة أرضية شاسعة تمتد من الجنوب إلى الشمال بحوالي (٠٠٠كم - ٠٠٠كم) ومن الشسرق إلى الغرب بحوالي (٠٠٠كم - ٠٠٠كم) ، وتتنوع في تضاريسها ومناخها ، وكذلك في تسرواتما النباتية والحيوانية إلى جانب تميزها بكثافة سكانية عالية في جميع حواضرها وقراها وجبالها وأوديتها .

وقد أطلقنا على هذا الكتاب عنوان " دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة من القرن الهجري الأول حتى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي " • الجزء الأول ، واتخاذنا هذا المسمى ليكون عنواناً لهذا الكتاب يعود إلى عدة أسباب ، ندرجها في النقاط التالية :

إحساســنا بالحاجــة الماسة لدراسة هذه المنطقة الواسعة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وذلك – كما أسلفنا – لقلة ما كتب عنها أو ندرته ، ثم لعل هذه الدراسة تلفت أنظار غيرنا من الدارسين والباحثين فيولون هذه المنطقة بعض الاهتمام وخاصة الأثريين الذين لو بذلوا بعض الجهود المتضافرة لدراسة هذه البلاد لأخرجوا لنا دراسات علمية رصينة تفيد أجيالنا القادمة وتصور لهم كيف كان تاريخ وحضارة هذه البلاد .

الانتماء إلى هذه البلاد بحكم كوني أحد أبنائها وعشت فيها معظم حياتي وتجولت في أنحائها منذ طفولتي حتى انتهيت من دراستي الجامعية ، ثم انقطعت عنها خلال دراستي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في كل من أمريكا وبريطانيا ، بعدها عدت إلى هذه البلاد وأصبحت أقوم برحلات متالية إلى أجزاء عديدة منها بل أصبحت أنقب عن تاريخها وحضارتها منذ قرابة عقدين ونصف ، وهذا ما جعلني أجزم بندرة ما كتب عنها في كستب الستراث ، وأنادي أقسام الآثار داخل المملكة العربية السعودية

وخارجها بأن تولي هذه المنطقة بعض الاهتمام فتقدم لنا مجموعة من الدراسات الأثسرية التي قد تكشف لنا عن طريق التنقيب الأثري مادة علمية قيمة تخدم الفكر والتاريخ والحضارة .

- 9- إن الدراسات التي اشتمل عليها هذا الكتاب هي حصيلة جهود مضينة جمعت ودرست على فترات طويلة تزيد عن العشر سنوات ، وقد قُدمت في ندوات ومؤتمرات علمية كبرى داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، ولعموم الفائدة وحرصنا على جعل هذه الدراسات تحت يد القراء الكرام سواء من الباحثين المتخصصين أو عامة المثقفين ، قمنا بجمعها بين دفتي هذا المصنف ، الأمر الذي يتيح الفرصة لعدد أكبر من القراء والباحثين والمؤرخين والدارسين للحصول عليها وقراءها والاستفادة منها ،
- قــد وضعنا على هذا الكتاب عبارة "الجزء الأول" وذلك رغبة منا ، إذا كــان في العمــر بقية ، أن نواصل دراساتنا عن هذه المنطقة الفقيرة في تاريخهــا خلا العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، فيليه أجزاء أخرى بــنفس العنوان لعلنا نساهم في توفير بعض الدراسات الأكاديمية المختلفة عــن هذه المنطقة التي نعتقد ألها ثرية بتاريخها وحضارها ودورها الذي لا يسنكر في الفكر والتراث الإنساني ، وإن ظلمت وطواها النسيان ، فلم يتم تدوينه .
- و- راعيسنا في ترتيبنا لهذه الدراسات المتنوعة الفترة الزمنية التي شملتها هذه الأبحساث وهي فترة تمتد منذ فجر الإسلام إلى القرن العاشر الهجري (القرن السابع إلى السادس عشر الميلادي) وقد أوردناها على النحو التالى:

** *		
الصفحة	الموضوع	P
06-71	الدراسة الأولى: بالاد تمامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة	١
	الثانية عشر للهجرة ٠	
94-00	الدراسة الثانية : دور أهــل قامة والسراة في ميادين الفتوحات	۲
	الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام •	
177-48	اللىراسة الثالثة : تـــاريخ مخـــلاف جرش (عسير) خلال القرون	٣
	الإسلامية الأولى •	
176-177	الدراسة الرابعة: بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب	٤
	للهمداني ٠	
194-140	الدراسة الخامسة بالاد قامة والسراة كما وصفها الرحالة	٥
	والجغرافيوان المسلمون الأوائل(ق٣هــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
764-194	الدراسة السادسة : صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال	٦
	العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .	
<b>**</b> **	اللىراسة السابعة: ملامح الحياة العلمية في بلاد تمامة والسراة خلال	٧
	العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة •	
£77-770	الدراسة الثَّامِنة : ملامح النشاط التجاري لبلاد تمامة والسراة في	٨
	العصور الإسلامية الوسيطة •	
£47-£44	كتب وبحوث للمؤلف ٠	٩

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر الله عز وجل ، الذي أنعم علي بسنعمة الصحة والعافية حتى انتهيت من هذه الدراسة ، وانتهز الفرصة لأثني بالشكر عسلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة حتى خرجت هذه الدراسة ، وأخص منهم جميع الزملاء بقسم التاريخ الذين زاملتهم منذ عام (١٤١٠ حتى ١٤٢٣هـ) فقد كانوا خير معين لي عندما أستشيرهم أو أطلب منهم عوناً أو مراجعة لبعض أجزاء هذه

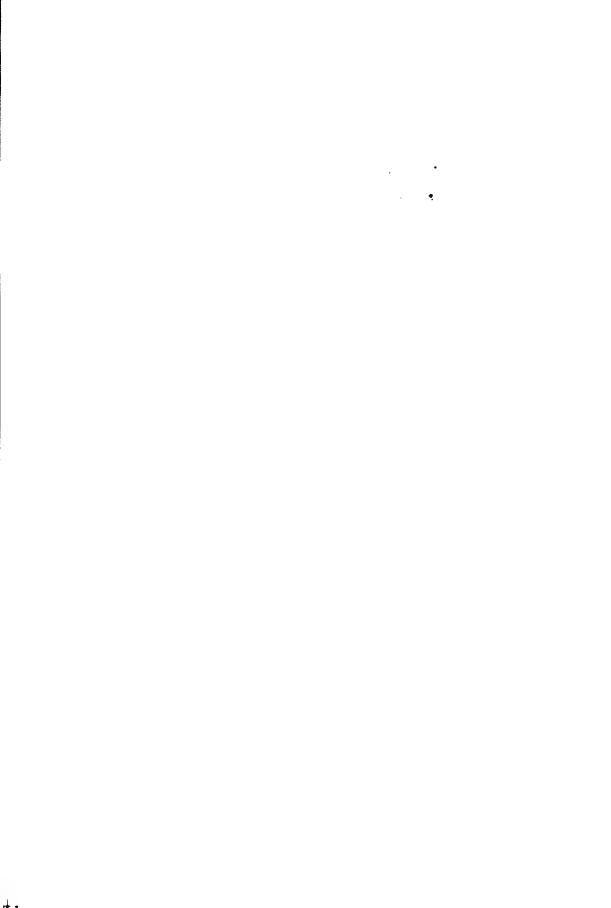
الدراسة وغيرها مما تم نشره أو لازال في الطريق للنشر ، وأخص من هؤلاء الزملاء الزميل والصديق الدكتور / أسامة أحمد حماد ، أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعتي المسلك خسالد والاسكندرية ، فقد كان — جزاه الله عنا كل خير — خير معين وخير مستشسار في جميع ما نطلب منه ، كما أشكر الأخوان الفضلاء الدكتور / عبد الله بن محمسد الحميسد ، والدكتور / مطلق محمد شائع عسيري ، والدكتور / خالد الدوفش والدكتور / منذر عادل العبسي الذين ألقوا نظرة على هذا الكتاب قبل أن ندفع به إلى المطبعة فكانت لهم بعض الملاحظات القيمة استطعنا تداركها في اللحظات الأخيرة ، كما أشكر الأستاذ / مجدي محمد صبحى الذي قام بطباعة وصف هذا الكتاب ،

ولا يفوتني أن أقدم شكري أيضاً لكلّ من ساعدين أثناء كتابة ومراجعة هذا المصنف ، وفي أثناء طباعته على الحاسوب ، أو في أثناء إجراءات فسحه من وزارة الإعلام وهم كثير جداً ، كما أشكر جميع أفراد أسري واعترف لهم بالجميل على تحملهم لي وصبرهم على إنجاز هذه الدراسات ،

وأخــيراً فإنني لا أدعي الكمال في إنجاز هذا الكتاب ، وإنما هو جهد المقل ، واســـال الله أن لا يحــرمني أجره ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم ، وأقول إن أخطـــات فمــن نفسي ، وإن أصبت فمن الله ، والله اسأل السداد والتوفيق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

#### جمعه ثم كتبه وانتهى منه

غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري بمنزله في حي المنسك بمدينة أبها في غرة شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم •



## الدراسة الأولسى :

225594

حتى السنة الثانية عشرة للهجرة 🍅

إعداد

أ.د. غيثان بن علي بن جريس أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية حامعة الملك خالد

٢٠٠٣/١٤٢٤

<sup>(\*)</sup> هذه الدراسة منشورة في : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد (٣٨) السنة (١٩٩١ – ١٩٩٥ م معلومات جديدة وأُعيد نشرها مع بعض الإضافات في : مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣١) رمضان (٢١١هـ/ ١٠٠٠م) ص ١٧ – ٤٧ .

# محتويات الدراسة الأولى :

## بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإرسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

الصفحة	الموضوع	المسلسل
72-77	عهيد	أولاً :
37-17	نبذة عن الوضع الجغرافي والبشري	ثانياً:
<b>**- * * * * * * * * * *</b>	تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المكية	: نُنْتُ
<b>TV-T</b> .	تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المدنية	رابعــاً :
٤٠-٣٧	صدى الردة في إقليم تمامة والسراة	خامساً:
0 { - { \	الحواشي والتعليقات	سادساً:

#### بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

أولاً: تمهيك:

حفلت شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، بالعديد من الاتجاهات الفكرية والدينية ، فوجدت كما الديانات النصرانية ، والصابئة ، واليهودية ، والحنفية ، والجوسية ، وعبدة الأوثان (۱) ، مما أدى إلى اضطراب اجتماعي وخلط في المفاهيم الدينية ، فضلاً عما كان هناك من قلق في الأوضاع ، وهكذا حتى جاءت رسالة الإسلام ، لتعمل على تطبيق الأحكام الشرعية بدلاً من الأعراف والعادات التي كانت سائدة بين القبائل دون أدى بصيرة أو منهاج . ودأب الرسول عليه الصلاة و السلام على توحيد الجزيرة العربية ، ومنها خرجت الجيوش إلى أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن قرارات تعيين الولاة والقرارات السياسية والدينية والإدارية وغيرها (٢) .

ومما يسترعي النظر في تاريخ شبه الجزيرة العربية في فجر الإسلام ، ذلك التباين في أهمية أجزائها وحواضرها وأقاليمها ، وهو التباين الذي يبدو في تتبع مسيرة التاريخ في تلك الفترة ، فمكة المكرمة والمدينة المنورة نالتا حظاً وافراً من الاهتمام يفوق ما كان لغيرهما من الحواضر والأقاليم نظراً لمكانتهما الدينية المرموقة في المرحلة المرتبطة بمولد الإسلام ، مما جعل ذكرهما يتردد باستمرار في كتب التراث الإسلامي ويليهما في الأهمية حواضر اليمن مثل صنعاء وصعدة ، وهكذا تتسلسل أهمية بقية الحواضر والأقاليم كاليمامة والبحرين وغيرهما . ولعل ورود الكثير من الروايات عن الحواضر والأقاليم كاليمامة والبحرين وغيرهما . ولعل ورود الكثير من الروايات عن هذه المدن ، يعود إلى استراتيجيتها ودورها في صنع الأحداث ، فضلاً عما توافر لبعضها من قيادات سياسية وإدارية قادرة على أن تؤثر وتتأثر بالأحداث الجارية (٣) .

وقد اخترنا في هذا البحث أن نلقي بعض الضوء على جانب من الأقاليم التي لم تحظ بقدر واضح من الأهمية في كتابات من تعرضوا لتاريخ شبه الجزيرة في فجر

الإسلام ، واخترنا المنطقة المعروفة باسم (قامة والسراة) التي تصل حواضر الحجاز الكبرى ــ الطائف ــ ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ــ بحواضر اليمن ، صنعاء وصعدة وغيرهما .

وربما اقتصر اهتمامنا على المنطقة الممتدة من شمالي نجران وجازان جنوباً ، إلى جنوبي مكة المكرمة والطائف شمالاً، وارتأينا أن يكون بحثنا محصوراً في فترة زمنية محدودة تمتد من بعث الإسلام إلى السنة الثانية عشرة للهجرة ، آملين أن تكون هذه الدراسة اللبنة الأولى ، التي تشد الباحثين الذين يرغبون في الكشف عن تاريخ هذه المنطقة وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة التي لم تنل حظاً كافياً من العناية في مجال البحث التاريخي.

ونبدأ بتسجيل ملحوظة إيضاحية ، هي أن المصادر المعاصرة أطلقت على البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة مسميات عديدة مثل بلاد جنوبي الطائف ومكة أو (بلاد اليمن) أو (قامة والسراة) دون تحديد الفواصل بين تلك الأقاليم ، بعضها وبعض . وقد ركزت بعض المصادر على حواضر ومراكز حضارية معينة ، مثل: نجران وجرش وبيشة والطائف دون تحديد منهجي لدراستها ، وبذلك غدت من البلاد المخطوظة نوعا ما ، لتردد ذكرها في بعض كتب التراث الإسلامي ، رغم شحها قياساً بغيرها (3) .

## ثانياً : نبذة عن الوضع الجغرافي والبشري :

المقصود ببلاد تهامة والسراة ، الوارد ذكرها في هذا البحث ، تلك المنطقة الممتدة من قرب الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً . وهذه المنطقة لا تشمل كل بلاد تهامة والسراة المشار إليها في كتب التراث ، والتي قد تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة أو بلاد الشام ، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى . وبين هذا وذاك ،

سنركز نحن في هذا البحث على واسطة العقد أي قلب ذلك الإقليم ووسطه ، فنقول سراة الشيء في اللغة أعلاه وظهره ووسطه ، ويذكر عن بلاد السراة ألها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة والتي تمتد إلى حواضر اليمن (٥). ويشير بعض الجغرافيين المسلمين القدماء إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات، وربما أطلق عليها الحجاز، لأنها تحجز بين هَامة في الغرب ونجد في الشرق <sup>(١)</sup> . ويبدو أن حدود جبال السروات أو الحجاز صارت مثار جدل و اختلاف عند الجغرافيين المسلمين . والذي يهمنا في هذا الصدد أن بلاد السراة المعنية هنا ، عرفت باسم السروات ، ومفردها سراة ، وبهذه المنطقة سروات كثيرة ــ أي قمم ــ من أشهرها سراة الطائف ، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان ، ثم سراة بني سعد وبالحارث ، ثم سراة بني مالك بجيلة ، فسراة غامد وزهران ، ثم سراة خثعم وشمران وبلقرن ، فسراة الحجر ، يليها سراة عسير التي كان يطلق عليها قديماً (سراة عرم) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً (بسراة جنب) (٧) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران .(انظر الخريطة رقم ١). وهذه السروات يسكنها العديد من القبائل والعشائر والأفخاذ ، وبالتالي كانت وما زالت تنسب كل سراة إلى القبيلة أو العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية، إلا أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عـن مواطنها في السروات (^)، وتنــزل الأغوار التهامية في الغرب أو الأجزاء النجدية في الشرق .

وبـــلاد الســراة كثيرة الهضاب والوهاد ، وتتفاوت في الارتفاع فقد يصل ارتفاع بعض الجبال في سراة عسير إلى أكثر من ثلاثة آلاف قدم ، ثم تقل إذا ما اتجهنا صوب الشمال وتتخذ شكل المدرجات ، وتميل بشدة نحو البحر في اتجاه الغرب ، بينما تنحدر تدريجياً نحو الهضاب الداخلية في اتجاه الشرق . وتعد مرتفعات السراة بمثابـــــة

#### خارطة رقم (١)



السروات الواقعة بين الطائف ونجران

موزع للمياه بن هامة في الغرب والهضاب النجدية في الشرق ، ومن أهم الأودية المنحدرة تجاه الشرق أودية الطائف ، مثل : وادى وج ، ووادى ليه ، ووادى السر، ووادي كلاخ، يليها إلى الجنوب وادي تربة ، وهو من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي ، ويتجه نحو الشرق حتى يلتقي بوادي بيشة . ولوادي تربة العديد من الروافـد منها ، وادى العقيـق الذي يسيل من سراة زهران ، ووادي بواء ، الآتي من سواة بجيلة ويمر في بلاد بالحارث حتى سواة غامد وزهران ، ثم وادي رنيــة بفتــح الراء وسكون النون . وكثيراً ما يطلق عليه الآن اسم وادي سبيع ، لأن كثيراً من بطون سبيع تقيم في هذا الوادي وبين جنباته ، وهو يسيل من سراة غامد . وجنوباً يأتي وادى بيشة الذي يعد من أكبر أودية السراة المنحدرة نحو الشرق ، ويمكن أن يطلق على هذا الوادي وادى خثعم (٩) ، لأن جميع البطون القاطنة فيه وعلى معظم روافده من خثعم . ومن روافد هذا الوادي وادي تبالة الذي يسيل من سراة خثعم وبلقرن وشمران ، وهرجاب من سراة الحجر وغيرها (١٠) . ثم وادى تثليث (١١١) إلى الجنوب من وادي قحطان ، وإذا كنا قد أطلقنا على وادي بيشة ، وادي خثعم ، وعلى وادي رنية ، وادي سبيع ، فيمكننا أن نطلق على وادي تثليث ، اسم وادي قحطان ، حيث تنتشر بعض فروع قبائل قحطان على أغلب أجزاء وادي تثليث ، بالإضافة إلى أن بداية مسايل هذا الوادي من أعالى سراة قحطان (١٢) ، ومن أكبر روافده وادى العرين الذي يستمد مياهه من سراة عبيدة عند المنطقة المسماه ب ( الفيض ) حول ظهران الجنوب .

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب ، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب ، وادي نعمان الذي يسيل من غرب سراة الطائف ، ثم يمر بالقرب من عرفة جنوباً ، وهناك يجتمع بوادي عرنة الآي من الشمال ، فيسمى الواديان وادي عرنة حتى يفيض في البحر جنوبي جدة ، ثم وادي ملكان ، الذي يباري

الوادي السابق من الجنوب حتى يصب في البحر عند الشعيبة (١٣) وواديا أدام ويلملم ويقعان إلى الجنوب من وادي ملكان ، ثم يأيي وادي الليث نحو الجنوب ، وهو أكبر ما تقدم من الأودية ، وتأيي مياهه من أعالي سروات بالحارث وبجيلة بني مالك ، منحدراً نحو الغرب حتى البحر . وهناك أودية أخرى تأخذ مياهها من سروات غامد وزهران وخثعم وشمران وبلقرن ، مثل : وادي الشواق ثم دوقه ، وقرماء ، وناوان ، والأحسبة ، وجميعها تصب على مقربة من القنفذة . ووادي قنونا الذي يصب من غرب سراة بلاد الحجر حتى البحر عند القنفذة ، ثم وادي حلي الذي يعتبر أعظم الأودية التي سبق ذكرها ، وله رافدان عظيمان هما : واديا بقره والحمض اللذان يأتيان من سراة الحجر ، ثم وادي عتود الذي يسيل من سراة عسير (١٤) ، حتى يصب في البحر عند بلدة الشقيق ، ثم يليه إلى الجنوب وادي بيض ثم وادي بيش اللذان تأي مياههما من سراة قحطان ، وأخيراً واديا صبيا ثم جازان (١٥٠) .

#### ثَالِثاً : تَهَامَةُ والسراةُ أَثْنَاءُ مرحلةُ الدَّعُوةُ الْكَيَّةُ :

أبعث الرسول (ه) في مكة المكرمة يدعو الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان ، فتصدت له قبيلة قريش ، وحاربته ، ووصفه القرشيون بأسوأ الصفات ، ثم سعوا إلى تحريض باقي القبائل في شبه الجزيرة عليه وعلى ما جاء به وشجعوهم على المضي في عبادة الأصنام في كل مكان ، ولكن بنصر الله وتوفيقه ، انتشرت رسالة الإسلام وتزايدت أعداد المسلمين حول الرسول (ه) ، حتى صارت شبه الجزيرة العربية تدين بكلمة التوحيد (١٦) .

ولم يكن سكان قامة والسراة في بداية الدعوة بمعزل عن سير الأحداث في مكة المكرمة ، وإنما كانوا على صلة سياسية وحضارية بأهل مكة والطائف ومن جاورهم (١٧) . والسؤال الذي يواجهنا في هذا الصدد هو : ماذا كان موقف التهاميين

والسرويين أثناء المرحلة المكية ؟ الواقع أن موقفهم كان سلبياً من الدعوة الإسلامية ، لأن قبيلة قريش في نظرهم كانت المثل الذي يُقتدى به ، ولذا انساقوا وراء قريش في عدائها للرسول (ه) في مكة المكرمة . ولم نستطع العثور على دليل يشير إلى أن السرويين والتهاميين وقفوا موقفاً إيجابياً من الرسول (ﷺ) ودعوته في المرحلة المكية ، اللهم إلا بعض حالات فردية تمثلت في بعض الشخصيات السروية التي تجاوزت الطوق الذي ضربته قريش حول الرسول (ﷺ) ومن آمن معه في مكة المكرمة (١٨). ومن تلك الشخصيات الطفيل بن عمرو الدوسي الزهراني ، الذي كان زعيماً لقبيلة دوس ، بسراة غامد وزهران . ويذكر عنه أنه كان رجلاً شريفاً شاعراً يرتاد مكة المكرمة من وقت لآخر ، وكان أجداده على علاقة مصاهرة مع أبي سفيان بن حرب وزعماء آخرين من قريش (١٩) ، وفي إحدى المرات ، أثناء السنة الحادية عشرة من النبوة ، جاء إلى مكة فاستقبله أبو سفيان وبعض طغاة قريش ، فحذروه من مقابلة الرسول رهي) أو السماع له . ولكنه لم يصغ لدعوهم وقال : " إني رجل لبيب شاعر ، ما يخفي علي " الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ، وما يقول ؟ فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركتـــه " . ثم ذهب لمقابلة الرسول (ﷺ) فسمعه يتلو القرآن ، فأعجبه ما سمع ، وقال : "ما سمعت قط قولاً أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه " ثم أسلم ، وشهد شهادة الحق ، وقال للرسول (ه ): " إني مطاع في قومي وراجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام" فوافقه الرسول (ﷺ) ودعا له (٢٠) .

وفرد آخر يدعى ضماد الأزدي ، من أزد شنؤة ، بسراة عسير ، جاء إلى مكة المكرمة وكان يعالج من مرض الجن ، فاستقبله طغاة قريش ، وحذروه من مقابلة الرسول  $(^{(1)})$  ،  $(^{(4)})$  ووصفوه بأنه ساحر مجنون ، فلم يسمع ضماد لما قالوا ، وقال : " لو أين أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي " ثم لقيه فقال له : " يا محمد أين أرقي من هذا الريح فهل لك ؟ " فقال رسول الله  $(^{(4)})$  : إن الحمد لله

خمده ونستعينه ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله " فقال ضماد " أعد علي كلماتك هؤلاء " ، فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات ، فقال : " لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعك على الإسلام " فبايعه (٢٧) .

وإذا كان الطفيل وضماد من بوادر نسمات الخير التي أتت من بلاد تمامة والسراة ، إلا أن السواد الأعظم من سكان تلك البلاد بقوا على وثنيتهم حتى بعد هجرة الرسول (هلل) إلى المدينة ، بل وبعد حدوث المعارك الكبرى في الإسلام كبدر ، وأحد ، والأحزاب ، ثم فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة .

#### رابعاً : تهامة والسراة أثناء مرحلة الدعوة المدنية :

بعد هجرة الرسول ( الله المدينة المنورة ، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية ، ثم تحول المسلمين من دعاة إلى جند يقاتلون الشرك وأعوانه . ظل السرويون والتهاميون يرقبون تطورات الوضع عند القرشيين ، ويهوون هواهم ، ويتعاطفون معهم ، بحكم الجوار والموقع ما بين مكة والطائف وبين أهل تلك البلاد اللذين يجاورو ثهم جنوباً . ونظراً للأهمية التي تتمتع بها أسواق مكة والطائف من حيث تسويق السلع وترويجها ، وتوفير ما يحتاج الناس لشرائه من الحاجات ، ونظراً للعتقداقم الوثنية التي تتفق مع ما كان عليه المشركون في مكة وما حولها ، كل هذا يجعلنا ندرك ما كان هناك من تجاوب بين أهل مكة والطائف وبين أهل قمامة والسراة المنتشرين من حواضر الحجاز إلى مدن اليمن الكبرى . ولا تذكر المصادر دوراً إيجابياً ملموساً لأهل قمامة والسراة ، وبخاصة قبل فتح مكة المكرمة في السنة الثامنة للهجرة وإنما أشارت إلى بعض السرايا التي أرسلها الرسول ( الله ) إلى بعض مواقع الجنوب من

مكة والطائف . فذكر الواقدي والمسعودي أن الرسول أرسل سرية إلى تربة ، جنوبي الطائف (٢٣) ، بقيادة عمر بن الخطاب في شهر شعبان في السنة السابعة للهجرة ، وكان معه من صحابة الرسول ثلاثون رجلاً ، فذهبوا إلى بلاد تربة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها ، فعادوا إلى المدينة (٢٤) . ولم تذكر الروايات الطريق التي سلكها عمر بن الخطاب للوصول إلى تربة جنوبي الطائف ، حيث كانت أغلب البلاد جنوبي المدينة حتى تربة مأهولة بالمشركين المعادين للرسول (ﷺ) ، ولكن ليس ببعيد أنه كان هناك طرق مطروقة بين بلاد قامة والسراة من جهة والمدينة المنورة من جهة أخرى ، لأن المصادر تذكر قدوم أول طلائع المسلمين من بلاد السراة في شكل جماعات ، وذلك بعد رجوع الطفيل بن عمرو الدوسي إلى قومه ، فبقى يدعوهم إلى الإسلام حتى السنة السابعة للهجرة . وفي تلك السنة خرج من سراة غامد وزهران ومعه ثمانون بيتاً من دوس فقدموا على الرسول (هي) وأعلنوا إسلامهم (٢٥). وخروج مثل هذه الأعداد الكبيرة من بلاد السراة مروراً ببلاد الطائف ومكة المكرمة قبل فتحها ، يعدّ دليلاً على وجود طرق تربط بين تمامة والسراة وبين المدينة المنورة ، ثم إن أهل الطائف ومكة ، وبخاصة منذ السنة السابعة للهجرة (٢٦) . ربما غدوا عاجزين عن قطع الطريق الواصل بين بلاد اليمن والسراة وبين عاصمة الإسلام في المدينة ، هذا بالإضافة إلى أن قوة المسلمين أصبحت مرهوبة الجانسب ليس في المدينة وما حولها فحسب . وإنما في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية .

وبدخول الرسول (هل) الطائف في السنة الثامنة للهجرة علت كلمة الإسلام، الأمر الذي أدى إلى الهيار الشرك في بلاد قامة والسراة وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية . وبعد معركة حنين وحصار الطائف ، قدم وفد من ثقيف على الرسول (هل) في المدينة المنورة بعد فتح مكة المكرمة ، وتبعته وفود أخرى من حواضر قامة والسراة وبلاد اليمن (٢٧). ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل دخل سكان السراة

وهامة في الإسلام زرافات أم وحدانا ؟ وهل قام عمن دخل في الإسلام من أهل السراة بنشر الإسلام بينهم ؟ وهل بقي بعضهم على وثنيته تأخذه العزة بالإثم ؟

الواقع أن أهل تمامة والسراة لم يدخلوا في الإسلام بشكل جماعي ، شأهم في ذلك شأن غيرهم من القبائل التي دخلت الإسلام بعد فتح مكة المكرمة . ويمكننا القول إن دخولهم الإسلام كان ما بين السنتين السابعة والعاشرة للهجرة . فبعد فتح مكة المكرمة ثم بعد معركة حنين ومحاصرة أهل الطائف ، نجد بعض التهاميين والسرويين كانوا من أوائل من دخل في الإسلام ، الأمر الذي أدى إلى استعانة الرسول هم وبغيرهم من الداخلين في الإسلام على محاربة من بقى على عقائد الوثنية .

وتذكر بعض المصادر أن الرسول (ﷺ) أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض رجاله بعد معركة حنين في السنة الثامنة من الهجرة محاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد ودوس وأوصاهم بحدم صنم عمر بن حمة الدوسي ، الذي يعرف بذي الكفين ، فلم يكن على الطفيل إلا أن يطبع أمر الرسول (ﷺ) ويطلب من الرسول الوصية ، فقال (ﷺ) للطفيل " افش السلام ، وابذل الطعام ، واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله (٢٨) ، إذا أسأت فأحسن ، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين " (٢٩). ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها، ثم هدم صنم "ذا الكفين"، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول:

#### يا ذا الكفين لست من عبادك

ميلادنا أقدم من ميالدك أنا حشوت النار في فؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل ومن معه من قومه ، وكان عددهم أربعمائة رجل ، فقابلوا الرسول (ﷺ) بالطائف (٣٠) .

ويذكر ابن الجوزي أن جرير بن عبدالله البجلي قدم على الرسول (ه) ببعض قومه بعد فتح مكة المكرمة ، فأسلموا وحسن إسلامهم . ثم رأس الرسول رهي) جريراً على صحبـــه وطلب منهم هدم صنم ذي الخلصة في بلاد خثعم ، فلبي ما أمر به الرسول (ﷺ) (۳۱) .ويشير ابن سعد في رواية أخرى عن جرير بن عبدالله بأنه قدم على الرســول (ﷺ) في السنة العاشرة ومعه مائة وخســون رجــلاً من بجيلة فرحب به الرسول (ﷺ) ومن معه ، ثم قال له بايعني " على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأبي رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنصيح المسلمين ، وتطيع الوالي ، وإن كان عبداً حبشياً " ، فقال : جرير (نعم ) فبايعه الرسول (ﷺ) " ، ثم سأله الرسول (ه) عن أحوال ما وراءه في بلاد السراة ، فقال : " يا رسول الله ، قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد (٣٢) ، قال : " فما فعل ذو الخلصة ؟ " قال " هو على حاله ، قد بقى والله مريح منه إن شاء الله " (٣٣) .. فبعثه الرسول (ﷺ) إلى هدمه وعقد له لواء ومعه مائتان من قومه ، فذهب جرير ومن معه فهدموه ، ثم رجعوا إلى الرســول (ﷺ) فقال : " يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما عليه ، وأحرقته بالنار وتركته كما يسوء من يهوى هواه ، وما صدنا عنه أحد " فسر الرسول (ﷺ) وبرّك على جرير وقومه (٣٤).

ولم يكتف الرسول (ه) بارسال قادة من أهل السراة نحاربة من بقي على الوثنية منهم ، بل غيّر وبدّل ، فأرسل قادة من صحابت ليحاربوا المشركين في بلاد تمامة والسراة . وتذكر بعض المصادر أن سرية قطبة بن عامر بن حديدة التي أرسلها الرسول (ه) إلى بلاد خثعم في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة كانت حوالي عشرين رجلاً ، ذهبوا إلى محاربة بعض المشركين ، وعادوا ظافرين (٣٥) .

أما وفود بلاد هامة والسراة على الرسول (ه) في المدينة فكانت في العامين التاسع والعاشر الهجريين ، وخاصة في العام التاسع الذي كثرت فيه الوفود على رسول الله (ه) من شبه الجزيرة ، لدرجة أنه سمي عند المؤرخين بعام الوفود . ويبدو أن بعض الوفود قدمت من بلاد السراة قبل هذا التاريخ أمثال الدوسيين بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسي وغيرهم فكانوا ندرة ، ولكن بعد فتح مكة المكرمة ، انفتح الباب الذي كان حاجزاً بين أهل هامة والسراة واليمن وبين الرسول (ه) في المدينة ، وبالتالي تفد الوفود من قبائك متباينة في بلاد هامة والسراة ، وفي أعداد متفاوتة لكي تقدم إسلامها للرسول (ه) ثم تعود إلى أوطاها لتنشر الإسلام بين أقوامها ، وتحارب أهل الشرك أو من بقى مصرا على عبادة الأوثان .

وإلى جانب الذين سبق ذكرهم من الشخصيات أو الوفود التي وفدت على الرسول (ه) وقدّمت إسلامها ، هناك أيضاً وفود أخرى قدمت من بلاد هامة والسراة في العامين التاسع والعاشر للهجرة ، ومن تلك ، وفد ثمالة من النواحي الجنوبية لسراة الطائف ، ووفد سلامان من هامة وسراة الحجر ، قدموا على الرسول (ه) في السنة العاشرة للهجرة ، فأسلموا ، ثم علّمهم بعض الشرائع ، ثم أجازهم وعادوا إلى مقرهم ، كذلك وفد غامد بزعامة أبو ظبيان الأزدي الغامدي ، ووفد دوس ، الذي سبقت الإشارة إليه بزعامة الطفيل بن عمرو الدوسي ، ووفد بارق ، ووفد خثعم ووفد رأبيد من بلاد تثليث وما حولها بزعامة عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، ثم وفد الأزد بزعامة صرد بن عبدالله الأزدي (٣٠٠) .

ومن الملاحظ أن الوفود التي قدمت على الرسول (ه) من بلاد قامة والسراة ، أو من أي مكان في شبه الجزيرة العربية ، كانت دليلاً على الهيار الشرك ، وبالتالي علامة على انتشار الإسلام في البلاد والأقاليم التي وفدت منها . ويتضح من بعض كتب الرسول (ه) أن البعض من قبائل قامة والسراة فعلوا ما فعل الحارث بن

عبد شمس الخثعمي ، الذي خرج إلى المدينة المنورة بعد هدم جرير لصنم ذي الخلصة ، فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من رسول الله (٣٧) .

كذلك قدم من بلاد بيشة إلى الرسول (هي) بعد فتح مكة المكرمة مطرف بن الكاهن الباهلي ، الذي أعلن إسلامه ، وطلب الأمان من الرسول رها فأمنه وأعطاه الرسول كتاباً فيه فرائض الصدقات قال فيه: " هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف ابن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهله ، أن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلا في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله " (٣٨) . وكتب الرسول (هي) كتاباً آخر لنهشل بن مالك من باهلة بيشة قال فيه: " باسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل ، لمن أسلم ، وأقام الصلاة ، وآتي الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغنم خمس الله ، وسهم النبي ، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ، وبري إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم أن لا يُعشروا ، وعاملهم من أنفسهم ... (٣٩) ، وفي كتاب آخر لقبائل خثعم ببلاد بيشة قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها ، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء .... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر " (٤٠٠) • وكتاب آخر لأهل بارق قال فيه الرسيول (ﷺ) : " هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، لا تجز ثمارهـــم ، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق أو من مر بحم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتشم ... و (٤١) ... وهذا نخلص إلى أن الرسول (ه) لم يكتف فقط باستقبال الوفود في المدينة المنورة ، وإنما عمل ما في وسعه لتوطيد الإسلام بين أهل هامة والسراة ، فأكرم وفادة الوفود القادمة عليه ، ثم علمهم المبادئ الأساسية في الإسلام ، وبعدها أذن لهم بالعودة إلى أوطاهم ، فعادوا إلى أقوامهم وكلهم إصرار على نشر الإسلام فيما بينهم .

وأحياناً كان يكتب الرسول (هل) كتباً لبعض الوفود يبين لهم فيها بعض التعاليم الدينية ، وتارة أخرى كان يرسل رسائل إلى بعض القبائل والعشائر ، يذكر لهم فيها ما يتوافق مع منهج الإسلام ، سواء في العقيدة أو الأحكام ، أو الأنظمة الاجتماعية ، أو غيرها ، بل ويحثهم غلى محاربة الفتن والضلالات والنصرة على أهل الشرك وضمان الأمن والبقاء في أوطالهم .

ومن أهم الوفود السروية التي وفدت على الرسول الكريم ، وفد الأزد ، الذي كان يتزعمه صرد بن عبدالله الأزدي ، حيث قدموا من جرش إلى المدينة وعددهم بضعة عشر رجلاً فقدّموا إسلامهم بين يدي الرسول (ﷺ) . ثم أمّر الرسول صرد بن عبدالله على بقية رفاقه ، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ليقيموا الجهاد على من بقى على وثنيته ، ويعملوا على نشر الإسلام في أوطاهم وتطهيرها من الشرك ، فخرجوا من عند رسول الله متجهين إلى بلاد جرش (٢٠) وهناك أبلوا بلاء حسناً حتى تحولت بلادهم جميعاً من الشرك إلى الإيمان (٣٠). وبعد انتشار الإسلام في ديار جرش ، قدم منهم وفد آخر على الرسول (ﷺ) فقال لهم الرسول (ﷺ) : " مرحباً بكم أحسن الناس وجوها ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاما ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم ، وجعل شعارهم مبرورا ، وهي لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة ... (٤٤) .

ولم تأت حجة الوداع ، إلا وبلاد قامة والسراة قد دان أهلها بالإسلام ، مثلهم مثل غيرهم من قبائل وعشائر شبه الجزيرة العربية . وانتقل الرسول (هم) إلى الرفيق الأعلى وبلاد العرب جميعها تدين بدين الإسلام . ثم أتى من بعده الخليفة

الراشد الأول أبو بكر الصديق (١١هـ /١٣٢م ــ ١٣هـ /١٣٣م) ، فحدثت هزة في مجتمع شبه الجزيرة نتيجة لحركة الردة .

### خامساً: صدى الردة في إقليم تهامة والسراة:

ظهر قبيل وفاة الرسول (هي) ، في أنحاء من شبه الجزيرة العربية بعض الكذابسين المدعسين للنبوة (٤٥) ، أمثال عبهلة ، الملقب بـ (الأسود العنسي) في بلاد اليمن وما حولها (٤٦) فاتخذ من صنعاء نقطة انطلاق نحو الشمال حتى سيطر على نجران وأجــزاء عديدة من بلاد قحطان وعســير وبيشة وما حولها ، بل لقد سعى إلى طرد عمال الرسول ( الله على الأجزاء (٤٧) . وجاء النبأ ، بأفعال الأسود العنسي ، إلى الرسول (ه) ، فقام عليه السلام ، بمراسلة العديد من قبائل وشيوخ أهل اليمن ، وهامــة والســراة وحثهم على التمسك بدين الإسلام ، والثبات في تصديهم للأسود العنسي ، وحذرهم من الارتداد عن دين الله ، بل أرسل جرير بن عبدالله البجلي مع بعض الرجال من أزد السراة ليتصدوا للمرتدين أو المؤيدين للأسود العنسي في أرض السروات (٤٨) . وبعد خروج جرير بن عبدالله من المدينة متجهاً إلى بلاد السروات أتى نـــبأ وفـــاة الرسول (ﷺ) فعاد جرير إلى المدينة دون أن يواصل مهمته ، وربما عـــاد ليقف على أحوال المسلمين بعد وفاة الرسول الكريم ، وفي ضوء ذلك الموقف يستطيع أن يتصرف مع بقية صحابة الرسول (ﷺ) ، ويحتمل أن يكون موت الرسول (ﷺ) ، وهــول تلك الصدمة جعلت جرير بن عبدالله لا يواصل هو وأصحابه ما كُلفوا به من قــبل الرســول (هم) فلم يستطيعوا السير قدماً ، وقرروا الرجوع إلى مدينة الرسول الكويم (٤٩) .

ولكن حدث بعد عودة جرير وصحبه إلى المدينة المنورة أن وجدوا المسلمين قد اجتمعوا على تنصيب أبي بكر الصديق خليفة لهم ووجدوا أبا بكر غير راض عن رجوعهم من المهمة التي كلفهم بها الرسول (ﷺ) (°°) فلم يكن عليهم إلا الذهاب إلى

بــــلاد الســـراة محاربة من ارتد من عشائر وقبائل تلك البلاد ، وساروا إلى بلاد بجيلة وخثعم ودوس والحجر فحاربوا من ارتد أو عاد إلى الوثنية وتغلبوا عليهم (٥١) .

والواقيع أن المرتدين في بلاد تمامة والسراة كانوا قلة ، وخاصة إذا قورنوا ببقية أجرزاء شبه الجزيرة العربية (٥٢) فالأسود العنسى \_ كما أشرنا \_ ظهر في حواضر اليمن الكبرى ، ثم مد نفوذه شمالاً حتى نجران وجرش وبيشة ، ووجد بعض المؤيدين لدعوته في تلك الأجزاء ، بل وجد من بين أهل هامة والسراة من يتولى قيادات عامة ينوبون عنه في السير بحركة الارتداد في أوطاهم ، فيقنعون من بقى على دين الإسلام ، ويحببون إليهم الردة ، أو يهاجمون ويحاربون من يقف في طريقهم من مسلمي البلاد أنفسهم ، أو من سيأتي من قبل المدينة المنورة وما حولها . ومن أولئك المؤيدين للعنسي ، عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، الذي تزعم وفد زُبيد عندما قدموا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم أمام الرسول رهي ) ، وبعد ظهور العنسي ارتد عمرو وانضم إلى حزب المرتدين ، فجعله العنسي نائباً عنه في البلاد الممتدة من نجران جنوباً إلى بيشــة شمالاً (٥٣) ، وبرز إلى جانب عمرو مع العنسي قيس بن عبد يغوث الأزدي المسرادي ، الذي ولاه العنسي إمرة الجيش العامة ، كما شارك مع العنسي معاوية بن قيــس الجنبي ، ويزيد بن الأفكل الأزدى ، وجميعهم من قبائل بلاد السراة الواقعة بين نجران وبيشة (٥٤) . ويورد الطبري تجمع بعض الأفراد من عشائر بجيلة ، وخثعم ، وأزد السراة ، وأفخاذ أخرى في هامة والسراة ، ثم انضوائهم تحت زعامة حميضة بن النعمان ابن حميضة البارقي، ثم إعلاهم ارتدادهم (٥٥) وربما اتحادهم مع أعوان الأسود العنسي ، ونهجهم نهج المرتدين في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة امتناعهم عسن دفع الزكاة ، وعدم التقيد ببعض أحكام الإسلام.

والسؤال النبي يطرح نفسه هو : ماذا كان حجم المرتدين في بلاد هامة والسراة ؟ الواقع أن الإجابة على هذا السؤال صعبة لأن المصادر الأولى لا تسعفنا

بمعسلومات وافرة حتى نستطيع من خلالها معرفة حجم حركة الارتداد في البلاد المعنية بالدراسة في هذا البحث ، ولكن في اعتقادنا ب وكما أشرنا سابقاً ب أن حجمها كان أقل بكثير من حجمها في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة ، بدليل أنه عندما عزم الخليفة أبو بكر الصديق على محاربة المرتدين في كل مكان ، فإنه لم يرسل جيشاً خاصاً إلى تمامة والسراة وإنما أرسل جيشاً مر بمكة المكرمة ثم الطائف ، ثم سلك طريقه عبر السراة حستى وصل صنعاء في اليمن ، ومرور مثل ذلك الجيش بالسراة جعله يصطدم ببعض المرتدين ، الذين يبدو أن حجمهم وخطرهم لم يصل إلى مستوى خطورة وحجم جماعة مسيلمة الكذاب أو طليحة بن خويلد الأسدي أو مالك بن نويرة ومن ارتد معهم ، أو مسيلمة الكذاب أو طليحة بن خويلد الأسدي أو مالك بن نويرة ومن ارتد معهم ، أو غيرهم في أطراف أخرى من جزيرة العرب (٢٠٥) .

ولم يكتف الخليفة أبو بكر الصديق برد جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه إلى حيث أرسلهم الرسول (ه) من بلاد السراة ، وإنما أصدر تعليمات أخرى إلى عماله في مكة المكرمة والطائف يأمرهم أن يرسلوا البعوث إلى بلاد تمامة والسراة ليجمعوا من بقي على الإسلام هناك ، ثم يجاهدوا بهم من ارتد عن دين الله ، فلم يكن على أصير مكة المكرمة عتاب بن أسيد ، إلا الامتثال لأمر الخليفة ، وأرسل أخاه خالد بن أسيد إلى الأجزاء التهامية الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى بلاد السيمن (٢٥٠) . كذلك أرسل والي الطائف ، عثمان بن أبي العاص ، بعثا إلى بلاد السروات ، الممتدة من جنوب الطائف إلى اليمن ، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع المسروات ، الممتدة من جنوب الطائف إلى اليمن ، فذهب ذلك البعث حتى اجتمع بجرير بن عبدالله البجلي في وسط السراة ببلاد دوس وختعم والحجر ، ثم ذهبوا جميعاً حتى الستقوا بحميضة البارقسي ومن كان معه من المرتدين في سراة عسير (عنسز ) فحاربوهم حتى هزموهم ومزقوهم شسر ممزق (٨٥٠) . وأدى إصرار الخليفة أبي بكر على إبادة ودحر المرتدين إلى تجهيز جيوش عديدة في المدينة ، ثم أرسل كل واحد منها إلى ناحيسة لكسي يتصدى للمرتدين ، فكان نصيب بلاد قمامة والسراة واليمن جيش

أرسله تحت زعامة المهاجر بن أمية، فخرج ذلك الجيش من المدينة المنورة حتى الطائف ، ثم سار في بالاد السراة حتى لحق بجيش جرير بن عبدالله البجلي ومن كان معه ، ثم واصلوا جميعاً السير حتى التقوا بجيوش عمرو بن معدي كرب الزبيدي وقيس المرادي وغيرهما فهزموهم ، وعاد كل من عمرو وقيس إلى الإسلام ، وعادت جميع بلاد لمامة والسراة إلى حوزة الإسلام وبعد ذلك بدأت المرحلة الثانية في تاريخ الخليفة أبي بكر الصديق ، وهمي مرحلة الفتوحات الإسلامية ، فانخرط الكثير من السرويين والتهاميين في جيوش المسلمين ، مثلهم مثل غيرهم من عرب شبه الجزيرة العربية وأبلوا بلاء حسناً في فتح بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وفارس وغيرها ، بل لقد عمل الكثير منهم على نشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة واستقر بعضهم على نشر الإسلام في تلك البقاع الإسلامية الجديدة واستقر بعضهم في بعض الحواضر من تلك الأمصار ، ثم شاركوا في كثير من الأنشطة السياسية والحضارية .

وبعـــد ، فلعلنا في هذه الدراسة قد نجحنا في كشف النقاب عن صفحة شبه مجهولة في تاريخ إقليم همامة والسراة في فجر الإسلام .

## سادساً: الحواشي والتعليقات

- طهور الدين الإسلامي في الحجاز على يد الرسول (畿) ثم انتشاره إلى جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، ثم إلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، بل وإلى بلاد فارس والهند والسند وغيرها ، لم يكن يحدث بين عشية وضحاها ، وإنما مر بمراحل صعبة منذ اجتماع الرسول (畿) بأصحابه في دار الأرقم بن الأرقم ، حتى وصلت الفتوح الإسلامية إلى أقصى مداها في عهدي الدولتين الأموية والعباسية . وللمزيد من الاطلاع على أحداث مراحل التاريخ الإسلامي المبكر ، وامتداد الفتوح الإسلامية إلى أقصى الشرق والغرب، انظر : عبدالملك بن هشام. السيرة النبوية ، حققه وشرحه ، مصطفى السقا و آخرون (بيروت : دار القلم . د.ت ) (٤) أجزاء ؛ أحمد بن يجبى البلاذري . فتوح المبدان ، تحقيق رضوان محمد بن عبدالله الأزدي . تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر ( القاهرة : مطابع سجل العرب ، ١٩٧٧م ) ؛ محمد عمر الواقدي. فتوح الشام (بيروت : دار الحكر ، د.ت ) جزء آن ؛ عبدالوهاب النجار . الخلفاء الراشدون ( بيروت : دار الفكر ، د.ت ) ، ص٣ وما بعدها .
- ٣— نلاحظ الكثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة ملأى بالروايات المختلفة عن المدن الكبرى في شبه الجزيرة ، كمكة ، والمدينة ، والطائف ، وصنعاء ، وصعدة ، واليمامة ، والبحرين ، وغيرها ، فتعرضت لثقلها السياسي،والاقتصادي ، والفكري ، والاجتماعي ، والديني وبخاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بل والكثير من المصادر أشارت إلى العديد من الشخصيات التي برزت في تلك الحواضر ، خلال القرون الإسلامية المبكرة ، وكان لها دور بارز في بعض مجالات الحياة السياسية والحضارية المختلفة . وللمزيد من

التوضيحات ، انظر : محمد بن عبدالله الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي ملحس ، ط٤ (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ٣٠٤ هـ /١٩٨٣م) جزءان ؛ عمر بن شبه . تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمود شلتوت (جدة: دار الأصفهاي للطباعة والنشر،١٣٩٣هـ) (٤) أجزاء ؛ عمر على الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فواد سيد (بيروت : دار القلم ، د.ت ) ص٣٥ وما بعدها ؛ حمد الجاسر . أبو على الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، د.ت ) ص٧٥ وما بعدها ؛ أكرم ضياء العُمري . المجتمع المدني في عهد النبوة ( المدينة المنورة : د.ت ، ٤٠٤ هـ /١٩٨٤م ) ص١٧ وما بعدها .

هناك العديد من المصادر المبكرة التي تعرضت لبلاد قامة والسراة من حيث المسميات ، أو من نواحي جغوافية وحضارية أخرى . وللمزيد من الشروحات انظر : عبيدالله بن خرداذبه . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، ام . جي. دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩م ) ص١٣٣٠ ــ ١٤٤ ؛ عبدالله بن عبدالعزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع ، تحقيق مصطفى السقا ، (بيروت : عالم الكتب ، ٣٠ ١٤٠هـ / ١٩٨٣م) ، مج١ ، جـ١ ، ص٥ ـ ٨٠ ؛ شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان ( بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ) ، جـ٣ ، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ محمد بن أحمد بن جبير.رحلة ابن جبير(بيروت: دار الكتب، د.ت ) ص١٠٢ ــ ١٠٠ ؛ شهاب الدين أحمد بن يجيى بن فضل العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق، أيمن فؤاد سيد ( القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت ) ص ١٤٩ ـ ١٧٠ ؟ حسن إبراهيم الفقيه . مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ) ص٩ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر الزيلعي . " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى (ق٣ ــ ٩هــ /٩ ــ ١٥م ) " حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية رقم (٧) الرسالة (٣٩) (٣٩هـ /١٩٨٦م ) ص ١١ ـ ٣٥ ؛ محمد أحمد معبر . مدينة جوش من المواكز الحضارية القديمة ( حميس مشيط : دار جوش للنشر والتوزيم ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م ) ص١٣ ـ ٥٠ .

- انظر تفصیلات آکثر فی مقالتی . عبدالله الوهیبی . " الحجاز کما حدده الجغرافیون العرب " بحلة کلیة الآداب ، جامعة الریاض (۱۳۹۰هـ /۱۹۷۰م) جـ۱ ، ص۵۳ ـ ۷۰ ، ص۵۳ ـ ۰۷ ؛ صالح أحمد العلی ." تحدید الحجاز عند المتقدمین " مجلة العرب (۱۳۸۸هـ /۱۹۷۸م) جـ۱ ص ۱ ـ ۹ . غیثان بن علی جریس " بلاد السراة ... " ص ۷۲ وما بعدها .
- ٧ ولا زالست أغلب هذه السروات المذكورة تستوطن بالقبائل والعشائر التي سميت بها كل سراة. ويستنتج من ذلك أن الأرض كانت ولا زالت تنسب إلى من يسكنها، فمثلاً: سراة قحطان ، أو عسير ، أو الحجر ، عرفت بهذه الأسماء ، لأن قبائل قحطان أو عسير ، أو الحجسر استوطنت سرواتها منذ أمد بعيد ، فعرفت الأرض باسم القبيلة ونسبت إليها ، وهكذا حدث مع بقية السروات الأخوى .
- التنقل والترحال من عادات العرب القديمة ، بل وانتقال الفخذ أو العشيرة من مكان إلى مكان ، كان من الأوضاع المألوفة عند البدوي منذ عهود قديمة ، إلى جانب وجود أسباب أخرى تجعل بعض العشائر ترحل من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى ، كأن تماجم قبيلة قوية أخرى ضعيفة فتجبرها على الرحيل ، أو ترحل بعض العشائر ، وبخاصة البدوية منها ، من مكان لآخر بحثاً عن الماء والعشب الذي يفيدها في رعى مواشيها ، أو حدوث منها ، من مكان لآخر بحثاً عن الماء والعشب الذي نفيدها في رعى مواشيها ، أو حدوث منها ، من مكان المنافر المن

نوع من الخصومة والشقاق بين أفراد العشيرة الواحدة ، مما يؤدي إلى خروج بعضهم من مواطن العشيرة الأساسية ، والبحث عن مكان آخر يعيشون به . وما نلاحظ في بلاد تمامة والسراة من تشابه في بعض أسماء القرى والأفخاذ المتفرقة ، أو من توزع بعض أفراد القبيلة أو الفخل الواحد في أكثر من مكان ، سواء كان بالأجزاء السروية المرتفعة أو بالهضاب والأودية الشسرقية أو ببعض الأجزاء الساحلية التهامية ، ليس إلا ناتجاً من حدوث بعض الأسباب الآنفة الذكر ، والتي عاشها ومارسها سكان تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة .

- و لقد لحظنا ورود أسماء بعض الأودية دون ذكر أسماء العشائر والقبائل التي أقامت حولها ، مشلما حصل مع قبائل سبيع وخثعم في وادبي رنية وبيشة ، وفي اعتقادنا أن السبب في ذلك يعود إلى أن بعض القبائل التي سكنت حول الوديان ، ولم تسم باسمها ، هي قبائل غلب عليها طابع الترحال وعدم الاستقرار ، فلم تكن تمكث طويلاً وتلتصق بالأرض مثلما حدث مع قبائل خثعم وسبيع على وادبي بيشة ورنية .
- 11 \_\_ وتثليث فهي ديار عمرو بن معدي كرب الزُبيدي ، الذي ورد ذكرها معنا ، عند الحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول (ه) بعد فتح مكة المكرمة . ومن المعلوم أن السواد من سكان الجزيرة العربية كانوا يدينون بالوثنية أو ما شابحها من الديانات الساذجة الدالة على سخف في التفكير وضعف في المعتقد ، وبعد ظهور الإسلام ، ثم انتشاره إلى بلاد تمامة والسراة ، ظهر عندئذ شخصيات أمثال عمرو بن معدي كرب وغيره ، تعد بوادر الخير الذي ظهر بظهورها ، فحملوا راية الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ، وجعلها العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى .

- 1 Y ــ ومن كبرى عشائر قبيلة قحطان في وقتنا الحاضر ، وبخاصة في الأجزاء السروية : وادعة ، وسنحان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة وخطاب .
- 17 الشعيبة كانت ميناء مكة الرئيس منذ العصر الجاهلي وحتى عهد الخليفة الراشد عثمان البن عفان ( ٢٣هـ /٢٤٤م ـ ٣٥هـ /٢٥٦م ) ، ثم استبدلت به جدة فصارت الميناء السرئيس لبلاد الحجاز حتى وقتنا الحالي . وللمزيد من التفصيل انظر : همد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م ) ص ١٦٧ وما بعدها ، وللجاسر أيضياً "حول الجار والشعيبة "مجلة العرب (١٣٩٠هـ /١٩٧٠م) جـ ١١٧ ، ص ١١٧٠
- G.R. Hawting. "The Origin of Jeddah and the problem of al-Shuayba"

  Arabica Vol. XXXI (1984). PP. 318 326.
- 1 السذي قصدنا به هنا من سراة عسير، هي منطقة مدينة أبما وما حولها ، أو بوجه أدق مواطن قسبائل عسمير الأصلية ، والتي هي: قبائل مغيد، وعلكم، وبنو مالك ، وربيعة ورفيدة ، وجميعها تقطن الأجزاء السروية الواقعة بين سراة الحجر من الشمال وسراي قحطان وشهران من الجنوب، كما يوجد لهذه القبائل بعض العشائر في أسفل عقبة ضلع المنحدرة مسن جسبال أبما تجاه منطقة جازان ،وكذلك قبائل رجال ألمع الواقعة في بعض مرتفعات الأجزاء التهامية من سراة قبائل عسير .
- 10 وللمزيد من التفصيل عن أهم الأودية الواقعة بين جازان ونجران جنوباً وبين مكة المكرمة والطائف شمالاً ، انظر: عبد الرحمن صادق الشريف ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة ( الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) جــ٧ ، وسلام وما بعدها ؛ عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن ( رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) ص ١٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه. بين مكة وحضرموت ( رحلات ومشاهدات ) ( مكة المكرمة : دار مكة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) ص ١٩٨٩م ) ص ١٩٨٩م ) ص و وما بعدها .

#### بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام هتى السنة الثانية عشرة للهجرة

- 17 \_ القرآن الكريم ، وكتب السنة ، وكذلك جميع كتب السيرة والطبقات والتراجم ، والكثير مـن كتب التراث الإسلامي الأخرى مليئة بتاريخ سيرة الرسول(ﷺ) سواء يوم كان في مكة المكرمة ، أو بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، وتأسيس أول عاصمة إسلامية هناك ، ثم محاربته للمشركين واليهود والمنافقين ، وتبليغه رسالة الإسلام إلى الناس كافة .
- الشرات الكريم ( في سورة الإيلاف ) وكثير من كتب التراث الإسلامي تشير إلى الرحلة فالقرآن الكريم ( في سورة الإيلاف ) وكثير من كتب التراث الإسلامي تشير إلى الرحلة الشروية السنجارية التي كان يقوم بها أهل مكة المكرمة ، عبر بلاد قامة والسراة ، حتى حواضر السيمن الكبرى . ورحلة تجارية متكررة كل عام ، لا بد أن يحدث الاحتكاك الحضاري بين روادها الذين هم من قريش ، وبين أهل الديار التي يمرون عليها من بلاد قامة والسراة . والأخذ والعطاء لا يكون مقصوراً على الأعمال التجارية فحسب ، وإنما يمتد إلى أمور أخرى عده، كالتعاون في توفير الأمن للتجار أثناء عبورهم الطريق التجارية، أو ورودهم بعض الأسواق أو المراكز الحضارية الكبرى للبيع والشراء . ومن المتوقع أن تمتد العلاقات إلى الزواج والمصاهرة ، واقتباس بعض العادات الاجتماعية المتعلقة بحفلات السزواج والحسان ، أو عادات الزينة واللباس ، أو الطعام والشراب ، أو بناء الدور وما شابكها. ومن يتجول الآن في بلاد الحجاز ، أو بلاد قامة والسراة المعنية في هذا البحث ، أو بعد ضارياف ومدن اليمن يجد هناك الكثير من التشابه في نمط الألبسة ، وطريقة عمل بعض الأطعمة ، أو بناء ونقش وزخرفة المنازل . ومثل هذا التشابه لا يمكن حدوثه مسن فراغ وإنما ورثه الأبناء والآباء عن الأجداد ، كما أنه نتيجة للاختلاط والانصهار البشري الذي مرت به هذه الديار منذ أزمنة بعيدة .
- الم يسترك القرشيون وسيلة إلا جربوها من أجل صد الرسول (義) عما كان يدعو إليه ، فوصفوه تسارة بالجنون ، وأخرى بالكهانة أو السحر ، بل وضيقوا عليه في جميع جوانب حياته الاجتماعية ، وتطاول بهم الأمر إلى إيذائه والاستهزاء والسخرية به . أما المسلمون الأوائسل الذيسن صدقوا برسالة الإسلام فقد نالهم من الأذى ما الله به عليم ، بل فقد بعضهم حياته من أجل اعتناقه الإسلام ، وذلك كله بما فعل طغاة قريش من أجل القضاء على دين الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

- 19 للمزيد من التفصيلات عن علاقة الأحلاف والمصاهرة التي كانت بين آباء وأجداد الطفيل الدوسيين وبين بعض زعماء قريش ، أمثال أبي سفيان وغيره . انظر : محمد بن حبيب البغدادي . كتاب المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، (بيروت : عالم الكتب، ١٤٥٥هـ /١٩٥٥م ) ص ١٩٩١ ـ ٢١١، الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٩ .

- ۲۲ لسلمزید من التوضیحات عن إسلام ضماد الأزدي ، انظر : ابن الجوزي ، صفة الصفوة،
   ۲۲ ۲۰۰ ، صفى الرحمن المباركفوري . الرحيق المختوم (بيروت : حسله ، ۵۰۰ مسلم ، ۱۳۱ مسلم ۱۳۱ .
- ٣٣ تسربة: بالضم ثم الفتح، تقع إلى الجنوب من مدينة الطائف، بحوالي مائة كيلومتر، وبما واد فحل يسمى " وادي تربة "، وتنحدر مياهه من أعالي بلاد السراة نحو الأجزاء الشرقية، ويسكن على ضفافه العديد من الأفخاذ والعشائر التي تمتهن الزراعة ومزاولة بعض الأعمال التجارية الأخرى. انظر: شهاب الدين ياقوت الحموي. معجم البلدان.

#### بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

- ج ۲ ، ص ۲۱ ، عاتق بين غيث البلادي ، بين مكة وحضرموت ، رحلات ومشاهدات ( مكة المكرمة : دار مكة ، ۱٤۰۲هـ /۱۹۸۲م ) ص ۱۱ ، مشاهدات الباحث ورحلاته الميدانية خلال عام ۱٤۱۳هـ /۱۹۹۲م ـ ۱۹۹۳م ) .
- انظر: محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونس ( بيروت : عالم الكتيب . د.ت) جـــ ، ص ٧٧٧ ، على بن الحسين المسعودي . التنبيه والإشراف . ( بـــيروت : دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١ م ) ص ٧٤٣ . انظر أيضاً . خليفة بن خياط . تــــاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمـــري ( الرياض : طيبة ، ١٤٠٥ هــ / مــــ / ١٤٠٥ م ص ٧٨ .
- ٧٥ ــ يذكر أن الطفيل قدم مع قومه إلى المدينة ، فوجد الرسول (ه) قد ذهب إلى خيبر لفتحها، فلحق به هناك . وللمزيد من التفصيل انظر: الواقدي ، المفسازي ، جــ ٧ ، ص ٢١ ــ ٢٥ ؛ شمس الدين محمد بن القيم .
   زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب بن الأرنؤوط وآخرين ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٠م ) جــ ٣ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٨ .
- ٧٦ \_\_\_ مــن استقراء تاريخ السيرة النبوية نجد أن المشركين كانوا يتراجعون إلى الوراء منذ ظهور الرســول (هلل) في المديــنة ، ولكن سقوط حظهم لم يصبح واضحاً للعيان إلا بعد معركة بدر، ثم تتالت عليهم أحداث الفشل والخيبة حتى السنة السادسة للهجرة ، وذلك عندما عقــدوا ما يسمى بــ (صلح الحديبية ) مع الرسول وصحابته ، ومن بعد ذلك التاريخ لم يعمــروا طويلاً حتى جاءت السنة الثامنة للهجرة فدخل المسلمون مكة المكرمة ، وقضي على المشركين في عقر دارهم .
- من الوفود التي وفدت على الرسول (ﷺ) من بلاد تمامة والسراة وفد الأزد ، وفد بجيلة ،
   وفـــد بارق ، وفد ختمم ، وفد ثمالة ، وفد غامد ، وفد دوس ، وغيرها كثير . للمزيد من التفصيلات ، انظر: محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٠٥٠ م ) جـــ١ ، ص ٣٦١ ـــ ٣٥٩ .

- - ۲۹ ــــ الواقدي ، المغازي ، جـــــ ، ص ۹۲۳ .
- وللمزيد مسن التفصيل عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد دوس، انظر : الواقدي ، المغازي، جـ٣ ، ص٩٢٣ ، ابن الجوزي ، صفة ، جـ١ ، ص٣٠٢ ؛ الجاسر ، في سراة غامد ، ص ٤٢٣ ؛ المسعودي ، التنبيه ، ص ٤٢ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، ص ١٩٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، ص ١٩٠ . ويذكر أن الطفيل عاد من بلاد دوس مع قومه ومعه دبابة ومنجنيق ، فقال لهم الرسول (ش) "يا معشر الأزد من يحمل رايتكم ؟ فقال الطفيل : من كان يحملها في الجاهلية ، فقال : أصبتم " وقيل إن السذي كان يحمل الراية في الجاهلية أخو : النعمان بن الزرافة اللهبي ، وهذا ما ذكر الواقدي ، أما ابن سعد فذكر أنه ( النعمان بن بازية اللهبي ) ، وذكر ابن عبد البر في كستاب الاستيعاب ، أنه (النعمان بن الزراع عريف الأزد) . انظر الواقدي . المغازي ، جـ٣، ص٩٢٣ ، انظر أيضاً ملاحظة (٤) في نفس الصفحة المذكورة آنفاً ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ ، ص٩٢٧ . صحيح البخاري . صحيح البخاري . صحيح البخاري . بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت) مج٣ ، جـ٥ ، ص ١٢٣ .
- الظر: ابسن الجسوزي، صفة الصفوة ، جدا ، ص ٧٤١ . وصنم ذو الخلصة كان لدوس، وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلاد السراة ، بل وكان يعرف بالكعبة اليمانية ، وكان يحج إليه أعداد كثيرة من الناس . وللمزيد من التوضيحات ، انظر : ابن هشام ، السيرة ، جدا ، ص ٧٤١ ، البخاري ، الصحيح، مج٣، جدا ، ص ٧٤١ ، البخاري ، الصحيح، مج٣، جدد ، ص ١١١٠ ١١١١ ، مج٤ ، جد ، ص ١٠٠ ، الأزرقدي ، جدا ، ص ٣٧٤ بناؤه بعد القرن العاشر الهجري ، ص ٣٧٤ س ٣٧٤ ٣٨٩ . ويذكر أن صنم ذو الخلصة أعيد بناؤه بعد القرن العاشر الهجري ، وربحا من قبل ذلك ، وبقي على حاله حتى زمن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، حيث ذكر ابن بشر في حوادث (٣١٠هـ) أن رجال عبدالعزيز بن محمد بن سعود حاربوا الترك في بلاد بيشة وخثعم ودوس وغامد حتى وصلوا صنم ذو الخلصة فهدموه وأحرقوه.

#### بلاد تهامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

- انظــر : عثمان بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد ( الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، د. ت ) جــ ۱ ، ص ۱۸۱ ـ . د. ت ) جــ ۱ ، ص ۱۸۱ ـ .
- ٣٧ ــ ويتضــح من هذه العبارات ، أن الإسلام أصبح منتشراً عند أهل تمامة والسراة ، حتى إن القــبائل الســروية والتهامية قامت بمدم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، وصاروا يوحدون الواحد القهار في مساجدهم وصلواقم وجميع تصرفاقم .
- ٣٣ ــ انظر : البخاري ، الصحيح ، مج٣ ، جــ٥ ، ص١١١ ــ ١١٢ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، جــ١ ، ص٠٣٤ ــ ٣٤٨ .
  - ٣٤ \_ المصادر نفسها .
  - ٣٥ \_ ابن القيم ، زاد المعاد ، جـ٣ ، ص١٤٥ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، ص١٦٢ .
- ٣٦ ـ للمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود ، انظر ابن سعد ، الطبقات ، جــ١، ص ٣٦١ ـ ٣٦٩ . ابن هشام، السيرة ، جــ٤ ، ص ٣٦٠ ـ ٢٣٤ ، ابن القيم، زاد المعاد، جــ٣، ص ٣٦٠ ـ ٢٣٤ ، ابن القيم، زاد المعاد، جــ٣، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٠ ـ ٢٢٠ ، محمــد بــن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ( بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٠هـ /١٩٦٩م ) جــ٣ ، ص ١٣٠ ـ الفضل إبراهيم ( ١٣٠ ، محمــد حميــد الله . مجموعــة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ( بيروت : دار النفائس ، ٥٠٤١هـ /١٩٨٥م ) ص ٢٤١ ، ٢٩٠ .
- ٣٧ عمد حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص ٢٩١ . ويتضح أن بعض العشائر الخثعمية ، خلاف الحارث بن عبد شمس ، قدمت على الرسول وأعلنت إسلامها ، فيذكر محمد حميد الله ، وابن سعد أن " عثعث بن وحشي وأنس بن مدرك قدموا على رسول الله (ش) في رجال من خثعم ... فقالوا آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه ، فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبد الله ومن حضر ... " انظر محمد حميد الله ، المصدر نفسه ، ص ٢٩١ أيضاً وردت هذه المعلومات في جزء من طبقات ابن سعد، تم طبعه في بلدة أكبر أباد بالهند ، عام ١٩٧٨ه... ص ١١٢ ـ ١١٣ . وهذا الجزء ضمن مكتبة الباحث .

- ٣٨ ـــ ابــن ســعد ، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص٣٨ ــ ٣٩ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق ، ص٢٩٢ ــ ٢٩٣ .
  - ٣٩ \_ المصدران السابقان •
- ٤٠ ابن سعد، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص٤١ ، محمد حميد الله ، الوثائــق ،
   ص٩٩١ .
- ١٤ ــ ابــن سعد ، الطبقات، جــ١ ، ص ٣٥٧ ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق، ص ٢٤١ ،
   ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٤٤ .
- 24 بلاد جرش ، أو إقليم جرش ، أو مخلاف جرش ، اسم واحد كان يطلق على أغلب إقليم عسير في وقتنا الحاضر ، ومركز هذا الإقليم قديماً هو بلاد شميس مشيط في بلاد شهران، وأحد رفيدة في بلاد قحطان ، ومدينة أبما وما حولها في قبائل عسير الأصلية (علكم ، ومغيد ، وبنو مالك ، وربيعة ورفيدة ) . وربما كان إقليم جرش يتسع ويضيق حسب الأحوال السياسية التي كانت تعيشها البلاد خلال القرون الإسلامية المبكرة . وقد تعرض لهذا الإقليم العديد من المصادر المبكرة فذكرت موقعه ، وطبيعة أرضه وما بما من خيرات وكذلك سكانه وأنسابهم . وللمزيد من التفصيلات عن بلاد جرش ، انظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٥ ٢٥٦ ، البكري ، معجم ما استعجم ، مج ١ ، جـ١، صحابه مطبعة بريل، ١٩٨١م ) ص ٢٥٤ ٢٥٠ ، البكري ، عيثان بن علي بن جريس " تاريخ مخلاف مطبعة بريل، ١٩٨١م ) ص ٢١٤ ، ٣٠ ، غيثان بن علي بن جريس " تاريخ مخلاف جسرش خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور ، مج ٩ ، جـ١ (١٤١٤هـ/ جـرش خلال القرون الإسلامية الأولى " مجلة العصور ، مج ٩ ، جـ١ (١٤١٤هـ/
- 27 ــ لـــلمزيد من المعلومات عن ما قام به صرد بن عبد الله الأزدي وأصحابه من المسلمين في محاربة من بقي على الوثنية في بلاد جرش ، وخاصة بعدما أمرهم الرسول (ه) بالرجوع إلى أوطـــالهم محاربــة المشركين هناك . انظر: ابن هشام ، السيرة ، جـــ ٤ ، ص٣٣٧ ــ الله و ٢٣٤ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، ٢٣٤ ، اب القيم ، زاد المعاد ، جـــ ٣ ، ص ١٣٠ ــ ١٣٠١ .

- ٤٤ ــ انظــر ، ابــن ســعد ، الجزء المطبوع في بلدة أكبر آباد بالهند ، ص ١٠١ ، ابن سعد ، الطــبقات ، جــــ١ ، ص ٣٣٨ ـ ، ابن هشام ، السيرة ، جــ٤ ، ص ٣٣٣ ـ ٢٣٤ ، عمد حميد الله . مجموعة الوثائق ، ص ٢٨٩ ـ . ٢٩٠ .
- المدعسون للنسبوة أمسئال مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ببلاد نجد ، وطليحة بن خويلد الأسسدي في قومه من قبائل بني أسد ، والأسود العنسي في بعض القبائل باليمن والأجزاء التهامية والسروية الواقعة بين صنعاء ومكة المكرمة .
- الأسود العنسي رجل من عنس أحد قبائل قحطان ، كان كاهناً تنبأ قبيل وفاة الرسول (ﷺ) ، وتابعه على أمره أقوام عديدة من عرب اليمن وبعض أجزاء بلاد تمامة والسراة ، فخسرب ودمسر ، وعاث في الأرض فساداً ، حتى هيأ الله له بعض الموالي والعرب ببلاد السيمن فتآمروا على قتله ونجحوا في ذلك . للمزيد من التفصيلات عن حركته وفجوره ، انظسر : الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها ؛ عبد الوهاب النجار . الخلفاء الراشدون ( بيروت : دار الفكر ، د.ت ) ص ٢٦ ـ ٥٠ .
- ٧٤ كان من عمال الرسول (ﷺ) في بلاد اليمن وقامة والسراة ، عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، وكانت إمارته تمتد شمالاً على ديار قحطان وبلاد جرش ، وعسير حتى بيشة ، وكان الطاهر بن أبي هاله على عك والأشعريين في بعض النواحى التهامية .
- ۱نظر : الطبري ، تاریخ ، جـ٣ ، ص٣٣٧ ، ٣٣٧ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاریخ بن خلدون ، تاریخ بن خلدون ، تحقیق خلیل شحادة و آخرین ( بیروت : دار الفکر ، ١٠٤١هـ /١٩٨١م )
   جــ ۲ ، ص ٤٩٣ .
- ون شك أن فاجعة موت الرسول (ه) كانت كارثة عظيمــة ، وخاصــة عند صحابته (رضــوان الله عــليهم) ، فقد عرفنا ما أصاب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه ) الذي لم يصــدق خــبر الوفاة ، والذي يروى عنه أنه قال : والله لو قال أحد إن محمداً قد مات لقطعــت رأســه بسيفي هذا ، وهذه العبارة لا يقولها إلا شخص لم يصدق بالخبر ، وربما الصــدمة العـنيفة في قلب عمر جعلته يقول هذه المقولة ، علماً أنه من العشرة المبشرين

بالجنة ، ومن العارفين العالمين بسنن الله ، وأن الموت لا يترك صغيراً ولا كبيراً إلا داهمه . وتتجلى شخصية الخليفة أبي بكر الصديق في القول الذي قال لعمر وغيره من المسلمين ، عسندما تسأكد من موت الرسول (هل) فقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وهنا عاد عمر إلى وعيه ، وخفت الصدمة على نفسه بعد سماع ما قال أبو بكر الصديق، وصبر المسلمون على تلك المصيبة العظيمة.

• ٥ \_ كسان أبو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) حريصاً على تنفيذ جميع تعاليم الرسول ( ق ) وبعد توليه للخلافة ، رأى أن جميع السرايا والغزوات التي كانت قد جهزت في حياة الرسول ، أو كان قد أمر بعقد لوائها أو أرسلها ، لا بد أن تنفذ مهما بلغ الأمر ، ومن أعظه الأمثلة انفاذه جيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى بلاد الشام ، وخاصة في الظروف العصيبة التي كانت تمر بحا المدينة أثناء ارتداد القبائل العربية في أطراف عديدة من شبه الجزيرة العربية ، ومع هذا فلم ينقضه ، ولم يفكر في ذلك ، وإنما قال بعد ما عرض عليه بعض الصحابة رأي تأجيل ذلك الجيش ، ( والله لا أحل لواء عقده رسول الله \_ ق ) .

٥١ ـــ الطبري ، تاريخ ، جــ ، ص٣٢٣ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جــ ٢ ، ص٤٩٣ .

التفصيلات أكثر عن شخصية عمرو بن معدي كرب منذ العصر الجاهلي حتى إسلامه ثم ارتداده ثم إسلامه ومساهماته في الفتوحات الإسلامية ببلاد الشام وفارس ، انظر: الطبري، تاريخ ،جـ٢ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ابن هشام، السيرة ، جـ٤ ، ص ٢٣٠ ـ الطبري، تاريخ ،جـ٢ ، ص ٢٣٠ ، ابن هشام، السيرة ، جـ٤ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٤٠ ، ٢٣١ ، ابسن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٣٣٨ ، محمد بن عبدالله بن قتيبة. الشعر والشعراء (بـيروت : دار إحياء العلوم، ٢٠٤١هـ /١٩٨٧م ) ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، على بـن الحسين المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلس، على بـن الحسين المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلس، ٣٠٤هـ – ١٩٨٣م ) جـ٣ ، ص ٣٣٥ ، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تقييق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٣٠٤هـ /١٩٨٣م )

#### بلاد تهامة والسراة منذ نجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة

ص ۱۲۲ ، أحمد بن محمد بن عبدربه . العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة و آخرين ( بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م ) جــ ١ ، ص١٢٤ ، ٣١٨ - ٣١٩ . ٣١٩

- ٥٤ ــ انظر الطبري ، تاريخ ، جــ٣ ، ص ٢٣٠ ــ ٢٣٢ .
- ٥٥ \_ انظر الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ٣٢١ ـ ٣٣٢ .
- الطبري، تاريخ، جـ٣، ٢٧٣ ـ ٢٤٣، النجار، الخلفاء، ص٤٥ ـ ٦١.
- ٥٧ \_ انظر ، الطبري ، تاريخ ، جــ٣ ، ص٣١٩ ــ ٣٢٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جــ٧، ص٥١ ع. ص٤٩١ .
- ٥٨ ـــ الطبري ، تاريخ ، جـــ ٣ ، ص ٣٧٠ ــ ٣٧٢ ، ٣٧٨ . وبعد هزيمة حميضة البارقي ومن كان معه ، قال أحد الشعراء :

فضضنا جمعهم والنقع كاب وقد تعدلُ علىُ الغدر الفتوق ابرق بارق لها التقينــــــا فعادت خلبا تلك الــــبروق

انظر : الطبري ، تاريخ ، جـــ ، ص ، ٣٦ .

٥٩ \_ الطبري ، تاريخ ، جـ٣ ، ص ٢٢٣ ـ ٣٤٢ ، النجار ، الخلفاء ، ص ٤٥ ـ ٢١ .

## الدراسة الثانية :

دور أهل تهامة والسراة فيُ ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة فيُ صدر الإسلام\*

إعداد

# أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية

جامعة الملك خالد

27374-77

## محتويات الدراسة الثانية :

## دور أهل تهامة والسراة فيُّ ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة فيُّ صدر الإسلام

الصفحة	الموضوع	السلسل
09-07	عهید	أولاً :
09	دور أهل تمامة والسراة في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة :	ثانيــاً :
77-7.	أ – دورهم في الجبهة الشامية .	
アトースソ	ب- دورهم في الجبهة الفارسية .	
۸۰-۷۸	ج - دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس •	
۸۱-۸۰	الخاتمة	ثاث :
71-17	الحواشي والتعليقات	رابعــاً :

### دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام

#### أولاً: تمهيد:

كسان المجستمع العربي قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، يعاني من الفرقة والستمزق بسبب الصراعات القبلية ، الأمر الذي أدى إلى انعدام الأمن في أوساطه ، فحسلت الفوضى محل النظام ، والخوف محل الأطمئنان ، وبقي الأمر على هذا الحال ، حستى جاء الرسول ، عليه السلام ، وبدأ يدعو الناس لعبادة الواحد القهار ، ونبذ الشسرك والأوثان ، وترك الرذائل والتحلي بالفضائل ، كل هذا جعل أهل مكة ، وخاصة القرشيين منهم ، يحاربونه بكل ما أوتوا من قوة ، ولكن صبره ، عليه السلام ، وقسوة إيمانه جعلته يتغلب عليهم ، وازداد دخول الناس في اللدين الجديد عن قناعة و إيمان ، وكما رأى ، الرسول (هم) ، استحالة استمرار الدعوة في مكة المكرمة ، هاجر اليم المدينة المنورة ، وأقام فيها مسجده الشريف ، ومنها أخذ يعد الغزوات والسرايا لتوسيع رقعة دولته ، ونشر الإسلام ، وعقد التحالف مع القبائل المجاورة ضد مشركي لتوسيع رقعة دولته ، ونشر الإسلام ، وعقد التحالف مع القبائل المجاورة ضد مشركي المكسرمة في السنة الثامنة للهجرة ، واتخذ من المدينة المنورة مقراً له ، وأخذ الناس يدخلون في دين الله غليه وسلم) إسلامها (ا) ،

وبعد فإن البحث يقتصر على دراسة المنطقة الواقع إلى الجنوب من مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى مثل : صنعاء وصعده وغيرها ، وقد أطلقنا عليها اسم (هامة والسراة) (٢) ، ونظراً لكثافتها السكانية ، فقد شاركت

مشاركة فعالة في الأحداث الجسام التي حدثت للدولة الإسلامية ، منذ ظهور الدعوة إلى تكوين الدولة ، إلى حروب الردة (٣) ، إلى فتح العراق وفارس والشام • وقد حسباها الله بتضاريس متنوعة ، فهناك الجبال الشاهقة ، والوهاد العميقة ، والهضاب المتستابعة ، والأمطار الموسمية التي تصب على المنطقة كأفواه القرب ، فتسيل الأنمار ، وربما أدى الأمر إلى فيضان - خاصة - في المناطق الجبلية العالية المتصلة بالوهاد المنخفضــة ، مما دعا سكان الجبال إلى حفر الآبار وبناء السدود ، والاهتمام بالزراعة عــلى مختلف أنواعها إلى جانب الرعى ليكون لديهم اكتفاء ذات في معاشهم لصعوبة مسالك جبالهم ، مما أدى إلى صعوبة الاختلاط ، ومن هنا كان حظ بلاد قامة والسمراة في الكتابات - وخاصة - التاريخية نادراً ، رغم موقعها الجغرافي الهام حيث تقـع بالقرب من مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين تعدان من أهم حواضر الحجاز ، وتتصل بالحواضر الكبرى لليمن ، هذا الموقع أكسبها أهمية تجارية ودينية ، أما التجارية فتعود إلى قرها من البيت العتيق وما له من أهمية عبر العصور (٤) ، لذا كانت مكة المكرمة مركز اهتمام سكان المنطقة يرصدون ما يدور فيها فتراهم أول من هب لنجدة الإسلام ، بوفودهم على الرسول الكريم (هله) معلنين إسلامهم وإسلام قبائلهم، وهم أول من شارك بأعداد غفيرة في حروب الردة ، وفي الفتوحات الإسلامية الكبـــرى. ورغــم هذا ، لم ينالوا حظهم في التاريخ مثلما نال غيرهم من سكان المناطق الأخرى التي لم تزد مشاركتهم عنهم ، ولعل هذا راجع إلى ما ذكر آنفاً من صعوبة التضاريس ، ووعورة المسالك ، مما جعل الطارقين لها من أرباب الأقلام قليلين •

لــذا رأيــنا من الواجب علينا أن نسهم - بما استطعنا- في إبراز شخصيتها الــتاريخية ، وما قامت به من أدوار عبر الحوادث التي حدثت في الجزيرة ، وفاء منا لها بإعطائهــا حقهــا ، وعــدم غبنها - خاصة من أبنائها الذين وجب عليهم أن يقوموا

بدراسة المنطقة من جميع الجوانب السياسية والعسكرية والحضارية ، لزاماً منهم في بيان دورها في المسار التاريخي للدولة الإسلامية ، وما هذا البحث إلا لبنة بناء في الصرح التاريخي للمنطقة ، راجين من الله السداد ،

لهـــذا كان أهل تهامة والسراة من الأوائل الذين دخلوا في الإسلام ، وحسن إسلامهم ، وبعد عودهم لأوطاهم أخذوا يمارسون الإسلام فيها ، ويعملون في المحافظة عـــليه والولاء له تحت راية الرسول (قلل) في المدينة المنورة ، وعندما حدثت الردة ، كان معظمهم قد بقي على إسلامه ، باستثناء أفراد من قبائل الأزد ، ومذحج ، وبارق، وخـــثعم ، ودوس ، وبجيــلة ، الذيــن أرتدوا عن الإسلام ، عند موت الرسول عليه السلام ، لكن معظمهم أعلنوا ولاءهم للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، بل وانضموا إلى الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين في بلاد تهامة والسراة ، وفي حواضر اليمن الكبرى وما حولها (٥) ، وعندما انتهى أبو بكر من حروب الردة في الجزيرة ، بدأ اليمن الكبرى وما حولها (٩) ، وعندما انتهى أبو بكر من حروب الردة في الجزيرة ، بدأ عــلى الفــور يستنفر المسلمين ويعد العدة لتجهيز الجيوش لنشر الإسلام في المناطق المحاورة لهــا من بلاد الشام والعراق وفارس ، حيث كانت الأولى تحت حكم الروم والأخرى تحت حكم الفرس ،

## ثَانياً : دور أهل تهامة والسراة في جبهات الفتوح الإسلامية المبكرة :

لبي السرويون والتهاميون من ضمن من إستجاب من المسلمين للانخراط في جيوش الإسلام المجاهدة ، ولكثرقم كان عددهم بارزاً في الحملات التي خرجت لمقاتلة الفرس والروم على حد سواء ، وخاصة في أمهات المعارك ، معركة القادسية ، ومعركة اليرمسوك ، وسيدور البحث حول ثلاثة محاور (أ) دورهم في الجبهة الشاميسية (ب) دورهم في الجبهة الفارسية (ج) دورهم في التنظيم العسكري والقيادات العسكرية ،

## أ\_ دورهم في الجبهة الشامية:

بعد استقرار الأوضاع في الجزيرة العربية بانتهاء حرب الردة ، أصبحت البلاد جيعها تدين بالولاء والطاعة للخليفة أبي بكر ، الذي أعلن النفير العام للجهاد متبعاً سياسة الرسول (هل) الحربية في استشارة كبار الصحابة على ما عزم عليه من حرب للبلاد الشامية (١٠) ، ثم قال لهم "...اعلموا – يقصد الصحابة – أن رسول الله (هل) كان عول أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، ألا وأني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فرسول الله (هل) أنبأني بذلك قبل موته "(٧) ، ونستشف مسن هذا القول أن الصديق كان حريصاً على تنفيذ رغبة الرسول عليه السلام ، وهو الذي كان يقتضي أثره ويقتدي به وبعمله ، ولهذا أفصح لصحابته عما يجول في خاطره ، فقد وافقوه على ذلك من غير شك لأهم كلهم ، رضوان الله عليهم ، كانوا بمثل حرص أبي بكر ،

وعلى اثر ما قال الخليفة في تبيان ما هو عازم عليه أرسل جيشاً تجاه الشام بقيادة خالد بن سعيد بن العاصي وأمره بالإقامة في تيماء (^) ، حتى يأتيه أمره ، ثم استنفر الناس يحثهم على الجهاد (!) ويشير البلاذري والواقدي إلى أن الخليفة انتدب أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين لجهاد الروم ، ولكن بعد أن أدرك قلتهم وكثرة جحافل الروم قرر استنفار القبائل العربية ، وبخاصة من كان يسكن في بلاد السراة وحواضر المدين الكبرى ('') ويعزز الأزدي قول البلاذري والواقدي في استنفار الخليفة أهل قامة والسراة ، وبلاد اليمن بشكل عام ، حيث أرسل لهم كتاباً مع أنس الخليفة أهل قامة والسراة ، وبلاد اليمن بشكل عام ، حيث أرسل لهم كتاباً مع أنس بنفروا خفافاً وثقالاً ، وقال: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا وخرجوا ، وحسنت في ذلك ،

نيتهم ، وعظمت في الخير حسبتهم ، فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم ، وإلى إحدى الحسنيين إما الشهادة ، وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يسترك أهل عدواته حتى يدينوا بالحق ، ويقروا بحكم الكتاب ، أو يؤدوا الجرية ، عن يد وهم صاغرون ، حفظ الله لكم ديسنكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين ، والسلام عليكم " (١١) ،

وكتاب الخليفة أبي بكر لم يكن مرسلاً إلى قبيلة أو عشيرة بعينها ، وإنما أرسله إلى كل القبائل والعشائر التي تقطن البلاد الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى ، كصنعاء ، وصعدة وغيرهما ، وقد أكد ذلك رسول الخليفة ، أنس بن مالك ، حيث وصف لنا رحلته إلى تلك البلاد ، فقال : " لقد أتيت أهلها جناحاً ، وقبيلة قبيلة ، أقرأ عليهم كتاب أبي بكر ، وإذا فرغت من قراءته قلت ، الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله — ثم يقول — بسم الله السرحين الرحيم ، أما بعد : فإني رسول خليفة رسول الله (ﷺ) ورسول المسلمين إليكم ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ، ليس يمنعهم من الشخوص إلى علوهم إلا انتظاركم ، فعجلوا إلى إخوانكم ، رحمة الله عليكم أيها المسلمون (١٠) " فلم يكن رد السامعين لما قرأه وقاله إلا أن قالوا : "نحن سائرون" (١٠) "

وبدأت بعض القبائل والعشائر السروية تغادر بلادها في شبه مواكب عسكرية، مرتبة على شكل كتائب ، الكتيبة تلو الأخرى ، وليس بعيد أن لكل كتيبة رايستها ترمز بها إلى قبيلتها قدمت – وهي تحملها – على الخليفة الصديق في المدينة المنورة ، وما أن سمع سكان المدينة بقدومهم ، حتى خرجوا بزينتهم احتفاء بهم وتكريماً لقدومهم ، ويبدو أن لهم مكانة خاصة في نفوس أهل المدينة أو علاقة عميزة ، لأن الاستقبال بمثل هذا الحال لا يكون إلا لمن له مكان عند أهل المدينة ، وكان من بين الله العشائر والقبائل القادمة ، قبائل همير التي كان على رأسها يتقدم مواكبها ذو الكلاع الحميري ، ثم تلتها كتائب من عشائر مذحج تحت زعامة قيس بن هبيرة بن

مكشوح المرادي ، ثم تلتها كتائب من أزد السراة (١٤)، ولعل هذا التمييز ناتج من شهرة رؤسائهم ومعرفة الناس لهم، أو من رايات خاصة بكل قبيلة أو من الاثنين معاً • وبعد استكمال وفود المجاهدين إلى المدينة ، عين الخليفة عليهم عدداً من القادة، أمثال ، يزيد بن أبي سفيان ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمــرو بــن العاص ، وهذه الجيوش الأربعة توجهت إلى بلاد الشام ، ووقعت عدة معـــارك بينها وبين الروم ، أسفرت عن عدم قدرتما وحدها في مواجهة الروم ، مما دعا الخيليفة إلى أن يطلب من القائد خالد بن الوليد ، أن يتوجه من عين التمر في العراق إلى الشام لمساعدة إخوانه هناك ، وتم له ما أراد (١٥٠) . ويبدو أن السرويين كانوا كثيري العدد في معركة اليرموك أو غيرها من المعارك الشامية ، وفي هذا الصدد ، يذكر الأزدي أن الخشعميين توجهوا إلى بلاد الشام وعلى رأسهم عبد الله بن ذي السهم الخستعمى وكان عددهم نحو ألف مجاهد (١٦) ، وهم رديف لجيش يزيد بن أبي سفيان الذاهب إلى دمشق والذي توفي فيها ، وتولى القيادة من بعده أخوه معاوية بن أبي سفيان لأنه كان مساعداً له في حملته ، كما زود الخليفة جيش المسلمين بعدد من المجاهدين الأبطال من قبائل همدان ، ومواد وأزد شنؤة ، ومعهم عدد من قبائل أخرى لا تقطن السراة ، وبلغ عددهم جميعاً ما بين ألف إلى ثلاثة آلاف مجاهد تحت قيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذين انضووا تحت لواء أبي عبيدة بن الجراح الذي توجه بجيشه صوب حمص (١٧) . ويبدو أن هذه الجحافل كانت تتوافد تباعاً قبل وقوع المعركة الكـــبرى (معركة اليرموك) ، وإذا كان الأمر كذلك ، فمعنى هذا أها وصلت قبل أن يتوجه خالد إلى الجبهة الشامية قادماً من العراق •

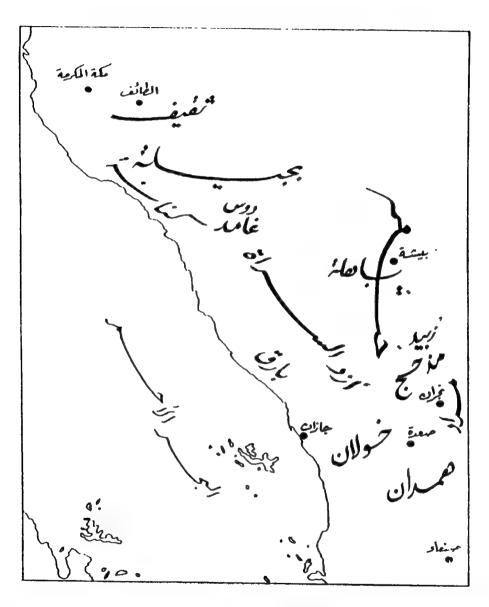
ومهما يكن من أمر فإن الواقدي يذكر عدداً من جموع السراة من مذحج ، والمنخع ومن أهل مكة المكرمة بما يساوي تسعة آلاف رجل (١٨) ، وكان من

بيسنهم عمسرو بن معدي كرب الزبيدي ، وكلنا نعرف ما لهذه الشخصية من أثر في المعسارك ، لأفسا شخصية حربية بارعة في تخطيطها وأسلوب قتالها وصبرها علسى القستسال (١٩) ، ويبدو أن وصول هذا المدد الذي كان فيه الزبيدي كان في النصف الأخير للمعركة (٢٠) ، وعن حجم الإمدادات يشير الأزدي إلى أن عددهم بلغ ما بين الألف والألفين (٢١) ،

والقضية هنا ليست في العدد ، أو الإمدادات ، وإنما بتفرد قادة من السراة - على الخصوص - بقيادة أهم قسم من أقسام الجيش ، فهاهو قيس بن هبيرة كان على رأس فرقة الخيالة في معركة اليرموك يتلقى أوامره من القائد العام للمعركة ، خالد بن الوليد ، وعمرو بن الطفيل بن عمر ذي النور الدوسي كان على فرقة أخرى ، وجندب بن عمرو بن همة الدوسي على فرقة ثالثة ، معظم فرساها من قبائل السراة (۲۲) .

وإن دل هـــذا على شيء فإنما يدل على إتقائم فن الفروسية هم وذويهم من أهل السراة ، وعلى معرفتهم بالخيول والعمل على تربيتها وإتقان ركوبها ، ومن المعلوم أن فرق الخيالة كانت من أهم الفرق في الجيش ، لأنما تعد السلاح الحاسم في المعركة إذا ما استقامت لها الأمور ، لأن سهولة حركتها وكثرة غاراتها على الأعداء تعمل على تبديد قواهم ، وبالتالي تساهم مساهمة كبيرة في إنهاء المعركة لصالحها ،

ويروي ابن أعثم أن عدداً من السرويين كان في القلب والميمنة ، وقسم منهم مسع السرماة ، وغالبيتهم كانوا فرساناً (٢٣) ، وفي ظني أن وجودهم في القلب – على الحصوص – يسدل على شجاعتهم ، وحسن إتقاهم لفنون القتال ، لأنه جرى في الترتيب للقتال أن يختار جماعة من الشجعان الكماة الذين يمتازون بحسن القتال والصبر عليه بأن يكونوا في القلب لما له من أهمية في الميدان حيث يوجد فيه القائد العام للمعركة الذي ينظم الصفوف ، ويستبدل الخطط ليضمن النصر ، فلابد من حمايته ،



أهم القبائل العربية ببلاد تهامة والسراة في صدر الإسلام

مسن هنا كان اختيارهم مقصوداً ، ومهما يكن من أمر فإنه يوجد أكثر من دلالة تدل عسلى حسسن قيادهم وإتقائهم لفنون القتال ، فتراهم في الميسرة ، وفي الميمنة ، وفي القلب، ومع الرماة .

كما نرى تعيين قادة منهم أكثر من مرة ، وفي أكثر من معركة ، فها هو قيـس بن هبيرة المرادي يعين على جند الميسرة وكان من بينهم عشائر من خولان ، ومذحج، وخثعم ، والأزد ، وهمدان (٢٤) ، وفي رواية أخرى تشير إلى تعيينه على جند الميمنة في اليرموك ، وكان منهم عشائر زبيد ، ومعهم زعيمهم عمرو بن معدي كرب النزبيدي (٢٥) ، ويبدو عدم تعيين عمرو كقائد لميمنة الجيش يعود إلى نسيان نفسه إذا ما حي الوطيس ، وهذا النسيان قد يؤدي بالجند إلى الهلاك ، لأن قعقة السيوف تثير الحميه في نفسه ، لكنه مخطط بارع من الدرجة الأولى ، وهذا ما دفع الخليفة عمر أن يطلب من قائد معركة القادسية سعد بن أبي وقاص أن يستشيره في تخطيط المعارك دون تعيينه كقائد عام للسبب المذكور آنفاً (٢١) ،

ويسبدو أن السرويين خاصة والمسلمين عامة ، أبلوا بلاء حسناً في حربهم ضد السروم ، وثبستوا لهم ثبوت الرواسي ، وقد برز في هذه المعارك قيس بن هبيرة المرادي ، وعمرو بن الطفيل الدوسي ، وجندب بن عمرو بن حمة الدوسي ، وعمرو ابسن معدي كرب الزبيدي ، الذي روي عنه أنه كان يستثير هم المجاهدين ، وبخاصة السزبيديون من قومه ، والختعميين ، والدوسيين وغيرهم ، فيحثهم على الأقدام على عاربة الروم ، ويحذرهم من الفرار والجبن من الأعداء ، فيقول لهم : "... أتضرون من الأعداء ، أنسون أن الله يطلع على الأعداء ، أترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار؟ ... أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصابرين ، فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته ، وثبتوا لقضائه المحاهم بنصره وأيدهم به " (٢٧) ، وعندما سمع الجاهدون قوله التفوا حوله ، وانضم أمدهم بنصره وأيدهم به " (٧٠) ، وعندما سمع الجاهدون قوله التفوا حوله ، وانضم أمدهم بنصرة وأبلوا بلاءً حسناً في

حربهم مع الروم ، وثبتوا لهم في الميدان ، حتى قيل إنه استشهد من هذه القبائل أكثر مما استشهد من القبائل الأخرى .

وبصدد مساهمة بعض قبائل أهل هامة والسراة في معركة اليرموك ، يقول الأزدي : " ... وفيها الأزد وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهم أعظم الناس ، وفيها همدان ، وخولان ، ومذحج ، وخثعم .... "(٢٨) .

وبعد ، فإن الإشارات السابقة تعكس مدى مشاركة أهل قمامة والسراة ، لكن – مع الأسف – لم تذكر مجموع المشاركين ، ولم تذكر عدد الأفراد المشاركة في كل الإمدادات التي أرسلت إلى جبهات القتال في بلاد الشام – خاصة – في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، حيث كانوا يخرجون من ديارهم يفدون على الخليفة بما يحتاجون من الإمدادات العسكرية وينطلقون نحو الشام ، بعد تعيين قادة عليهم ، واستمر هذا المدد يأتي من قمامة والسراة ماراً بالمدينة المنورة متجهاً نحو الشام لتأدية فريضة الجهاد إلى أن دخلت الشام في الإسلام .

# (ب - دورهم في الجبهة الفارسيــة :

وبعد الانتهاء من حروب الردة ، طلب الخليفة أبو بكر من خالد بن الوليد أن يذهب بمن معه من الجند إلى المثني بن حارثة الشيباني الذي كان يقاتل الجيوش الفارسية في جنوب العراق ، وجاءت هذه النجدة ، بناء على طلب المثني ، وبعد وصول خالد واشتراكه مع المثني في جبهة قتال واحدة ، وصلت إلى الخليفة أبي بكر أنباء من بلاد الشام تطلب النجدة ، بسبب ما أحاط بالمسلمين من أهوال ومصاعب ، فما كان من الخاليفة أبي بكر ، إلا أن طلب من خالد بن الوليد بأن يترك المثني ويتوجه إلى بلاد الشام لشد أزر الجيوش الإسلامية هناك ،

بقى المثنىّ بن حارثة وحده في الميدان ، وأدرك أنه في حاجة إلى مدد عسكري يعسوض به جيش خالد ، فأرسل إلى الخليفة أبي بكر يطلب منه العون ، فأرسل له الخطيفة عدداً من المجاهدين بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي ، الذي قتل في معركة الجسر في شهر شعبان من العام الثالث عشر للهجرة ، وكان من نتائج المعركة ، اندحار المسلمين أمام قوات الفرس (٢٩) • وفي هذه الفترة الزمنية ، حدثت حوادث جسام للمسلمين منها السيء ومنها الحسن ، ففيها انتقل إلى الرفيق الأعلى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب زمام الأمور من بعده ، وفيها اندحرت القوات الإسلامية أمام جيوش الفرس ، ولكنها انتصرت على قوات الروم في معــركة اليرموك ، وأخذت تطارد فلولهم ، الأمر الذي طمئن الخليفة عمر على حال المسلمين في الجبهة الشامية ، وتفرغ إلى الجبهة الفارسية ، فأعلن النفير ، وأخذ يستحث الناس على الجهاد فلي الدعوة عدد كبير من أبناء الجزيرة ، وخاصة أبناء هَامِهِ والسَّراة ، وأبناء الحواضر في اليمن ، وكان في مقدمة الإمدادات العسكرية القادمـة من السراة البجليون وعلى رأسهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي الذي استقبله الخليفة عمر عند وصوله إلى المدينة المنورة • واختلفت الروايات فيما دار بين الانسنين ، وقسد رأيسنا ذكرها لاطلاع القارئ عليها قصد التعرف على مضامينها وأولويات هذه المضامين ، وأخذ ما هو الأرجح من هذه الروايات بعد قياسها بواقعها • والرواية الأولى تورد ما دار بين القائد البجلي وبين الخليفة عمر ، حيث قال الخليفة : "ويحك با جريس ( إنا قد أصبنا بالمسلمين مصيبة عظيمة - يقصد معركة الحسر -والمثنى بن حارثه في وجه العلو ... فسر نحو العراق فعسى الله عز وجل أن يدفع شر هؤلاء الأعاجم ، وتخمد بك جمرتهم... "(٣٠) ،

أما الرواية الثانية ، يذكر أن جريرا أراد أن يجمع شتات قومه الموزعين بين القبائل ليجعلهم في جمع واحد (٣١) ، فطلب من الخليفة أبي بكر ما أراد ، لكن الخليفة

كــان مشغولاً بحرب الردة ، وبإرسال الجيوش إلى الجبهتين الشامية والفارسية ، فلم يسلب طلبه ، وأفصح عن ذلك بقوله : "تسرى شَعْلنًا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بأزابهم الأسدين فارس والروم ، ثم أنت تكلفني التشاغل بما لا يغني عما هو أرض لله ولرسوله ، دعني وسر نحو خالد بن الوليد حتى انظر ما يحكم الله في هذين الوجهين" (٣٢) • نستشف من هذا القول أن لأبي بكر الصديق أولويات في الأمور، فهو الآن في أمر أهم مما طلبه جرير البجلي ، لكن جريرا ربما كان يرى رؤية أخرى ، وهي أن يكون على رأس قومه في القتال ، وهذا مما يؤدي إلى زيادة الالتحام بينه وبينهم إلى جانب معرفتهم بأساليب قتاله ، وأن أية سلبية من سلبيات القتال تنعكس بوضوح عليه وعلى قومه • ولكن طلبه ربما جاء في ظروف صعبة للغاية ، الأمر الذي تعذر على أبي بكر تحقيقه (٣٣) و وهناك تضارب في الأقوال ، البعض يقول أن جرير بن عبد الله البجلي سار على رأس جيش من عشائر وقبائل مختلفة إلى أن وصل معسكر خالد قــبل ذهاب خالد بن الوليد إلى الشام ، بل ويذكر أن وصوله إلى بلاد الفرس كان في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم أن الطلب الذي طلبه جرير من أبي بكر ، لم يحدث بــل حــدث في عهد الخليفة عمر ، وأن الخليفة عمر قد لبيّ الطلب ، لما رأى فيه من فائدة تبرز تلاحم البجليين ومهارهم في القتال ، فأمر الخليفة بإخراج عشائر بجلية من القبائل الأخرى، فجاءته قيس كبة ، وسحمة ، وعرينة وهؤلاء رهط جرير بن عبد الله البجلي، من قبائل عامر بن صعصة ، وعدد آخر من أفخاذ بجيلة كانوا في عشائر عربية أخرري (٢٤)، فلما اكتملت عدهم سيرهم الخليفة عمر بقيادة جرير إلى العراق سنسة ١٣هـ.، في الفـترة مـا بين قيام المعركتين البويب والقادسية، وكان معهم نساؤهم وأطفاهم، فقد بلغ عدد النساء ألف امرأة (٥٥)، ولا ندري لم هذا الرحيل الجماعي إلى الجبهة الشرقية (جبهة الفرس) إلا إذا كان القصد من ذلك الاستقرار هناك لمتابعة المعارك المتتالية بوجودهم الدائم ومعهم نساؤهم وذراريهم قصد اطمئناهم واستقرارهم •

ويبدو من بعض الروايات التاريخية أن رغبة قبائل بجيلة الذهاب والبقاء في بلاد الشام ، لكن الخليفة عمر لم يحقق رغبتهم ، مبيناً لشيوخهم بأن الشام أصبحت في مسأمن مسن السروم ، وأن عليهم التوجه إلى بلاد فارس ، حيث إنما ما زالت محفوفة بالمخاطر ، وعرض عليهم أن يأخذوا ربع ما يغلبون عليه من الأراضي (٣٦) ، وفي رواية للسبلاذري أن الخليفة عمر قال لزعيم بجيلة ، جرير بن عبد الله : "هل لك في العراق وأنفلك الثلث بعد الخمس... "(٣٧) ، ويذكر الطبري أن الخليفة نفلهم ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزواقم فذهبوا إلى العراق ، واستقروا فيه (٣٨) .

ويبدو قبل ذهاب البجليين للعراق ، التقى رؤساء عشائرهم مع الخليفة عمر يستقدمهم زعيمهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعرفجة بن هرغة البارقي (٣٩) ، وعند استقبال الخليفة لهم ، ولى عليهم عرفجة وقال لهم : "اسمعوا لهذا ، فلم يكن البجليون يرضون بولاية عرفجة ، وقالوا للخليفة : إعفنا من عرفجة : فقال : لا أعفيكم من أقدمكم هجره وإسلاماً ، وأعظمكم بلاء وإحساناً ، قالوا استعمل علينا رجلاً منا ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا ، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه ، فقال : انظروا ما تقولون ، قالوا : نقول ما تسمع ، فأرسل إلى عرفجة ، فقال إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم ، فما عندك ، قال : صلقوا أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، في كهف لا يحصى عدده ، فقال عمر نعم الحي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير وألشر، قال عرفجة إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا ودارنا واحدة ، فأصبنا الدماء ووتر بعضنا بعضاً فاعتزلتهم لما خفهتم ، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم ، الدماء ووتر بعضنا بعضاً فاعتزلتهم لما خفهتم ، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فعفظوا على الأمر ، ثم دار بيني وبين دهاقينهم بعض الفتن فحسدوني وكفروني ، فعال : لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك ، واستعمل جريرا مكانه " (\*\*) .

ويبدو من هذا الحوار المسوغات التي أبداها عرفجة في رفضهم إياه ، كما لمس مفهوم العصبية عندهم ، ومدى تأثيرها في قراراتهم ، وهذا ما أحس به الخليفة عمر ، عسا دفعه إلى قبول مطالبهم ، وهي استبعاد عرفجة وتعيين جرير بن عبد الله البجلي بدله و الدليل على صحة ما نقول ، أن عرفجة قدم مرة أخرى على الخليفة عمر ،

ومعه سبعمائة غاز من الأزدين ، وعدد من بارق وألمع ، فطلبوا من الخليفة الذهاب إلى الشام ، فقال الخليفة : "ذلك قد كفيتموه ، العراق العراق ! ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ، لعل الله أن يورثكم بقسطكم من ذلك ، فتعيشوا مع من عاش من الناس" (المنه عندئذ قام عرفجة خطيباً في قومه من الأزد ، وقال : "يا عشيرتاه ! أجيبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يسكنكم ، قالوا : إنا قد أطعناك ، وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد (٢٠٠٠) ،

فدعا لهم الخليفة عمر ، ثم أمر عليهم عرفجة بن هرثمة البارقي ، وأرسلهم مسددا إلى المثنيّ بن حارثة الشيباني ، وهذه الرواية الأخيرة ربما هي أقرب إلى الصحية من التي قبلها ، لكن الغريب في ذلك ألا نجد ذكرا ملموساً لمساهمة عرفجة ومن كان معه في الحروب التي خاضها المثني ضد الفرس ، في حين نجد المصادر تورد اسم عشائر بجيلة وزعيمهم جرير بن عبد الله ، فتشير إلى خروجهم من المدينة المنورة نحو بلاد فارس, فالتقوا بالمثنيّ واندمجوا مع جيشه ، وتصدوا لمهران ، أحد ملوك الفرس ، في معركة البويب ، فتم لهم النصر بقتل مهران ، وكان ذلك في شهر رمضان سنت معركة البويب ، فتم لهم النصر بقتل مهران ، وكان ذلك في شهر رمضان سنت

وقد تناقضت الأخبار عند أصحاب الروايات والسير حول من كان القائد في المعسركة ، فبعضهم يرى المثنيّ ، وبعضهم يرى جريراً ، وبعضهم يرى أن كلاً منهما كان قائداً على قومه ولكن على ما يبدو من كثرة ذكر المثنيّ أنه هو الذي كان القائد العام للمعركة ، لأن هناك رواية تشير إلى أنه عندما تم قتل مهران ، ادّعى كل من جرير والمنذر قتله ، وتنازعا فيما بينهما ، فذهبا إلى المثني ليتقاضيا عنده ، فحل المعضلة بأن أعطي سلاح مهران لجرير ، وأعطي للمنذر منطقته ، كما قام بتوزيع غنائم معركة البويب ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه القائد العام للمعركة (13) .

وأبلى جرير البجلي وقومه بلاءً حسناً في المعركة ، ولما روي عنه ، أنه كان يحسنهم على الإقدام والمنابرة على القتال ، ولما قاله لهم :"... يا معشر بجيلة ، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غدا من النفل مثل الذي لكم منه ولكم ربع خمسه نفلا من أمير المؤمنين ، فلا يكون أحد أسرع إلى هذا العدد ، ولا أشد عليه منكم للذي لكم ، فإنما تنتظرون إحدى الحسنيين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة " (٥٠) ،

وبعد معركة البويب عين الفرس (يزد جر) ملكاً عليهم ، وأعدوا العدة لملاقاة المسلمين ، ولما علم الخليفة عمر ، صمم أن يتولى قيادة الجيش ، لكن أعيان الصحابة أميثال عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، رفضوا رأيه ، وطالبوه بتعيين شخص مناسب لذلك وهو سعد بن أبي وقاص ، لأنه إذا مات في المعركة ، يختلف المسلمون فيما بينهم بتولية خليفة بدله ، ولكن كقائد جيش آخر ، من الممكن استبداله عند العزل أو الموت ، إلى جانب أن المسلمين بحاجة الخليفة عمر لينظم أمورهم ويقيم الحدود ، وتم ما أرادوا وعين سعد على رأس الحملة ، وكان دور أهل مقامة والسراة مميزاً ، فقد شارك فيها عدد من عشائر بارق ، وألمع ، والحجر ، وغامد السذي بلغ عدد أفرادها سبعمائة جاءوا إلى الخليفة عمر وعلى مقدمتهم حيضة بن النعمان بن حميضة البارقي (٢٤) .

وفي روايسة أخرى قدم من قبائل مذحج ألف وثلاثمائة يتقدمهم ثلاثة رؤساء مسنهم ، أبو سبرة بن ذؤئب ، وعلي بن منبه ، وعمر بن معدي كرب الزبيدي كان أحد زعماء ولا ندري عن مدى صدق القول بأن عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان أحد زعماء قسبائل مذحج الوافدة على المدينة قبل معركة القادسية ، لأن بعض الروايات تشير إلى وجوده مع الجيش الإسلامي في جبهات الفتوح ببلاد الشام ، ثم نجد الخبر عنه الآن يقدم مسع بعض قومه من بلاد السراة للانضمام إلى صف سعد بن أبي وقاص ، وقد يكون هناك احتمالان الأول : أنه ذهب إلى بلاد الشام وبعد معركة البرموك عاد إلى

بــــلاده بأرض السراة ثم خرج مرة ثانية إلى المدينة للمشاركة في حروب المسلمين مع الفـــرس ، ويكــون خروجه في المرة الثانية مثل خروج غيره من زعماء تمامة والسراة أمثال حميضة بن النعمان البارقي وغيره ، والاحتمال الثاني أنه ربما رجع من بلاد الشام واشترك مع بني قومه عندما وصلوا المدينة وانضموا مع جيش سعد الذي يقال أنه كان نحــو أربعة آلاف ، ثلاثة آلاف منهم من بلاد تمامة والسراة والألف الرابع من سائر الناس (٨٤) .

وخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة المنورة في شهر المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة ، ومعه الأربعة آلاف مقاتل متجهاً إلى بلاد فارس ، وبعد أن أصبح على مقربة من الجيش الإسلامي أتاهم نعي المثنيّ بن حارثة الشيباني ، وينضم إليه جرير بن عبد الله البجلي بمن كان معه من قومه ، بل ويجمع الجيش كله تحت قيادته ، وعندئذ أرسل الطلائع لاكتشاف قوة الفرس فوجد قوهم كبيرة ، وأعدادهم كثيرة ، فأرسل الخليفة في المدينة يطلب منه المدد فأمده بأربعة آلاف مقاتل ، كان من بينهم ألفان من بلاد قامة والسراة ، والألفان الآخران من قبائل غطفان وقيس النجديه (٤٩) ، وتشير بعض الروايات إلى مجموع الجيش الذي كان يحارب مع المثنيّ بن حارثه وجرير ابسن عبد الله قبل قدوم سعد بن أبي وقاص فكان نحو ثمانية آلاف ، وكان من بينهم ألفان من بينهم ألفان من جيلة يختلف مع مجموع الجاهدين النيان من جرير عندما أرسل مدداً للمثنيّ حيث لم يكونوا أكثر من سبعمائة الذيب وبين وقوع معركة القادسية ،

وإن حاولنا معرفة نسبة أهل تمامة والسراة من الجيش الكلي الذي جمع تحت قيدة سعد بن أبي وقاص قبل معركة القادسية ، فلن نصل إلى معرفة دقيقة لهم ، لأن

المصادر لا توفر لنا ما نريد ، وأكثر المعلومات التي نجدها ، هو ما أشير إليه سابقاً ، وبخاصة قبيلة بجيلة ، فقد أشارت بعض الروايات إلى عددهم في الجيش الكلى ، ولكن أيضاً يسود هذه الروايات بعض الاختلافات • فبعضها أشارت إلى أن عددهم قبل قـــدوم ســـعد بن أبي وقاص كان ألفين ، ورواية أخرى تذكر أن هذا العدد بعد جمع الجيسوش تحت زعامة سعد (٥١)، وفي رواية لأسماعيل بن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس ابن أبي حازم البجلي أن عدد من شهد القادسية كان بين ستة إلى سبعة آلاف مجاهد ، وبجيلة كانت ربع الناس (٥٠)، ويورد ابن أعثم رواية فيذكر أنه اجتمع تحت قيادة سعد ابن أبي وقاص نحو أربعين ألف مقاتل ، ثم جاءه المدد من بلاد الشام في حوالي عشرين ألسف آخرين ، فصار المجموعه الكلى نحو ستين ألفاً (٥٠) ، ويورد الطبرى رواية أخرى تخالف رواية ابن أعثم فيذكر أن عدد الجيش الإسلامي قبل وقوع القادسية كان يزيد عــن الــثلاثين ألف مقاتل ، ولكنه لم يشير إلى المدد الذي جاء من بلاد الشام(٢٠٠٠ . وروايتا الطبري وابن أعثم ربما تكونان أقرب إلى الصحة من التي قبلهما ، لأن الجيوش التي كانت مع المثنيّ بن حارثة الشيباني ، ثم الإمدادات التي تلاحقت حتى خوج سعد ابن أبي وقاص قد تصل إلى أعداد كبيرة تفوق ما ذكر في رواية إسماعيل بن أبي خالد ، الآنفــة الذكر • وكون المجموع الكلي للجيش الإسلامي المشارك في معركة القادسية غــير معروف تمام المعرفة ، ثم إن المصادر لم تفصل ، بل ولم توضح نسبة مساهمة أهل لهامة والسراة من المجموع العام ، لكن مما لاحظنا في سياق الأخبار السابقة ألهم كانوا من العناصر الأساسية في جيش الخلافة في ميادين الجبهة الفارسية .

وعندما اكتمل جيش سعد بن أبي وقاص ، وصار على أهبة الاستعداد لمواجهة الفسرس في معركة القادسية ، طلب الأمير سعد بن أبي وقاص المدد من الخليفة فأرسل الخسليفة عمسر إلى أبي عبيدة بن الجراح في بلاد الشام وأمره بإمداد سعد ببعض من الجيش الذين كانوا معه ، فذكر الطبري أنه أمده بخمسة آلاف من قبائل ربيعة ومضر

الشامية ، وألف مسن قبائل هامة والسراة اليمانية (٥٥)، ويروي البلاذري أن عدد المقاتلين من أزد السراة في ذلك الجمع الذي أرسله أبو عبيدة من الشام كانوا سبعمائة بحياهد ، وكانوا تحت زعامة قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي (٢٥)، وهذا الرقم الذي أشار إليه كل من الطبري والبلاذري يختلف عن الرقم الذي أشار إليه ابن أعثم وهو عشرون ألف مقاتل ، ولا ندري هل المدد الذي جاء من بلاد الشام إلى سعد بن أبي وقاص كان على فترتين أو على فترة واحدة فقط فلابد أن إحدى الروايتين غير صحيحة ، ورعا رواية الطبري والبلاذري أقرب إلى الصحة ، لأنه من متابعة سير الإمدادات التي كان يرسلها الخلفاء في الفترة الأولى من الفتوح الإسلامية كانت لا تنزيد عن الخمسة أو الستة آلاف رجل ، ثم إن إرسال عشرين ألف مقاتل من بلاد الشام كما قال ابن أعثم قد تخل بتوازن الجيش الإسلامي في بلاد الشام ، خصوصاً أن الفتح لم يتوقف في بلاد الشام ، ولكنه امتد إلى مصر وبلاد المغرب مباشرة بعد وقعة اليرموك وسقوط بلاد الشام ، وبالتالي فالجيش الإسلامي في تلك الأجزاء الجديدة من العالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة ، ومثل تلك الأحزاء الجديدة من العالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة ، ومثل تلك الامدادات لن تتم العالم يحتاج إلى إمدادات من الخليفة في المدينة المنورة ، ومثل تلك الامدادات لن تتم إلا عن طويق الجيوش الإسلامية المتواجدة في بلاد الشام ،

وتستعرض مصادر التاريخ الأحداث التي حصلت بين الفرس والمسلمين في معركة القادسية ، وتطيل الشرح في الوقائع والاصطدامات التي حدثت بين الطرفين ، وبخاصة في الأيام الثلاثة المشهورة ، بيوم أرماث ، ويوم أغواث ، ويوم أعماس ، ثم الليلة الأخيرة في تلك المعركة والتي أطلق عليها ليلة الهرير (٧٥) ، وكذلك الجهود التي بذلستها الجيسوش الإسلامية في مصارعة الفرس ، وبخاصة البجليون الذين أبلوا بلاءً حسناً، رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، فكان لدى الفرس ستة عشر فيلاً يقاتلون البجليين بجارة عن ثلاثة البجليين بجارة عن ثلاثة

مسامير حادة تتصل بالقاعدة التي تغرس في الأرض فيضرب حافر الفرس ، أو قدم المشاه فيعطله عن السير ، رغم هذا فقد استطاعت الحيول البجلية تخطي هذا الحسك الشبيه اليوم بـ (الألغام المتفجرة) ، ونجح البجليون ومن معهم من المسلمين في صد القــوات الفارســية ، حتى جاءهم إمدادات عسكرية أخرى ، من غامد ، وربيعة ، والأســد ، وغيرها ، وبعون الله تمكنوا من رد الفرس ، وإجبارهم على التراجع (^٥٠) ، وفي صمود البجليين ، قال سعد بن أبي وقاص عنهم :

وبمزيمة الفرس في القادسية ، ومقتل قائدهم رستم ، ثم تقهقرهم إلى الوراء ، ودخول المسلمين إلى المدائن عاصمتهم ، لكنه لم يكن إلا وقت وجيز حتى جمعوا فلولهم في جلولاء ، فبلغ عددهم حوالي ثمانين ألفاً ، ولما علم قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص بستجمعهم استشار ذوى الرأي ، وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي أحد مستشاريه، وقد قال لسعد :

"أيها الأمير! لا نحب أن تتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس ، هو السّذي ينصرنا عليهم اليوم ... وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلاب لهم مما كتب لهم ، ... فلسنا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش ، فطوبي لمن قتل في سبيل الله صابراً يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل ... "(١٠) ،

اقتــنع سعد بكلام عمرو وكلام غيره من ذوي الرأي ، وأوكل القيادة لابن أخيــه هاشم بن عبد الله وصحبه من المجاهدين البجليين ، ودوس ، وخثعم ، وعشائر وأفخاذ من القبائل اليمانية والمضرية ،

يعاونه قيس بن مكشوح المرادي ، وعمرو بن معدي كرب وغيرهما ، والتقي الجمعان ودارت رجى الحرب ، وأظهر المسلمون بسالة وصبراً ، والكل يثير هم قومه ويستحثهم على الصبر ، وكان من بين القادة الذين كانوا يجوبون الميدان (يحث قومه)، جرير بن عبد الله البجلى ، الذي أنشد يقول :

تلكم بجيله قومي إن سألت بمك

قادوا الجياد وفضوا جمع ممــــران وأدركوا الوتر من كسري ومعشر

يوم العروبة وتر الدي شيبــــان فسائل الجمع جمع الفارسي وقــد

ورمية كان فيما هلك شيطــــان (١١١)

ويبدو أن كتائب الفرس أحاطت بالمسلمين ، وأثقلتهم بالقتال ، فأدرك عمرو ابن معدي كرب الزبيدي خطورة الأمر ، ودارت مساجلة بينه وبين المسلمين ، بينوا لمه فيها ما أصابهم من إعياء بسبب مكوثهم الطويل في الميدان ، وأوجسوا خيفة من كشرة الفرس ، ولكن عمر استطاع رفع معنوياتهم وصبرهم ، فكان لقوله تأثير في نفوسهم ، ونظراً لأهمية هذه المساجلة ولنتيجتها الحاسمة ، رأينا إيرادها ليستشف القارئ مدى أهمية رفع المعنويات ، ومدى الخبرة في استخدام الأساليب المثيرة للأنفس، والمشجعة لها ،

خطب عمرو بن معدي كرب بالمسلمين قائلاً : "يا معشر المسلمين! لعلة قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا : نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا! وذلك أنك تعلم أنا

نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هذا ، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا ، وكاعت رجالنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلا أن يأتينا الله بغياث من عنده ، أو نرزق عليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم ، وتذبون عن حريمكم ، وتدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض ، وانزلوا عنها ، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تضرقوا ، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء ، ليوث عند الوغى، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت ، ووالله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ، ويكبت بكملوه ٥٠٠ "(١٢) ، ثم تسرجل عسن فرسسه (٣١) ، وترجل معه ألف رجل من السراة ، علوه ٥٠٠ "(١٢) ، ثم نفضل إيماهم وصبرهم ، وفي هذا يقول شاعر السراة ، عبيد بن عمرو البجلي :

سل أهل ذي الكفر ممراناً وأسرتـــه

يوم البجيلة إذ خلوا عن القــــاع

واسلموا ثم ممراناً ببلقعــــــه

يوم الغروبة مطروحاً بجعجــــام

وفي جلولا اثرنا كل ذي بـــــدم

وكف كل كريم الجد ذو مســــب

هامي المقيقة للآوآء مفــــاع(٢٤)

وتقدم المسلمون بعد انتصارهم في جلولاء إلى حلوان ، ودخلوا دون صعوبة، وفي هذا ينشد عبد الله بن قيس الأزدي السروي :

فأبلغ أبا حفر بأن خيولنك

بحلوان أضعت بالكهاة تجهجيه

### ونحن دهمناها صباعاً بغيلـق

### جرير علينا في الكتيبة معلهم

ونحن أبدنا الفرس في كل موطن

### بجمع كمثل الليل والليل مظلهم

## ج\_ دورهم في التنظيمات العسكرية في جبهتي الشام وفارس :

لم يكن أهل قامة والسراة فقط يرحبون بنداء الخليفة أبي بكر الصديق للانخراط في جيش الجهاد الإسلامي الذي ذهب من شبه الجزيرة العربية إلى جبهتي الفرس والروم ، وإنما أيضاً حرصوا على المشاركة مع إخوالهم المسلمين في بناء الدولة الإسلامية ، بل وتحمل المسؤولية في القيام بأعمالهم على خير وجه ، فكانوا يحاربون الأعداء راغبين في الشهادة والفوز بالجنة ، أو النصر وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يشاركوا جميعهم في الجيش الإسلامي قبل وأثناء المعارك مع الفرس والسروم فقط على هيئة جنود محاربين دون أن يكون لبعضهم أدوار قيادية تنظيمية ، وإنما على العكس من ذلك ففي الجبهة الشامية ضد الروم نجد بروز عدد من القادة أمسئال قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي ، وعامر بن الطفيل الدوسي ، وجندب بن عمرو الدوسي وعمرو بن معدي كرب فكانوا جميعهم يقودون بعض الفرق في الجيش عمرو الدوسي وعمرو بن معدي كرب فكانوا جميعهم يقودون بعض الفرق في الجيش كرب يستحث الجيوش على الإقدام والاستمرار في محاربة الروم والحصول على النصر أو الشهادة في سبيل الله (10) .

أما عن دورهم القيادي والتنظيمي في الجبهة الفارسية فكان أعظم بكثير حيث برز منهم قادة عظام كان لهم أيضاً شرف المساهمة في الجهاد على أرض بلاد الشام ضد

السرومان أمثال قيس بن هبيرة المرادي ، وعمرو بن معدي كرب ، ولكن أيضاً ظهر قسادة آخسرون ساهموا في حرب الفرس أمثال أبي ظبيان الأعرج الغامدي الذي كان يحمسل رايسة غامد في معركة القادسية ، وعرفجة بن هرغة البارقي الذي صار مدداً للمسسلمين في سبعمائة من أهل تمامة والسراة ، وجرير بن عبد الله البجلي الذي كان عسلى مقدمة جيش المسلمين مع سعد بن أبي وقاص وابن أخيه هاشم بن عتبه بن أبي وقاص في معركتي القادسية وجلولاء ، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى شجاعة جرير، وقدرته على محاربة الأعداء ، بل واستحثاثه المسلمين على الصبر والجهاد لأجل الفوز بمرضاة الله ، فكان يقول لهم : "اصبروا لقتال هؤلاء الفرس التماساً لإحدى الحسنيين، إما الشهادة فتوابها الجنة ، وإما النصر والظفر ففيهما الفنى من العيلة ، وانظروا لا تقاتلوا رياء ولا سمعة ، فحسب الرجل خزياً أن يكون يريد بجهاده حمد المخلوقين دون الخالق ، وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم ، وإنما لهم هذه القسي دون الخالق ، وبعد فإنكم جربتم هؤلاء القوم ومارستموهم ، وإنما لهم هذه القسي دون الغنية وهذه السهام الطوال فهي أغنى سلاح عندهم" (٢٦) .

ومثل هذه العبارات لا تصدر من جندي عادي ، وإنما مصدرها رجل جرب الحياة وعرفها ، بل ومارس الحروب وأهوالها ، ثم إن مكانته في الجيش الإسلامي ببلاد فارس كانت تسمح له أن يقوم على رؤوس المجاهدين وينصحهم بما يراه نافعاً لهم ، وما تقتضيه ظروف الحرب ضد الأعداء ، ولو استقصينا المساهمات التي قام بما جرير وغيره أمثال عمرو بن معدى كرب وأبي ظبيان الغامدي لوجدناهم كانوا على مقدمة الجيوش في كل من القادسية وجلولاء وغيرهما من المعارك التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (٢٠) .

والفرق بين مساهمة أهل تهامة والسراة في الجبهتين الرومية والفارسية ، هو أن القيادات منهم في معركة اليرموك وما قبلها كانت غالباً في الأمراء الأوائل الذين أرسلهم أبو بكر الصديق من المدينة أمثال أبي عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن أبي حسنة ، وعمرو بن العاص ، ثم خالد بن الوليد الذي أرسل إليهم

مدداً من العراق وإن جاءت أسماء قادة من بلاد السراة أمثال عامر بن الطفيل الدوسي، وجندب بن عمرو الدوسي ، وعمرو بن معدي كرب ، وقيس بن هبيرة المسرادي ، فلم يكونوا يتولون قيادات عامة ، وإنما كانوا قادة على فرق في الجيش ، وربما كانت تلك الفرق من أقوامهم وعشائرهم ، إلى جانب أنه يذكر عن الخليفة أبي بكر الصديق أنه رفض أن يستخدم في القيادة العامة من أسلم متأخراً أو من ارتد وشارك المرتدين في عهده (٢٠٠) ، ومن المعلوم أن عمرو بن معدى كرب وقيس بن هبيرة المسرادي ارتدا وشاركا الأسود العنسي بل وناصراه عندما أعلن ارتداده ونبوءته ، ثم سيطرته على بلاد اليمن وأغلب بلاد تمامة والسراة (٢٩) ، وهذا فالخليفة الصديق لم يكن يستخدم أحداً من أهل تمامة والسراة في القيادات العامة في الجيش ، ولكن عندما الله البجلي على أن يذهب إلى بلاد فارس مع قومه وله ثلث وقيل ربع خراج العراق ، فذهب جرير وتجمعت الجيوش في معارك البويب والقادسية وجلولاء فكان جرير من القادة العظام الذين شاركوا في تلك المعارك ، بل ويقال أنه كان القائد العام في أرض المعركة بجلولاء (٢٠٠) ،

## ثاثاً: الخاتمــة:

وخلاصة القول أن أهل قامة والسراة كانوا من القوى البشرية التي شاركت في جهات الفيتوح الإسلامية المبكرة ، فلم يكونوا يتأخرون عن السماح لنداء الخليفتين الراشدين ، أبو بكر وعمر ، عندما استنفرا المسلمين في جهاد الفرس والروم ، وإنما كانوا على مقدمة الجيوش في البرموك ، والبويب والقادسية وجلولاء ، ساعين مسن وراء ذلك إلى الفوز والنصر وإعلاء كلمة الحق على أرض الروم وفارس ، أو الفوز بالشهادة والخلود في جنات النعيم ، وبسواعدهم الفتيه مع غيرهم من المسلمين

في شبه الجزيرة العربية استطاعوا فتح بلاد الشام وفارس ، ثم بلاد مصر والمغرب والأندلس ، بل واستطاعوا بتوجيهات من خليفة المسلمين في المدينة المنورة أن يحصروا الكوفة والبصرة ، والفسطاط والقيروان وغيرها ، بل واستطاعوا مع غيرهم من المسلمين أن يكونوا حضارة إسلامية عريقة استطاعت أن تضاهي ، بل وتتفوق على غيرها من الحضارات ،

## رابعاً : الحواشي والتعليقات

-1

لم يكن اسم (تمامة والسراة) الذي استخدمناه حديث الاستخدام ، وإنما هو قديم الذكر في مصادر التراث الإسلامي المبكرة ، حيث أطلق على الجبال والمرتفعات الممتدة من الطائف إلى صنعاء اسم السراة ، أو السروات ، وأحياناً يطلق عليها (الحجاز) وذلك لأتما تحجز بين البوادي والنجود في الشرق وبين الأغوار والسهول التهامية في الغرب ، أما تمامة فعرفت أيضاً بألها المنطقة المنخفضة التي تقع غرب بلاد السراة ، وتمتد إلى شواطئ السبحر الأحمر ، ولمزيد من المعلومات ، انظر : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العوب ، تحقيق محمد بن على الأكوع (الرياض : دار اليمامة للسبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م) ص ٢٦-٢٦، عبد الله بن عبد العرب البروت: عالم الكتب ، عجم ها استعجم هن أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا العربيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣ ، معجم البلدان (بيروت: دار صادر ، ١٠٤ هـ /١٩٨٤م) الديسن ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت: دار صادر ، ١٠٤ هـ /١٩٨٤م) حسر ، صهاب الديسن ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت: دار صادر ، ١٠٤ هـ /١٩٨٤م) حسر ، صهاب الديسن ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت: دار صادر ، ١٠٤ هـ المنعم الحميري ، كتاب حسر ، ص ٢٠ - ٢٠ ، ص ٢٠ - ٢٠ ، ص ٢٠ - ٢٠ ، كتاب

- السروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ ١٩٧٥ ، ٣١١ ، ١٨٩ ١٨٩ .
- ٣- ما قام به سكان أهل تمامة والسراة من أعمال سياسية قبل الفتوح الإسلامية، وبخاصة في عهد الرسالة ، وفي فترة قيام حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عدنه) ، انظر تفصيلات أكثر عن هذه الأحداث في مقالة منشورة بالمجلة التاريخية المصوية ، المجلد (٣٨) ، س (١٩٩١-١٩٩٥م) ، ص ٤١ وما بعدها .
- 3- كان رجال من أهل قمامة والسراة يأتون إلى مكة المكرمة للحج ، وللتجارة، ولأعمال اقتصادية واحتماعية أخرى ، وأكبر دليل على ذلك إسلام الطفيل بن عمرو والدوسي وضماد الأزدي في فترة الدعوة المكية ، وكتب السيرة والتراجم قد حفظت لنا قصة ارتيادهما مكة المكرمة ، ثم مقابلتهما للرسول (صلى الله عليه وسلم) وإسلامهما، انظر، ابسن هشام ، السيرة ، حـــ ، ص ٢١-- ٢ ، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، حبي فقة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري (حلب : دار الوعي بحلب، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) حـــ ١، ص ٢٠- ١٠٠ ، عز الدين أبو الحسن بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار أحياء التراث العربي، د.ت) حـــ ٣، ص ٢١- ٢٠٥ .
- و للمزيد من التفصيلات عن الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق إلى بلاد تمامة والسراة ، في أثناء حروب الردة ، انظر ، محمد بن حرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م) حـ٣ ، ص ، ٢٣ وما بعدها ، أحمد بن عبد ربه ، العقد الفريد (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) حـ٣ ، ص ٢٤٠ ٢٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، حـ١ ، ص ٢٤٠ ٢٤٧ .
- 7- لقد أرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعض السرايا إلى حدود بلاد الشام ، بل ذهب هبو على رأس بعض الغزوات التي وصلت إلى تبوك وما حولها ، للمزيد من التفصيل، انظر ، ابن هشام ، السيرة ، حــ ٤ ، ص٥٥ وما بعدها ، ابن القيم ، زاد المعاد ، حــ ٣ ، ص٢٦٥ وما بعدها .

#### دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام

- ٧- أبو عبد الله عمر الواقدي، فتوح الشام (بيروت: دار الجيل، د. ٠٠) حـ١، ص٥٠ انظـر أيضــاً ، عبد الرحمن الشحاع ، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـــ) ص٧٧ وما بعدها ،
- 9- الطبري ، جـ٣، ص٣٨٨ ، محمد عبد الله الأزدي ، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة: مطابع سجل العرب ، ٩٦٩ م) ص٢-٥ .
- ۱۰ أحمد بن يحي البلاذري · فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية ، ۱٤٠٣هـ /۱۹۸۳م) ص١٢٨ ، الواقدي، فتوح الشام ، حدا، ص٥-٦ ،
  - ۱۱ الأزدي ، ص ۸ ۹ ·
- ١٢ المصدر نفسه ، ص٩ ، عبد الرحمن الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص٣٤ وما
   بعدها .
  - ١٣- المصدر نفسه ٠
- ١٥ لمزيد من المعلومات عن بداية الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام انظر الأزدي ، ص١١ وما بعدها ،

الأزدي ، ص٢٥-٢٦ ، ويذكر أن ابن ذي السهم الخنعمي قدم على الخليفة أبي بكر الصديق في المدينة ، ومعه نحو ألف مجاهد من قومه ، فقال للخليفة : "إنا قد تركنا الدير والأموال والأصول ، وأقبلنا بنسائنا وأبنائنا ، ونحن نريد جهاد المشركين ، فماذا ترى لنا في أولادنا ونسائنا ؟ أنخلفهم عندك ونمضي ؟ فإذا جاء الله بالفتح بعثنا إليهم فأقدمتهم علينا ، أم ترى لنا أن نخرجهم معنا ونتوكل على ربنا؟ قال أبو بكر (رضمي الله عنه) : سبحان الله يا معشر المسلمين ، هل سمعتم عمن سار من المسلمين إلى أرض الروم وأرض الشام ذكر عن الأولاد والنساء مثل ذكر أخي ختعم ؟ أما إني أقسم لك يا أخا ختعم أبي لو سمعت هذا القول منك والناس مجتمعون عندي قبل أن يشخصوا لأحبب تان أحتبس عيالاهم عندي ، وأسرحهم ، وليس معهم من النساء والأولاد ما يشغلهم ويهمهم حتى يفتح الله عليهم ، ولكنه قد مضى عظم السناس وذراريهم ، ولك بجماعة المسلمين أسوة ، وأنا أرجو أن يدفع الله بعزته عن حرمة الإسلام وأهله ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم إليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم إليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم إليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم إليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وحهناهم اليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وجهناهم اليها ، فسر في حفظ الله وكنفه، فإن بالشام أمراء، وحهناهم اليها ، فالمهم أحبب أن تصحب فاصحب" فلحق بيزيد بن أبي سفيان وصحبه ، انظر ، الأزدي ، ص٢٥-٢٠ ،

- ۱۷ الأزدي ، ۳۲ ۳۵ ، أبو محمد أحمد بن أعثم · كتاب الفتوح ، مصور من طبعة حيد أباد بالهند (بيروت : دار الندوة ، ۱۳۸۸هـ/۱۹۸ ) ۱۱ ، مساله ۱۱۶ ، ۱۱۶ ،
  - ۱۸ الواقدي ، حـــ ۱ ، ص۳۷ ٠

-17

- ۱۹ المصدر نفسه ، وللمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدي كرب، وشجاعته في الحسروب ، انظر ، ابن هشام ، حــ ۱ ، ص ٤١ ، حــ ٤ ، ص ٢٣٠ ٢٣٢ ، على بن الحسن المسعودي ، مووج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلــــس ، الحسن المسعودي ، مووج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت : دار الأندلــــس ، ١٢٨ ١٢٨ ، ١٢٨ ١٢٨ ، ١٢٨ ،
  - ۲۰ انظر الواقدي ، جـــ١ ، ص ١١٠، ١١٢ ٠
    - ۲۱ الأزدي ، ص٥٩ ، ١٨٥ ١٨٦ ·
- ۲۲- المصدر نفسه ، ص۱۹۰-۱۹۱ ، ۲۲۳-۲۲۳ ، الواقسدي ، حـ۱ ، ص۱۱۸ ، الطبی ، حـ۱ ، ص۱۱۸ ، الطبی ، حـ۱ ، ص۱۱۸ ، الطبی ، حـ۳، ص۱۹۷ ، ومن بطولات بعض رحـال السراة في معركة اليرموك ، ما ذكر الأزدي حيث يقول : "وثبتت بعض قبائل

الأزد السروية ، فقاتلت قتالاً شديداً لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل ، وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها قبيلة من القبائل الأخر ، وأقبل يومنذ عمرو بن الطفيل بن ذي السنور ، وهو يقول، يا معشر الأزد ، لا يؤتين المسلمون من قبلكم ، وأخذ يضرب بسيفه متقدماً عليهم وهو يقول :

قد علمت أوس ويشكر تعلــــــمُ

إني إذا الأبيض يوماً مظلـــــمُ

أبي عفر في الوقاع ضيغـــــمُ

وقال جندب بن عمرو بن حممه ، ورفع رايته :

يا معشـــر الأزد ، إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الإثم والعار إلا من قاتل ألا وإن المقتول شهيد ، والحائب من هرب اليوم ، ثم قال :

يا معشر الأزد احتذاذ الأفيال

هيهات هيهات ووقوف للحمال

لا يمنع الراية إلا الأبط الله الله الم

لمسزيد مسن التفصيلات ، انظر ، الأزدي ، ص٣٦٣-٢٢٤ ، نزار عبد اللطيف الحديثي ، أهسل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ن.ت) ،

- ۲۳ ابن أعثم ، جــ ۱ ، ص٢٥٤ ٢٥٥
- ۲۵ المصدر نفسه ، جــ۱ ، ص٥٥٥، ۲٥٨ .
  - ٢٥- المصدر نفسه ، حــ١ ، ص٢٥٩ ،
- 77- عمرو بن معدي كرب الزبيدي من الشخصيات الهامة التي ساهمت في الفتوحات الإسلامية في الجسبهة الفارسية مع سعد بن أبي وقاص ، وبخاصة في معركتي القادسية وحسلولاء ، ولمسزيد مسن التفصيل انظر ، الحديث عن الجبهة الفارسية خلال بعض الصفحات التالية لما ورد في المتن عند هذه الملاحظة ،
  - ۲۷ انظر ، ابن أعثم ، حــ ۱ ، ص ۲۰۹ ،

- ۲۸ الأزدي ، ص۲۱۸ ۰
- - ۳۰ ابن أعثم ، حــ ۱ ، ص ۱۷۱ ،
- -٣١ لم نستطع العثور على الأسباب التي جعلت بعض عشائر وقبائل بجيلة موزعة بين عشائر وقبائل أخرى ، ويتضح تفرقهم من حرص جرير بن عبد الله البحلي على جمعهم تحت زعامة واحدة ومن المحتمل ألهم تفرقوا لمهارتمم في فنون القتال ، ولمكانتهم بين القبائل مما جعل لهم ارتباطاً واختلاطاً مع العديد من القبائل ، أو أنه حدث بينهم حروب ونزاعات في الجاهلية سببت اختلافهم ثم تفرقهم واندماجهم في قبائل أخرى ،
- ۳۲ الطــبري ، حــ۳ ، ص٣٦٥، عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت: دار الفكر ، ١٤٠١هـــ /١٩٨١م) ، حـــ٣ ، ص٣٢٥ .
- ٣٤ انظـر ، الطبري ، حــ ، ص ٤٦ ، ٤٧١ ، البلاذري ، ص ٢٤٧، ابن خلــدون ، حــ ، ص ٥٢٣ ، ابن خلــدون ، حــ ، ص ٥٢٣ ،
- - - ۳۷- البلاذري، ص٥٥،
- ٣٩ هـ و عرفجة بن هرغمة من بيني عدي بن حارثة بن عمر بن عامر ، وعداده في بارق من الأزد ، لـ لمزيد مـن التفصيل انظر ، أحمد محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة و آخرين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م) ، حــ ٣٠ ص٣٣٤م، الطبرى ، حــ٣، ص٣٦٤م٠٠٠ .

#### دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام

١٤- المصدر نفسه ، حـ٣، ٤٦٢ - ٤٦٠ ويورد ابن الأثير القصة التي وقعت بين عرفجة الـبارقي وبجيلة ، ولكنه يشير إلى أن جرير بن عبد الله البحلي هو الذي أيد قومه على تقـديم شكواهم إلى الخليفة عمر بشأن عرفجة ، بل ويورد أن الخليفة عمر ، بعد سماعه لقصة عرفجة قال له : "اثبت على مع لتك، فدافعهم كما يدافعونك فقال لست فاعلاً ولا سـاثراً معهـم " ثم خرج إلى البصرة ، وهذه الرواية قد لا تكون صحيحة ، لأن البصرة لم تختط بعد ، ولم تكن معركة القادسية قد وقعت بعد ، ابن الأثير ، حــ١، الـ٢٧ ـ ٢٧١ .

٤١ - الطبري ، حـــ مـــ ٣٠ و ٤٦٣ و

٤٢ - المصدر نفسه ٠

27- للمزيد من التفصيلات عن معركة البويب، انظر ، الطبيري ، حسم ، ص ٤٦٠ وما بعدها ، المستعودي ، حسم ، ص ٣١٠ وما بعدها ، ويذكر أن الذي قتل مهران هو جرير بن عبد الله ، واقتسم سلبه مع المنذر بن حسان بن المندر بن ضرار الضبي ، الذي شاركه في قتله ، والذي قال في ذلك بعض الشعر ، حيث يقول :

ألم تريي خالست مهران نفســـــــه

وبادر في رأس الهمام جريــــــــــرُ

فقال: قتيلي ، والحوادث جمسسة

وكاد جرير للسرور يطيسسسسر

ومثلى قليل والرجالُ كثيــــــــرُ

وأكرم أن تحلف وأنت أميـــــــــرُ

انظر ، البلاذري ، ص٢٥٤، الطبري ، حـــــ، ص٢٦٦، ابن أعشـــم ، حـــ١ ، ص١٧١ ، المسعودي ، حـــــ، ص٣١١ ،

- - ٤٦٩ الطبري ، حــ ٣ ، ص ٤٦٩ .
- 27 انظر، الطبري ، حــ ٣ ، ص ٤٨٠، ٤٨٣، ١٩٨٦، البلاذري ، ص ٢٥٦، ويذكر ابن ححـر العسـقلاني ، أن آبي ظبيان الأعرج الغامدي كان الحامل لراية غامد في معركة القادسية ، وهو القائل:

### أنا أبو ظبيان غير المكذبــــة أبي أبو العنقا وخالي اللهبــــــه أكرم من يعلم بين ثعلبــــــة

انظر ، شهاب الدين أحمد بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار الكتب العلمية ، د.ت) حسد ، مساهدات ، انطباعات (الرياض: دار اليمامة للبحث غسامد وزهران نصوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ/١٩٩١م) ص٢٨٢٠ .

- ٧٤ الطبري، حــ٣، ص٤٨٤.
  - ٤٨ المصدر نفسه ،
- · ٤٨٦ المصدر نفسه ، حـــ ، ص٤٨٦ .
- · ٥٠ المصدر نفسه ، حسر، ص١٨٤، ٤٨٦ ·
  - ٥١ المصدر نفسه ،
- ۰ ۲۹۸ ، ۲۹۷ ، المصدر نفسه ، جـــ ، ص ٤٨٥ ، ٥٧٦ ، البلاذري ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٨ ٠
  - ٥٣- ابن أعثم ، حــ١، ص٢٠١ ،
  - ٥٤ الطبري ، حــــ م ص٤٨٧ ،

  - ۰٦ البلاذري ، ص٥٦-٢٥٧ ، ٢٦١ ·
- ٧٥ ١ للمزيد من التفصيل عن معركة القادسية ، وأيامها المشهورة ، انظر ، الطبري ، حـــ٣،
   ص٠٤٨ ٥٧٩ .

#### دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام

- 9 الطبيري ، جــــ م ٥٧٧ ، وفي رواية أخرى تذكر أن الفرس احتمعت على قبائل بحيـــ لة ، فجـــاءهم المدد من بعض العشائر الأزدية اليمانية بقيادة القعقاع بن عمرو ،
  فأعانوهم ، وأجبروا الفرس على التقهقر ، فقال سعد بن أبي وقاص مشيراً إلى مساعدة
  القعقاع وإنقاذ بحيلة مما كاد أن يحل هم ،

وضرب مثل تشقيق الإهاب تشل جموعكم مثل الذباب هم منعوا جموعكم بطعـــــن ولولا ذاك ألفيتم رعاعـــــا

انظر ، الطبري ، حـــ٣ ، ص٥٨٠ ٠

- ٦٠ ابن أعثم ، حـــ١، ص٢٧١ ٢٧٢
- ٦١ المصدر نفسه ، جــ١، ص ٢٧٤ ويذكر عن جرير أنه كان ينادي في قومه بجيلة
   ويقول :

"الــزموا الصـــبر وصابروا ، فوالله إنكم الأنجاد الأمجاد ، الحسان الوجوه في اقتحام الشدائد! فاصبروا يا معشر بجيلة! فوالله إني لأرجو أن يرى المسلمون منكم اليوم ما تقربه عيونهم ، وما ذاك على الله بعزيز" •

انظر ، ابن أعثم ، حــ ١ ، ص٢٧٣-٢٧٤ .

٦٣ - وعند نزول عمرو عن فرسه ، كان يقول :

لقد علمت أقيال مذحج أنسى

أنا الفارس الحامي إذا القوم أضجـــــــووا

صبرت لأهل القادسية معلما

وطاعنتهم بالرمح حتى تبـــــدوا

وضاربتهم بالسيف حتى تكســـــــروا

حمدت إلهي إذ هدابي لدينـــــه

فلله أسعى ما حييت وأشك\_\_\_\_\_

- انظر ، ابن أعثم ، جـــ ١ ، ص٢٧٧ .
- 10 انظر تفصیلات أكثر ، الطبري ، جـ ٣، ص ٢٠٧، ٤٠١ ، الأزدي ، ص ١٠٤ وما بعدها ، ابن أعثم ، جـ ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٦٢ .
- 77- المصدر نفسه ، حــــ ، ص٢٧٣-٢٧٤ ، وللمزيد عن جهود جرير بن عبد الله البحلي ، انظر ، البلاذري ، ص٢٥٦-٢٥٤ ، ابن أعثم ، حــ ١ ، ص١٧١ -١٧٢ .
- 97- ولمسزيد من التفصيلات عن الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، انظر الأزدي ، ص١١ وما بعدها ، الواقدي ، حــ١ ، ص١٠٠ وما بعدها ، المسعودي ، حــ٢ ، ص٣٠٧ وما بعدها ، المسعودي ، حــ٢ ، ص٣٠٧ وما بعدها .
  - 7۸- انظر ۱۰ الطبري ، حــ ۳ ، ص۲۲۷ ۲۲۰
- 9- المسربة، وبلاد اليمن في ذلك ، انظر ، الطبري ، حــ من مركب ٢٤٠ ، ٣١٨ ، ٢٤٠ و السـراة، وبلاد اليمن في ذلك ، انظر ، الطبري ، حــ من ٥٠٠٠ ، ٣١٨ .
  - ٧٠ المصدر نفسه ، حـــ ، ص٧٦٥ وما بعدها .

## الدراسة الثالثة:

تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى \*

إعداد

# أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد ٢٠٠٣م

<sup>(\*)</sup> هذه الدراسة منشورة في مجلة العصور ، المجلد التاسع ، الجزء الأول ، (رجب بهذه الدراسة منشورة في مجلة العصور ، المجلد التاسع ، الجزء الأول ، (رجب ١٤١٤هـ مناير ١٩٩٤م ) ص ٣٦ ــ ٧٨ . ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبحا الأدبي ، عدد (٢٤) ربيع الثاني (١٤١٩هـ) ص ٣٦ ــ ١٠٠٠ .

# محتويات الدراسة الثالثة

## تاريخ مخلاف جرش ( عسير ) خلال القرون الإسلامية الأولى

الصفحة	الموضوع	المسلسل	
90	مقدمــة	:	أولأ
9٧-90	أصل التسمية لجرش	:	ثانيآ
1.1-97	التحديد الجغرافي لجرش	:	تُاث
1.4-1.1	الحياة السياسية في مخلاف جرش	:	رابعا
117-1.1	الجوانب الحضارية في جرش ومخلافها	:	خامسا
110-118	الخاتمة	:	سادسآ
177-117	الحواشي والتعليقات	:	سابعاً

## تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى

## أولاً : مقدمة :

المخلاف (ويجمع على مخاليف) ويقصد به الناحية أو الإقليم ، وقد أورد ابن مسنظور كلمة مخلاف على ألها ناحية من نواحي الأرض ، أو منطقة من المناطق ، وقد يكون المخلاف صغيراً أو كبيراً حسب عدد المدن أو القرى أو العشائر والقبائل التي تسكنه (1) . والمخلاف ، أو الإقليم ، أو الناحية ، أو الكورة، أو الرستاق ، جميع هذه المسميات تعني منطقة معينة تشتمل على عدة مدن وقرى لها مميزات وخصائص اشتهرت بها . وتسمية مخلاف جرش في هذه الدراسة ، ليست من ابتكار الباحث ، وإنحا ورد ذكرها بهذا الاسم في كتب الجغرافيين الأوائل ، ككتاب ابن خرداذبه ، واليعقوبي ، وقدامة ، وغيرهم من الذين ذكروا جرش بهذه التسمية ، وجلهم عدها من المخساليف التابعة لولاية مكة المكرمة ، خلال القرون الإسلامية الأولى (٢) . وفي هذا البحث سوف نركز على سبب التسمية ، وعلى الموقع الجغرافي ، وعلى المجال التاريخي السياسي منه والحضاري خلال القرون الإسلامية المبكرة .

## ثانياً: أصل التسمية لجرش:

أما عن التسمية باسم جرش ، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية الأولى ، على أن تبعاً أسعد أبا كرب ، خرج غازياً من اليمن غزوته الأولى ، وعندما وصل إلى بلاد جرش بأرض السراة ، رأى موضعاً قليل الأهل كثير الخيرات ، فخلف فيه نفراً من قومه ، فقالوا : - بم نعيش ؟ فقال : اجترشوا من هذه الأرض ، وأثيروها ، واعمروها فسميت جرش (٣) . وقد أورد ياقوت الحموي هذه القصة إلا أنه

لم يستفق قوله مع الرواية السالفة الذكر على أن تبعا أسعد ترك بعض قومه عندما رأى كثرة الرخاء وقلة السكان ، وإنما بعض من قومه تحيروا وضعفوا عن اللحاق بالجيش ، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أي البثوا ، فسميت جرش بذلك (٤) . ويذكر البكرى ألها سميت بجرش بن أسلم ، لأنه أول من سكنها (٥) ، ويتفق ياقوت الحموي مع البكري ، نقـــلاً عــن أبي المنذر هشام ، فيذكر أن جرش بن أسلم هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهو أول من سكن جرش فسميت باسمه (٦). ويعضد هذا القول بعض علماء النسب ، كابن حزم الأندلسي ، والوزير المغربي اللذين يؤكدان أن جوش أحد أبناء أسلم بن زيد الحميري (٧) . ويورد ياقوت الحموى رأياً آخر نقلاً عن أبي المنذر هشام بن الكلبي قوله: " جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يُقال لـه زيـد بـن أسلم ، خرج بثور له ، عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحميه ، فأدركه سنات القصص عند قلعة جراش، وكل من أجابه وأكل معه يومنذ كان **حوشيا** " (^) . ولم يذهب ياقوت بعيداً عن الرأي الذي قاله البكري ، نقلاً عن كتب النسب المبكرة ، ولكن في هذه الرواية لم يرد ذكر جرش ، وإنما ورد باسم زيد بن أسلم ، بينما ورد في الرواية السابقة باسم منبه بن أسلم ، وبمذا لا يكون ثمة فرق بيسنهما لأنسه من المحتمل أن زيدا وأسلم هما اسم لشخص واحد ، ثم بعد تمكنه من القسبض عسلى تسوره ووعدهم بجرش الشعير على لحم الثور ، صار يطلق عليه اسم جـــرش (<sup>٩)</sup> ، ثــم نسبت البلاد التي حصل بهــا جرش الشعير وأكل لحم الثور إلى اسم جرش . ومما يؤكد هذا الرأي ، أن معاجم اللغة تؤكد على كلمة ( الجرش ) التي تشير إلى جوش الشيء ، بدقّة فلا ينعم الدق ، وبالتالي يسمى جريشاً ، ويقال : جرش الملح والحب جرساً ، أي لم ينعم طحنه ودقة ، وبهذا القول نرى أن زيداً أو منبه بن أسلم ، جرش الشعير على لحم ثوره في منطقة جرش (۱۱) ، ولهذا السبب سميت المنطقة بحسن الاسم ، وربحا كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة من رواية تبع أسعد ، عن أولئك الذين تخلفوا عن مسايرة الجيش ، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أي البثوا ، حيث لم نجد عند اللغويين من قال إن الجرش هو المقام أو المكوث في مكان فيه ماء ، ولكنهم قصالوا : إن الجرش هو الصوت ، ويسمى الملح والحب بد (الجرش ) لأنه حك بعضه بعض فصوت حتى سحق ، غير أنه لا يكون ناعما (۱۱) .

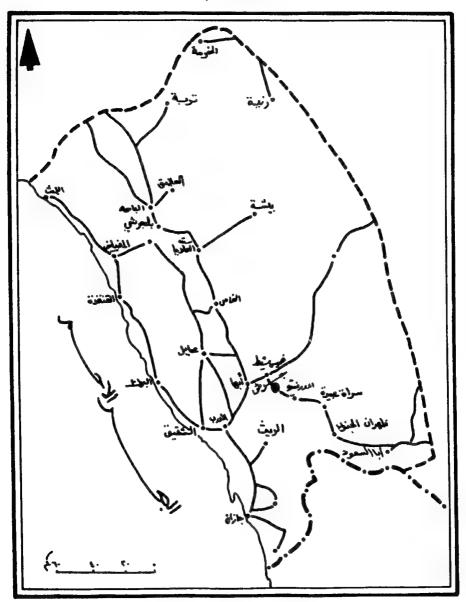
## ثَالثاً : التحديد الجغرافي لجرش :

أما عن موقع مخلاف جرش ، فهناك العديد من المصادر الإسلامية المبكرة التي أشارت إلى موقع المخلاف ، غير ألها لم تكن تتوخى الدقة في رسم هذا الإقليم ، فبعض الجسرافيين المسلمين الأوائل كانوا يذكرون جرش عند ذكرهم للمحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل ما بين صنعاء ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، ومعظم المصادر التي أشارت إلى تلك الطريق ، ذكرت المحطات الواقعة إلى الشرق من جرش ، فابن خرداذبة والإدريسي أشارا إلى المحطات التي تربط مكة المكرمة بصنعاء ، وبعد ذكرهما لمحطة مدينة بيشة ، استمرا في تعداد المحطات صوب الجسنوب حتى ذكرا محطة سروم راح الواقعة إلى الشرق من جرش على بعد ثمانية أميسال (١٤٠) . أما أبو الفرج قدامة فلم يتفق مع ابن خرداذبة والإدريسي على أن السروم راح تسبعد عن جرش المسافة المذكورة آنفاً ، علما بأنه لم يذكر المسافة بين البلدتين ، لكنه أورد اسم محطة (كتنة ) الواقعة إلى الشمال من محطتي سروم راح ، واكد أن كتنة هي التي تبعد عن جرش بثمانية أميال (١٣٠) . وحسب الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خيس مشيط بحوالي الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خيس مشيط بحوالي الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خيس مشيط بحوالي الدراسات الحديثة التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خيس مشيط بحوالي

خســة عشـر كيـلو مــترا ، على الطريق البري الواصل بين مدينتي خيس مشيط أقــوال الإدريسي ، وابن خرداذبة ، لأن الطريق التجاري القادم من الأجزاء الشرقية لبلاد السراة ، تبعد محطاته بعشرات الأميال عن مركز جرش ، ثم إن المسافة بين محطة بيشة ، ومحطة سروم راح ، تبلغ حوالي مائة وتسعة عشر ميلا حسب ما جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، وبين كتنة وبيشة حوالي ثلاثة وثمانين ميلا (١٠٠) ، فــــليس من المعقول أن يكون البعد بين جرش والمحطتين ثمانية أميال فقط ، والمسافة في وقتنا الحاضر بين جرش وبيشة حوالي مائة وخمسة وثمانين ميلا (١٦٠)، ولهذا فمن المحتمل، أن يكسون الجغسرافيون الأوائل قد ذكروا المسافة بين أطراف مخلاف جرش من جهة الشرق ، وبين تلك المحطات السالفة الذكر . والباحث يميل إلى هذا الرأي ، لأن مخلاف جرش بجميع مدنه وقراه لا يشمل منطقة خيس مشيط وما حولها في وقتنا الحالي فحسب ، بل يشمل أغلب أقاليم عسير ، وبخاصة الأجزاء السروية ، وبالتالى فاسم جرش لم يكن يشمل المدينة ، وإنما كان يطلق على أغلب بلاد عشائر قحطان وشهران وعسير (١٧) . وبمذا الامتداد ، فإن القسم الشرقي من المخلاف ، ربما كان يبعد قليلاً ، وأحياناً يشمل بعض محطات الطريق التجاري الواصل من صنعاء إلى مكة المكرمة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن أقوال الجغرافيين الأوائل ، ربما تكون قريبة من الصواب .

ولاً يؤكد شمول التسمية على اتساع مخلاف جرش ، ما جاء في كتاب ( صفة جزيرة العرب ) للهمداني تحت عنوان ( جرش وأحوازها ) قوله : " ... جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز بن وائل ، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير ، وهم ولد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد، وإجابة اليمائية في أرض نجد إليهم .. وجرش في قاع ، ولها أشراف غربية بعيدة منها ، تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها ، بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، ويلتقيي

# خريطة رقم (١)



موقع مدينة جرش

بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ، وتندحة من أودية جرش وفيها أعناب وآبار ، وكتنة أول حد العجاز وعرضها وعرض جرش واحد الأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ... " (١٨) ، وبهذا فالهمداني يذكر بعض أجزاء مخلاف جرش ، فذكر ألها كورة نجد العسليا ، أي تقسع في الأجزاء الغربية من أطراف بلاد نجد ، ولهذا المخلاف أطراف ونسواح تجاه الغرب ، ويقصد بذلك أطراف بلاد عسير العليا من جهة الغرب ، كأبها وما حولها من النواحي (١٩) ، ثم يذكر حمومة ، ويقصد به جبل حمومة أو جبل شكر الذي ما زال ماثلاً للعيان حول المدينة العسكرية بخميس مشيط من الناحية الشرقية ، وقصد أوردت حولية الآثار العربية السعودية ما نصه : وعلى بعد 36 كم تقريباً إلى الشرق من جرش ، هناك مرتفع جبل حمومة ... " (٢٠) .

أما تندَّحة اليوم فهي عبارة عن واد فيه عدة قرى تقع على الطريق بين بيشة وخميس مشيط ، وتبعد عن الخميس بحوالي ثمانية عشر كيلو متراً إلى الشرق منها ، ويصب وادي تندحة في بيشة (٢١) .

وتسمي بعض المصادر الجغرافية والتاريخية جرش باسم مخلاف ، فقدامة ذكر في باب مستقل ، سماه ( مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها ) ، وعند الحديث عن شبه الجزيرة العربية ، خصوصاً الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة ، والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى ، قال : " ولها أعمال تنسب إلى المخاليف والأعراض " وذكر جرش على ألها مسن المخاليف الواقعة في تلك الأجزاء (٢٢) . أما اليعقوبي في كتابه ( البلدان ) وتحت عسنوان ( مسن مكة إلى اليمن ) فقد ذكر العديد من الأعمال والمخاليف ومن ضمنها جسرش (٢٣) ، وفي فصل مستقل لابن رسته سماه ( الأقاليم السبعة ، وأسماء مدلها المشهورة ) ، أورد في الإقليم الأول العديد من المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكسانت جرش من ضمن المدن المذكورة (٢٤) ، وأشار ابن خرداذبة إلى مخاليف مكة

المكرمة ، فذكر جرش على ألها من المخاليف التابعة لولاية مكة (٥٠) ، وأشار الإدريسي إلى كل من نجران وجرش فقال : " هما مدينتان متقاربتان في الكبر وبهما نخل وبهما مدابغ للجلود... " (٢٦) . وأشار البكري ، وياقوت الحموي ، وابن منظور إلى جرش فقالاً : " هو موضع باليمن " (٢٧) ، ولكن ابن منظور زاد في حديثه قائلاً : " ... هو من مخاليف الميمن من جهة مكة ، ويوجد في الإقليم الأول ، وهو مدينة عظيمة من مخاليف الميمن من جهة مكة ، ويوجد في الإقليم الأول ، وهو مدينة عظيمة وولاية واسعة " (٢٨) . وجمدا تعتبر جرش ، وهي قاعدة المخلاف ، من أهم المراكز الحصارية الواقعة شمال نجران وجنوب مكة المكرمة . وكان مركز هذا المخلاف هو المنطقة التي تشغلها المدينة العسكرية الآن في خيس مشيط ، وما يحيط بها ، ولكن إذا كان المركز في المنطقة المذكورة باعتبارها المقر السياسي والإداري لولاة الرسول (١١٩٠٤) المهمات الحيطة من بعده ، ففي ظننا أن امتداد ذلك المركز كان يشمل أجزاء مختلفة من الجهمات المحيطة به ، بل ربما امتد نفوذ واليه ــ والي جرش ــ إلى نجران جنوباً وبيشة شمالا وشمال شرق وإلى تثليث وما حوله شرقاً وإلى قمم جبال السراة المطلة على المجسزاء التهامية غرباً ، ولو لم يكن مركز جرش قويا وذا نفوذ واسع لما حظي بواسع الذكر في المصادر الأساسية ، وبالتالي طغى الجزء على الكل من منطلق إداري سياسي. الذكر في المصادر الأساسية ، وبالتالي طغى الجزء على الكل من منطلق إداري سياسي.

## رابعاً: الحياة السياسية في مخلاف جرش:

كانت الأوضاع السياسية في مخلاف جرش مثل غيره من الأماكن في الجزيرة العسربية ، تستحكم فيه الأعراف القبلية والتقاليد والعادات ، وكانت بعض القبائل والعشائر عمتهن الغارات وتحترف الغزو . فلما أظهر الله الإسلام ، وفد على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة من الهجرة ، وفد صرد بن عبدالله الأزدي في بضعة عشر رجلًا، فأسلم وأسلم رجال الوفد ، وأمره الرسول (ﷺ) بعد إسلامه على قومه ، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم في جرش من المشركين (٢٩) .

وتشمير كممتب التاريخ والسير إلى أن جرش كانت مدينة مسورة حصينة ، فعندما سمع أهل جوش بإسلام صود ، وبما تم بينه وبين الوسول الكريم (ﷺ)سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم ، وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم الجحاورين لهم ، لمقاومة صرد بين عبد الله الأزدى الذي عاد مسرعاً من المدينة المنورة مصطحباً معه من انضم إلى الإســــلام مـــن قومه ، وهاجم بهم مدينة جرش ، فوجدها في غاية المنعة والتحصين ، فحاصرها شهراً كاملاً ، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة أجدى من الحصار، فقــوض خيامـــه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة ، وما أن شاهده المحاصرون بالفــرار ، وعــندما أخذوا في مطاردته عطف عليهم في التفافة بارعة ففتك بمم فتكاً ذريعــــاً (٣٠) ، وتم له فتحها وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول (ﷺ) لإعلان إسالامهم أمامه ، فرحب هم ، وقسال عليه السلام : " مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم منى وأنا منكم " ثم جمل شعارهم مبروراً (٣١) ، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدهم، ويــورد محمــد حميد الله ذلك الكتاب الذي كتبه الرسول (ﷺ) في حمى جرش وينص على : " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رﷺ ) لأهل جرش : أن لهـم حماهم الذي أسلموا عليه ، فمن رعاه بغـير بساط أهله فماله سحت ، وأنَّ زهير بـــن الحماطــة فــإن ابنه الذي كان في ختْعم ، فأمسكوه فإنه عليهم ضامن ، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبي سفيان " (٣٦) .

وأهمية همذا الكتاب أن الرسول (هم ) أقرّ هم أهل جرش الذي يحيط عدينتهم ، وذلك بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم ، ووضع القوانين الشرعية الستي تسنظم العلاقات بين الأفراد في شؤون حياهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية (٣٣) .

وفي رواية للبلاذري ، نقلاً عن الزهري ، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال ، فأمّرهم رسول الله (ﷺ) على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وأرسل أبا سفيان بن حرب والياً عليهم (٣٤) .

وهــذه الــرواية التي ذكرها البلاذري لا تتفق مع الرواية التي ذكرها كتب الــتاريخ والســير الأخــرى ، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالســيف ، في حين أن رواية ابن هشام ، وابن سعد ، والطبري ، وابن قيّم الجوزية ، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبدالله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام (٣٠٠) . ويمكنــنا القول إن ما رواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ما جاء عند أصحاب المصادر الأخرى ، وخاصة أن الرسول (هم ) لم يرسل جيشاً معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش ، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وما حولها ، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبد الله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة .

أما إرسال أبي سفيان بن حرب إلى إمارة جرش ، فقد جاءت بعد تولية الرسول ( السول ( السول السو

وتذكر بعض كتب السنة نقلاً عن ابن عباس أن الرسول (ﷺ) كتب إلى أهل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر (٣٧) ، وهذا الخبر مفاده أن الرسول (ﷺ) كان

على صلة تامة بأهل جرش ، وبمعرفة أخبارهم ، الأمر الذي أدى إلى نهيهم عمّا لا يتفق مع الشريعة ودعوقهم إلى الامتناع عن القيام بما يُخالفها .

والملاحظ أن بعد موت الرسول (ﷺ) ومجيء الخليفة أبي بكر الصديق ، وما حدث في عهده من أحداث عرفت في مصادر التاريخ بحروب الردة كان لأهل اليمن بحسا فيهم نجران ومخلاف جرش وما حولها دور في تلك الحروب ، لا سيما بعد ظهور الأسود العنسي ، الذي ظهر في أواخر عهد الرسول (ﷺ) ، والذي ارتد عن الإسلام وادعسى النسبوة ، وبسط سلطانه على الكثير من المناطق ، كصنعاء ونجران وجرش وغيرها ، وطرد عمال الرسول (ﷺ) من تلك النواحي ، وولى بدلهم ولاة من عنده ، وغيرها ، وطرد عمرو بن معدي كرب (٢٨٠) ، أحد نوابه على المنطقة الواقعة ما بين فحران وبيشة ، التي تعد ضمن مخلاف جرش (٢٩٠) .

لقد منيت الأمة العربية عقب وفاة الرسول ( ) وتولية أبي بكر الصديق الخلافة ، باضطرابات خطيرة ، ذلك أن بعض القبائل العربية التفت حول زعمائها الذين ادعوا النبوة ، مثل الأسود العنسي المشار إليه وغيره ، وبدأ هؤلاء بدعوقم للتخطص من نفوذ المدينة المنورة ، ومن ثم اندلع لهيب العصيان في كل مكان ، فأخذ الخطيفة أبو بكر على عاتقه أن يحارب أهل الردة ، فطلب من ولاة مكة المكرمة والطائف مجابحة المرتدين في بلاد تمامة والسراة الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف والمستدة إلى الحواضر الكبرى في اليمن . فأعد عتاب بن أسيد عامل مكة المكرمة ، وعسمان بن أبي العاص عامل أبي بكر الصديق في الطائف عدة حملات نجاربة أولئك المسرتدين . وقد وصل بعض تلك الحملات إلى مخلاف جرش ، وانضمت إلى المسلمين المسلمين ، ثم اشتبكت مع المرتدين في تلك الديار ، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش

المسرتدين وكسر شوكتهم (\*\*) ، وفرار أحد قادهم ، حميضة بن النعمان البارقي (<sup>(1)</sup>) فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلاً : \_\_

### فضضنا جمعهم والنقع كــاب وقد تعديٍّ علىُّ الغدر الفتوق وأبرق بارق لها التقينـــــــا

فهادت خلّبا تلـــك البروق (٤٢)

وفي رواية للطبري ، أن جرير بن عبدالله البجلي (٢٠٠٠) ، كان قد أرسل إلى بلاد السراة واليمن في عهد الرسول (١١) فذهب مع بعض قومه ، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد موت الرسول (١١) فأمره الخليفة أبو بكر الصديق بالرجوع إلى بلاد السراة ومحاربة المرتدين بما ، وعندما جهز الخليفة أبو بكر الجيوش محاربة المرتدين أمر المهاجر ابن أمية بالتوجه صوب مكة المكرمة والطائف ، ثم التحرك جنوباً إلى بلاد السراة حتى السيمن . وفي أرض السراة التقى المهاجر بن أمية بجرير بن عبدالله ، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد مخلاف جرش ، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر ، الذي كانت له قيادة الجيوش ، بعبد الرحمن بن أبي العاص ، قائد الجيش بإمرة والي الطائف عسمان بسن أبي العاص . وانضم لهذه الجيوش أيضاً عبد الله بن ثور من تمامة فواصل الجميع سيرهم عبر مخلاف جرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد السيمسن (١٤٤) . وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر ، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية الأمر الذي أدى إلى أن صار الخليفة أبي بكر الصديق (١٤٥) .

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التي وقعت في المخسلاف ، وإنما تشير إلى بعض الوقائع التي حدثت في بعض أجزائه ، ولكن إشارتما

غير دقيقة إلى حد ما ، لا في تسمية الأماكن ، ولا في دور الحواضر بشكل مفصل ، الأمر الذي لا يروي ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاع السياسية والحضارية لهذه الأجزاء مسن المخسلاف ، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءاً محدودا من المنطقة الجغرافية الواسعة والستي أطلق عليها بلاد السراة . وفي اعتقادي أن مخلاف جرش لم يتغير في وضعه السياسي خلال القرنين الأولين لا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة ، ثم صار من الأجسزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المدينة المنورة ، إذ عين الخليفة أبو بكر عليه واليا يسنظم شؤون الناس (٢٩) ، ولكن بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين ، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين ، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغسداد ، أن يسولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، كمكة المكسرمة ، أو المديسنة ، وربحا جُمعت المدينتان تحت إمرة وال واحد ، وأحيانا تجمع الميمامة والحجاز واليمن تحت إمرة وال من ولاة الخليفة تكون إقامته في مكسة المكرمة أو المدينة المنورة ، يشرف على الجباة ومراقبة الأسواق ، وحماية البضائع من السرقة ، وما عدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسؤولين عويا حرفيا — عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها (٧٤) .

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري ، بدأ الضعف يدب في جسم الحلافة العباسية ، وبخاصة بعد الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون منذ عام (١٩٣ — ١٩٨ه هـ) الأمر الذي أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الحلافة في أجزاء عديدة من البلاد ، فقام أهل جرش وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز ، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة  $(^{13})$  ، واستقل ابن طرف بمخلاف محكم من الحرامين في الله عنه بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من قامة  $(^{13})$  .

ونجران ، واليمن ، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورها واستقلالها عن الخلافة ، وعندئذ التفت في جدية لتلك المناطق الجنوبية ، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة ، والعكيين في هامة ، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد ، وقال له : ((أسمعني صوتهم)) ، أي يقاتلهم بقوة لا هوادة فيها ، فوصل ابن زياد مزودا بالمال والرجال وأهل الرأي ، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم ، بل التنكيل هم (٥١).

وتفرغ لسكان الجبال والمناطق التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها ، كبلاد جرش ، ونجران ، وبيشة وما حولها ، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة ، وعدم الخروج عن الجماعة ، والرجوع إلى طاعة الخليفة وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته ، فوافقوا وعادوا إلى الولاء ثانية ، وقاموا بإرسال الخراج، ولكن هذا الأمر لم يستمر ، فبعد موت محمد بن زياد ، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية ، فقام كل أمسير يستقل بناحيته ، أما مخلاف جرش وبلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف فقد بقيت شكليا أو اسميا مرتبطة بعامل الحجاز كما كانت سابقا (٢٥) .

وبعد القرن الثالث الهجري لا نجد ما يوضح لنا تاريخ جرش ومخلافها ، وإنما بعسض المسادر أشسارت إلى أحداث سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تمامة أو السراة ، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة ، والتي اكتسبت صبغة العمومية ، وأحياناً نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل : زبيد ، وصعدة ، وصنعاء ، وهذه المسميات لا تعطينا ما نريده من تاريخ جرش ، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر . والذي يبدو أن كتب الجغرافيا والرحلات تذكر جرش عندما تذكر الطريق المار بشرقها والواصل بين حواضر اليمن والحجاز .

ومن الجغرافيين الذين ربطوا ذكر جرش بذكر الطريق: ابن خرداذبة ، وقدامة ، والحربي ، والهمداني ، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ثم الإدريسي وابن المجاور ، وياقوت الحموي ، في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وبعد القرن السابع لم نعد نستطيع العثور على ذكر لها في ما توفر لدينا من مصادر ، ولا ندري ، هل يعود عدم ذكرها إلى اندثارها ، وبالتالي لم يصبح لها دور في التجارة مثلما كان لها مسن قبل ، ومنذ ذلك الوقت للآن، لم يعد لها الازدهار الذي كانت عليه ، ولم تعد تعرف بمسماها السابق ، وإنما تحولت إلى مسميات أخرى ، فصارت جزءاً من إقليم عسير المستد من ظهران الجنوب جنوباً إلى بلاد خثعم وشمران شمالاً ، وحل محل مركزها القديم مسميات حديثة تأتي ضمن مدينتي خيس مشيط وأحد رفيدة وما حولهما .

### خامساً : الجوانب الحضارية في جرش ومخلافها :

من الطبيعي أن تحظى جرش ومخلافها بنشاطات مهنية متعددة ، كالرعي والزراعة ، والصناعات ، والحرف اليدوية ، والتجارية ، والازدهار العمراي ، وذلك يعود إلى خصوبة تربتها وحسن موقعها . فمخلاف جرش يتمتع بطبيعته الجغرافية التي تتكون من الجبال والوهاد والوديان ، والهضاب والسهول إلى جانب طبيعته الاجتماعية التي تضم العديد من العشائر والأفخاذ الأزدية التي يحترف بعضها مهنة الرعي التي كانت من الملامح المميزة لأهل جرش مما جعلها المهنة الرئيسة بجانب الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى . وأقرب دليل على بروز هذه المهن في حياهم ما ذكره الرسول (هم) في كتابه الموجه إليهم ، والذي حمى لهم حماهم الذي أسلموا عليه ، والحمى لا يوجد إلا إذا وجدت المواشي والبهائم التي ترعى فيه (٢٥٠) . ويؤكد بعض الجغرافيين على كثرة الأدم ودباغة الجلود في مخلاف جرش (١٠٥) ، وهذا دليل على

كثرة المواشي والبهائم في ربوعها ، فإلى جانب ما يُستفاد منها في قضاء حاجات الإنسان وتوفير غذائه ، تستخدم جلودها كألبسة وفراش بعد دباغتها ، وقد يصدر منها ما يفيض عن الحاجة إلى المناطق المجاورة لها .

أما الحياة الزراعية ، فمخلاف جرش نال نصيباً من الزراعة ، ومما يؤكد ذلك قول بعض المؤلفين الأوائل الذين أشاروا إلى استخدام النوق الجرشية في رفع المياه من الآبار لسقي المزارع بواسطة السواني ، وفي هذا يقول ابن أبي خازم :

#### تحدر ماء البئر عن جرشية

#### على جربة تعلو الدبار غروبها Ѩ

ولم تكن الجمال فقط التي تستخدم في ري المزارع عن طريق السواني بل استخدمت الأبقار للغرض نفسه ، كما استخدمت القنوات التي تعد خصيصاً لماء المطر لري بعض المزارع العثرية (٢٥) .

ومن المنتوجات الزراعية التي كان يشتهر كما مخلاف جرش ، هي الحبوب كالقمح والشعير والذرة ، وقد يفيض الإنتاج عن الحاجة فيصدّر إلى حواضر الحجاز واليمن (٢٥) . أما منتوجات المخلاف من الثمار ، فتتمثل في الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول (هي) فمي أهل جرش عن خلط الزبيب بالتمر (٢٥٠) . ويعد العنب الجرشي من أجود أصناف العنب ، وقد أثنى على جودته المؤلفون الأوائل ، أمثال : الأصمعي في كتابه : النخل والكرم في أثناء حديثه عن أصناف العنب فقال : « فأما الجرشي فأبيض صفار الحب أول العنب إدراكا" (٢٥) ، ويشير صاحب كتاب لسان العرب ، إلى العنب الجرشي فيقول : « ضرب من العنب أبيض إلى المخشرة ، رقيق صفير الحبة " (١٠٠) ، ويتفق البكري والإدريسي مع ابن منظور والأصمعي على جودة عنب جرش (٢١) ، ويشير الدينوري ، في كتاب (النبات) إلى جودة عنب مخلاف جوش ، وإلى طول عناقيده (٢١) ، وفي أجزاء عديدة من مخلاف جرش يوجد القرظ ،

الذي يساعد كثيراً في عملية دباغة الجلود ، ويذكر عماد الدين أبو الفداء ، ما نصه :  $^{(77)}$  ويشير الإدريسي الم كثرة زراعة النخيل في بلاد جرش  $^{(11)}$  .

أما المهن والحرف الصناعية بمخلاف جرش ، فهي بدون شك متعددة ، ولكن ما حفظته لنا المصادر المبكرة لا يتجاوز إلا عدداً محدوداً من الصناعات ، وكتاب الرسول (هذا) إليهم في عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على ألهم كانوا يجمعون هذين النوعين ثم يعصرولهما فيخرج لهم شراب النبيذ ، أو نوع من أنواع الخمور ، ولهذا فالرسول (هذا) لهاهم عن تلك المهنة (٥٠) .

والثابت أيضاً أن دباغة الجلود وخرازها في جرش ، ازدهرت ازدهاراً عظيماً ، فأشار أبو الفداء وابن المجاور إلى ذلك (٢٦) . وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وما حولها ، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي ، ومواد التصنيع ، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذي يعتبر من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة . هذا وتتمتع المنطقة بعوامل أخرى تساعد على جودة هذه الصناعة ، فالشمس الساطعة ، وطيب الهواء ، وأشجار القرظ كما سبق القول ، تساعد على مهارسة مهنة الدباغة ثم التجفيف والتسويق إلى الحواضر المجاورة (٢٠٠) .

وهذه الجودة التي تمتعت بها هذه الصناعة ، ساعدت على شهرتها التي تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية ، حتى صار هذا النوع الجيد، والمعروف باسم (أدم جرش) مشتهراً في الأسواق الخارجية مثل أسواق العراق وفارس وبلاد الشام وغيرها (١٨٠) .

ومـن الصناعات الحربية التي اشتهر بها المخلاف صناعة الدبابات والمجانيق، والعـرادات. والدبابــات التي كانوا يصنعونها وهي عبارة عن آلة من مادة الخشب

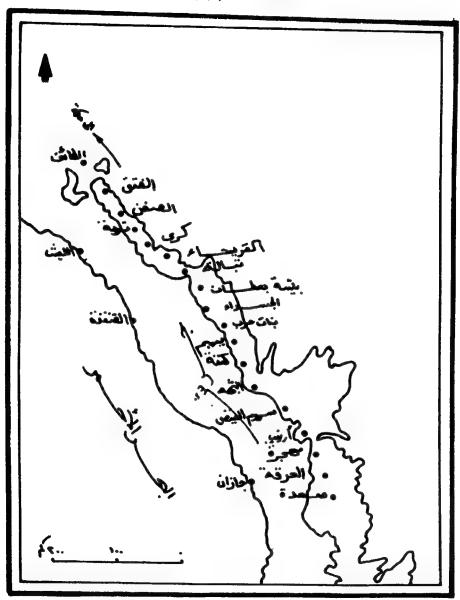
مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجال، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وهي تقيهم مما يرمى عليهم من حجارة  $(^{19})$ . أما المجانيق والعرادات فهي من آلات الحصار ، التي ترمى بواسطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار  $(^{(4)})$ .

ويذكر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية ، قصد هايــــة أنفسهم وأموالهم ، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول (ه) عروة بن مسعود الثقفي ، وغيلان بن سلمة اللذان سارا إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابـات في أثناء محاصرة الرسول (ه) لمدينة الطائف (٢١) . وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ما كانت تحتله جرش من مكانة مهنية ، خاصة في المهن الحربية .

أما الحياة التجارية فلم تكن أقل من غيرها من الأعمال الأخرى ، ولولا نشساطها الستجاري لما راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيواني ، والمنتوجات والمحاصيل الزراعية التي كانت تفيض عن الحاجة ، وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى في الحجاز والسيمن ، ومما زاد في النشاط التجاري لمخلاف جرش قربه من الطريق التجاري الذي كان يأتي من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش ، حتى بيشة ثم الطائف ثم مكسة المكرمة (٧٧) ، ( انظر الخارطة رقم " ٢ " ) ، ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلباً للراحة والتزود من سلعها ، كالمحاصيل والعنب ، وبعض المواشي كالإبل وغيرها ، وهذه السلع جميعها متوفرة في أسواق جرش ومخلافها .

وغالبية سكان جرش من القبائل اليمانية ، إلى جانب وجود بعض العشائسر والبطون الشامية ، وفي أشارة للهمداي ما يوضح ذلك ، فيقول : «... وفي أشق قرية جرش فرق من الغزارية يدعون الجزارين من موالي قريش » (٧٣) ، وهذا القول يشير إلى أن بعض العشائر الشامية ، أو من يواليها ، كان يعيش مع السواد الأعظم من

خريطة رقم (٢)



موقع مخلاف جرش من الطريق الجبلي ما بين الحجاز واليمن

القبائل اليمانية في تلك البلاد . بل وإن بعضهم كان من موالي قريش ، وليس ببعيد أن تكون من بينهم طبقة من العبيد تمتهن الحرف والصناعات ، كعمل الدبابات والعرادات وغيرها ، لأنه من المألوف في المهن والحرف الصناعية أن يتداولها مثل هسؤلاء (٢٤) . وكان في بلاد جرش بعض اليهود والنصارى ، بدليل ما ذكره السبلاذري عن الرسول (هم) أنه أمّر أهل جرش على ديارهم ، وفرض على كل فرد من أهل الكتاب ثمن بها دينارا (٥٠) ، وهذا الخبر يبين أن بعضاً من اليهود والنصارى كان يعيش مع العرب في مخلاف جرش .

أما عن العادات والتقاليد والأعراف عند أهل جرش ، فلم نستطع الحصول على ما يصور لنا هذه الحياة ، ولكن أغلب الظن ، بعد دخولهم في الإسلام ، وإرسال السولاة إليهم من قبل الرسول الكريم ، ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، أن عاداتهم ، وأعيادهم ، وولائمهم ، وأعراسهم ، وبقية حفلاتهم وموائدهم صارت تمارس طبقاً لمنهج الدين الإسلامي (٧٦) .

أما العمارة عندهم فأصبحت تتماشى مع تعاليم الإسلام ، وكانت مادة البناء هي الحجارة ، والطين وبعضهم كان يعمل على تسوير البيوت ، وتسوير المدن والقرى بأسوار تنتهي ببوابات واسعة ، ومثال ذلك أسوار مدينة جرش ، التي وقفت أمام هجمات عبدالله بن صرد الأزدي وصحبه عند قدومه لفتحها ، أما عن البيوت هل تبنى من طابق أو أكثر ، وعن مدى ما يتمتع به البناءون من المهارة في البناء ، فلم نعثر على شيء من هذا في المصادر التي بين أيدينا ، ولكن يمكننا القول ألهم طالما برعوا في الصناعات الحربية ، وبعض المهن الحرفية الأخرى ، فليس بمستبعد أن يكون لديهم بعض الخبرات في البناء بما يتناسب ومعارف الحال آنذاك .

#### سادساً : الخاتمة :

وخلاصة القول ، أن مخلاف جرش قد عرف منذ الفترة السابقة للإسلام ، وبعد أن أسلم أهله ، تحول من أرض مشركة إلى أرض إسلامية ، يشع منها نور الإسلام ، ويعمل سكانها على تطبيق الشريعة ، وبعد موت الرسول (هم حدثت بعض الأمور في شبه الجزيرة العربية ، أهمها حروب الردة ، التي عمت أصقاع شبه الجزيرة ومن ضمنها مخلاف جرش ، الذي أصابه أذى الارتداد بقيادة الأسود العنسي ، وظهر به بعض المرتدين ممن اشتركوا في حرب الردة مع العنسي ، لكن الله حفظ دينه ، لقوله جلّ جلاله وهو أصدق القائلين { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } .

لقد قام صحابة رسول الله (هم) يتقدمهم الخليفة أبو بكر في محاربة المرتدين ، وإجبارهم على العودة للإسلام ، وأصبحت الجزيرة بعد الانتهاء من حرب الردة تدين كلها بديسن الله ، وأصبح مخلاف جرش من الأعمال التابعة لدار الخلافة في المدينة المنورة، ثم دمشق ، وبعدها في بغداد ، لكن لم يخل الأمر من ظهور بعض الفتن ، وكان روادها يسودون الاستيلاء على الحكم ، سواء من مخلاف جرش أو غيره ، لكن دار الخلافة كانت لهم بالمرصاد .

إن مخلاف جرش منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن الرابع ، لم نعد نجد لها في بطون المصادر المبكرة إلا إشارات بسيطة ، وبخاصة عند ذكر الطريق السذي يربط اليمن مع الحجاز عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، والأغرب من ذلك أنسه لم يعد له ذكر بعد القرن السابع الهجري ، ولم يصلنا شيء عنه منذ بداية القرن الثامن ، واندرست مدينة جرش وأصبحت كما يُقال أثراً بعد عين .

وكون مخلاف جرش عاصر الأزمنة الأولى من دولة الإسلام بما فيها من أحداث تاريخية ، وممارسات حضارية ، خاصة الصناعية والتجارية منها بسبب أهمية موقعه ما بين الحجاز واليمن ، لهذا وجب علينا أن نبذل ما في وسعنا في البحث عن معالم هذا المخلاف ، وهذا العمل يقع على كاهل الأثريين والمؤرخين في الدرجة الأولى، لأن الكشف عن الصور الحضارية في هذه المنطقة مفخرة لأبناء الجزيرة خاصة ، وللمسلمين عامة ، لذا أرجو من إخواننا المختصين والمسؤولين في المؤسسات المختصة بهذا الشأن ، مضاعفة الجهود لنحصل ما يمكن الحصول عليه من الآثار العمرانية لهذه المدينة ومخلافها ، لتحكى لنا قصة حضارةا عبر العصور ...

والله الموفق ،،،

### سابعاً : الحواشي والتعليقات

- انظر: جمال الدين أبو الفضل بن منظور. لسان العرب ، تنسيق وتعليق علي شيري (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٩١٨هـ /١٩٨٨م ) جــ ٤ ، ص ١٩١ ــ
   ١٩٢ .
- كان لمكة المكرمة العديد من المخاليف التابعة لها ، سواء في المنطقة الواقعة بين حاضرة مكة والمدينة المنورة ، أو في الأجزاء الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، ولمزيد من التوضيح انظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان ، تحقيق أم . دي غوي (ليدن: مطبعة بريل ، ١٩٨٩م) ص ١٩١٤ ٣٧٠ (وهذا الكتاب ضمن الأعلاق النفسية لابن رسته ) ؛ أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ام . دي غوي (ليدن: مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م)
- انظر : أبو محمد عبدالملك بن هشام. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم ، د. ت ) ص ١٩ ح ٢ ؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق ، مصطفى السقا ( بيروت : عالم الكتب ،
   ١٤٠٣ . ص ٢٧٦ .
- ع ـ شـهاب الديـن ياقوت الحموي . معجم البلدان ( بيروت : دار صادر وبيروت للنشر ،
   ٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) جـ ٢ ، ص ١٢٦٠ .
  - ٥ \_ البكري ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .
    - ٦ ــ ياقوت ، جــ ٢ ، ص ١٢٦ .
- انظر: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم. جهرة أنساب العرب ، تحقيق: لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ، ص ٤٣٦ ، ٤٧٨ ؛ الحسين البين علي بن الحسين الوزير المغربي ، الإيناس في علم الأنساب ، ( الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٥هـ / ١٩٨٠م ) ص ١٠٩ ، ١٢٩ .
  - ۸ \_\_\_ ياقوت ، ج\_\_ ۲ ، ص ۱۲۹ .

- ٩ ـــ وهـــذا يـــدل على الوفاء ، بالعهد ، واحترامهم له ، وربما أنه لا يملك سوى هذا الثور ،
   و مـــع هذا ضحى بقوام عيشه في سبيل احترام وعده والوفاء به ، ولعمري إن هذا العمل من أنبل الصفات .
  - ۱۰ ـ ابن منظور ، جـ ۲ ، ص ۲۵۰ .
    - ١١ \_ المصدر نفسه.
- ١٢ ـــ ابــن خــرداذبة ، ص ١٣٣ ؛ محمد بن محمد عبدالله الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ( بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ) جــ ١ ، ص ١٤٩ ــ ا ، ص ١٤٩ .
   ١٤٩ . مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) جــ ١ ، ص ١٤٦ .
- ۱۳ \_\_\_ انظــر . أبــو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خــرداذبــة ، تحقيــق ، ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٩٨٩م) ص ١٨٨ ـ ص ١٨٨ .
- 1 لزيد من التفصيلات عن جرش في بعض الدراسات الحديثة انظر : حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ( الرياض : دار اليمامة للبحث والسترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ) ص ٤٢ ـ ٤٩ ؛ محمد أحمد معبر . جرش من المراكز الحضارية القديمة ( خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / من المراكز الحضارية القديمة ( خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ) ص ١٣٠ وما بعدها ، سعيد بن عياش . " مدينة جرش الأثرية وما يقربها من المواضع " مجلة العرب ، جد ٤ ، السنة السادسة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ) ص ٢٤١ ـ ٢٤٨
- انظر : الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحسوائي ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ) ص
   ٣٣٨ ـ ٣٤٠ .
  - 17 \_ معلومات مستقاة من مشاهدات الباحث .
- 1۷ ــ ولـــلمزيد مــن التفصــيل عــن أفخاذ وعشائر بلاد قحطان وشهران وعسير، وأماكن استيطائهم، انظر كتاب ، هاشم سعيد النعمي . تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، ( د.م : مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، د. ت ) ، ص ٣ وما بعدها .

- ۱۸ ـ الهمداني ، ص ۲۵۵ ـ ۲۵۲ .
- 19 \_\_\_\_\_\_ وقبائل عسير الأساسية هي: بنو مغيد، وعلكم ، وبنو مالك، وربيعة، ورفيدة ، ولكن في القرين المثالث عشر والرابع عشر الهجريين توسع مفهوم اسم عسير حتى صار يشمل السبلاد الواقعة بين غامد وزهران في الشمال ، وظهران الجنوب في الجهة الجنوبية ، وليمزيد من التوضيحات عن مسمى عسير قديمًا وحديثاً ، انظر . علي أحمد عيسى عسيري . عسير من 174ه م / 174ه م / 174م ( أبحًا : نادي أبحًا الأدبي ، ٧ ١٤ هم / 194٧ م ) ص ٣٣ وما بعدها ؛ غيثان بن علي جريس . صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول. ( جدة : مطابع البلاد للنشر ، ١٤ هم / ١٩٩٣ م )
- ٢٠ ـــ انظر . مجلة أطلال ، الصادرة عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (الرياض ، عدد ...
   ٥) ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) ص ٢٥ ــ ٢٦ .
- ٢١ ــ تندحة : عبارة عن مجموعة قرى تغطي مساحة من الوادي الكبير المسمى بالتندحـــي الذي تنحدر سيوله تجاه الشرق والشمال الشرقي حتى تصب في وادي بيشة ، وتربة بلاد تندحة من أخصب الترب بفضل ما يمنحها واديها من الطمي ، وفواكهها ولا سيما الرمان من ألذ الفواكه لاعتدال جوها ، ومياهها متوفرة قل أن تنضب ، ويقطنها من القبائل بعض عشائر قبيلة كود الشهرانية ، وتغطي حوالي نصف بلاد تندحة ، ثم قبيلة آل الزلال ، وقبيلة آل مستنير ، والمزارقة ، وبني سامة ، وآل عجير ، وآل الذئب ، وكل هذه القبائل شهرانية ما عدا آل مستنير فمن رفيدة قحطان . مشاهدات الباحث في بلاد قحطان وشهران من ( ٠ ١ ــ ٣٥/٥/١٣ ــ) .
  - ۲۲ \_ قدامة ، ص ۲۳۴ .
  - ۲۳ ـ اليعقوبي ، ص ۳۱۷ ـ ۳۱۸ .
- ٢٤ ــ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته. كتاب الأعلاق النفسية ، تحقيق ، ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م ) ص ٩٦ .

- ۲۵ \_ ابن خرداذبة ، ص ۱۳۳ .
- ۲۲ \_ الإدريسي ، جـ ۱ ، ص ۱٤٦ .
- ۲۷ \_ انظر : البكري ، مج ۱ ، جـ ۱ ، ص ۳۷٦ ، ياقوت ، جـ ۲ ، ص ۱۲٦ ، ابن منظور ، جـ ۲ ، ص ۲۵۰ .
  - . ۲۸ ــ ابن منظور ، جــ ۲ ، ص ۲۵۰ .
- ٢٩ ــ للمزيد من التفصيلات عن صرد بن عبدالله الأزدي ( رضي الله عنه ) انظر : عز الدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة ( بيروت : دار إحياء التراث العربسي ،
   د. ت ) جــ ٣ ، ص ١٧ .
- ٣ وللمزيد من التفصيل عن محاربة صرد بن عبدالله الأزدي لأهل جرش ، ثم هزيمتهم ، انظر: ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ٢٣٤ ؛ محمد بن سعد ، الطبقات الكبـــرى ( بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) . جـ ١ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، ٣٣٨ ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ( بيروت: مؤسسة الرسائــة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) جـ ٣ ، ص ٢٢ ـ ٢٢١ ؛ محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ( بيروت : دار سويــدان ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٢م ) جـ ٣ ، ص الفضل إبراهيم ، ( بيروت : دار سويــدان ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٢م ) جـ ٣ ، ص
  - ٣١ \_ ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .
- ٣٧ \_ محمد حميد الله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ) ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .
- ٣٣ ـ ويتضــح أن الرسول (ه) حفظ لأهل جرش حماهم بقوله : « فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت » ، أي فمن رعى حمى أهل جرش ، فلا ضامن على من أهلكه . وقوله عليه الســـلام : " وأن زهــير بن الحماطة ... " والمذكور أن ولد زهير ارتكب في خثعم أمراً أوجــب الضــمان ، فضمنه زهير لهم ، فأمر الرسول (ه) بإمساك زهير أخذاً بضمانه

- لجريــرة ابنه. انظر، محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ ــ ، ٢٩٠ ، وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر تفصيلات أكثر . صالح أحمد العلي "الحمى في القرن الأول الهجري" مجلة العرب ، جــ ٧ ( ١٣٨٩هــ / ١٩٦٩م ) ، ص ٣ وما بعدها .
- ۳٤ ــ انظــر ، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ۱٤۰۳هــ / ۱۹۸۳م ) ص ۷۰ .

- ٣٧ \_ انظر : أحمد بن حنبل . مسند الإمام أحمد بن حنبل ( بيروت : المكتب الإسلامسي، ٣٧ \_ ١٣٩٨ .
- ۳۸ ـ للمزید من التفصیلات عن شخصیة عمرو بن معدي کرب الزبیدي ، انظر . عبد الله بن مسلم بن قتیبة . الشعر والشعراء ، تحقیق حسن تمیم و عمد عبد المنعم العریان (بیروت : دار إحیاء العلوم ، ۱٤۰۷هـ / ۱۹۸۷م ) ص ۲٤۰ ـ ۲٤۲ ، ابن سعد ، جـ۱، ص ۳۲۸ ، البلاذري ، ص ۳۲۸ ـ ۲۷۷ ، ۲۷۷ .
- ٣٩ ـــ لــــلمزيد عـــن ارتداد الأسود العنسي ، وعن المناطق التي سيطر عليها في أثناء ارتداده ، انظر: الطبري ، جـــ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .
- ٤٠ وللمزيد من التوضيحات عن حركة المرتدين في شبه الجزيرة العربية عامة ، وفي بلاد قمامة والسراة خاصة ، انظر : الطبري ، جــ٣ ، ص ٢٢٣ وما بعدها ، عبد الوهاب النجار ،
   الخلفاء الراشدون ( بيروت : دار الفكر ، د. ت ) ص ٤٦ ــ ٥٦ .

- ٤١ \_ كان أغلبهم من قبائل الأزد وبجيلة وخثعم ، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتد معه ، ثم تفسريق جمعهم ، عاد بعضهم إلى الإسلام ، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام ، حيث نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العسراق لمحاربة الفرس ، انظر: الطبري ، جــ ٣ ، ص ٤٨٤ .
  - ٤٢ ـ الطبري، جـ٣، ص ٣٢٠.
- - ٤٤ \_ انظر: الطبري، جــ ، ص ٣٢٦، ٣٢٦ \_ ٣٢٨ .

الإسلامي الوسيط " مجلة العسرب ، جـــ ، ، س (۲۷) ( الربيعان ، ۱۶۱۳هـ / ۱۶۱۳ می ۱۶۹۳ می ۱۶۱۳ می ۱۶۹۳ می ۱۶۹۳ و للمؤلف نفسه . " بلاد السراة من خلال کتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، العدد الثالـــث السنه (۱۹) ( ربيع الآخــــــر والجماديان / ۱۶۱۶هـ / ۱۹۹۳م ) ص ۲۷–۱۱۱ ،

٢٤ - تشــير بعض المصادر إلى أن يعلى بن منبه كان والياً على بلاد اليمن أثناء خلافة أبي بكر المصديق ، لكـنها لم تشر إلى الحدود التي شملتها هذه الولاية ، إلاّ أن من المؤكد وطبقاً لـرواية بعــض المصادر ، فإنما المنطقة الممتدة جنوبي مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضــر اليمن الكبرى ــ وبهذا ــ فمخلاف جرش يأيّ ضمن تلك الأجزاء المذكورة ، وربحــا كانت ليعلى بن منبه الولاية العامة على تلك المناطق المشار إليها ، ومن الجائز أنه كان يستعين ببعض الموظفين والعمال وشيوخ القبائل الخاضعة ضمن إطار نفوذه الجغرافي في المستطقة . (ولــلمزيد من التفصيل عن الإدارة في الدولة الإسلامية ، وإدارة الجزيرة العربية ونواحيها المختلفة ، انظر : حسام الدين السامرائي . المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة ( ٧٤٧ ــ ٣٣٤هـــ / ٨٦١ ــ ٥٤٩م ) ( دمشق : دار الفتح ، العباسية خلال الفترة ( ٧٤٧ ــ ٣٣٤هـــ / ٨٦١ ــ ٥٩٩م ) ( دمشق : دار الفتح ، العهــود الإســلامية الأولى " مجــلة كلية الآداب ،عدد (١٥ ) (١٩٧٧م) ص ٢١ ـــ ٢٤٧ . وللمؤلف نفسه " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى "مجـلة الأبحاث، سنــة العرود المرود ا

Jacob Lassner "Provincial Administration Under the Early Abbasid: The Ruling Family and the Amsir of Iraq. Studia Islamic. VOL. 50 (1979) PP. 21-35, J. Lassner. "Provincial Administration Under the Early Abbasid: Abu-Jafar al-mansur and the Governore of the Haramayn" Studia Islamica, Vol. 49 (1979) PP. 39-54, S.B. Samadi. "Some Aspect of the theory of the State and Administration Under the Abbasids" Islamic Culture. Vol. XXIX, No. 2 (1955) PP. 120-150, Hugh Kennedy, "Centeral Government and Provincal Elites in The Early Abbasid Caliphate "Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Vol. XLIV, (1981) PP. 26-38; Ghithan .A. Jrais," The Governorship in the Hijaz During

The Early Abbasid Period ( 132 - 232 A. H. I 749 - 846 ) Ages (عصور) Vol. 7, part . I (1992)PP. 13-21 .

- 27 وبعد عصر الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين ، بعد انتقال مركز الخلافة الى دمشق وبغداد ، اشتغل الخلفاء باستقطاب القلوب وتأليف النافرين ، ولم يعط خلفاء تلك العصور الجزيرة العربية الأهمية التي كانت عليها في أيام الرسول (هم) وزمن الخلفاء الراشدين ، رغم ألهم أولوا اهتمامهم بالحرمين الشريفين لمكانتهما المقدسة ، بل انصب جلل اهتمامهم بمناطق أخرى لها ظروفها المختلفة التي تستدعي ذلك الاهتمام ، كالعراق ولادارس ، وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وأفريقيا . أما البلاد الممتدة من الحجاز جسنوباً إلى بلاد جرش فقد أنيط أمر الاهتمام بما إلى عمال مكة المكرمة (شكلياً ) وترك أمر إدارة الداخلية لأهلها شألها في ذلك شأن كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية . أمر إدارة العلي "إدارة الحجاز ..." ، ص ، 1 وما بعدها ؛ غيثان على جريس . "مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز ( ١٣٧ ــ ٢٣٧هـــ ) مج عمل من تفصيلات أكثر ، انظر ، المراجع الواردة في ملاحظة (٢٤١) .
- 43 ــ لمسزيد مسن التفصيل عن مدينة حلي بن يعقوب في قمامة ، ومن استوطنها خلال القرون الإسلامية المبكرة ، انظر . الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حسلسي .... " ص 1 ا وما بعدها ، العقيلي . تاريخ المخلاف ، جــ ١ ، ص ٢٧ وما بعدها ، عاتق بن غيــث السبلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) . ( مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ٤٠٤ اهـ / ١٩٨٤ م ) ص ١٧٦ ـ ٢٠٠ .
- 93 سليمان بن طرف الحكمي ، من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف السليماني منذ ظهور الإسلام ، ومنهم عبد الجد الوافد على الرسول ( ق ) والذي أفرشه رداءه ، وقد سمي المخلاف باسم سليمان بن طرف الحكمي ، ولا زال يحمل المخلاف هذا الاسم إلى هذا الوقت، لمزيد من التفصيل، انظر : العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، جــ ١ ، ص ١٧ ومــا بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان ، ص ١٧ وما بعدها .

- ٥ \_ بــــلاد عك والأشاعرة في الأجزاء التهامية ، ويذكر ألها كانت من مخاليف مكة ، وللمزيد من التوضيح انظر : الطبري ، جـــ٣ ، ص ٣٢٠ \_ ٣٢١ ، البكري ، مج٢ ، جـــ٣ ، ص ٣٢٠ \_ ٣٦٢ .
- ولمسزيد مسن التوضيح عن دولة بني زياد ومدى نفوذها ومواجهتها للفتن والتورات التي قسامت في بلاد اليمن ، انظر . عبد الواسع يجبى الواسعي . تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهمسوم والحسزن في حسوادث وتاريخ اليمن (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، عمد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) ص ١٦٠ وما بعدها ، العقيلي . التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، جسر ١٠٠ م ٧٠ سر ٢٠٠ .
  - ٥٢ ــ المصادر نفسها.
- ٣٥ ـــ انظــر ، محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ ، انظر : صالح العلي " الحمى .. " ص ٣ وما بعدها .
- ٥٥ ... يـــاقوت ، جــــ ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن منظور ، جـــ ٢ ، ص ٢٥٠ . ويلاحظ أن النوق لا زالت تستخدم في عصر السمسم في تمامة بلاد عسير إلى وقتنا الحالي .
  - ٥٦ ـ العثرية: المناطق الزراعية التي تعتمد في سقيها على الأمطار.
- ولسلمزيد مسن التفصيلات عن صادرات بلاد السراة ، بما فيها مخلاف جرش ، انظر : الهمسداني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ وما بعدها ، محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جسبير ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د. ت ) ص ٢٠١ ــ ٥٠٠ ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط " ، ص ٢٠٧ ــ
  - ٥٨ \_ أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .

- انظر ، عبد الملك بن قريب الأصمعي . كتاب النخل والكرم ، نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي ( بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٩١٤م ) ص ٧٥ .
- - ٣١ البكري ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٣٧٦ ، الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٦ .
- 7.7 أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس النباتي ، جمع محمد حميد الله ( القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، ١٩٧٣م ) ص ١٥٤ ١٥٩ . وقد يلاحظ المشاهد ٢٤٥ ، انظر ، أيضاً ، اللسان لابن منظور ، جــ ٢ ، ص ٢٥٠ . وقد يلاحظ المشاهد في بسلاد عسير في وقتنا الحالي كثرة إنتاج العنب والفواكه والخضروات المتنوعة في أجزاء عديدة من المنطقة .
- ٦٣ عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . كتاب تقويم البلدان ( باريس : دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠ ) ص ٩٥ .
  - ٦٤ ـ الإدريسي، جـ١ ، ص ١٤٦ .
    - ٣٥ \_ محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .
  - ٦٦ ــ أبو الفداء ، ص ٩٥ ، ابن المجاور ، جــ ١ ، ص ١٣ .
- النظر : أحمد بن التوضيحات عن طريقة دباغة الجلود ، والظروف المساعدة لمهنة الدباغة ، النظر : أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، الجزء الثالث ، والنصف الأول من الجمدزء الخامس ، تحقيق ، بسي لوين (فيستبادن ، د. ن ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ) ص الجمدزء الخامس ، تحقيق ، بسي لوين (فيستبادن ، د. ن ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧١م ) ص ١٠٤ عمد عمر عمد العرب في مستهل الإسلام " المحمد العرب ، جد ٧ ، ٨ (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ) ص ١٩٨٥ ـــ ٥٥٥ ، أحمد عمر الزيال عمادة شؤون الريال عمادة شؤون الكتبات ، جامعة الرياض ، ١٩١١هـ / ١٩٨١م ) ص ١٨٩٩ ــ ١٩٩١ .

- ٦٨ \_\_ انظــر: ياقوت، جــ ٢ ، ص ١٢٦ ، جواد علي ، جــ٧ ، ص ٥٨٧ ، الزيلعي ، مكة
   وعلاقاتما الخارجية ، ص ١٨٩ \_\_ ١٩١ .
  - ۲۷۷ . ابن منظور ، جــ ٤ ، ص ۲۷۷ .
  - ٧٠ \_ المصدر نفسه ، جــ ٩ ، ص ١٢٣ .
  - ٧١ \_ ابن هشام ، جــ ٤ ، ص ١٢١ ، الطبري ، جــ ٣ ، ص ٨١ ــ ٨١ .
- ٧٧ ــ لمزيد من المعرفة عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن ، ويأتي من شرق بلاد جرش ، انظر . ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ ــ ١٣٣ ، قدامة ، ص ١٨٧ ــ ١٩٠ ،
   الإدريسي ، جــ١ ، ص ١٤٤ ــ ١٤٩ .
  - ٧٣ ـ الهمداني ، ص ٢٥٥ .
- ٧٧ كان العرب ولا زال بعضهم ينظر إلى المهن والحرف الصناعية (كالحدادة ، والصياغة ، والنجارة وغيرها ) نظرة ازدراء ، ثم إن السواد الأعظم من العاملين فيها كانوا من الموالي والعسبيد ، أو مسن اليهود والنصارى . وللمزيد من التفصيلات عن وضع الحرف عند العرب والمسلمين خلال العصور المختلفة ، انظر:جواد علي،جـ٧، ص٣٤٥ وما بعدها، عبد العزيز إبراهيم العُمري . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرســـول (كلا) (الدوحــة: مركــز الــــراث الشعبي ، ١٩٨٥م ) ص ٤٢ ٤٦ ، غيثان بن علي بن جسريس " أهـــم الحــرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل، العدد (٤٩٢) مج٥٥ ( ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ) ، ص ٨٧ ٥٦ .
  - ٧٥ \_ البلاذري ، ص ٧٠ .
- ٧٦ وللمزيد من التفصيلات عن بعض النواحي الاجتماعية في بعض من أجزاء العالم الإسلامي خـــلال العهــود الإســـلامية الأولى ، انظر . عبد الله محمد السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت:مؤسسة الرسالة ، ٣٠١٤هـ / ١٤٠٣م) .

M.M. Ahsan . Social Life Under The Abbasids (London: Longman, 1979); G.A. Jrais . The Social Industrial, and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids (132 - 232A. H/749 - 847 A.D.), Unpublished ph. D. thesis University of Manchester, England, (1989).

## الدراسة الرابعة :

بلاد الســراة من خلال كتــــــاب صفة جزيرة العرب للهمدانيُ <sup>\*</sup>

إعداد

# أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد

<sup>(\*)</sup> هذه الدراسة منشورة في مجلة الدارة ، العدد الثالث السنة (١٩) (ربيع الآخر ، الجماديان /١٤١هـ ) ص ٧٦ ـ ١١١ . ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٢٧) جمادى الأولى (٢٠١هـ/ ١٤٢٠م) ص ١٤ ـ ٤٤ .

## محتويات الدراسة الرابعة

## بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني

الصفحة	الموضوع	السلسل
18189	مقدمة	أولاً :
177-17.	شخصية الهمداين وحياته	ثانيـاً :
128-188	جغرافية السراة الطبيعية والبشرية	ثاثثاً:
181-188	الحياة الاجتماعية	العاً:
101-181	الحياة الاقتصادية	خامساً :
108-101	الحياة العلمية والفكرية	سادساً :
108	معوقات حضارية	سابعاً :
100	الخاتمة	ثامنــاً:
178-107	الحواشي والتعليقات	تاسماً :

#### بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانـــي

#### أولاً: مقدمــة

يعود السبب في اختياري هذا البحث إلى محاولة معرفة بعض الجوانب التاريخية والسياسية والحضارية لبلاد السراة الممتدة من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً . ومن يستقصى تاريخ هذه المنطقة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة يجد شح المادة العلمية التي تتعرض لها ، مع العلم أن بها بعض العوامل المساعدة لنشوء تاريخ وحضارة بها ، فهي حلقة الوصل بين اليمن في الجنوب والحجاز وما يليها من البلاد الممتدة شمالاً ، إلى جانب كثافتها البشرية التي ساهمت وتساهم في أعمال حضارية متنوعة داخل البلاد وخارجها ، مع ما بما من الموارد الاقتصادية المتعددة كالزراعة ، وممارسة الكثير من الصناعات اليدوية والحرف التقليدية ، وكذلك النشاطات التجارية المختلفة في كثير من السلع . وتوفر مثل هذه الأمور في بلاد السراة لم يكن مغرياً للجغرافيين والمؤرخين ، فيدونوا بعض الجوانب التاريخية والحضارية عن هذه البلاد ، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريس المنطقة لما يوجد بما من جبال ، ووهاد ، وهضاب وعرة المسالك ، أدى هذا إلى عدم الرغبة عند المؤلفين الأول ، فلم يكن مجال اهتمامهم ، وإن توفرت الرغبة للبعض منهم ، بأن ينطلقوا من الحجاز متجهين صوب اليمن عن طريق الساحل ، أو عن الطريق الواقعة في الأجزاء الشرقية من بلاد السراة، لا سيما وألها كانت مرتبطة منذ أمد بطرق تجارية عدة ، يطرقها الطراق باستمرار ، الأمر الذي جعل الطريق الواقعة في المناطق المرتفعة من السراة ، والممتدة من الطائف شمالاً إلى نجران وصعـــدة وصنعاء جنوباً ، مهملة نوعا ما ، إلى جانب التركيبة القبلية المتينة فيها ، مع صعوبة ساكنها ، مما ساعد على انطوائها على نفسها ، فقلت المعلومات عنها ، وهذا من الأسباب التي جعلتني أخوض بقلمي مع صعوبة مهمتي في الحديث عنها من خلال كتاب " صفة جزيرة العرب للهمداين " الذي أسهب أكثر من غيره من كتب التراث الإسلامي في الحديث عسن الناحية الجغرافية لبلاد السراة ، وعن التركيبة السكانية فيها ، فأشار إلى بعض الجوانب الاجتماعية والطرق المعيشية ، وإلى بعض الأحوال التجارية ، والفكرية والعلمية ، وإلى التقسيمات الإدارية ، والطرق الزراعية والرعوية وغيرها ، وبعمله هذا يكون مؤلفه ( صفة الجزيرة ) أفضل من غيره في تدوين هذه الجوانب عن بلاد السراة خلال الفترة التاريخية الإسلامية الأولى منها والوسيطة ، لهذا كان اعتمادنا عليه راجين من الله السداد .

## ثانياً : شخصية الهمداني وحياته :

الهمداني ، هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، يكنى بابن يعقوب ، ويعرف بالنسابة ، وبابن الحائك ، ويسمي نفسه بـ ( لسان ليمن ) ، ويكني نفسه بأبي محمد ، وهو من أسرة اتخذت بلاد همدان في اليمن مقراً لها ، وقد تحدث عنها في الجزء العاشر من كتابه ( الإكليل ) حديثاً مستفيضاً ، عندما تطرق في حديثه عن همدان وأنسائها ، وعيون أخبارها وأن والده كان تاجر ذهب في تجارة له إلى حواضر الشام والعراق ومصر (1) .

أما مؤرخنا الحسن \_ الملقب بالهمداني \_ فقد ولد في شهر صفر سنـ \_ فلاد (٢٨٠هـ /٨٩٣م) في بلاد همدان باليمن ، ولكن المصادر المعاصرة لم تذكر شيئاً عن طفولته ، وما إن أصبح شاباً حتى عمل مع أبيه وأقاربه في مهنة الجمالة التي كانت قائمة آنذاك على نقل الحجاج والتجار من حواضر اليمن إلى الطائف ومكة المكرمة في الحجاز ، وقد أشار الهمداني إلى ذلك بقوله : وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة (٢) . وسنحت له الفرصة ، أثناء تنقله بين مدن اليمن والحجاز ، أن يلتقي برجال الفكر من العلماء والمشائخ ، وخاصة في مكة المكرمة ، فدرس على

أيديهم ، وتعلم منهم الشيء الكثير ، فتوسعت مداركه ، ونضجت معارفه ، وازدادت خبرته في الحياة لكثرة ما شاهد ورأى ، مما زاده معرفة في النفوس بمختلف أصنافها ومستويات علمها ، وطرائق عيشها ، الأمر الذي أهله لأن يكون علماً من أعلام الفكر والمعرفة في زمنه ، فألف العديد من المؤلفات في الأنساب ، والتاريخ ، والجغرافيا، والآثار ، وغيرها من العلوم الأخرى ، وذاع صيته بين الناس ، وأصبح معروفاً عند العلماء بفصاحة لسانه وقوة قلمه ، وقد أثنى عليه بعض العلماء فقالوا: (إنه لم يولد مثله في اليمن ، علماً وفهما ، ولساناً وشعراً ، ورواية وذكراً ، وإحاطته بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب منها والشعر " ويبدو من هذا الوصف تنوع ثقافته التي تمتع بما دون سواه ، والدليل على ذلك كثرة مؤلفاته في مختلف ضروب العلم والمعرفة .

وإذا استقرأنا ذكر مؤلفات الهمداني نجدها كثيرة ، ولكن للأسف لم نعثر إلا على القليل منها ، مما اتسم بذكر الأحداث التاريخية والأنساب والأخبار عن بالا اليمن ، وكتابه الإكليل ، الذي يقع في عشرة أجزاء ، يتصف بهذه الصفات ، ومما وصلنا من هذا المصدر أربعة أجزاء : الأول ، ويتحدث عن أصول العرب والعجم وأنسابهم ، وخاصة نسب حمير . والجزء الثاني ، ويتحدث عن ولد الهميسع بن حمير ، وقد طبع الجزءان لأول مرة في القاهرة عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٩م) . أما الجزء الثامن فيتحدث عن محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ، ومراثي حمير والقبور ، وقد طبع لأول مرة في بغداد عام (١٣٥٠هـ/١٩٣٩م) .

والجزء العاشر ، يتضمن أخبـــار همدان وأنسابها ومعارفها ، وطبع لأول مرة بالمطبعة السلفية ، بالقاهرة ، عام (١٣٨٨هـــ /١٩٦٨م ) .

أما كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، فهذا يعد من أبرز كتبه لأهمية مضمونه ، لأنه يتعلق بالمعدنين الذهب والفضة ، من حيث طرق

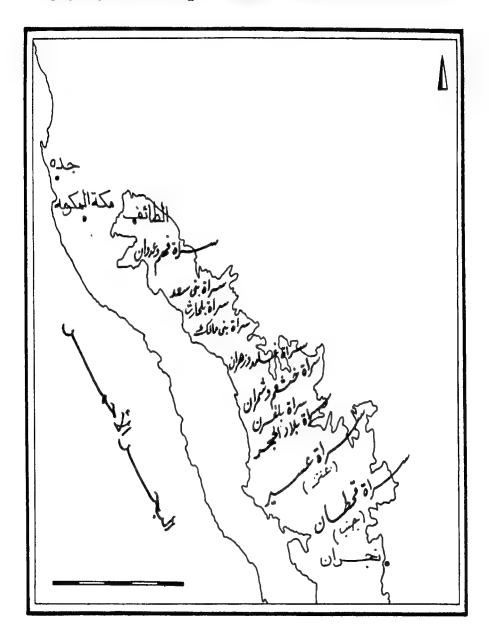
تعدينهما وصياغتهما ، وضرب عيارهما ، وكل ما يتصل بهما في جزيرة العرب ، وبخاصة في بلاد اليمن . وقد ترجم إلى الألمانية ، ثم نشر باللغتين العربية والألمانية من قبل الأستاذ كريستوفرتل (Christophertoll) بمدينة أبسالا في السويد سنسسسة (١٣٨٨هـ /١٩٦٨م ) .

أما كتابه (صفة جزيرة العرب) الذي وصلنا جزء منه، فهو (كما أشرنا آنفا ) المركيزة الأساسية في بحثنا ، ويحتمل أن يكون من خاتمة مؤلفات الهمداني ، لأنه يشير فيه إلى كتابه الإكليل . ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيمة عن شبه الجزيرة العربية ، وبلاد اليمن خاصة، وقد امتازت معلوماته بدقة الوصف إلى جانب الشمولية والتعليل . والذي يهمنا من هذا المؤلف ، ما كتب عن المناطق المرتفعة والواقعة جنوب الطائف والممتدة جنوباً صوب نجران ، والتي أطلقنا عليها اسم « بلاد السواة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمدائي » (انظر الخريطة المرفقة مع هذه الدراسة) . وقد استعنا بمؤلفات الهمداني الأخرى التي ورد فيها معلومات ذات بال تعزز بحثنا . ونظراً لأهمية كتاب "صفة جزيرة العرب " فقد طبع عدة مرات ، وأول طبعة له كانت في هولنده ، كتاب "صفة جزيرة العرب " فقد طبع عدة مرات ، وأول طبعة له كانت في هولنده ، عام ( ٢٠٢ هـ /١٨٨٤ م ) ، ثم تلت تلك الطبعة طبعات أخرى ، كان أفضلها الطبعة التي حققها ، محمد بن علي الأكوع الحوالي ، والذي أشرف على إخراجها همد الجاسر عام (١٣٩٧هـ /١٩٧٧ م ) ، ولكونها امتازت بالصفات التي ذكرت عنها مقارنة بغيرها من الطبعات الأخرى ، لذا كانت الأساسية عندنا في هذا البحث .

## ثَالثاً : جغرافية السراة الطبيعية والبشرية :

السراة: لغة ، أعلى الشيء ، والسراة عند العرب تعني ـ أيضاً ـ الجبال المـــتقاودة ، الآخـــذ بعضها برقاب بعض ليس بينهما فاصل تام ، والسراة هنا : هي السلسلة الجبلية الواقعة غرب بلاد العرب ، والممتدة من اليمن جنوباً إلى الحجاز ثم الشام شمالاً ، وتخترق هذه السلسلة أودية وشعاب كثيرة يشرق بعضها ، وبعضهــــا

# خارطة توضح السروات الواقعة بين الطائف ونجران



يغرب ، وهي ليست في مستوى واحد من حيث الاستواء ، فمنها الشامخ في العلو ، ومنها المنخفض ومنها المتوسط في الارتفاع . وقد أطلق بعض الجغرافيين القدامى على هذه السلسلة اسم الحجاز ، لأنها حجزت بين الأغوار التهامية الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر (غرباً) ، والهضاب الشرقية الممتدة صوب نجد شرقاً (٤) . ويطلق على هذه السلسلة اسم ( الطود ) ونخص بهذه التسمية الجزء الجنوبي من جبال السراة ، الذي يبتدئ بالطائف شمالاً وينتهي بنجران ثم صعدة وصنعاء جنوباً ، ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الجبال بـ (الجبل الأسود) ، ربما لأن صخوره بركانية سوداء ، كما يسمى بالسراة ، أو السروات ، وكل قسم فيه ينسب إلى القبيلة التي تسكنه ، وقد يدعى سراة دون آل التعريف . أما القسم الشمالي من السلسلة الممتدة من شمال مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وما يأتي بعدها فيسمى بحجاز المدينة أو السراة (٥) .

وطول جبال السراة وعرضها ، وأقسامها مثار خلاف عند المتقدمين من الجغرافيين والمؤرخين ، وفي الغالب ألها تشمل الجبال الممتدة من الطائف شمالاً إلى اليمن جنوباً ، لكن الجبال الممتدة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ثم بلاد الشام ، والمسماة هي الأخرى بالسراة ، ليست مجال حديثنا الآن لألها لا تدخل ضمن بحثنا ، لكنها بدون شك تختلف عن الأجزاء التي نحن بصددها من حيث الارتفاع ، والاتساع والسمات التضاريسية والمناخية ، لكنها تماثلها في التكوين الجيولوجي ، وتمتاز الجبال المستدة من الطائف إلى نجران ثم صنعاء وصعدة في اليمن ، بألها متقاربة من بعضها متشابحة بمناخها .

ويعد الحسن بن أحمد الهمداني الشخصية المعرفية في أرض السراة وسكالها ، لكثرة تنقله في أرجائها ، وله رأي في تسميتها ، حيث يقول : " السراة هو ما استوسق واستطال في الأراضي من جبال هذه الجزيرة "(١) . لكنه لم يحددها ، وعند حديثه عن أطرافها الجنوبية الممتدة إلى داخل اليمن ينسب الأرض إلى القبيلة ، كسراة الكلاع ،

والمعافر ، وحرولان ، وغيرها (٧) . وفي حديثه عن السروات أثناء رحلته جنوباً غو الشمال عند وصوله إلى نجران وما بعدها شالاً ، أشار إلى سراة جنب ، ثم تابع حديثه قائلاً (ثم يتلوها سراة عنز ، وسراة الحجر نجلها خثعم ، وغورها بارق ، ثم سراة ناه الأزد وبنو القرن ، وبنو خالل ، نجلهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة زهران من الخال لشكر ، نجلهم خثعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران ، ثم سراة زهران من الأزد ، دوس ، وغامل ، والحر ، نجلهم بنو سواة بن عامر وغورهم لهب، وعويل بن الأزد ، وبنو عمرو ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامرية ، ثم سراة بجيلة فنجلها بنو المعترف ، وأصلهم من تميم ، وقال لي بعضهم ـ والقول للهمداني ـ إنهم من عكل ، وغورها بنو سعد من كنانة ، ثم سراة بني شبابة وعلوان ، وغورهم الليث ومركوب فيلملم ، ونجلها فيه علوان مما يصلى مطار ثم سراة الطائف غورها مكة ونجلها ديار هوائن (١) (٨) .

وبعد هذا الوصف الذي أورده الهمداني عن بعض بلاد السراة ، والقبائل التي تقطن فيها أشار أيضاً إلى بعض فروع تلك القبائل ومواطنها ، إما في الأغوار التهامية ، أو الأجزاء الشرقية النجدية ، ولكنه في مكان آخر من كتابه (صفة جزيرة العرب) (أ) وضع عصنواناً جانبياً سماه " أرض السراة" قال فيه ((شم يتلو معدن البرام ومطار صاعدا إلى اليمن ، سراة بني على وفهم ، ثم سراة بجيلة ، والأزد من سلامان بن مفرج ، وألع ، وبارق ، ودوس ، وغامد ، والحجر إلى جرش - ثم قال - وبطون الأزد مما تتلو عنز إلى مكة منحدر الحجر وباطنها في التهمة ألمع ويرفى ابنا عثمان في أعالي حلى وعشم ، وذلك قضر الحجر ، وتنومة والأشجان ، ونحيان ثم الجهوة وهي قرى لبني ربيعة من لبني ربيعة من الحجر أيضاً . وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيها أقصى الحجر أيضاً . وحلبا قرية لبني مالك بن شهر قبلة الحجر على هذا يمانيها مصال لعنز ومن شآميها بلد الوس والفزع من خثعم وشرقيها ما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب وغوريها بلد بارق .... (١٠٠٠)

وفي مكان آخر تحدث عن هجرة الأزد من بلاد اليمن بعد الهدام سد مأرب ، فقال : وأما من سكن السروات ، فالحجر بن لهنو ، ولهب ، وناه ، وغامد ، ومن

دوس وشكر وبارق السوداء وحاء ، وعلي بن عثمان ، والنمر ، وحوالة ، وثمالة ، وشكر وسلامان ، والبقوم ، وشمران ، وعمرو (١١) .

وفي أماكن أخرى يشير إلى بعض المواطن التي وجدت بما تجمعات سكانية ولهضة حضارية في عصره ، أمثال جرش (١٠) ، فيقول عنها «هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج (١) من أشراف حمير ، وهم من ولد يريم ذي مقار الفيل ، ولهم سؤدد ... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش (١٠) . ثم يواصل الهمداني حديثه عن موقع جرش وما جاورها من البلاد فيقول «فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز ثم يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عنز ، وعسير يمانية تنزرت ، ودخلت في عنز فأوطان عسير إلى رأس تيه ، وهي عقبة من أشراف تهامة ، وهي أبها ... "(١٠) .

ثم يفصل الحديث في ذكر مناطق مختلفة في منطقة جرش ، التي هي جزء من سراة عر ، ثم يقول ويأتي بعد سراة عر «سراة الحجر بن الهنو بن الأزد ، ومدنها الجهوة ، ومنها تنومة ، والشرع من باحان ، ثم يتلوها سراة غامد ، ثم سراة دوس ، ثم سراة فهم وعلوان ، ثم سراة الطائف » ("") . ولكنه في مكان آخر يفصل حديثه نوعا ما عن سراة الحجر بن الهنو ، فيقول في مطلع حديثه «فأول بلاد الحجر من نوعا ما عن سراة الحبل ساكنه بنو مالك ابن شهر ، وباحان به القرى والزرع ، يمانيها عبل واد فيه الحبل ساكنه بنو مالك ابن شهر ، وباحان به القرى والزرع ، وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر ، وذبوب وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر ، وذبوب قرية شعفية على رأس من السراة ... » (١٠) . ويواصل الهمداني حديثه عن بقية سراة قرية شعفية على رأس من السراة ... » (١٠) . ويواصل الهمداني حديثه عن بقية سراة الحجر ، وأحياناً يذكر بعض الأجزاء التهامية والنجدية لتلك السراة ، مع الإشارة إلى شيوخ بعض القبائل فيها ، ومثال ذلك يذكر بلدة نجيان التي هي جزء من أجزاء سراة الحجر ثم يورد اسمي علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين الحجر ثم يورد اسمي علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين العجر ثم يورد اسمي علي بن الحصين العبدي من بني عبد بن عامر ، وابن عمه الحصين

ابن دحيم ويشير إلى أنهما الحاكمان على نحيان ، ويذكر أيضاً مدينة الجهوة وزنامة العرق في السراة نفسها ، ثم يقول " وهي لجابرين الضحاك " (١٨) .

من هذا الوصف الموجز الذي أورده لنا الهمداني عن بلاد السراة ، يمكننا القول بأنه ترك لنا معلومات قيمة عن تلك البلاد ، بحيث لا نستطيع أن نجدها في أي مصدر آخر ، ولكن قبل الحوض في تحليل ما ذكر عن الأرض والسكان لبلاد السراة ، يجدر بنا أن نورد نبذة مختصرة عن التركيبة الطبيعية والبشرية لهذه البلاد في عصرنا الحاضر ، وذلك ليسهل الربط بين المواقع الحالية ، وبين المواقع التي ما زالت تحمل المسميات التي كانت أيام الهمداني ، والمواقع التي حرفت أسماءها وتغيرت عما كانت عليه في أيامه . ونقطة البدء في هذه النبذة تبدأ من الطائف في الشمال إلى نجران في الجنوب .

وأول جزء من سراة الطائف الهداة ، الواقعة غرب الطائف ، وهي عبارة عن جبل ضخم يسكنها قبائل من ثقيف ، ومعهم جماعة من هذيل ، ولذا يليها من الجنوب شفا هذيل ، ثم يليها شفا بني سفيان ، وهم بطن من ثقيف ، ويلي ذلك من الجنوب سراة بني سعد ، ثم سراة بالحارث ، وجميع السروات والأشفية تسمى بسراة الطائف ، وربما أطلق على الأجزاء المحاذية للقسم الجنوبي من الطائف سراة فهم ، وعدوان ، وقد تعرف بسراة بني شبابه وعدوان ، وغورها الليث ويلملم ، ونجدها وهي الأراضي الواقعة شرق أودية الطائف وجنوبها التي أشار إليها الهمداني باسم يصلى مطار . سراة بني مالك ، وهذه السراة التي كانت تعرف بسراة بجيلة على بعد مائة كيلو متر جنوب الطائف وتجري المياه المنحدرة من شرقها صوب تربة ، والمياه المنحدرة من غربها صوب الليث ، وقد سماها أحد الشعراء بسراة بني جرير ، نسبة إلى الصحابي جرير بن عبدالله البجلي (۱۹) ، الذي هجا خالد بن عبدالله القسري ، فقال :

#### تهنيُ الفخر فيُ قيس وقسر كأنك من سراة بنيُ جرير 🗥 .

أما سراة غامد وزهران ، فتبدأ من أول حدود بني مالك وبلحارث ، وتبدأ صحودا في جبل شمرخ الممتد جنوباً إلى بلد خثعم وشمران ، وتصب مياهها الشرقية ، شمالها في تربة ، وشرقها في رنية ، أما مياهها الغربية فتصب من الشمال إلى الجنوب في وادي عليب ، ووادي دوقة ووادي الأحسبة ، وكلها في الأغوار التهامية والباحة قاعدة سراة غامد وزهران (٢١) . وتقع سراة خثعم وشمران إلى الجنوب من سراة غامد وزهران ، والممتدة نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى السهل ، ومياهها الشرقية تصب في بيشة ، والغربية في وادي قنونا الذي يصب في سهول القنفذة من الشرق . أما سراة بلقرن الواقعة ما بين سراة خثعم وشمران في الشمال ، وبلاد الحجر في الجنوب ، وتصب مياهها الغربية في مناطق القنفذة وما حولها ، والشرقية في بيشة ، وقاعدة هذه السراة سبت العلاية .

وتمتاز سراة بلاد الحجر بطولها وعرضها ، فهي تمتد من بلاد بلقرن شمالاً إلى المسناطق القريبة من مدينة أنها جنوباً ، وتتكون من أربع قبائل هي : بنو عمرو ، وبنو شهر ، وبللسمر ، وبللحمر ، ومعظم قرى هذه القبائل تقع في الأجزاء السروية ، في حين أن هناك أفخاذاً وقرى في قمامة والبوادي تتبع بلاد السراة ، ومن أكثر المراكز فيها ، النماص ، وتنومة ببلاد بني شهر ، وسوق الاثنين ببلسمر ، وصبح ببللحمر ، وتصب مياه الحجر الغربية في واديين كبيرين هما (يبه) و (حلي) وكلها تصب جنوب القنفذة ، أما في شرقها فلا زال وادي بيشة يبتلع كل أودية السروات ، وأهم روافد بيشة ببلاد الحجر ، وادي ترج ، ووادي عياء ، ووادي صلحلح (٢٠٠) .

أمسا سراة عسير (عنسز) فتحيط بمدينة أبما ، وتشتمل على أشهر القبائل العسسيرية ، وهسي ، علكم ، وبنو مغيد ، وربيعة ورفيدة ، وبنو مالك . وكل هذه القسبائل تقطن في الأجزاء الجبلية من عسير ، ويتبعها قبائل رجال ألمع في قامة ، وقد

يدخل في هذه التبعية ، من حيث الموطن الجغرافي ، بعض قرى وأفخاذ وعشائر من قسبائل شهران ، ولا سيما القريبة منها بمدينتي أبحًا وخيس مشيط (٢٣). وتصب مياه سراة عسير الشرقية في وادي بيشة ، وتصل بين بيشة وسراة عسير بعض الروافد من أشسهرها ، وادي ذهبان ، الذي أطلق عليه فيما بعد اسم وادي ابن هشبل ، أما مياه السراة الغربية فتصب في مناطق البرك ، والقحمة ، والشقيق في تمامة ، وأهم الأودية ، وادي محسايل السذي يصسب في حلي ، ووادي ريم وعرمرم اللذان يصبان في مناطق الشسقيق ، أما وادي عتود فيصب في المناطق الواقعة إلى الجنوب من البرك ، والقحمة والشقيق

أمسا سسراة قحطان التي تندمج مع بعض عشائر شهران في بعض المواطن ، والمسماة قديماً بـ ( سراة جنب ، والواقعة إلى الجنوب الشرقي من سراة عسي "عسنو" ) ، وتسبداً هذه السراة بالمناطق الواقعة من الشمال والشمال الشرقي من سراة عسير إلى ديار نجران وما حولها في الجنوب . وغالبية سكان هذه السراة من قبائل قحطان ، كوادعة ، وسنحان ، وبنو بشر ، وعبيدة ، ورفيدة ، والجارمة ، وخطاب وقسبائل أخرى . وهذه السراة عبارة عن طود عظيم يقع ما بين السهول الممتدة شرقاً إلى التهائم غرباً ، ومياهها تتجه إلى ثلاثة اتجاهات ، شمالاً نحو بيشة ، وغرباً نحو بيش ، وأهل بيش في الغرب يتقاسمان الماء الآي من السراة الواقعة ما بين أبحا ونجران ، أما المياه الشرقية ، للسراة نفسها ، فتصب في واديين حبونن واليدمة نحو بلاد يام .

وسبق لنا أن أشرنا إلى رحلة الهمداني ، الذي انطلق من سراة جنب ( بلاد قحطان ) متجهاً من الجنوب نحو الشمال ، وأثناء رحلته ذكر سراة عنز ، وبعض المواطن والمراكز التي كانت بها ، ثم سراة الحجر ، وسراة بلقرن وغامد وزهران حتى وصل بذكره إلى بجيلة وعدوان والطائف ، ويستفاد مما ذكره أن هناك أسماء للسروات

ما زالت إلى يومنا هذا حية في الأذهان متداولة على اللسان ، وبعضها اندثر ، مثل ناه، وأحياناً تلفظ باه ، والخال لشكر ، وأحياناً أخرى يذكر أسماء أماكن في البوادي أو الأغرار ، فيشر إلى أن سكاها من قبائل بلاد الأزد السروية ، لكنه لا يذكر لأي الأفخاذ أو العشائر ينتمون، ولا ندري ما سرّ اختفاء هذه الأسماء، وما هي العوامل التي أدت إلى إخفائها . ومن سياق حديث الهمداني عن ناة أو بــــاة ، والخال لشكر ، وأيضاً بنو خالد ، تبين أن مواطنهم ربما كانت ببلاد سراة الحجر أو سراة بلقرن ، أو ضمن بعض الأجزاء الخثعمية ، شرق سراتي ، بلاد الحجر وبلقرن ، والدليل على هذا القول ، أن الهمداني نفسه ، يذكر سراة الحجر في أثناء ذهابه من الجنوب إلى الشمال ، ثم يذكر السروات التالية لبلاد الحجر نحو الشمال ، قائلاً «... وسراة من الأزد ، وبنو القـرن ، وبـنو خـالد ، نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد ، ثم سراة الخال لشكر نجدهم خثعم وغورهم قبائل من الأزد بن عمران " (٢٤) ، وهذا الوصف يذكر سراة الحجــر من الجنوب ، وخثعم من الشرق ، وبنو القرن ( الذين يطلق عليهم في وقتنا الحالي بلقرن ) في الوسط ، وربما إلى الشمال مع بعض عشائر خثعم ، ثم يلي ذلك بقية السروات السابقة الذكر ، كغامد ، وزهران ، وبجيلة وغيرها (٢٥٠) . وبهذا العرض الجغــرافي يتضح أن ناة ، وبنو خالد ، والخال لشكر ، كانت ربما مجاورة لبلاد الحجر مــن الشمال ، ومن المحتمل أن تكون مشاركة لها في بعض المواطن الشمالية ، أما بلاد بــلقرن فمن المؤكد أنما مجاورة لهم ، بل ومشاركة لهم في كثير من المواطن ، لأننا نجد الهمدايي في الوصف السابق يذكر ناة ثم بنو القرن ( بلقرن ) ، ثم بنو خالد ، والخال لشكر ، ثم غامد وزهران حتى يصل بلاد الطائف (٢٦٠). وسر اختفاء ناة والخال لشكر وبسنو خسالد ، ربما ألهم اندمجوا مع قبائل السراة المجاورة ، كسراة بلقرن ، أو بلاد الحجر، أو خثعم ، فصارا جزءاً منهم . وكما هو معروف أن القبائل الصغيرة تدخل تحت حماية القبائل الكبيرة ، إمّا بالغلبة ، أو الاستجارة ، أو الارتباط بالأحلاف ، ومع

مسرور الزمن تنسى القبائل الصغيرة أسمائها ، ويذوب كيانها في كيان القبائل الكبرى فتسمى بأسمائها (۲۷) .

وأورد الهمسدايي ذكر السروات في أكثر من مكان في كتابسه (صفة حزب ق العرب " فذكرهم وهو ذاهب من الجنوب إلى الشمال ، وذكرهم وهو ذاهب من الشــمال إلى الجنوب ، مع إيراد بعض الاختلاف لأسماء بعض السروات في كل مرة يدُهـب ويعود من عليها ، فعلى سبيل المثال ، سراة شبابه وعدوان ، الواقعة جنوب الطائف ذكرها بمذا الاسم ، ثم يعود مرة ثانية فيسميها ، سراة بني على وفهم ، وكلا الاسمسين صحيح ، لأن تلك الأجزاء تعرف باسمى سراة بني على وفهم ، وسراة شبابه وعدوان (٢٨) . أمّا بعض المواطن والقبائل في السروات ، فلم يذكرها إلا مرة واحدة . فمـــثلاً ، يقــول البقوم ، وشمران ، وعمرو ، وكل هذه الأسماء تطلق على عشائر أو قسبائل تشكل بموطنها جزءاً من بلاد السراة ، فشمران ، مثلا ، جزء من سراة خثعم وشمــران ، وعمرو جزء من سراة الحجر . وقد يتراءى للبعض أنَّ الهمدابي قد وقع في خطــاً ، ولكن الواقع كان يذكر أحياناً اسم السراة للتعميم ، وأحياناً أخرى يشير إلى جــزء مــنها ويسميه باسم القبيلة القاطنة فيه . ويتبين لنا من الوصف الجغرافي لبلاد السراة عند الهمداني ، الذي يعد وصفه أفضل وصف وصل إلينا في القرون الإسلامية الأولى ، أن معظم الأماكن السروية مسماة بأسماء القبائل والعشائر القاطنة فيها ، وأن دل هـــذا عــلى شيء ، فإنما يدل على الترابط الاجتماعي بين هؤلاء السكان ، الأمر الذي أكسبها قوة في بنيتها الاجتماعية تماثلت مع بنية التكوين لهذه الجبال ، وقد أدى هذا التماسك إلى التكافل الاجتماعي ، وإلى تعمق المفهوم القبلي ، رغم وجود الأنظمة السنظام القبلي ونظام السلطة العليا الممثلة في الدولة ، التي ضمنت الاستقرار والأمن للجميع بالتعاون معهم إدراكاً منهم بأهمية السلطة العليا وفائدها .

ولم يقتصر الهمداني في كتابه على وصف الأماكن وتسميتها بأسمائها الجغرافية، أو بأسماء القبائل أو العشائر القاطنة فيها ، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث يذكر مواقع هذه القبائل أو العشائر في بعض المواطن من بوادي ونجود وسهول وأغوار ، متتبعاً أفخاذ هذه العشائر أو القبائل في الأماكن التي استقرت فيها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يذكر بعض الحواضر والأرياف في أجزاء من السروات ، كتنومة ، ونحيان، والجهوة ، وعاشرة ، والعرق ، وأيد ، وحضر ، وباحان ، وبنو ثعلبة ، وبنو نازلة ، وهميع هذه المواطن من بلاد سراة الحجر (٢٩) ، والطريف في الأمر أن أغلبها إن لم يكن جميعها ما زال يحمل الاسم نفسه الذي كان يسمى به في عهد الهمداني ، ولا زالت أسماء هذه الأماكن متداولة على الألسن إلى يومنا هذا (٢٠) .

وأفرد الهمداي عنواناً خاصاً لمدينة جرش وضواحيها (٣١) ، فأشار إلى موقعها ، ومسن سكن فيها من القبائل والعشائر ، وعقد مقارنة بينها وبين بلاد الحجر ، باعتبار الأولى جزءاً من سراة عنسز ، وربحا عدت أيضاً من شمال سراة جنب ، أما بلاد الحجر فهى سراة تقع بين سراة عتر (عسير) جنوباً ، وسراة بلقرن شمالاً (٣٢) .

والواقع أن جرش لها سجل في التاريخ لا عند الهمداني فحسب ، بل في كتب السير وغيرها ، فقد ورد اسمها عندما قدم وفدها ، بزعامة صرد بن عبدالله الأزدي ، على الرسول (ه) في السنة العاشرة للهجرة (٣٣) ، وذكرها اليعقوبي فقال ( كورة بلاد اليمن تسمى مخاليف ، وهي أربعة وثمانون ثم ذكر منها مخلاف جرش (٤٣) ، وذكرها بعض الجغرافيين والرحالة المسلمون الأوائل ، كابن خرداذبة ، والمقدسي ، وابسن حوقل ، والاصطخري ، والإمام أبو إسحاق الحربي ، وابن المجاور ، وغيرهم ، فبينوا أهميتها الحضارية ونشاطها التجاري خلال القرون الإسلامية المبكرة (٥٥) . وهذا فجرش في القرون الإسلامية الأولى ، ربما كانت أعظم مدينة حضارية ، لألها كانت تشمل منطقة كبيرة تحوي أغلب منطقة قبائل عسير ، وجزءاً من منطقة قبائل قحطان

وشهران ، وليس ببعيد ألها كانت مركزاً حضارياً مرموقاً ليس في سراة عتر وجزء من سراة جسنب ، بل في بلاد السرو بشكل عام ، ولا يستبعد ألها كانت تأي في المترلة الثانية بعد مدن اليمن والحجاز الكبرى . وتعود أهمية جرش إلى نموها الحضاري لقربها من المراكز الحضارية الكبرى في اليمن ، كصعدة ، وصنعاء وغيرهما . إلى جانب قربها مسن الطريق التجاري الذي يصل مدن الحجاز بمدن اليمن ، والواقع إلى الشرق من هذه المدينة . ولم يعد اسم جرش يستخدم إلى اليوم ، وإنما اختفى تقريباً من بعد القرن السادس أو السابع الهجري ، فلا نجد الجغرافيين المتأخرين يذكرونه ، علماً بأن موقع المدينة الأساسي يقع (حالياً) إلى الجنوب من خيس مشيط بحوالي خسة عشر كيلوا متراً ، على الطريق المؤدي إلى مدينة نجران (٢٠٠) .

## ابعاً: الحياة الاجتماعية:

أما الحياة الاجتماعية في بلاد السراة ، كما يخبرنا عنها الهمداني ، فقد بيّن في كستابه : صفة جزيرة العرب أن التركيبة السكانية في هذه البلاد تقوم على القبيلة ، مشيراً إلى مواطن القبائل وفروعها في هذه البلاد ، فمثلاً ، قبائل الأزد يمختلف فروعها استوطنت البلاد الواقعة ما بين نجران وجازان إلى الطائف وتمائم مكة في الشمال ، وقد اختسلط مع هذه القبائل ، قبائل عدنانية ، والاختلاط بين القبائل العدنانية والقحطانية في بسلاد السراة قائم منذ أمد (٣٧) . الأمر الذي أدّى إلى اندماج العشائر الزارية مع القبائل الأزدية ، باعتبار الأولى أقل عدداً من القبائل الأزدية القحطانية ، فاندمجت بها أحياناً تحت ظروف القهر والغلبة ، أو الجوار والمصاهر . ويفهم من حديث الهمداني عسداما قال : « ... ثم سراة زهران من الأزد ، ودوس ، وغامد ، والحر ، نجدها بنو سواءة جليطي عامر ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامر ، وبنو سواءة خليطي والدعوة عامر ية ولكن ربما بنسب ،

فبنو سواءة خليط من أفخاذ وعشائر سواء كانت قحطانية أو عدنانية ، وأحياناً يكون خليط مجموعة من العشائر مندرجاً تحت مظلة واحدة أو اسم قبيلة أو عشيرة معينة .

وفي حديث الهمداي عن السراة ، لم يذكر وجود طبقة معينة من العبيد كما ، ولكسن لا نستبعد أن يكون قد وجد كما نسبة منهم ، لأجل وقوعها في الوسط بين حواضر الحجاز والسيمن الكبرى ، التي اشتهرت بنشاط أسواقها في بيع العبيد وشرائهم، وغيرهم من السلع المختلفة ، إلى جانب أن أغوار بلاد السراة تطل على السبحر الأحسر الدي يوجد به عدد من المواني التي كان لها صلات جيدة مع مصر والحبشة والسودان والصومال وغيرها من بلاد العالم (٣٩) . أما طبقة الموالي في بلاد السراة فقد ذكرها الهمدايي صراحة عند حديثه عن جرش فقال ( وفي شق قرية جرش فرق من النوارية يدعون الجزارين من موالي قريش (٢٩٠٠) ، ولعلها نالت هذا التخصيص بسبب كثرها ، الأمر الذي أدى إلى فرض وجودها ، مع العلم أن النص التخصيص بسبب كثرها ، الأمر الذي أدى إلى فرض وجودها ، مع العلم أن النص وكيفية الولاء الذي كان بينهم وبين قريش (٢١٠) ، ولكن الأهم من ذلك أنه ربط مهنة الجنزارة بالموالي دون سواهم ، لأن القبائل العربية تأنف أن تتخذ مثل هذه المهن وأشباهها ، وفي هذا يقول ابن خلدون في فصل خاص بمقدمته (العرب أبعد الناس على أصحاكما في عصن الصنائع ) (٢٤) ، والملاحظ أن المهن إلى اليوم لها انعكاسات على أصحاكما في المجتمعات العربية .

وأثناء حديث الهمداي عن مواطن السكان ومجاورة بعضهم بعضاً ، لم يكن يذكر معلومات عن نوعية مساكنهم ومرافقها ، ولم يوضح مما كانت تُبنى بيوهم ، وكيف تصمم ، ونوع الأثاث الذي كان يوضع بها ، مع العلم أنه ذكر بعض التفصيلات عن بناء البيوت ومرافقها في حواضر اليمن الكبرى ، فأشار إلى سعة بعض الدور ، عند الأغنياء خاصة في صنعاء وغيرها من المدن الكبرى ، واستخدام الحجارة

في البناء على هيئة طابق وطابقين ونادراً ما تكون أكثر من ذلك ، وغيرها من المعلومات الجيدة حول البناء وما يتعلق به (٤٣) . ونظراً للمجاورة بين بلاد السراة وحواضر اليمن فليس ببعيد أن يكون شكل بعض الأبنية والمواد المستخدمة في بنائها مثلما هو الحال في صنعاء وغيرها .

والطريف في وصف الهمدان أنه لم ينس ذكر بعض الأماكن التي وجد بها بعص المراكز الحضارية ، فيذكر منطقة جرش قائلاً «ويسكنها بنو عبدائله بن عامر من عنز ، ثم تندحة ، وهي العين من أودية جرش ، وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو أسامة من الأزد ، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة ، والعيبا بلد مزارع لبني أسامة من عنز ، ويليها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز ، والقرعا أبي عاصم من عنز ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى ، وهم مسالمون للعواسج » (33) .

وهذا العرض من الهمدايي لبعض أجزاء بلاد جرش ، نجده يذكر أسماء أماكن عديدة ، تغيير أسماء بعضها ، وبقي أسماء البعض الآخر إلى يومنا هذا ، وكلما ورد ذكره يعطي أجزاء من المناطق المعروفة حالياً بخميس مشيط ، وأحد رفيدة ، ومنتزه القرعا والجرة وما حولهما . وكونه ينوه لذكر شيبة من عتر في أرض القرعا ، ويبين أن لهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع ، فهذا يدل على دقة ملاحظته ، فلم يكن يعفل عن حجم القرية التي كانت كبيرة ، وبحا مسجد جامع للمصلين (٥٤) . ولم يكن أيضاً يعفل عسن ذكر بعض المراكز الحضارية ، وتجمعات المواطن السكنية بحا ، فيورد أسماء بعض القسرى الهامة في جرش ، كتندحة ، وغيرها ، ثم يذهب إلى سراة بلاد الحجر ، فيذكر بحن من يقول ((وهبي واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار ، وأعلاه لبلعارث بن شهر الى مدينة الجهوة التي تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، ويواصل شهر (١٤) . ثم يشير إلى مدينة الجهوة التي تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، وعامد ، وزهران ، وبجيلة حتى مدينة المطائف . والملاحظ أن الأماكن التي أشار إليها الهمدايي لم

تــبق على ما كانت عليه ، بل تغيرت في تقسيماتها ، وأحياناً في أسمائها ، فعلى سبيل المثال كانت منطقة الجهوة في زمنه تأتي في المرتبة الأولى قبل جرش ، وهي من أرض بني شهر لسراة الحجر ، لكنها في الوقت الحاضر أصبحت جزءاً صغيراً من قرية بني بكر التابعة لمنطقة النماص .

وعلى الرغم من أهمية معلومات الهمداني ، إلا أنه لم يذكر الألبسة المستخدمة لدى أهل السراة ، والمواد وكيفية تصنيعها ، كما أنه لم يشر إلى أدوات الزينة والطيب عسند أهل هذه المنطقة ، لا سيما وألها تقع على مفترق الطرق التجارية الكبرى التي تسربط حواضر اليمن والحجاز ، وبالتالي كانت هذه الحواضر مركز جلب الألبسة والمنسوجات بأنواعها ، سواء كان من الجزيرة العربية أو خارجها (٤٧) .

أما الموائد والأطعمة التي لاحظها وذكرها ، فكان جلها من الثريد ، وهو عبارة عن خبز يفت ويبل بالمرق ، ويوضع فوق اللحم (٢٨) ، ولعله يشبه ما يسمى ببلاد الشام ( بالفتة ) . والمضيرة ، وهي طبيخ اللحم باللبن حتى ينضج وتخر المضيرة ، تعد للأكل، وموائد أخرى تتضمن ، الخبز ، والزبد ، واللبن ، والحليب ، واللحوم وجميع هذه الأطعمة محلية لتوفر موادها في بلادهم ، فالقمح ، والذرة ، والشعير تزرع في السراة بكميات كبيرة . أما اللحوم والحليب ، فتؤخذ من مواشيهم الموجودة بكثرة حيث المراعي الشاسعة . وأشاد الهمداني بنوع من الأطعمة ، يسمى اللحوح ، وهو خبز رقيق يصنع من الذرة ، ويستخدم عادة مع اللبن،وقد لاحظ رقته فوصفه بالقول " إنه إذا وقع في اللبن استرخى فلا يحتمل إلا بأكثر الأصابع " (٩٤) . وأشار إلى أطعمة ( وكنا نحن نستعمل في أسفارنا المخبز والسمن واللحم والكشك والمهاد " (٠٥) . وكان من أفضل المشروبات عند أهل السراة شراب اللبن مع الزبدة ، ومن أفضل المأكولات السمن الذي يستخرج من ألبان المواشي ، حيث كانوا يستخدمونه مع الخبز والعصيد

والهريس (٥١) ، وهذا النوع من الطعام ما زال مرغوباً وخاصة عند المسنين من أهل هامة السراة .

وبالنسبة للعادات والتقاليد عند أهل السراة كالكرم ، والشجاعة ، والتكافل والستآزر سواء في المواسم أو الأعياد أوغيرها من المناسبات ، فالواقع أن هذا المجتمع كان ينبوعاً وقدوة لغيره من المجتمعات في التطبيق ، ولكن مع الأسف لم يشر إليه الهمداني إلا باقتضاب شديد حينما يتحدث عن النواح بأرض السراة ومشابحته بنواح اليمن ، وتبيّن أن الذين يقومون به هم من النساء والعبيد الموالي (٢٥٠).

ومن الملاحظات المهمة للهمداني \_ يرحمه الله \_ اهتمامه بالجانب اللغوي عند أهل السراة ، ومقارنته بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن ، والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية (٥٣) . وخلص إلى أن أهل السراة أكثر فصاحة في القول ، وسلامة في اللغة حيث يقول (الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد وبني أسامة فعنز ، فخثعم ، فهلال ، فعامر بن ربيعة ، فسراة الحجر ، فدوس ، فغامد ، فشكر ، ففهم ، فتقيف ، فبجيلة ، فبنو على ، غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة (١٠٥٠) .

وطراً على بلاد السراة ، ما طرأ على غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية بسبب سهولة المواصلات ، وتيسر سبلها ، الأمر الذي أدى إلى جعل العالم وكأنه بلد واحد ، فحدث خلط جماعي بين سكالها ، وبين الوافدين عليها من مختلف الأماكن ، بسل وحدث أيضاً الاختلاف في بعض المفردات واللهجات من عشيرة أو قبيلة إلى أخسرى . والواقع أن التبدل والتعدد في اللهجات والمفردات ببلاد السراة له أهميته مشلما له طرافته ، حبذا لو تصدى له بعض الباحثين اللغويين ليبينوا تاريخه ، ودوافعه

وأسسبابه ، فإنه موضوع مهم جداً في علم اللغويات ، وبالتالي يتم إبراز وجه التراث العربي الأصيل .

#### خامساً: الحياة الاقتصادية:

أما عن الحياة الاقتصادية في هذه البلاد التي حباها الله بعدة مزايا تؤهل ساكنيها على مزاولة العيش فيها ، فهناك المراعي ، والأراضي الزراعية الخاصة ، وهناك الموقع الجغرافي الهام ، كل هذا ساعد على امتهان الرعي ومزاولة الزراعة والتجارة ، إلى جانب ممارسة الحرف اليدوية على مختلف أنواعها . فالرعي عند أهل البادية من المهن الأساسية في الحياة ، يشاركهم فيها \_ أحياناً \_ أهل الحضر ، ونتيجة لكثرة المراعي وأهميتها في مقومات الحياة ، فقد ذكرها الهمداني في كتابه : صفة جزيرة العرب فقال : (( والصحن مراعي لبني شهر فجديها مما يصلي بيشة )) (٥٠٠) . ويبدو أن المناطق الشرقية من السراة تمتاز بكثرة مراعيها ، مما جعلها منطقة رعي عندهم إلى زمن قريب ، والأكثر من هذا أننا نجد حواضر تزاول الرعي إلى جانب الزراعة ، وهذا ومن قريب ، مع التنوع في أساليب العيش لتحسين الدخل .

ومن المواشي التي ورد ذكرها في كتاب الهمداي عن بلاد السراة ، وبقيت إلى زمسن قسريب ، الماعز ، والضأن ، يليها الإبل ، التي كانت تكثر في المراعي الشرقية للسسراة لما يناسبها من اتساعها وتوفر أعشابها ، إلى جانب الأبقار والمطايا من الحمير وغيرها في البلاد السروية عامة ، وفي الأجزاء النجدية والتهامية معا . وذكر الهمداني أفخاذاً وعشائر في مناطق متعددة من بلاد السراة ، اقتصر عملهم على رعي الماشية ، وجمع الحطب ، وصيد الحيوانات البرية ، ومعظمهم من سكان المناطق الشرقية للسسراة (٢٥) . ويسبدو من كلامه أيضاً ، أن الزراعة كانت لها الأولوية بين المهن ،

لكثرة المزارع والبساتين وما بهما من خضر وفاكهة ، ويعود ذلك لوفرة المياه من الآبار والأودية ، ونزول الأمطار في معظم أيام السنة بسبب هبوب الرياح الموسمية على اليمن وعلى بلاد السراة بشكل عام ، ومما ذكره الهمداني بهذا الخصوص قوله «وبسراة الحجر البر ، والشعير ، والبلس ، والعتر ، واللوبيا ، واللوز ، والتفاح ، والخوخ ، والكمثرى ، والأجاص والعسل .... " (٧٥) . ويذكر ثانية سراة الحجر «.... ثم نحيان والكمثرى ، والأجاص والعسل .... " (٢٥) . ويذكر ثانية سراة الحجر «الله أصناف من المحاصل القبلة فيه المتفاح والملوز والثمار ... " (٨٥) ويذكر عدة أصناف من المحاصل السزراعية التي اعتاد الفلاحون زراعتها ، في بلاد جنب ، وعتر ، وغامد ، وزهران ، وبجيلة ، وغيرها من المناطق الأخرى . وإن دلّ هذا على شيء ، فإنما يدل عصلى صلحية المنطقة للزراعة ، لما تحويه من وفرة المياه ، وخصب التربة ، لكن مع الأسف لم يذكر لنا الأساليب الزراعية المستخدمة في المنطقة ، ولا كيفية بناء المدرجات السنراعية وحفر الآبار لاستخراج الماء من باطن الأرض ، رغم وجودها منذ زمن المسلك .

والملاحظ أن همذه المنطقة غنية بالأشجار والأعشاب البرية ، ومن هذه الأشمجار ، شمر الطرفاء ، والأثل والسلم ، والقرظ ، والشبرم ، والشوحط ، والتالب ، والشث وغيرها (٦٠) .

ولم يسنفرد الهمداني بذكر ما في السراة من أشجار برية متنوعة ، بل سبقه في ذلك أبو حنيفة الدينوري (٢١) ، ومن يطالع كتابه ( النبات ) يجد أنه لا يكتفي بذكر أسماء الأشجار ، بل يشير إلى وصفها من حيث شكلها ، والمناطق الملائمة لها ، وأين تكثر وأين تقل ، والأغراض المستخدمة من أجلها ، سواء كان في التجارة أو الدباغة ، أو الصياغة أو غيرها (٢٦) .

أما الحرف والمهن اليدوية ، فلم يكن الهمدايي يهتم بذكرها ، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك العديد من الحرف التي يتم مزاولتها لدى أهل البلاد ، والسبب الذي

يجعلنا نجنزم بوجود البعض منها ، هو أن المقومات الأساسية لبعض الحرف كانت متوفرة ، وأشار الهمداني نفسه إلى بعضها ، فمثلاً حرفة الدباغة كانت تحتاج إلى مناخ معتدل ، وإلى جلود المواشي ، وكذلك إلى بعض أوراق الأشجار المهمة في عملية الدباغة ، وكل هذه الأشياء في متناول أيدي أهل السراة (٦٣) ، وقس على مهنة الدباغة مهناً أخرى ، كالخرازة ، والحدادة ، والخياطة ، والصياغة وغيرها من الحرف الكثيرة (٦٤) .

ولم يغف الهمداني عن ذكر الجانب التجاري في بلاد السراة أثناء تجواله في ديارها من الجنوب إلى الشمال بسبب امتهانه مهنة الجمالة ، حيث كان هو وصحبه ومن شاركهم في هذه المهنة يحملون أمتعة المسافرين والتجار على جمالهم ، لكنه مع الأسف لم يذكر لنا تقاليدهم المتبعة في هذه المهنة ، من حيث الأجور ، هل تحسب بحساب الزمن ونوع الأمتعة ، أم بالمسافة وكمية الأمتعة ، كما أنه لم يشر إلى أساليب التعاون وكيفية تطبيقها بين الجمّالين . ولم يشر إلى كيفية التعامل والتبادل التجاري ، السذي كان معمولاً به في المراكز التجارية ببلاد السراة ، ولا إلى الأعراف التجارية والعقود المسبرمة بين أصحاب المهن والتجار ، في كل من حواضر اليمن والحجاز ، كالطائف ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء ، وصعدة ، وغيرها من الحواضر الأخرى ، حيث نشطت التجارة في هذه الحواضر منذ أمد بعيد حتى أصبح لها تراث تجاري زاخر في التقاليد والأعراف التجارية ، وهذا ما أشاد به الهمداني وغيره من أصحاب المؤلفات الجغرافية ، خاصة عمن كانت مؤلفاقم في ذكر الأقاليم ، وما يوجد أصحاب المؤلفات الجغرافية ، خاصة عمن كانت مؤلفاقم في ذكر الأقاليم ، وما يوجد

وخصص الهمداني الطرق التجارية التي كانت تربط الحجاز باليمن مارة ببلاد السراة ، ابتداء من صنعاء وانتهاء بمكة المكرمة ، فذكر الطريق الممتد من صنعاء ماراً

بصعدة ، فجرش ، فبيشة حتى الطائف ثم مكة المكرمة ، والطريف في الأمر أن الهمداني ذكر طول المسافة بين كل محطة وأخرى بالأميال ، وهذا يعكس لنا دقته في قياس طول الطريق أثناء ذهابه وإيابه معها (٢٦) . وذكر الطريق الساحلي الذي يربط الحجاز بالسيمن ماراً بالسهول الواقعة على الساحل بمحاذاة البحر الأحمر ، ذاكراً المراكز والمحطات الستي يمر بها بعد مروره من اليمن ، ومن تلك المراكز ، حلي ، وقنونا ، ودوقة، والسرين والليث ، وغيرها حتى يصل مكة المكرمة . وهناك له طريق تجاري آخر يصل حضرموت بمكة المكرمة ، ويلتقي مع طريق صنعاء مكة المكرمستة (السابق الذكر) في محطة تبالة (٢٧) .

#### سادساً : الحياة العلمية والفكرية :

وكان الجو العلمي والفكري في السراة مناسباً لنمو البذور العلمية بسبب وضع السراة المميز ما بين اليمسن والحجاز ، حيث وجد فيها كثير من المراكز الحضارية والفكرية ، والأهم منها الحرمان الشريفان في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ووعمد الناس إليهما على مختلف مستوياتهم العلمية ، لأداء فريضة الحج ، وربما للاستقرار في إحدى الحاضرتين لمجاورة أحد الحرمين ، إلى جانب ما تمتعت به المدينة المنورة من مركز سياسي مرموق ، أيام كانت عاصمة المدولة الإسلامية في زمن الرسول (ش) وزمن الخلفاء الراشدين . ومع انتقال عاصمة المسلمين إلى دمشق في بلاد الشام أيام الأمويين ، إلا أن هذا الانتقال لم يقلل من أهمية الحاضرتين ، لا سيما من الناحية العلمية ، لأنهما بقيتا مركز استقطاب للعلماء في مختلف التخصصات، ولكون بلاد السراة تقع ما بين اليمن والحجاز ، فلا بدّ أن تنال قسطاً من العلم سواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز ، خاصة وألها معبر لأهل اليمن أثناء توجههم لمكة والمدينة . والقارئ لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين ، ككتاب الطبقات لابن

سعد ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الأدباء لياقرت الحموي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء ، وشعراء وأرباب سيف وغيرهم ، عاشوا في حواضر هذين القطرين (اليمن والحجاز) ، وفي غيرهما من حواضر العالم الإسلامي ، كالكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، وبغداد ، وغيرها ، وبعضهم كانوا سراة المولد ، حجازيين ، أو يمنيين ، أو كوفيين ، أو بغداديين ، أو دمشقيين بالاستقرار . ولكن مع الأسف لم نجد لهذه المنطقة (السراة ) ذكراً واسعاً وصريحا في مثل هذا المجال. ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي ، أكثر من اهتمامهم بالمناطق المغمورة ، والواقع المنطقة السراة ظلت منسية ، ردحاً طويلاً من الزمن ، ولهذا وجب علينا أن نقوم بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها ، لكي نظهرها للوجود حتى تكون غذاء دسماً بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها ، لكي نظهرها للوجود حتى تكون غذاء دسماً وضرورياً للأجيال القادمة .

وها هو الهمداني ـ يرحمه الله ـ يدون لنا معلومات قيمة استفدنا منها الكثير في معرفة أحوال المنطقة من جميع الجوانب ، لكن على الرغم من أهميتها ، فإنها لم تف بالمطلوب في معرفة الحياة العلمية وأساليب التعلم فيها ، وفي التعرف على الشعراء والأدباء والعلماء الذاهبين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، أو ذهابهم هم أنفسهم إلى المدين المقدستين والاجتماع برجال العلم والفكر فيهما ، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم في بحثنا هذا ، الشاعر أبو الحياش الحجري الذي ينتسب إلى الحجر بن الهنو ، بسبلاد سراة الحجر ، الذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز والسراة في مكة المكرمة وكان أبو الحياش يمثل أهل السراة ، عندما غلب على الناس القحط وقلة الأمطار ، فأنشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله

طالبين الرحمة والغيث ، وقد ذكر الهمداي بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة (٦٨) ، وقد أورد القصيدة التي قالها أبو الحياش ، فقال في مطلعها :

ربّ ها خاب هن دعالَ ولا يحــ لم يخب للنبيّ يعقــوب ياذا الـ رب أنت الذيّ رددت عليــــــه

جب ياذا الجلال عنكَ الدُّعَـاءُ عُرش فيها دعا لديك الرجـاء بطراً كان قد هحاه البكـــاء

ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أغلب ما ذكر مواطن ببلاد تهامة السراة ، فقال :

ـن لك الله أعندُ وإـــــاءُ رحمة منك هب لنا إننــــا ند س ومستهم لها البأسك إن هاتا لأزمة عمــــت النــــا ض غيوثاً أتت بها الأنـــواء ولكم ثم كم سقيت لنــــا الأر سقیت برهه قری خلیب منب حها فجازان تلك فالصبياء ك فحلي ممطورة غينساء فقرير بيــــش ، فالدويهات فالبر رويت فالتنومة الزهيراء ومن الطود فالزتامات خضــــــر ع فأشجانها الحنا فالجباء فقرأأ الحجر جهوة الزرع والضر حطئ حكين الجنان فالحيفاء فجبال السراة فالفــــرع الوســـــ حر فأجبال دوسها طخياء فالذرائم من سراة غامـــد فالنهــــ 

ويستنتج القارئ من قراءته لهذه الأبيات ، حرص الشاعر أبو الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في بلاده (أرض تهامسة والسراة) وقد حاول عد البعض منها ، وبين حرصه مع صبغ عاطفته على جميع الأماكن التي ذكرها ، راجياً من

الله أن يشملها برحمته بترول الغيث عليها . كما يستخلص أيضاً من مشاركته مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية إلى أن بلاد السراة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء ، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قام وأخذ نصيب المشاركة مسع غسيره مسن الشعراء ، وبخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط الفكري والثقافي منذ عهود قديمة ، ولكن كما ذكرنا سابقاً أنه النسيان وعدم التدوين عن هذه البلاد جعل الكثير من تراثها يندرس ويضيع .

### 

ومن معوقات العيسش في بلاد السراة ، فلم يكن الهمداني ينسى ذكر بعضها، وبخاصة القحط وقلة الأمطار ، كما ورد معنا ، وكذلك غلاء المعيشة وقلة الأطعمة وغيرها من العوائق التي قال عنها "أصاب الناس أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء سموها سنة الجمود ، لجمود الرياح فيها ، وانقطاع الأمطار ، وذهاب الماشية وهزائها ، وثبات الفلاء ، وقلة الأطعمة ، وتصرم المياه في الأودية والآبار " (٧٠) . ومثل هذه المشاكل لا بد أن تكون قد أثرت على الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، أيضاً قد لا تكون معوقات الحياة مقتصرة على ما أورد الهمداني ، ولكن من المحتمل أن يكون لا تكون معوقات الحياة مقتصرة على ما أورد الهمداني ، ولكن من المحتمل أن يكون أحسوال العشائر والقبائل العربية ولا سيما البعيدة عن المراكز السياسية في العصور أحسوال العشائر والقبائل العربية ولا سيما البعيدة عن المراكز السياسية في العصور كانت جزءاً من حياة أفراد العشيرة أو القبيلة الواحدة ، ولا يستبعد أن تكون بلاد السسراة ، بما فيها مسن عشائر وقبائل ، كانت من أكثر المناطق ملأى بالفوضى والصسراعات القبلية ، وذلك لكثرة القبائل المتعددة بها ، ولبعدها عن مراكز القيادة والإدارة المركزية في عواصم الخلافة الإسلامية .

### ثامنــاً : الخاتبة :

وبمذا فالحسن الهمداني يعد رائداً في كتاباته عن بلاد السراة ، فلم يكن يقصر تدوين ملاحظاته على مواطن القبائل وتوزيعها ، لكنه أضاف أشياء مفيدة في جوانب علمية مختلفة .

وبعد فقد تميز البحث في الكشف عن نقاط غامضة ، وأخرى مبهمة ، فقد تطرق إلى موقع السراة مبيناً أهميته ، وإلى مسمى المنطقة وسبب هذه التسمية ، واختلاف المسمى الحديث عنه ، كما أشار البحث إلى الناحية الاجتماعية مبيناً مواطن القبائل ، ونظام الموائد ، وطرق الطهي ، وأنواعه ، وأشار إلى المراكز التجارية وأثرها في نمو المراكز الحضارية ، والازدهار الثقافي الناجم عن توسطها بين مركزين هامين ، السيمن والحجاز ، وخاصة الأخير الذي ما زال يتمتع بشهرة كبيرة بسبب وجود الحرمين الشريفين فيه .

وما أشرنا إليه في هذا البحث ، قد يفتح الآفاق لبعض الباحثين ، وبخاصة من أهل السراة أنفسهم ، لأهم أدرى بمواطنهم من غيرهم فيضيفوا بالتحليل أو النقد أو التصحيح لكل ما تم إيراده ، آملين من الله التوفيق والسداد في بناء هذا الصرح العلمي لهذه المنطقة التي ما زال الكثير من قضاياها التاريخية بحاجة إلى جهود الباحثين والدارسين لإبرازها .

#### تاسعاً: الهوامش والتعليقات

- - ٣ ـــ انظر مقدمة الجاسر في كتاب صفة جزيرة العرب ، ص١٨ .
- انظر تفصيلات أكثر عن الحجاز ، بما فيها بلاد السراة المعنية في هذا البحث ، صالح أحمد العسلي . " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العسرب جدا (١٣٨٨هـ/١٩٨٨)
   ص ١ ٩ ، عسبدالله الوهيسيي . " الحجساز كما حدده الجغرافيين العرب "مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً ) (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) جدا ، ص٥٥
- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٥ وما بعدها ، عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ( بيروت : عالم الكتب ، ١٣٠٣هه ١٩٨٨م ) ، انظر مقدمة المحقدة ، ص ٨ ١٣ ، جس٣ ، ص ٧٣٠ ، شهاب الدين ياقوت . معجم البلدان ( بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هه/ ١٩٨٤م ) جــ٧ ، ص ٢١٨ ٢١٨ ، جس٣ ، ص ٢١٧ ٢١٨ .
  - ٦ \_ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٦٤ .
    - ٧ ــ المصدر نفسه ، ص٥٠٥ وما بعدها .
    - ۱۲۰ ۱۱۹ ۱۱۹ ۸

- ٩ \_ المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ \_ ٢٦١ .
  - ١٠ \_ المصدر نفسه.
  - 11 ــ المصدر نفسه ، ص ۲۷٤ .
- 17 جرش من أعظم المراكز الحضارية في بلاد السراة خلال القرون الإسلامية الأولى ، وقد كان يطلق عليها أحياناً مخلاف جرش ، وربما تأيّ في المرتبة الثانية بعد الحواضر اليمانية الكبرى ، كصنعاء وصعدة وغيرهما ، وللمزيد من التفصيلات عن موقعها وأهميتها انظر . البكري . معجم ما استعجم مج ١ ، جر ١ ٢ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت . معجم البلدان جر ١ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت . معجم البلدان جر ١ ، ص ١٢٦ ، عمد أحمد معبر. مدينة جرش من المراكز الحضارية القديمة (خيس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص ١١ ٣٥ . حد الجاسر . " جرش قاعدة الأزد " مجلة العرب ، جر٧ ، السنة الخامسة ، محرم / ١٣٩١هـ ، ص ٩٣٥ ١٠٠ .
- ۱۳ ـ والعواســج يقطــنون اليوم في وادي ابن هشبل ، ببلاد شهران ، ويطلق عليهم العواشز
   حتى يومنا هذا .
  - ١٤ ـ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٥٥ .
    - 10 ـ المصدر نفسه ، ص٢٥٦ .
    - ١٦ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .
    - ١٧ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .
      - ١٨ ــ المصدر نفسه.
- 19 جرير بن عبدالله البجلي كان من الذين وفدوا على الرسول (ه) من وفد بجيلة ، وكان له مساهمات عظيمة في توطيد الإسلام بين أهل السراة ، وكذلك في ميادين الفتوح الإسلامية المسبكرة ، وبخاصة في جبهة الجهاد ضد الفرس . للمزيد من التفصيلات عن شخصية جرير بن عبدالله وأعماله ، انظر . محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ( بيروت : دار سويدان ، تاريخ النشر غير معروف ) جسم ، صح٣ ، ص٣٦٩ ، ٣٦٩ ، المنسوب إلى عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني ( بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٨هـ /١٩٩٧م ) جسر ، مر٠٨ ،

- أحمد بن محمد بن عبد ربه . العقد الفريد ( بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ / هـ / ١٤٠٨ م. م. ١٩٨٣م ) ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .
- ٢ -- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جــ٧ ، ص ١٣٠ ؛ حمد الجاسر. في سراة غامد وزهران، نصــوص ، مشاهدات ، انطباعات ( الريــاض : دار اليمامة ، ١٣٩١هــ/١٩٧١م ) ص ٣٥٦ .
- ٢١ ـــ للمزيد من التفصيلات عن بلاد غامد وزهران ، انظر كتاب الجاسر المذكور في الملاحظة السابقة .
- ٢٢ ــ للمزيد من التوضيحات عن قرى وعشائر ومواطن أهل سراة الحجر انظر ، عمر غرامة العمروي . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد الحجر ( الرياض : دار اليمامة،
   ٩٧ ــ ١٣٩٨هـــ) .
- - ٢٤ ـــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٩ ــ ١٢٠ .
    - ٢٥ \_ المصدر نفسه.
    - ٢٦ ــ المصدر نفسه.
- ٧٧ ــ لـــلمزيد من التفصيل عن وضع القبائل العربية في العصر الجاهلي، والعصور الإسلامية المختـــلفة ، وكيــف كـــانت العشائر والقبائل الصغيرة تدخل في حماية القبائل الكبيرة ، وبالــــتالي يغلب اسم القبيلة الكبيرة على أسماء القبائل الصغيرة التي دخلت تحت حمايتها . انظر ، جواد على . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ( بيروت : دار العلم للملايين ، المفصل في ماريخ العرب على .
  - ٢٨ ـــ الهمداين ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٦٠، الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص٣٥٦٠ .
     ٢٩ ـــ انظر ، الهمداين ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ ــ ٢٦٢ .

- ٣٠ للمزيد من المعرفة عن أسماء ومواقع هذه الأماكن بسراة الحجـــر ، انظر : عمر غرامة العمروي ، بلاد رجال الحجر ، ص ٥ و ما بعدها .
  - ٣١ ــ انظر الهمداني ، المصدر السابق ، ص٥٥٥ وما بعدها .
- $^{mm}$  لزيد من المعلومات عن وفد جرش الذي وفد على الرسول ( انظر ، عبدالملك بن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا (مكان وتاريخ النشر غير معروفين ) مج  $^{mm}$  ،  $^{mm}$
- ٣٤ ـ أحمد بن واضح اليعقوبي . كتاب البلدان (تحقيق ام دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ٣١٨ ـ ٣١٧ ـ ٣١٨ .
  - ٣٥ \_ انظر محمد أحمد معبر . مدينة جرش ، ص٣٧ \_ ٤٤ .
- ٣٦ ــ للمزيد من التفصيل عن مدينة جرش، تاريخها ، وموقعها ، انظر محمد أحمد معبر ، المرجع السابق ، ص ١١ وما بعدها ، حمد الجاسر " جرش قاعدة الأزد "، ص ٥٩٣ ومابعدها ، غيثان بن جريس "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور مجر (٩) جــ (١٤١٤هــ /١٩٩٤م) ص ٣٣ وما بعدها ،
- ٣٧ لمزيد من التوضيحات عن القبائل القحطانية ( الأزدية) والعدنانية في بلاد تمامة والسراة ، انظر . هشام بن محمد الكلبي ، جمهرة النسب الكبير ، رواية السكري عن ابن حبيب ، تحقيق ناجي حسن ( بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨١م ) ، علي بن أحمد بن حيزم الأندلسي . جمهرة أنساب العرب ( بيروت : دار الكتب العلمية ، ٣٠٤هـ / ٣٠٩٠٩م ) ص ١٨٨ وما بعدها ، عمر بن غرامة العمروي . قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (أبحا : نادي أبحا الأدبى ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م )، جــ١ ، ص٥٥ وما بعدها .
  - ٣٨ ــــ الهمدايي ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٩ ـــ ١٢٠ .
- ٣٩ ــ النشاط التجاري خلال العصور الإسلامية الوسطى كان جيداً ، وبخاصة في مكة المكرمة ، و والمدينة المنورة بالحجاز ، وصنعاء وصعدة وغيرهما من مدن اليمن الكبرى ، إلى جانب

وجود طرق تجارية ، برية وبحرية ، نشيطة تربط تلك الحواضر مع أجزاء عديدة في العالم الإسلامي آنذاك . وللمزيد من التفصيل انظر في المصادر والمراجع التالية ذكرها . شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي . كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق ، ام دى غوى ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٦م ) ص ٧٩ ، محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ( بيروت : اسم الناشر وتاريخ النشر غير معروف ) ص ٩٦ وما بعدها ؛ ناصر الديسن خسرو القبادياني المروزي . رحلة ناصر خسرو ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي ، والرياض : عمادة شؤون المكتبات \_ جامعة الملك سعود ، ٣٠٤ هـ /١٩٨٩م ) ص ١٢١ وما بعدها ؛ غيثان علي جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خالال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب ، جام ، ١٤٨٠ ، السنة (٢٦) ،

- ٤٠ ـ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
- المسلمين المسوالي. وكسان المسلمون في البلاد العربية ، كالعراق، والشام ، والحجاز ، المسلمين المسوالي. وكسان المسلمون في البلاد العربية ، كالعراق، والشام ، والحجاز ، وغيرها ، قد ألفوا عادة الانتماء بالولاء إلى من يريدون من الشخصيات العربية المرموقة والانتساب إلى قبائلها اسميا ، وإن لم يكونوا منها فيكتسبون بذلك بعض حقسوق القرابة بالنسب ، كالمساعدة ، والحماية ، والتأييد . ومن الموالي أيضاً من كان في منزله الرق ثم اعستقوا من قبل ساداتهم فصاروا في مكانة أخرى بين الرق والحرية هي منزلة الولاء أو المسوالي . للمزيد من التفصيل عن الولاء انظر . محمد بن منظور ، لسان العرب، نسقه وعسلق عسليه علي شيري (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨) جدا، ص ٢٠١ ع ٢٠٥٠ .
- ٤٢ ــ عــبد الرحمن محمد بن خلدون . تاريخ ابن خلدون ( بيروت : دار العلم للجميع ، تاريخ النشر غير معروف ) جــ١ ، ص٣١٨ وما بعدها .
- 27 \_\_\_\_\_\_ انظـــر تفصيلات أكثر ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٤٤ وما بعدها ؛ وللمزيد من التوضيحات عن الحياة الاجتماعية في حواضر اليمن ، وبخاصة في صنعاء وما حولها ، انظـــر . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر بن رسته . كتاب

- - £ £ ... الهمداني ، المصدر السابق ، ص٧٥٧ .
- 23 ــ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ وقد أصدر أمير منطقة عسير خالد الفيصل في عام (٢٧٦ هــ /١٠٠٢م) أمره بتغيير اسم القرعاء إلى الفرعاء ٠
  - ٤٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .
- لحزيد مـن المعلومات عن الحياة التجارية في اليمن والحجاز وعلاقة تلك الأجزاء ببلاد السراة ، انظر . ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٠٠ وما بعدها ؛ جريس "الطرق التجارية .. "
   ص٧٤٤ وما بعدها ؛ أحمد عمر الزيلعي . مكة وعلاقاتما الخارجيــة ٢٠١ ــ ٧٨٤هـــ ( الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض ، ١٩٨١م ) ص٥٥٥ وما بعدها .
  - ٨٤ ــ الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٠ ، ٣٥٦ .
  - ٤٩ ـ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ .
- ٥ ـــ المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ ، والمهاد ، هو الخبز الممهود . والكشك يتخذ من نقع البرغل بعد اختماره فيفت ويطبخ ، الهمداني ، المصدر نفسه ، ص٣٥٦ ، ملاحظة (٢) .
  - 01 ــ الهمداني ، المصدر نفسه ، ص٧٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
- ٥٢ ـــ المصدر نفسه، ص٣٦٥، وقد أخبرين بعض المختصين في تاريخ المغرب والأندلس،
   فذكر أن مثل هذه العادة كانت ولا زالت عند بعض المغاربة، وبخاصة في المغرب الأقصى.
  - ٥٣ ـــ انظر الهمدايي ، صفة جزيرة العرب ، ص٧٧٧ ــ ٢٧٩ .
    - ع ٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .
    - ٥٥ ــ المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .
    - ٥٦ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ، ٣٠٢ .
      - ٥٧ ــ المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .
      - ٥٨ ــ المصدر نفسه ، ص٢٦١ .

- وه \_ مسن يلاحظ الآبار والمدرجات الزراعية ببلاد السراة ، في يومنا هذا يلاحظ الجهد الكبير الذي بذل في بناء مدرجات عالية الارتفاع ، لكي تحافظ على تربة المزرعة ، وكذلك آبار بعيدة العمق ، والتي بعضها حفرت في صخور صماء ، وبأدوات يدوية قديمة . حبذا لو خسرج أحد أبناء السراة بدراسة علمية جادة تتبع فيها متى وكيف عملت تلك المدرجات الزراعية ، التي نلاحظها في طول وعرض البلاد ، وكذلك تلك الآبار الكثيرة والتي يظهر على بعضها قدم العهد .
  - ٦٠ \_ المصدر نفسه ، ص٢٢٦ ، ٣٠١ .
- ١٩ \_\_\_\_\_\_ يعتبر الدينوري من أفضل من كتب عن النباتات وبخاصة في بلاد السراة من بلاد الجزيرة العربية ، ومسن كتبه التي وصلتنا عن النباتات مايلي : كتاب النبات ، الجزءان الأول والثاني ، تحقيق محمد حميد الله ، نشر المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة ، عام ١٩٧٣م ، والجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس ، شرح وتحقيق المستشرق برنمارد لفين ، بألمانيا عام ١٣٩٤هــ ١٩٧٤م .
- 77 وقد جاء بعد الدينوري والهمداين بعض الجغرافيين واللغويين فذكروا أسماء عديدة للأشجار والنباتات الموجودة ببلاد السراة ، ومن أولئك العلماء على سبيل المثال لا الحصر، عرام بن الأصبغ السلمي ، في كتابه : أسماء جبال تمامة وسكائما وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ؛ والبكري في كتابه ، معجم ما استعجم؛ وياقوت الحموي ، في كتابه معجم البلدان ، وفي بعض المعاجم اللغوية ، كالقاموس المحيط للفيروز آبادي ، ولسان العرب ، لابن منظور ، وتاج العروس ، للزبيدي .
- 77 ـ للمزيد من التفصيلات عن مهنة الدباغة ، كيفيتها ، وأساليب مزاولتها ، والمواد الأساسية في ممارستها . انظر " باب الدباغ " المذكور في كتاب النبات ، للدينوري ، تحقيق المستشرق برنهاردلفين ، ص ١٠٤ ـ ١٢١ ، أيضاً انظر ، كتاب المخصص ، لابن سيدة (مطبعة بولاق بالقاهرة ، ١٣١٦هـ /١٨٩٨م) جـ٤ ، ص ١٠٤ ـ ١١٦١ .
- ٦٤ --- ولمعرفة بعض التوضيحات عن المهن والحرف بشكل عام خلال القرون الإسلامية الأولى ،
   وبخاصـــة في المـــناطق المجاورة لبلاد السراة كحواضر الحجاز واليمن. انظر ، عبدالعزيز

إبراهيم العُمري. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ( الدوحة : مركز الستراث الشعبي ، ١٩٨٥م ) ص ٤٧ وما بعدها ؛ عبدالله محمد السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٣٠٤ هـ ١٩٨٣م ) ص ١٥١ – ١٦٨ ؛ جميل حرب محمود . الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ( جدة : دار قامة للنشر ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ) ص ١٢٦ – ١٢٨ ، المحر الأيوبي ( جدة : دار قامة للنشر ، ١٤٠٥هـ (١٤٨٥م ) ص ١٢٦ م الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل عدد (٤٩٢) مج٥٥ (١٤١٢هـ ) ص ٢٨ ـ ٩٦ .

لزيد من التفصيل عن النشاط التجاري في حواضر اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيطي . انظر ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ وما بعدها ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٩٣ وما بعدها ، الزيلعي . مكة وعلاقاتما الخارجية ، ص ١٥٥ وما بعدها ، جميل حرب ، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ص ١١٧ ــ ١٥٩ .

Patricia crone. Meccan Trade and the Rise of Islam (Oxford): Basil Blackwell Ltd., 1987); Abdullah Alwi Hassan.

"The Arabian Commercial Background . <u>Islamic Culture</u> (Vol . LXI . No .2. April , 1987 , pp. 70 - 83 .

77 — حول شرح الهمداني لأطوال تلك الطريق التي تربط بين صنعاء والطائف مروراً بالسراة ، انظر ، صفة جزيرة العرب ، ص٣٣٨ — ٣٤٠ . لم يكن الهمداني هو الوحيد الذي ذكر تلك الطريق، وإنما بعض الجغرافيين الأوائل أشاروا إليها أيضاً مثل : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢١ وما بعدها ، عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه . المسالك والممالك تحقيق، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ٣٠١ه — /١٨٨٩م ) ص ١٣٣ وما بعدها ، وضمن هدا الكتاب ، كتاب الخراج وصنعة الكتابة . لأبي الفرج قدامة بن جعفر، الذي أشار أيضاً إلى ما أشار إليه اليعقوبي وابن خرداذبة ، ص ١٩١ وما بعدها ، انظر أيضاً ، الإمام أبو إسحاق الحربي ، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر (الرياض : منشورات دار اليمامة ١٠٤١هـ ١٩٨٩م ) ص ١٤٣٣ — ١٤٩٩ .

٣٤٣ \_ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٤١ \_ ٣٤٣ .

7. انظر تلك الأشعار في كتاب ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٧٨ ــ ٣٨٤ ، وأيضاً انظر تفصيلات أكثر في مقالة عبد الله الناصر الوهيبي " تحديد الشعراء العرب للمواقع

#### بلاد السراة من خلال كتاب صفة جريرة العرب للهمداني

الجغرافية " . بحث مقدم في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ( ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ) جــ ١ ، ص ٣٦٣ ــ ٣٧٥ .

79 \_\_\_ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٨١ \_ ٣٨٢ .

٧٠ \_ المصدر نفسه ، ص ٣٧٨ .

## الدراسة الخامسة:

## بلاد تهاهة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل ق<sup>س</sup>هـــ قالهــ<sup>\*)</sup>

إعداد

## أ.د. غيثان بن على بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد

<sup>(\*)</sup> هذه الدراسة منشورة في مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول /مارس/ 8 1 9 9 م) ص ٧٧ ــ ، ١٠٠ ، ثم أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٩) محرم/٢٤١هــ/٠٠٠م) ص ٣٣ – ٤٩

## محتويات الدراسة الخامسة

## بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣ هـ ـ ق ٨هـ)

الصفحة	الموضوع	المسلسل
771-471	مقدمة	أولاً:
<b>ルドノードルノ</b>	بلاد تمامة والسراة كما رواها الرحالة والجغرافيون	ثانياً :
	المسلمون الأوائل ( ق 1 هـــ ـــ ق ۸ هـــ )	1:
۲۸۱	الخاتمة	: ឃំបំ
177-17	الملاحق	: آيوا
197-189	الحواشي والتعليقات	خامساً :

## بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٣هــق ٨ هـ)

## أولاً : مقدمة :

عندما نذكر بلاد تهامة والسراة يتبادر إلى أذهاننا أماكن عدة في شبه الجزيرة العربية ، ولكن ما نريده من هذه الدراسة السهول التهامية والجبال السروية الواقعة بسين نجران وجازان جنوباً ومكة المكرمة والطائف شمالاً ، والسبب الذي جعلنا نقتصر حديث على هذه المنطقة دون غيرها هو : أن مدن الحجاز الكبرى ( مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما ) ومدن اليمن مثل : صنعاء وصعدة وزبيد وعدن نالت اهتماماً كبيراً من المؤلفين الأوائل في التراث الإسلامي ، و بخاصة من الجغرافيين والرحالة .

أما المنطقة الواقعة بين الجزئين السابقي الذكر ، والتي أطلقنا عليها اسم قمامة والسراة ، بقيت ولا زالت مجهولة على مر التاريخ ، فلم يكن المؤلفون والرواة الأوائل يستحدثون عنها في مؤلفاقم ، وإذا ورد ذكرها أو ذكر جزء منها لا يرد إلا لماما ، إذا ما قيسس بما دون عن الحواضر الكبرى في الجزيرة العربية ، فحذا السبب رأينا من الضروري إعطاء هذه المنطقة حقها من البحث والدراسة مستعينين بكتب الجغرافيا والسرحلات السبي دونت في العصر الإسلامي الوسيط ، وما الجغرافيون والرحالة المسلمون إلا رافداً من الروافد التي أثرت التراث الإسلامي ، حيث قضوا جل حياقم في السترحال والتجوال في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، فكتبوا عن سهوله وجباله ، وأوديته وألهاره ، وطرقه البرية والبحرية ، وأجناسه ، وعناصره ، وعاداته ، وتقاليده ،

وعـن سـكانه ومـا ينتجون من محاصيل وثمار ، وما يصدرون بواسطة الطرق البرية والبحرية ، إلى الأسواق الحارجية أو المحلية .

وحظيت الجزيرة العربية أكثر من غيرها بوفود عدد كبير من الرحالة إليها قصد الحج وزيارة قبر الرسول (ﷺ) ، وهم في العادة يدونون ما يشاهدون في رحلاهم أثناء ذهابهم أو إيابهم لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول (ﷺ) حيث كانوا يأتون مسن كل فج وصقع من الجهات الغربية للدولة الإسلامية كالمغرب والأندلس ، ومن الجهات الشرقية ، كالعراق وبلاد فارس ، وكذلك من بلاد الشام (١) . وكان ممن نال نزراً بسيطا من التدوين بلاد السراة ، حيث كان للرواة من رجالها دور كبير في تدوين بعض المعلومات عنها ، وقد يقوم بعض الرحالة في الذهاب إلى بعض الأجزاء التهامية والسسروية للمشاهدة والمعاينة على أرضها ، وربما شاهدوا بعض التهاميين والسرويين عند قدومهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كانوا يميزون هيئاهم وألبستهم . وكـــان لاتجاه الرحالة أثر كبير في تدوين رحلاقهم ، فابن بطوطة ، على سبيل المثال ، خرج من جزيرة سواكن على شاطئ السودان ، متجهاً نحو اليمن ، ماراً ببعض المدن الساحلية الشرقية على البحر الأحمر فدون عنها معلومات لا بأس بها (٢) ، ومنهم من تسنقل بسين مسدن اليمن والحجاز عبر بلاد السراة كالهمدابي الذي دون هو الآخر معلومات قيّمة ، عن بعض الأجزاء السروية وما جاورها من المناطق ، قد لا نجدها عند غيره من الجغرافيين والرحالة السابقين واللاحقين (٣).

# ثَانياً : بلاد تهامة والسراة كما رواها الرحالة والجغرافيون السلمون الأوائل (ق ٣هـ ـ ق ٨ هـ ) :

وفي هذه الدراسة سوف يقتصر حديثنا على الجغرافيين والرحالة الذي ذكروا بسلاد تمامـــة والســـراة في مدوناتهم في الفترة الواقعة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجريين ، والسبب الذي جعلنا لم نتطرق للفترة التي سبقت القرن الثالث ، هو عدم

وجود الكتب والمؤلفات التي دونها الجغرافيون المسلمون أثناء رحلاهم إلى هذه الديار قسبل ذلك الوقت ، فلم تظهر بعض المؤلفات ظهوراً واضحاً إلا في العصر العباسي المشاني، وعلى وجه التحديد في أوائل القرن الثالث الهجري ، على أن تلك المؤلفات عنيت في المرتبة الأولى بوصف أجزاء وأقاليم الدولة الإسلامية وما يجاورها من البلاد ، أما باقي أخبار رحلاهم فكانت تتضمن أموراً سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية ومعلومات متممة للحديث عن البلد أو المنطقة التي يدونون لها في مؤلفاهم .

وتجدر الإشدارة إلى أن السرحالة والجغرافيين الأوائل لم يرد في مؤلفاهم ما أوردناه عنواناً لبحثنا (بلاد تهامة والسراة .... ) وإنما أشاروا إليها كمنطقتين منفصلتين ، وذهب بعض الجغرافيين إلى أن الأجزاء الجبلية الممتدة من الطائف إلى نجران جنزء من سلسلة جبال السروات أو جبال الحجاز الفاصلة ما بين الأغوار التهامية الساحلية في الغرب وما بين الأجزاء الشرقية النجدية في الشرق (<sup>3)</sup>.

وتبدأ جبال الحجاز أو السراة عند الكثير من الجغرافيين من فلسطين شمالاً إلى صنعاء جنوباً ، وهناك وجهات نظر متباينة حول طولها وعرضها ، وعن حدود الحجاز شمالاً وجنوباً ، لكن الشيء الثابت أن جبال السراة لا تتوقف من جهة الجنوب في نجران أو صعدة وإنما تمتد إلى أقصى بلاد اليمن (٥) ، ولكن ما يهمنا هو دراسة الجزء الواقع بين المنطقتين السابق ذكرهما (الحجاز واليمن) والذي سميناه (بلاد تمامة والسراة) لظننا بأن هذا الجزء لم يأخذ حقه في التدوين ، ولم يأخذ أيضاً نصيبه في البحث عند المعاصرين ، فأذا قمنا بعد التوكل على الله ببذل الجهد لنعمل ما في وسعنا على إبراز صورة عن السراة وتمامة ، وإن اختلفت مواقع الحواضر في تلك المنطقتين حسب ما ورد عند الجغرافيين ، فالبعض منهم يرى أن جميع ما يقع غرب السراة يسمى "تمامة" (١) ، وإذا أخذنا بوجهة النظر الثانية ، فإن الأجزاء الغربية من السراة يسمى "تمامة" (١) ،

بلاد السراة الممتدة على ساحل البحر الأحمر تعد جزءا من هامة ، لهذا أسميناها بتهامة تمييزاً لها عن المناطق الجبلية من السراة .

و ممين تحدث عن بلاد السراة ابن الفقيه في كتابه البلدان الذي ألفه في القرن الــرابع الهجري حيث يقول: (( ... سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف ، وأقصاها قرب صنعاء ، والسروات أرض عالية ، وجبال مشرفة على البحر من الفرب وعلى نجد من الشرق ، والطائف من سراة بني ثقيف ، وهو أدني السروات إلى مكة ، ومعدن البرم هي السراة الثانية ، بلاد علوان في برية العرب وبها معدن البلور ... ويذكر ياقوت الحموي في كتابه ( معجم البلدان ) معلومات جيدة ، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول ( ... والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغيرب وعيلي نجيد من الشيرق ، وسراة بني شبابه <sup>(٨)</sup> ... <sup>))</sup> ، ثم يشير إلى بعض الأجــزاء الواقعة إلى الغرب من السروات فيورد « ... ويأسفل السروات أودية تصب إلى البحر الأحمـر مـنها : الـليث ، وقـنونا ، والحسـبة ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، وعليب (٩) ›› . ويتفق كل من القزويني وياقرت الحموي على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالاً حتى صعدة جنوباً من أفصح الناس لغة ، وأكثر لمن اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول ، كهذيل القاطنة بجوار الطائف ، وبجيلة وثقيف والأزد وسط السواة (١٠) . وزيادة في القول يضيف المقدسي ، من أبناء القرن الرابع الهجري، معلومات أكثر تفصيلاً من سابقيه ، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جـنوباً والطـائف شمالاً ، حيث يقول : "القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع في أرض الأغّر بن هيثم ، ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى ، ثم إلى سردد ، ثم إلى ديار عنز بن وائل في بني غزية ، ثم تقع في ديار جرش ، والعتل وجلاجل ، ثم إلى ديار الشقرة بها خَثْعم ، ثم في ديار الحارث .... ثم في شكر وعامر ، ثم في بجيسلة ، ثـم في فهـم ، ثم في بني عاصم ، ثم في عدوان ، ثم في بني سلول ، ثم في مطار (١١) .... " ويستدل لمّا ذكره المقدسي أنه ربط ما بين ذكر الأماكن الواقعة ما بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة لها.

ويشير ابن المجاور ، من مؤرخي القرن السابع الهجري ، إلى معلومات تختص بالسنواحي الحضارية لأهل تهامة والسراة ، لا نجدها عند غيره ، فيقول : « فأمّا السرو فإنها قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم ، وفيهم بطون متفرقون .... ) (١٢) .

وفي مكسان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف ، وبخاصة الأجسزاء السروية فيذكر أن جميع تلك المناطق قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصخر ، ثم أن كل قرية مقيمة بأهلها ، وكل فخذ أو بطن من البدو في قرية ، ومن جورهم لا يسكن قسراهم ولا يترلها أحد سواهم (١٠) ، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجسزاء السسروية وأهلها فيقول (وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجس وكل وحد من أهل القرية له مغزن في القصر يغزن فيه جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، ولا يأخذ منه إلا قوت يوم بيوم (١٠) ، ويكون أهل القرية محيطين بالقصر من أربع تسرابيعه ، ويحكم على كل قرية شيخ من مشانخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطئة ، قبذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم (١٠) ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجا ، ولا يسلمون قطعة وكل واحد منهم مع هوى نفسه ، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قسرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن ، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات ، وأكلهم السمن والعسل ، وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فهوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب ... " (١٠) .

وقد أورد لن المجاور ، من رحالة القرن السابع ، نصاً يؤكد ما تحويه منطقة السراة من حصون ومخازن لغرض الحرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة ، وما نشاهده الآن ما هو إلا رموز تدل على صحة الروايات السابقة ، وقد تبين لنا في مقابلاتنا من كبار السن في عدة أماكن من قامة والسراة حول الحصون ومهامها فاتضح لنا أن لها مهمتين ، الأولى مهمة حربية ، والثانية تعد مستودعات لخزن

الحبوب، كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة بأن البنية الاجتماعية في تلك المناطق تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الأساسية في المجتمع، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم لا ينازعه أحد في سلطان، وهو الذي يعلن الحرب، وهو الذي يطفئها مع المشائخ الآخرين، ولهذا ينعم بقية الأفراد في المجتمع القبلي بالأمسن بمقدار ما يمنحه الشيخ لهم، ويصحب المعارك عادة السلب والنهب، وتسود شريعة المغاب، فالقوة هي الحق، وليس الحق هو القوة.

وينتقل ابن المجاور في حديثه عن بلاد السراة إلى ذكر بعض الأجزاء التهامية ، فيذكر ميناء السرين (١٧) ، ويسميه بناية الفرس على ساحل البحر الأحمر (١٨) ، ولا ندرى لماذا وصفه هذه الصفة ، هل لأن عمارته وبعض سكانه كانوا من الفرس ، أم ماذا ؟ ويشير أيضاً إلى بلدة حلى (١٩) ، وهي تقع إلى الجنوب من السرين فيقول عنها هــي « بلد فيه جامع ومنارة ، وأول من أخربها غازي بن متكلان من بني حارث الكردي في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب (٢٠) ، وبقى المكان على حاله إلى أن أعاد بناءه موسى بن علي بن عطية ، وهو إلى الأن مالكها ، وجميع هذه الأعمال ثبني كنائة ... " (٢١) . ولم يكن ابن المجاور هو الوحيد الذي انفرد بالحديث عن السرين وحلى وإنما أشار المقدسي إلى هاتين البلدتين وأضاف إليهما بلدي بيش وعثر ، ثم ذكر عن السرين بألها بلدة صغيرة لها حصن وبها جامع ثم قال عن علاقتها ببلاد السراة بألها  $^{''}$  فرضة السروات ، والسروات معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل الكثير  $^{''}$  ثم قال عن ديار السراة ( ولا أدري هي مدن أم قرى لأني ما دخلتها " (٢٢) ، وأشار إلى حلى في عهده بألها مدينة ساحلية عامرة (٢٣) ، أما بيش فوصفها بطيب الهواء وعذوبة المساء ، وأشسار إلى أن السلطان يقتني بما بيتاً إلى جانب الجامع (٢٤) ، ويذكر (عشر) فيقول: هي « ناحية جليلة عليها سلطان يرأسها، ومدنها نفيسة، وهي مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة ، بها سوق حسن وجامع عامر يحمل إليهم الماء من بعد ... " (٢٠) ويبدو أن المقدسي يمتاز بدقة المشاهدة والأمانة في

القول بدليك ما ذكر عن بــلاد السراة عندما قال : لا أدري هي مدن أم قرى لأين ما دخلتها .

وفي النصف الأول من القرن الخامس الهجري يبرز أحد الرحالة الكبار ممن ذاع صيتهم ، وهو ناصر حسرو الفارسي الذي حج أربع مرات ما بين ( ٤٣٨ ـ الا ٤٤هـ)، ثم كتب رحلته المعروفة بـ ( رحلة ناصر حسرو ) الذي ذكر فيها بعض المعسلومات عن بلاد تمامة والسراة ، نقلاً من بعض الرواة ، لأنه لم يغادر مكة المكرمة والطائف صوب الجنوب فقال عنها "إذا غادرت مكة وسرت جنوباً ، وصلت بعد مرحلة واحدة اليمن ، وجمل السواحل الواقعة على الساحل الجنوبي هي من أرض اليمن ، وأرض اليمن ، وأرض اليمن متصلتان ، وأهل الحجاز واليمن لسانهم العربية ، وتسمى أرض اليمن حمير ، وأرض الحجاز أرض العرب " ثم يقول في مكان آخر « وأرض العرب شمتد من الكوفة إلى مكة ، أما من مكة إلى عدن فيسمى أرض حمير " (٢٦) .

وفي إشارة جديدة ثما دونه ناصر خسرو عن هذه البلاد ، ذكر بأن أرض حمير تنقسه إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : هامة ويتضمن ساحل بحر القلزم ، ويقع هذا الجزء في الناحية الغربية من أرض حمير . والقسم الثاني من هامة سماه نجداً ، ويذكر أن بحل الجرزء مناطق شديدة البرودة ، ومضائق جبلية ، وحصوناً محكمة . أما القسم الثالث من هامة ، فعلى حد قوله ، يقع إلى الشرق من الجزئين الأولين ، ثم يذكر بعض حواضر ذلك الجزء مثل نجران وبيشة ، بل ويذكر أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ، كما أن في كل بادية حاكماً مستبداً لا يخضع لأي سلطة مركزية ، ثم يشير إلى أن مساحة هذا الجزء من هامة مائتا فرسخ طولاً في مائة وخسين فرسخاً عرضا ، ثم يقول «ويكثر السكان في هذا الجزء الشرقي من تهامة » (٧٧) .

وقول ناصر خسرو ، اليمن وموقعها ، فلعله يقصد حدودها من جهة الشمال على بعد مرحلة واحدة من مكة المكرمة صوب الجنوب ، ومسمى اليمن فهذه نقطة

خلافية عند الجغرافيين الأوائل ، حيث يرى غير ناصر خسرو أن المقصود باليمن اليمن السعيد الذي يعود باسمه إلى كثرة إنتاجه ، وهو يضم الحواضر الكبرى في اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيد وغيرها ، وقد قال بعض الجغرافيين بأن كل ما يقع جنوب الكعبة فهو يمن ، ولكن الرحالة ناصر خسرو لم يكن يقول بهذا القول فقط ، وإنما أردف تسمية أخرى لليمن زيادة في الإيضاح ، فسمى كل ما يقع جنوب مكة ببلاد حسير ، وسمى أرض الحجاز ( مكة المكرمة والمدينة المنورة ) بأرض العرب ، وهذا رأي لا نتفق معه فيه ، لأن حمير جزء من العرب ، ثم أن في عهده بعض قبائل حمير كانت تقطن المناطق الواقعة ما بين صنعاء ونجران وربما إلى بيشة ، أما غالبية المنطقة المستدة من مكة المكرمة والطائف شمالاً وحتى جازان ونجران وصعدة جنوباً فمعظم سكائها من القبائل العربية الأزدية المختلفة في البطون والعشائر إلى جانب قبائل عربية مضرية نزحت من المراكز والمناطق الواقعة في شمال الجزيرة العربية ووسطها والممتدة إلى جنوبها .

أما أرض حمير ، في رأي ناصر خسرو ، فتقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهذه الأقسام الثلاثة هي المسماة عنده بتهامة ، وحقيقة القول ، أن اسم تهامة لا يشمل إلا الجزء الأول ، أما القسمان الآخران فهما من بلاد السراة ، وبخاصة الثاني . أما الثالث فهمو منطقة النجود والبوادي الواقعة في الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، وإشارة خسرو إلى كثرة القرى بالأجزاء الشرقية ، وإلى استبداد شيوخ القبائل في ذلك الجزء فهو يؤيد ما أشار إليه ابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري .

ويشير بعيض الجغرافيين إلى الحياة الاجتماعية عند بعض سكان الأجزاء السيروية أو التهامية فيذكر ابن الجاور عن لباس النساء في بلدي السرين وحلي وما حولهما ، فيقول « ثيس يلبس نساؤهم إلا الأدم ، وذلك أن المرأة تأخذ طاقتين من أديم تخيط بعضه إلى بعض ثم تلبسه » (٢٨) . ويذكر في مكان آخر عن نساء

الأجـزاء الــتهامية الساحلية ، فيشير إلى أن مصاغهم الصفر ( النحاس ) والرصاص وجواهــرهم الــودع (٢٩) ، بــل إن المرأة تطيل شعرها ، وتدهنه بالدهن ، وتغسله بالسدر، فإذا طال ضفرته إلى ضفيرتين طويلتين (٣٠) . ولكثرة الجلود ودباغتها في كل من صعدة ونجران وجرش ، كانت تستخدم لباساً للجسد ، أو غطاء أثناء الليل ، بل وتصـنع منها النعل وأدوات أخرى عديدة (٢١) . ومن الألبسة التي كان يلبسها أهل هامــة والســراة بعض الملاحف ، والأقنعة ، والجباب والبرد التي كانوا يجلبونها من الأســواق الكبيرة في حواضر الحجاز واليمن (٣١) ، كما يلبس الرجال والنساء ألبسة سيكة خاصة في الحواضر الجبلية ذات المناخ البارد ، حيث يؤتي بهذه الألبسة من عدن أو من بعض المراكز الحضارية في بلاد مصر أو الشام أو بلاد فارس والعراق .

ويذكر ابن المجاور بعض العادات التي كانت جارية بين أهل تمامة والسراة ، حيث كان الرجال يخضبون أيديهم وأرجلهم مثلهم مثل النساء في مناسبات الأعياد والزواج وغيرها (٣٣) . كما ذكر عن السرويين بعض العادات في الجنائز فقيال (وأهل السراة يبرثون البئت عند الموت ... وللقوم عصبية عظيمة إذا مات أحد لا يعمل جنازته إلا الشبان ، ومع ذلك يقولون : سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي في وهم يتداولون بالنعش إلى المقبرة ، وهم الذي يحفرون القبر...) (٤٣) . ومن أطعمتهم اللحم ، والسمن، والحبز ، ومن أكثر الأسماء شيوعاً بينهم سالم ، وغائم، وقاسم ، ومفرح ، وراشد ، وناجي ، وجابر ، ولاحق ، وصابر ، وسعيد ، وقاسم ، ومفرح ، ومالك وغيرها أسماء كثيرة (٥٣) . ومن حسن اهتمامهم ومساعد ، وظافر ، وفاتك ، ومالك وغيرها أسماء كثيرة (٥٣) . ومن حسن اهتمامهم بالضيف ، إذا أطعم لص أو قاتل ، طعام صاحب البيت ، فإنه لا يقتل إلا بعد خروجه من البيت ، وبعد مدة من الزمن حتى ينتهي مفعول الطعام الذي أكله (٢٦) ، ويشير ابن المجاور إلى بعض عادات السرويين في الكرم ، خاصة عن تغلب عليهم البدواة ، حيث يؤحرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم ، فإن حصل ذلك ، ينحر له يؤحرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم ، فإن حصل ذلك ، ينحر له

عسلى قدر مكانته ، فقد ينحر له جمل ، ويقدم له رأس الجمل ، وإن كان عابر سبيل يذبح له شاه ، ويكسر صاحب الدار الرغيف إلى ثلاث أو أربع كسرات يضعهن أما الضيف تكريماً له ، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الحبز ، ويهرق عليه السمن أو المرق ، فيشرب بادئ الأمر المشروب ، ثم يوزع اللحم على الثريد ، وقد يطلق ، أحياناً ، على هذا الصنف من الطعام اسم العربية (٣٧) . ومن عادات السرويين أيضاً أن يكون في مخازهم صنفان من الحبوب ، ذرة وقمح ، يقدم خبز القمح للضيف، وخبز الذرة للأسرة ، وهذا السلوك ينم عن إيثار الضيف وتقديمه على الأهل. وما قصة الرجل الذي ينحر بعيره لضيوفه ، أو يقدم هم أفضل ما لديه وهو في حالة الفقر إلا دليل واضح على أعلى مراتب الإيثار ، وفي هذا يقول :

## الجود طبعي ولكن ليس لي مال وكيف يصنع من بالقوت يحتـــال فهاك خطب إلى أيام ميسرتي دينا عليّ ولي في الغيب آمـــال

وإشارة ابسن المجاور وناصر خسرو إلى أن بلاد هامة والسراة كانت تحكم بشيوخ القبائل المستقلين بسلطتهم في ديارهم ، فهذا قول نوافقهما عليه من حيث المسبدأ ، ومسن حيث المركز الاجتماعي الذي عرف لشيوخ القبائل العربية على مر التاريخ قبل الإسلام وبعده (٣٠٠) ، ولكن فيما عرف في ظل الدولة الإسلامية ، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز إلى بلاد الشام ثم العراق في العهدين الأموي ثم العباسي، أن شبه الجزيرة العربية تحولت إلى عدة ولايات تابعة لمركز الخلافة ، ومن أكبر ولايات شه الجزيرة منطقتي الحجاز واليمن ، وبخاصة الأجزاء التي تشمل الحواضر الحجازية واليمن نية الكسبرى ، وبقيت المنطقة الواقعة بين المنطقتين السابقتين ، والتي هي محور دراستنا في هذا البحث ، تابعة في أغلب الأحيان لوالي الحجاز ، الذي يتخذ مكة الكرمة أو المدينة المنورة مقراً له (٣٩٠) . ومن الواضح في بعض كتب التراث الإسلامي ، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات ، أن منطقة هامة والسراة كانت مقسمة إلى مناطق

أو مراكز حضارية ، ويطلق على كل قسم إما مخلاف ، أو عمل جمع أعمال أو كورة جميع كيور (٤٠٠). فاليعقوبي تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بتعديد أجزاء عديدة تابعة من الناحية الإدارية إلى والى مكة المكرمة ، ومن تلك الأعمال الواقعة إلى الجينوب من مكة والطائف ذكر مايلي في الأجزاء السروية: «تبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث بين كعب كانت منازلهم في الجاهلية ، والسراة وأهلهـــا من الأزد" (٤١) . وفي الأجزاء التهامية أشار إلى عشم ، وذكر ألها معدن الذهب ، وبيش، والسبرين ، والحسبة ، وعثر ، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالاً وجازان جنوباً (٤٧). وفي موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلاف، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى ، ولكنه أورد بعض الأجزاء التي تقع ضمن مساحة دراستنا ، كجرش في بلاد السراة ، وبيش ، وقنونا ، ويبه ، وضنكان ، والعهرش من جازان في الأجزاء التهامية (٤٣). ويورد ابن خرداذبة بعض الإيضاحات عين مخاليف مكة المكرمة ، فيذكر أن الطائف ، وعكاظ ، وبيشة ، وتبالة ، وجرش ، والسراة ، ونجران في الأجراء السروية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش في الأجزاء الـــتهامية ، وجميعهـا تابعة الإمارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام (٤٤٠) . ويخالف المقدسي اليعقوبي وابن خرداذبة في بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران ، وجرش ، وتربة ، والسراة في الأجزاء الجبلية ، وبيش ، وعثر ، وحلى ، والسرين من مخاليف اليمن (60) . ولكن الإدريسي يخالف المقدسي ويتفق مع اليعقوبي وابن خرداذبة فيقول عين بعيض مخاليف مكة ، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجران « ولكة مخاليف وهي الحصون فمنها بنجد الطائف ونجران ... وترية وبيشة وجرش والسسراة " ثم يضيف ضنكان ، والسرين ، وعشم ، وبيش في الأجزاء التهامية (٤٦) . وبهذه الأقوال نستطيع القول بأن بلاد هامة والسراة كانت في الغالب تابعة لولاية مكة المكرمة ، بل وأثبتت بعسض السروايات التاريخيسة ، أنَّ والى الحجاز كان في بعض الأحيان يمنح تعييناً من

الخليفة يتضمن ولايته على الحجاز واليمن معاً ، وأحياناً أخرى تضاف له ولاية بلاد السيمامة إلى جانب المنطقتين السابقتين (٢٥) . أما المنطقة التي تقع بين الحجاز واليمن، والتي أطلقنا عليها اسم ( تهامة والسراة ) فبدون شك ألها كانت تتبع إدارياً والي مكة المكسرمة مسن حيث دفع الزكاة إلى بيت مال المسلمين ، وبالتالي الولاء للخلافة الإسلامية ، لكن الذي لا شك فيه أن ما أشار إليه ابن المجاور وناصر حسرو من حيث اضطراب الأمن وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد كان مستفحلاً بين سكالها ، بل أن شيوخ القبائل كانوا هم أقوى عنصر في المجتمع فكانوا أصحاب الحل والعقد ، بل وإليهم تؤول الأمور الخاصة بأبناء مجتمعاتهم ، والخاصة بالعلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم .

ولم يكسن سكان أهل قامة والسراة منغلقين على أنفسهم ، بل كان بعضهم يسافر إلى حواضر شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة مدن الحجاز الكبرى ، فيعملون بالتجارة ، ويؤدون الحج والعمرة ، بل ويمتلك بعضهم الدور والعقار (^^). وقد حفظ لسنا الجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيّمة التي تؤكد ذهاب أعسداد كبيرة من السرويين إلى مكة المكرمة من أجل أداء واجباقيم الدينية ، والمتاجرة في بعض سلعهم التي يجلبونها معهم من بلادهم إلى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة في رجب ورمضان وفي موسم الحج ، وأول من شاهدهم ودون لنا ملاحظاته عنهم في أسواق مكة المكرمة ، الرحالة الفارسي ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجري ، ويست أشار إلى كثرقيم في مكة في أول رجب من كل سنة ، وفي عيد الفطر ، وفي موسم الحج (٩٠) . وفي القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع يزور مكة المكرمة رحالـــة أندلسي ، هو محمد بن جبير ، فيصف أحوال السرويين الذين يأتون من بلاد السراة إلى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق ، والفواكه ، والشمل ، فأبدى سروره وإعجابــه بذلك ، ووصف أولئك القوم البسطاء ، حسب ما شاهدهم ، بالشجاعة ،

والمنجدة ، والمروءة (٥٠) . ويؤكد الرحالة ابن المجاور على ما ذكر كل من ناصر خسرو وابن جبير ، فيشبير إلى أن السرويين إذا دخلوا مكة المكرمة ملاؤها من الحينطقة ، والشعير ، والسويق ، والعسل ، والذرة ، والدخن ، والزبيب ، واللوز ، وما يشابه ذلك ، ولذلك يقول : « أهل مكة حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منه القوت »(١٥) . وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة في القرن حسول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة ، وقد أورد في رحلته نبذا مما شاهده في حياهم الاجـــتماعية والاقتصادية والدينية ، فقال : « ... ويجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسيل والبرِّديب واللوز فترخص الأسعار يمكة ، ويرغد عيش أهلها وتعمهم الرافق . ولـولا أهـل هـذه الـبلاد ـ ويقصـد أهل السراة ـ لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ، ولم يأتوا بهذه المرة أجديت بلادهم ، ووقع الموت في مواشيهم ، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم ، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم . فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها ، اجتمعت نساؤهم فأخرجتهم ، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين. وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات ، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لانذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، داعين بأدعية تتصدع لرقستها القسلوب ، وتندمه العيون الجامدة فترى الناس حولها باسطى أيديهم ، مؤمنين عبلي أدعيبتهم ، ولا يمكن غيرهم الطواف معهم ، ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك . وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود ، وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطرق مقدمهم، وتجنبوا اعتراضهم ، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم " (٥٢) . وليس ابسن بطوطــة هو الذي انفرد بهذه التفصيلات بل ذكرها بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة ، فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراهًا ، وعلى ما تحلى به أهلها من الساوك الجيد والقيم الطيبة (٥٣). كما أشار إلى فصاحة ألسنتهم وخلوها من اللحن كل من الهمداني وابن جبير والقزويني (\*\*).

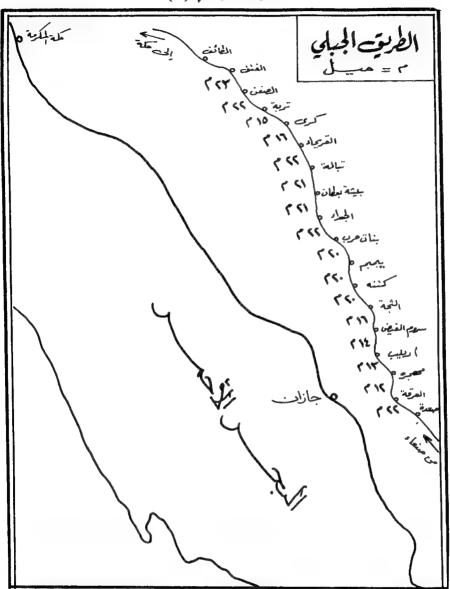
وكانت الصلات فيما بين أهل قامة والسراة مع جيرالهم مستمرة ودائمة لوجود الطوق الستى تربط حواضر اليمن (صنعاء ، وصعدة ، وزبيد ، وغيرها ) بحواضر الحجاز ( مكة المكرمة ، والطائف ، وجدة ، والمدينة المنورة ) . ومن المعلوم أن تلك الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز كانت تمر بمحطات ومراكز حضارية في منطقة لهَامِــة والســراة المعــنية في هذه الدراسة ، وبعد البحث في كتب الرحالة الجغرافيين الأوائسل ، وجدنا غالبيتهم تشير إلى طريقين أساسيين ، الأولى الطريق التي تخرج من مكسة المكرمة حتى الطائف ، ثم تأتى عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى تصل إلى صعدة ثم صنعاء ، والثانية تخرج من مكة المكرمة عبر الساحل حتى تصل إلى بلد العسرش في جازان ، ثم تواصل السير إلى بلدة زبيد في اليمن . ومن الجغرافيين الذين أشاروا إلى هذين الطريقين ، وبخاصة الطريق الجبلية السروية ، ابن خرداذبة (٥٠) ، وقدامة (٢٥) والخربي (٥٧) واليعقوبي (٥٨)، والهمداني (٥٩) ، والمقدسي (٦٠) ، والإدريسي (٦١) ، وجميع كتبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة والواقعة بين صعدة والطسائف في الأجزاء السروية ، ونوعاً ما على المحطات الواقعة على الطريق الساحلي بين مكة المكرمة وجازان (٦٢) ، ولهذا آثرنا الاعتماد على كتاب الهمدايي : صفة جزيرة العرب ، لنذكر المحطات على تلك الطريقين مع إرفاق رسم بيابي بمما ، والسبب الذي جعلنا نعتمد على الهمداني دون غيره من المصادر التي ذكرنا والتي أشارت إلى هذين الطريقين ، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقد ولد وعاش أغلب حياته في بـــلاد اليمن ، ثم إنه سافر لعدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجار ، بل وكسانت مهنسته في شبابه جمَّالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز والسيمن ، ولهذا لا بد أن يكون أكثر الجغرافيين والرحالة معرفة بأحوال ومحطات وأطوال الطرق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن والمارة ببلاد قمامة والسراة ، إلى جانب أنه الجغرافي الوحيد الذي رسم لنا طول الطريق الجبلي الذي يأتي من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا في عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه صفة جزيرة العرب في ذكر محطات تلك الطريقين الواصلة بين الحجاز واليمن ، مع العلم أنان ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التي كانت على طول الطريقين .

ويشير الهمداي إلى خروج الطريق الجبلي من صعاء إلى صعدة مع ذكر الأطوال بين تلك المدينتين ، ثم يورد قوله : «من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلا، ومن العرقة إلى المهجرة إلى المهجرة اثنا عشر ميلا ، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلا ، ومن المهجرة إلى أرينب ثلاثة عشر ميلا ، ومن المهجرة إلى الثجة ستة عشر ميلا ، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلا ، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلا ، ومن يبمبم إلى بنات حرب عشرون ميلا ، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلا ، ومن المجسداء اثنان وعشرون ميلا ، ومن الجسداء إلى بيشة واحد وعشرون ، ومن بيشة إلى تبالة واحد وعشرون ميلا ، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلا ، ومن تربة إلى الصفن اثنان عشر ميلا ، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلا ، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلا » ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلا » ( انظر الخريطة

أما طريق الساحل فلم يكن الهمدايي يشير إلى المسافات بين المحطات ، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم في جازان ، ثم إلى الهجر ، فعشر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلي ، فالجو ، فالجوينية ، فقنونا ، ثم دوقة ، فالسرين ، فالمعجر ، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة (١٤٠) ( انظر الخريطة رقم ٢ ) .

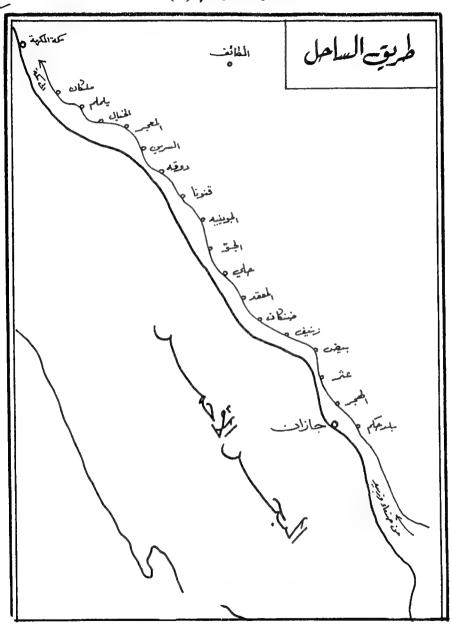
ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة ، والإدريسي عن الطريق السروية التي تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوباً ، والتي كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها الجيوش أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد

# خارطة رقم (۱)



## الطريق الجبلسسي

# خارطة رقم (٢)



طريق الساحـــل

الحجازية والسيمانية ، بل وكان يستخدمها التجار وموظف الدولة ، كالأمراء ، والقضاة ، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم . ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التي كانت على طول الطريق ، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر ألهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشيء الكثير وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالي حيث يقول :

#### إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة إلى النخل من تثليث أو يببهبها

وواصل حديثه عن الجسداء وبنات حرب ، وسروم راح التي أطلق عليها

الهمدايي سروم الفيض ، والتي تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش ، فذكر تعدد الآبار كها ، وأشار إلى ألها محطات تحتوى على قرى وسكان من عشائر مختلفة (منه) . ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التي ذكرها الهمدايي ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال : " ... ومن الفتق إلى تربة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي، ومن تربة إلى صفر، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ، وفيه ماء عذب من بنرين ، ومن صفر إلى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة ، وليس إلا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل ، وهي في بطن واد كثير النخل ، ومن كرى إلى رنية ، منزل في صحراء ، ونخل كثير ، وعين عظيمة عنبة ، والعمران حولها ، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار ، ومن تبالة إلى بيشة ، قرية عظيمة كثيرة الأهل في بطن الوادي ، ظاهرة الماء من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل أعراب من قيس ، ومن جسداء إلى بنات حرب ، قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، ومن بنات حرب إلى يبيميم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة ، وليس به أهل ، وحوله أعراب من خثعم ، وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كثبه قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كتُبه إلى التُجة موضع البريد ، وفيه بنر ماء ، ينزله القوافل ، وهو في بلاد زبيد ، وحوله أعرابهم ، ومن الثجة إلى سروم راح ، وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون كثيرة الكروم ، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ، ومن سروم راح إلى المهجرة ، وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك (١٦) ، وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهي شجرة تشبه شجرة الغرب ... ومن المهجرة إلى العرقة وهي أول عمل اليمن ، وهي إلى عمل صعدات ... (١٧) . ويتعرض الإدريسي لنفس الطريق والمحطات التي ذكرها الهمداي ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك ) التي قبل ألها كانت الحد بين الحجاز واليمن ، ويضيف معلومات أكثر عن مديني تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ، ونخل ومزارع ، ثم يقول : (وهي صفيرة في منخفض أكمة ) أما بيشة فهي أيضاً مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وبها ماء ونخل كثير (١٨) .

ويلاحف على ما ذكر الإدريسي وقدامة وغيرها رخاء بعض المدن التي تقع على قارعة الطريق الواصل بين اليمن والحجاز ، عبر الأجزاء السروية (٢٩٠) ، مع العلم أن قدامة أوضح لنا نقطة مهمة ، وهي وجود محطات للبريد ، ودور خاصة بالأعمال البريدية ، ومما يؤكد قوله أن خلفاء المسلمين الأوائل ، وخاصة الأول من بني العباس ، نشطوا البريد الذي كان يربط أجزاء شبه الجزيرة العربية بعاصمتهم في مدينة بغداد ، فكانوا يأمرون بإصلاح الطرق التي يرتادها بريد الخلافة ، ويزودون عمال البريد بكل ما يحتاجون إليه من زاد ورواحل ، ووسائل بريدية أخرى (٢٠٠) ، ولهذا فالطريق الجبلية الواصلة بين اليمن والحجاز كانت من أهم الطرق ، بل وفي بعض الأحيان كان يطلق عليها طريق السلطان ، وبهذا فلا بد وألها حظيت ببعض الإصلاحات لأجل استخدامها من قبل جيوش وموظفي الخلافة العباسية في بغداد (٢١) .

ويلاحظ الحستلاف بسيط فيما ذكره قدامة والهمداني حيث عدّد الأخير المحطات الواقعة في الأرض السروية القريبة من الطائف،ومنها إلى جهة الجنوب ، فذكر الفستق ثم الصفن ، ثم تربة ثم القريحا ، ثم تبالة إلى أن ذكر كتنة ، فالثجة ، ثم سروم الفيض ، واستمر تعداده على باقي المحطات حتى وصل صعدة (انظر الخريطة رقم ١) .

أما قدامة فلم يسلك نفس الترتيب لذكر المحطات وإنما ذكر مدينة تربة بعد الفتق ، ثم قال : "ومن قرية إلى صفر " فكلمة صفر هنا ربما ألها صحفت من اسم الصفن الذي ذكر الهمداني ، والتصحيف كثيراً ما يرد في كتب التراث أما التقديم والتأخير لذكر المحطات فنميل إلى قول الهمداني لنفس الأسباب التي ذكرناها سابقاً ، والتي جعلتنا نعستمد على كتابة : صفة جريرة العرب . وذكر محطة كثبة عند قدامة وكتنة عند الهمسداني ربما نتج عن قلب التاء ثاء ، وهذا كثيراً ما يحدث عند الكتاب أو النساخ ، وسروم الفيض عند الهمداني أو سروم راح عند قدامة فهي تعني منطقة واحدة تقع إلى الجسنوب مسن محطة الثجة التي أشار إليها كل من الهمداني وقدامة . أما الإشارة إلى المناطق القريبة من شمالي مدينتي صنعاء وصعدة .

## : كَالِنَّا : الخَاتِّمَةِ :

وبعد الإشارة إلى ما سبق ذكره نجد أن الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قسد حفظوا لنا بعض المعلومات الحضارية القيمة عن بلاد تهامة والسراة ، ولكن الذي استطعنا الحصول عليه في هذه الدراسة لا يكاد يفي بالغرض ، فلا زالت أوضاع هذه المناطق المعنية مجهولة ، مع العلم ألها من أغنى أجزاء شبه الجزيرة العربية بكثافة غاباتها ، وتسنوع خيراتها ، وكثرة سكانها ، وصفاء هوائها ، وكثرة أمطارها ، إلى غير ذلك من الصفات الملائمة لوجود ظروف مناخية واجتماعية مناسبة للعيش فيها ، وقد يقيض الله من أبناء هذه البلاد، من يستكمل أو يعثر على ما لم نستطع استكماله أو العثور عليه ، أو من يصوب ما قد أخطأنا فيه ، ورغم أن جهدنا جهد المقل ، إلا أننا نرى فيه بداية عمل لبحوث أخرى في المستقبل ، وكل ما نرجوه التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد .

رابعاً : الملاحق :

# الملحق رقم (١)

## أسماء محطات الطريق الساحلي التي وردت في أغلب المصادر التي استقينا منها بحثنا

الهمداني	اليعقوبي	الإدريسي	ابن قدامة	ابن خرداذبة
ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان
حلي		حلي	حلي	حلي
قنونا	قنونا	قنونا	_	قنونا
دوقه		دوقه	_	دوقه
	عليب	عليب	عليب	عليب
	الليث		الليث	الليث
يلملم	يلملم	يلملم	يلملم	يلملم
ملكان	ملكان	ملكان	ملكان	ملكان
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة

# الملحق رقم (٢)

## أسماء محطات الطريق الساحلي التي وردت في بعض المصادر دون المصادر الأخرى

الهمداني	اليعقوبي	الإدريسي	ابن قدامة	ابن خرداذبة
		خولان ذي	خولان ذي	خولام ذي
		سحيم	سحيم	سحيم
_	بيش		c——	
	ريم	_		
		بيشة يقظان		
-			بيشة	
				بيشة بعطان
	يبه		يبه	يبه
			ابن جاوان	بيشة ابن جاوان
		الحسبة وتسمى		الحسبة
		اليوم بالأحسبة		(الأحسبة)
		بيشة حاران		

#### خامساً : الجواشي والتعليقات

- ومن المدن التي أشار إليها ابن بطوطة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، مدينة حلي ، حيث ذكر من كان يسكنها من القبائل ، بل أشار إلى بعض العلماء الذين كانوا يسكنونا أثناء مروره بها ، كما تعرض لبعض الجوانب الاجتماعية في تلك المدينة ، كذكر بعض الأطعمة التي كان يقتاب بها السكان ، وبعض الألبسة التي كانوا يلبسون . انظر أبو عبدالله محمد بن بطوطة . رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتابي، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ٥٠١ه / وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتابي، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ٥٠١هـ / وعجائب الأسفار ، تحقيق على المنتصر الكتابي، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ٥٠١هـ / ١٩٨٥ م ) أحمد بسن عمر الزيلعي . " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي " حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت ، الحولية السابعة، الرسالة (٣٩) (٢٠١هـ /١٩٨٩م )
- ٣ ــ ولأهمية ما دون الهمداني عن بلاد السراة ، وبخاصة ما ذكر في كتابه ( صفية جزيرة العرب ) فقد أفردنا لذلك بحثاً مستقلاً حول ما رأى وشاهد ، أثناء ذهابه وإيابه في تلك البلاد ، انظر ، مجلة الدارة ، العدد (٣) س (١٩) (١٤١٤هـــ) ص٧٦ ١١١ .
- ع ــ لـــلمزيد من التوضيحات ، انظر . عبدالله بن عبدالعزيز البكري . معجم ما استعجم من أسمـــاء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ( بيروت : عالم الكتب ، ١٣٦٤هــ / مـــــا ، ص٤ وما بعدها ؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت

#### بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل ﴿ قَ ٣ هــ قَ ٨ هــ ﴾

الحموي . معجم البلدان (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) جـــــ ، ص٣٦ ـــ ٢١٨ ، ٢٢٠ ـ ٢٢٠ ؛ صــالح أحمـــد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب ( ١٣٨٨هـ /١٩٧٨م )جـــ ، ص١ ـــ ٩ ؛ عبدالله الوهيبي . " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض ( ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ) جـــ ، ص ٥٣ ـــ ٥٧ .

- ۵ \_\_\_ يــاقوت ، المصدر نفسه ، جـــ ۲ ، ص ۲۱۸ \_\_ ۲۲۰ ، جــ ۳ ، ص ۲۱۷ \_\_ ۲۱۸ ،
   الوهيبي ، المصدر نفسه .
  - ٦ انظر مقالتي العلى والوهيبي السابقتي الذكر في ملاحظة (٤).
- ٧ \_ أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ /١٨٨٤م ) ص ٣٦ \_ ٣٢ .
  - ۲۰۵ ۲۰۶ ، ص ۲۰۶ ۸
    - ٩ \_ المصدر نفسه.
- ١٠ \_\_\_\_ زكـــريا محمد محمود القزويني أثار البلاد وأخبار العباد (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٤هــ/ ١٩٨٤م) ص ٨٩٩ ؛ ياقوت ، معجم ، جـــ٣ ، ص ٢٠٥٥ .
- 11 \_ شمـس الدين أبو عبدالله المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م ) ص١٠٤ .
- ۱۷ \_ جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، تحقيق ، أو . لوفغوين (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١ \_ ١٩٥٤م ) جــ ١ ، مربح .
  - ١٣ ـ المصدر نفسه.
- 1٤ \_ يــبدو أن وجــود المخازن المسماة في بعض المناطق الإسلامية ( بالآهرآت ) أي مواضع الغـــلال ، هـــو المعمار الوحيد المنتشر في البقاع الإسلامية لهذا الغرض ، لما امتاز به من

حسسن الموقع حيث يكون على مرتفع ، إلى جانب حسن المناخ ، والبعد عن الأماكن الرديسة في التهوية ، ولهذا كانت الحبوب تدوم فيها مدة طويلة دون أن يصيبها العطب والفساد . والمستجول في وقتنا الحالي ، بالمنطقة الواقعة بين نجران والطائف يلاحظ جميع القسرى وهمسا حصون مختلفة الأحجام ، وأغلبها كانت تستخدم لخزن الحبوب المتنوعة لأفراد القرية ، مع العلم أن وضع هذه الحصون في يومنا هذا ، أصابها الخراب والدمار، لأنما لم تعد تستخدم ، ولم تجد أيضاً من يوليها الاهتمام ويحافظ عليها من الانهيار .

- السراة بما يمليه العرف القبلي ، فكان شيخ القبيلة من كبار السن الذين يتمتعون بتجربة واسعة في الحياة ، وما المثل العربي القائل عن مثل هذه الشخصية " حلب الدهر أشطره " إلا دليل واضح على حسن الاختيار .
  - ١٦ ــ ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جــ ١ ، ص٧٧ .
- 1۷ مياء السرين من المواني النشيطة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وتقع إلى الجنوب مين مكة المكرمة بحوالي خمس مراحل . وللمزيد من التفصيل عن هذا الميناء . انظر أحمد عمر الزياعي . مكة وعلاقاتما الخارجية ( ٣٠١ ــ ٢٨٧هـــ ) . ( الرياض : عمادة شؤون المكتبات ــ جامعة الرياض ، ١٩٨١ ـ ١٨٤ ـ ١٨٦ .
  - ١٨ ـــ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جــ١ ، ص٥٣ .
- 19 ولسلمزيد مسن التوضيح عن مدينة حلي ، انظر . الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى " ص11 وما بعدها .

#### بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل ﴿ ق ٣ هــ ق ٨ هـ ﴾

- ٢١ \_ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص٤٣ \_ ٥٤ .
  - ۲۲ ـــ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٨٦ .
    - ٢٣ \_ المصدر نفسه.
    - ٢٤ \_ المصدر نفسه.
    - ٢٥ \_ المصدر نفسه .
- ٢٦ \_\_\_ انظر . أبو معين الدين ناصر خسرو . سفر نامه ( رحلة ناصر خسرو ) ترجمه من الفارسية وحققـــه ، أحمد خالد البدلي ( الرياض : عمادة شؤون المكتبات \_\_ جامعة الملك سعود ،
   ٣٦٩ ام ) ص ١٤١ \_\_ ١٤٢ .
  - ٧٧ \_ المصدر نفسه.
  - ٢٨ ــــ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جـــ ١ ، ص٥٦ .
    - ٢٩ ــ المصدر نفسه ، ص٥٥ .
    - ٣٠ \_ المصدر نفسه ، ص٥٦ .
- ٣١ \_\_\_\_\_ انظر ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ ؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحوالي ( الرياض : دار اليمامة للبحث والسترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م ) ص ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٠ \_ ٢٥٠ ، ٢٥٠ .
- ٣٧ \_ أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي مسلحس ، ط٤ ، ( مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ) جـ٧ ، ص ٢٣٩ ؛ ناصر خسرو ، الرحلة ، ص ١٣٦ ؛ ابن المجاور، المصدر السابق، جـ١ ، ص ٥ ـ ـ ٢ .
- ٣٣ \_ ابــن المجاور ، جــ ١ ، ص٧ ، ومثل هذه العادات لا زالت مألوفة بين بعض السكان في الأجزاء التهامية والسروية ، وبخاصة عند كبار السن من الرجال .

- ٣٤ ــ ابن المجاور ، جــ ١ ، ص٥٥ . وهذه العادة أيضاً لا زالت تمارس عند بعض الأسر والعشائر والأفخاذ الساكنة في البلاد السروية والتهامية على وجه العموم .
- ابسن المجاور ، جــ ١ ، ص ٣ . ومن يتجول في بلاد السراة أو همامة في وقتنا الحالي سيجد أسمساء لكثير من الأسر ، وبخاصة أجدادهم الأوائل ، وسيجدها على منوال ما ذكر ابن المجاور ، بل ويجد أسماء أخرى مستمدة من أسماء الطبيعة ، كحجر ، وفارس ، وعصفور ، وريحان وغيرها من الأسماء . ويا حبذا أن يتصدى أحد الباحثين في المنطقة لمثل هذه الأسماء وغيرها فيدرسها مع تتبع جذورها من العهود القديمة ، ثم ايضاً يدرس علاقتها بالسكان والبيئات التي تستخدمها .
  - ٣٦ ابن المجاور ، جـــ ٢ ، ص ٢٣٤ .
- ٣٧ ــ المصدر نفسه ، جـــ ، ص ٢٣٢ ، ولا زال الكرم صفة حميدة بين أهالي بلاد تمامة والسراة إلى وقتنا الحالي .
- ۳۸ ــ للمزيد من التفصيل عن شيخ القبيلة ودوره في المجتمع منذ العصر الجاهلي ، انظر . جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ( بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م ) جــ على . مره ــ ٢٧١ ، جــ ٥ ، ص٢٥٣ ـ ٣٣٣ .
- ٣٩ للمزيد من التوضيح عن ولاة الحجاز وكيف كان بعضهم يعين من قبل الخليفة الأموي أو العباسي في كل من اليمامة والحجاز واليمن ، وأحياناً بلاد البحرين ، انظر . تقي الدين عمد الفاسي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من كبار العلماء ، (بيروت : دار الكتب العلمية د.ت ) جـــ ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها ، انظر أيضاً The Governorship in the Hijaz During the Early Abbasid period .

  Vol. (7) January, 1992 . (العمور) . Ages PP 13-21 .
- ٤٠ والكورة ، أو المخلاف ، أو العمل جمع أعمال ، تساوي ما يسمى اليوم بالمحافظة ، أو
   الإمارة وكانت ولا زالت تسمى في المغرب بـ ( الحوز ) وفي الجزائر بـ ( العمالة ) .
- 13 ــ أحمد بن يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان ، تحقيق ، أم . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ٢١ ـ . ١ . ١ . ٢١٦ .

#### بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والمغرافيون السلمون الأوائل ﴿ قَ ٣ هــ قَ ٨ هـ ﴾

- ٤٢ \_ المصدر نفسه ، ص ٣١٦ ، ٣١٨ .
- 23 \_ المصدر نفسه ، ص ٣١٧ \_ ٣١٨ .
- ١٤٤ \_\_\_ أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ، أم . دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩م ) ص ١٣٣٣ .
  - ٨٨ ، ٧٠ ١٩هـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٩٩ ٧٠ ، ٨٨ .
- 23 \_ محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ) جــ ١ ، ص١٤٥٥ .
  - ٤٧ ــ انظر ، الفاسي ، شفاء الغرام ، جــ ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها .
- ٤٨ ــ ولمــزيد مــن التفصيلات عن اتصال أهل تمامة والسراة بأسواق مكة ، انظر . الأزرقي ، الخــبار مكـــة ، جـــ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٣٩ ؛ محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير (بيروت) : دار الكتب د.ت ) ص ٢٠١ وما بعدها .
  - ٤٩ ــ ناصر خسرو ، الرحلة ، ص١٣٦ .
  - ٥٠ \_ ابن جبير ، المصدر السابق ، ص١٠٧ \_ ١٠٥ .
    - ٥١ ــ ابن المجاور ، المصدر السابق ، جــ ١ ، ص٧٧ .
    - ٥٢ ــ انظر ابن بطوطة ، الرحلة ، جــ ١ ، ص١٥٢ .
- للمزيد من التفصيلات عن توافر الحبوب والخيرات في بلاد تمامة والسراة ، انظر . عرام ابن الأصبغ السلمي . كتاب أسماء جبال تمامة وسكالها ، تحقيق ، عبدالسلام هــــــــــارون (القاهـــرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـــ /١٩٥٥م ) ص ٤١٧ ،
   ٢٤ـــ ٢٤٤ ؛ القـــزويني ، آثـــار البلاد ، ص ٨٩ ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٠٠ ؛ يقوت ، معجم ، جـــ م ، ص ٥٠٠ ؛ ابن المجاور ، جــ ١ ، ص ٢٠٠ .
- ٥٤ ــ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٠٤ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٨٩ .

- ٥٥ ـــ المسالك والممالك ، ص ١٣٤ ــ ١٣٦ ، ١٤٨ ــ ١٤٩ .
- آبو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج ، ضمن كتاب المسالك والمملك لابن خرداذبة ،
   تحقيق ، أم . دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ /١٨٨٩ ) ص ١٨٨ .
   ١٨٩ . ١٩٣ . ١٩٩ .
- ٥٧ ــ أبو إسحاق الحربي . كتاب " المناسك " وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ) .
  - ۵۸ ـ البلدان ، ص ۳۱۷ .
  - ٥٩ \_ صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٩ \_ ٣٤١ .
    - ٦٠ ــ أحسن التقاسيم ، ص ١١١ ــ ١١٢ .
  - ٦١ ــ نزهة المشتاق ، جــ ١ ، ص١٤٥ ــ ١١٢ .
- 77 أجمعت المصادر على ذكر أغلب المحطات التي تقع على الطريق الجبلي السروي ، أما الطريق الساحلي فقد ذكرته بعض المصادر ، لكن ظهر بعض الاختلاف في ذكر أسماء بعسض المحطات على تلك الطريق ، ولهذا الأمر ألحقنا بالبحث ملحقين ، الأول : وضح أغسلب أسماء المحطات التي وردت في المصادر التي استقينا منها بحثنا حول هذا الطريق ، والثانى : بين أسماء المحطات التي وردت في بعض المصادر دون المصادر الأخرى .
  - ٣٣ ـ الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .
    - ٣٤١ ــ المصدر نفسه ، ص ٣٤١ .
    - ١٣٥ ١٣٤ ص ١٣٤ ١٣٥ .
- 77 ـ وطـــلحة الملك لا زالت إلى يومنا هذا تعرف باسم قرية طلحة ، وتقع في الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب في بلاد قحطان ، وإلى الشمال من مدينة نجران .
  - ٣٧ \_ قدامة ، المصدر السابق ، ص١٨٨ \_ ١٨٩ .

#### بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون السلمون الأوائل ﴿ ق ٣ هـ ـ ق ٨ هـ ﴾

- ٦٨ \_ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، جـ ١ ، ص١٤٥ \_ ١٤٦ .
- 79 وقد يعود رخاء هذه المدن إلى موقعها التجاري ، وكثرة القادمين إليها ، لبيع سلعهم ، أو لشراء سلع منها ، أو للمبيت فيها ، والإنفاق طيلة إقامتهم بها . وبعض هذه المحطات ك ( بيشـــة ، ورنيــة ، وتربة ، وغيرها ) ما زالت إلى يومنا هذا تؤدي خدماها للمارة بها ، وكلما تحسنت خدماها ، كلما أدى الأمر إلى ازدهارها .
- ٧٠ للمزيد من التفصيل عن أحوال البريد خلال العصر العباسي وما جرى عليه من إصلاحات، انظر. حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م) جــ ٢ ، ص ٢٦٨ ٢٧١ .
- العصور العباسية الأولى ، هو ما بذل خلفاء بني العباس الأوائل في إصلاحات بعض العصور العباسية الأولى ، هو ما بذل خلفاء بني العباس الأوائل في إصلاحات بعض الطرق الأخرى ، كطريق العراق الحجاز ، أو طريق العراق الشام الحجاز أو غيرها ، ثم إن بلاد اليمن كانت من الأجزاء المهمة لدى خلفاء بني العباس الأول لتكون تحت حوزهم فكانوا يرسلون إليها الولاة وغيرهم من موظفي الدولة ، بل ويسعون إلى قمع أي ثورة تظهر فيها ، وربما ذلك الاهتمام كان ناتجاً عن حرصهم على ضم شمل دولتهم ، بل وإلى معرفتهم بغناء أرض بلاد اليمن وما بما من خيرات قد تعود زكاها وجبايتها إلى بيت مال المسلمين في بغداد .

## الدراسة السادسة :

# صور من الحياة الإجتماعيـــة في بلاد السراة خلال العصور

الإسلامية المبكرة والوسيطة<sup>\*</sup>

إعداد

# أ.د. غيثان بن على بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد

27376-77

# محتويات الدراسة السادسة

# صور من الحياة الاجتماعيــة في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطــة

الصفحة	الموضوع	السلسل
7.7-199	المقدم معقدا	أولاً :
7.8-7.4	طبقات المجتمع الســـروي ٠	ثنت :
Y • 9- Y • A	الأسرة في المجتمع الســـروي •	ثثثًا:
711-7.9	أفراح وأتراح أهل الســـراة ٠	دابعــاً :
770-711	العمران في بلاد الســــراة •	خامساً:
779-777	الأطعمة والأشربــــة ٠	سادساً:
74.	الخاتــــة ٠	سابعـــاً :
7 2 7 - 7 7 7	الحواشي والتعليةات ٠	ثامناً

# صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

#### أولاً: المقدمـــة

إذا ما تفحصنا الدراسات العلمية الأكاديمية التي نُشرت عن تاريخ وفكر وحضارة شبه الجزيرة العربية منذ العهود القديمة إلى عصرنا الحاضر ، لوجدنا تفاوتاً كبيراً من حيث الزمان والمكان ، وهذا التفاوت نستطيع أن نجمل أسبابه فيما يأتي :

- الدراسات التي أجريت عن شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة تكاد تكون أكثر وأوسع انتشاراً عن تاريخ بلاد اليمن والحضارات التي خرجت فيها، وكذلك عن الأطراف الشمالية من الجزيرة وبخاصة فيما يتعلق بتاريخ وحضارة الغساسنة والمناذرة، وغيرهم من المجتمعات التي عاشت في مدائن صالح وما حولها ، أما الأجزاء الوسطى الواقعة بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوها فقد طواها الإهمال والنسيان ، اللهم إلا أرض الحرمين الشريفين وبخاصة مكة المكرمة التي عني بذكرها أصحاب المدونات القديمة لكولها بلداً حراماً(۱).
- استمرار هذا النسيان أيضاً إبان العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة مسن بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة إلى القرن (١١هـــ) وربحــا (١٢) الهجري ، فقد أغفل المؤرخون ومدونو التراث الإسلامي الحديث عن معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية فيما عدا بعض الحواضر الإسلامية الكبرى مثل مدن اليمن ومراكزها السياسية والحضارية كصنعاء، وصعدة، وزبيد ، وعدن ، أو حواضــر الحجــاز ذات الأهمية الدينية والصبغة التجارية مثل مكة المكرمة ،

والمدينة المنورة ، واليمامة في وسط شبه الجزيرة ، وكذلك أرض البحرين الواقعة في شرقها • وعلى الرغم التفات بعض المؤرخين والشعراء والأدباء في العصور الوسطى إلى هذه الأجزاء فيما دونوه أو نظموه إلا أن حديثهم وأشعارهم عن تلك الحواضر لا يقارن بما ذكروه عن الحواضر الإسلامية الكيرى الواقعة في بلاد الشام والعراق وفارس ، وكذلك في مصر وشمال إفريقية والأندلس (٢) • وعندما نأتي إلى أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية -وهـ الأجزاء المعنية في هذا البحث - مثل البلاد الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، والتي أطلقنا على المرتفعات منها أرض السراة أو بلاد السراة ، أو السراة • كما أطلقنا على المنخفضات من هذه البلاد اسم تعاملة وبخاصة المنطقة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر غرباً ، وجبال السروات شرقاً ، والممتدة من الحجاز شمالاً إلى حواضر اليمن الكبري جنوباً ، ومسناخها ، وثرواها الحيوانية والنباتية ، والمزدحمة بطاقاها البشرية مع تنوع معايشهم وطبقاقم الاجتماعية نجد ألها كانت من المناطق التي سادها النسيان في مصادر الـــتراث الإسلامي ، فلا نجد عنها في مختلف المصادر المبكرة إلا شتي جو انبها (٣) •

ورغم إخراجنا لعدد من الأبحاث والدراسات المختلفة عن تلك البلاد المعنية بالدراسة ، إلا أننا مع هذا لازلنا نعترف بالنقص والقصور فيما كُتب عنها، وإنني من موقعي هذا – أناشد المتخصصين في حقل الدراسات التاريخية القديمة وعلم الآثار ، وأقول أن هذه البلاد الواقعة بين اليمن والحجاز ، والتي أسميناهي " تهامة والسراة " لازاليت أرضاً بكراً إن صح التعبير ، وفي حاجة ماسة إلى كثير من الدراسات الأثرية

المتخصصة والتي تقوم دعائمها على الحفائر والتنقيب الأثري، والتي سوف تميط اللثام بالـــتأكيد عـــن كـــثير من نواحي الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه المنطقة سواء في العصـــور القديمة أو الإسلامية المبكرة والوسيطة وهو ما يعنينا في المقام الأول في ضوء صمت المصادر الإسلامية غالباً في الحديث عنها (٤) •

وخصوصاً بما تحستويه من نقوش وزخارف ورسوم وآثار متنوعة لا تزال مندرسة في معظم أجزائها ، وبالأخص في مراكزها الحضارية الكبرى والتي وجدنا شدرات مبعشرة عنها عبر العهود القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة مثل نجران، وجسرش (عسير)، وبيشة، وتربة ، ورنية ، والطائف ، وجميع هذه المواقع توجد في الأجرزاء الجبلية السروية، أما النواحي التهامية ، فهناك نواح وأماكن كثيرة تحتاج بدورها إلى كثير من الدراسات نذكر منها على سبيل المثال مخلاف حَكم (جازان)، وحلى، والأحسبة ، وعشم ، والسرين ، وبارق وغيرها (مه) ه

وهذه المناشدة لم تأت إلا بعد أن جبت أنحاء هذه البلاد - لأي أحد أبنائها طولاً وعرضاً خلال الثلاثين سنة الماضية ، وكتبت ثم نشرت عدداً من الدراسات العلمية التي تناولت تاريخ وحضارة هذه البلاد ، ولكن معظم ما أصدرته من أبحاث ودراسات تكاد تكون متأخرة زمنياً وأنصبت أغلبها على تاريخ وحضارة تهامة والسواة خلال الثلاثة أو الأربعة القرون المتأخرة الماضية ، ولم أكن الوحيد الذي عنى بالكتابة عن هذه الفترة ، وإنما ساهم معنا آخرون كل قدر استطاعته ، واهتمامي وغيري من الباحثين بالقرون الهجرية المتأخرة يعود إلى سبب أساسي هو توافر المادة العلمية الخاصة بتلك الفترة بدرجة طيبة إذا ما قورنت بالفترات الإسلامية المبكرة ، وبالتالي فقد خرجت عدد من الإسهامات العلمية التاريخية والحضارية التي تناولت هذه المبلاد في تلك الفترة (٢) ،

أما ما قبل القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) ، فالأمر يزداد صعوبة لندرة المادة العلمية عن هذه البلاد المعنية بالدراسة ، وأعتقد — كما سبق القول — أن إجراء الدراسات الأثرية الجادة عن تلك البلاد قد تفتح آفاقاً جديدة للباحثين ، وبخاصة إذا وُجد أصحاب الاختصاص ومن لهم اليد الطولى في الآثار ودراستها ، وهم — والحمد لله — كُثر في بلادنا ، ولقيام مثل تلك الأبحاث والدراسات الأثرية الأصيلة لابد من توفر عاملين مهمين هما التشجيع المعنوي ، والدعم المادي من جانب الجهات الحكومية المعنية بهذه الأمور ، وهذا ليس غريباً على ولاة أمرنا فهم أصحاب الأيادي البيضاء في كل جانب ومضمار يخدم الوطن والمواطن، ويعود بالنفع على الإسلام والمسلمين ( $^{(V)}$ ) ه

وهذا السبحث الذي بين أيدينا ، اقتصرنا في دراسته على إلقاء الضوء على بعسض جوانسب مسن الحياة الاجتماعية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، ويظهر ذلك من عنوانه الموسوم به " صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " ، ولا ندعي الكمال فيما دون على صفحات هذه الدراسة ولكننا نزعم ألها دراسة جديدة في تناولها وطريقة طرحها ، وأرجو أن تضيف جديداً للمكتبة التاريخية العربية ، وتسد نقصاً في جانب من الجوانب الحضارية لهده البلاد، وما سوف نتطرق إليه في هذه الدراسة يشمل الحديث عن طبقات المجتمع السروي والذي تشكل من العناصر العربية الأصيلة ، والعناصر غير العسربية التي وفدت إليه وانتجعت أنحاء متفرقة من هذه البلاد للعمل في شتى الحرف والفنون الصناعية المعروفة في ذلك الوقت ، كما تطرقنا للحديث عن نظام الأسرة في المجتمع السروي وألقينا الضوء على بعض العادات والتقاليد في البيت السروي والحربي تساولت بالدراسة بعض مظاهر العمران وركزت الحديث عن العمران المدين والحربي تساولت بالدراسة بعض مظاهر العمران وركزت الحديث عن العمران المدين والحربي العسون الأبنية ذات الصبغة الدينية ومنها المقابر وغيرها ، واختتمنا الدراسة بالحديث

عـن الأطعمة والأشربة التي اعتادها أفراد المجتمع السروي في فترة البحث وأوضحت كيف اعتمد أبناء المجتمع السروي في معيشتهم على بيئتهم المحلية ومنتجاها في حياهم اليومية .

وهـذه العناصر في اعتقادي تمثل بعض المظاهر الحضارية في هذه البلاد والتي تعكس لنا الواقع الاجتماعي لأهل السراة في العصر الإسلامي ، من خلال رصد بعض مظاهر الحياة اليومية وكيف كانوا يمارسونها ويتعايشون من خلالها .

## ثانياً :طبقات المجتمع السروي

كان هذا الجستمع يتكون في أغلبه الأعم من طبقتين متباينتين الأولى هي العناصر العربية الأصيلة من سكان هذه المناطق والثانية هي العناصر الوافدة على البلاد مسن خارجها وسوف نحاول إلقاء الضوء على بعض مميزات كل طبقة ودورها الذي قامت به في المجتمع السروي •

#### أ \_ العناصر العربية:

يغلب الطابع القبلي على مجتمع بلاد السراة ، وقد لمسنا ذلك من خلال ما ورد في المصادر عن أحداث عام الوفود (^) ، حيث وفدت القبائل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة ، فكان الوفد يأتي إلى المدينة ويقابل أعضاؤه الرسول ( الله على ) ، وأول ما يسألهم (النبي الكريم) ممن القوم؟ ففي الغالب يرد الوفد قائلاً : (نحن من كذا وكذا ...) ، ويذكر المتحدث اسم قبيلتهم أو عشيرهم (٩) ، وجميع وفود قبائل السراة كانت في الغالب أزدية قحطانية، وإن كسانت لا تخلو أحياناً من بعض القبائل والعشائر المضرية العدنانية (١٠) ، ويظهر ، كما سبق ، أن طبيعة قبائل السراة في العصور المبكرة والوسيطة كانت مستقلة بعضها عن بعض ، بل ربما كانت لا تدين بالولاء الفعلي لسلطة الخلافة الإسلامية ، يوم كانت في بعض ، بل ربما كانت لا تدين بالولاء الفعلي لسلطة الخلافة الإسلامية ، يوم كانت في

الشام للأمويسين (٤٠ - ١٣٢هـ) ، أو في العراق للعباسيين (١٣٢ - ٦٥٦هـ) ٠ ولقد أكد هذا القول الرحالة ناصر خسرو (في القرن الخامس الهجري ، القرن الحادي عشر الميلادي)، وابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) عـندما أشارا إلى كثرة مواطن السرويين ببلاد السراة (١١) • ثم استطرد الرحالة ناصر خسرو فذكر أن على كل موطن من تلك المواطن "حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزية " (١٢) ، ويؤكد كل من خسرو وابن المجاور على تعدد عشائر وبطون القبائل العسربية في أرض السراة (١٣) . ويضيف ابن المجاور بعض التفصيلات عن مشيخات قبائل السراة ، الممتدة من صنعاء وصعدة جنوباً إلى الطائف شمالاً ، ويمدنا بلمحة عن الأوضاع الإدارية والسياسية المحلية لتلك القبائل فيقول: " يحكم على كل قرية شيخ من مشائخها، كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطئة، فإذا حكم يأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يـؤدون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، بهذا لا يزال القتال دأبهم، ويتفلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن . وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنســـاب "(١٤) • ويذكر أيضاً " أما السرو فإنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشانخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون " (^^) •

وتنقسم بلاد السراة إلى بوادي وحواضر ، وهذه القسمة تحدث في العشيرة أو القبيلة الواحدة ، فأهل البادية ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن الماء والمرعى لمواشيهم ، أما أهل الحواضر فيستقرون في قراهم أو مدهم ، وأحياناً تكون هناك علاقات دم بين أهل البادية وأهل الحضر، وبالتالي تكون مشيختهم ورابطتهم واحدة، إلا أهم مع ذلك لازالوا مستقلين عن غيرهم من القبائل والمشيخات المحلية (١٦٠). ويورد لنا الحسن بن أحمد الهمداني معلومات عن بعض المشيخات العربية المحلية ببلاد السراة ، فيذكر مدينة جرش وحكامها خلال القرن الرابع الهجري (العاشر

المسلادي) (۱۹) ، فيقول: "جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسح من أشراف حمير (۱۸) ، ويتحدث عن بعض مدن وقرى سراة الحجر كمديسنة الجهوه وغيرها (۱۹) ، فيقول : " الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش وصاحبها الجابر بن الضحاك الربعي بن نصر بن ربيعة بن الحجر ((۲۰) و "زنامة العرق وهي لجابر بن الضحاك قرية فيها زروع ، ثم بعدها أيد " صدريد "(۱۳) ، وادفيه نبذ من قرى وزروع (۲۲) .... " ثم يذكسر قرى وأرياف وبواد عديدة في السروات ، ويذكر أهلها ، وأحياناً يذكر أسماء شيوخها ورؤوساء العشائر فيها (۳۳) .

ويتمتع شيوخ القبائل السروية ، منذ العهد الجاهلي حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) بسلطة كبيرة في قبائلهم ، فهم أصحاب الحل والعقد في جمع أمسور قبائلهم (٢٤) ، وتؤيدنا في ذلك بعض المصادر المحلية المتأخرة ، فيذكر شعيب بن عبد الحميد الدوسري في سنة (١٢٥ه / ١٨ه / ١٧٥١م ) عدداً من مشائخ أهل السراة أثناء حديثه عن الأمير / مرعي بن محمد (٢٥) ، فيقول : "وقد اصطحب معه من وجهاء قحطان ، ويام ، وعسير ..." (٢٦) ، كما يذكر كل من أحمد بن حسن النعمي في كتاب : عسير عدداً في كتاب : عسير عدداً في كتاب : عسير عدداً مسن أسماء ومشائخ بالاد السراة خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (٢٧) ،

وليسس كسل ما ذكرته المصادر المتقدمة زمنياً أو المتأخرة عن القبائل وأسماء مشائخها في بلاد السراة يُعد إلماماً كاملاً بكل المشيخات التي ظهرت في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وأوائل العصر الحديث ، وإنما هي نماذج توضح أن الطابع القبلي وعلى رأسه شيخ القبيلة هو الأساس في التركيبة الاجتماعية لبلاد السراة ، طوال عصور طويلة مرت وحتى فترة قريبة من واقعنا المعاصر (٢٨) .

#### ب\_ العناصر غير العربية:

لم يخل مجتمع بلاد السراة من عناصر غير عربية قامت على خدمة العناصر العربية لاسيما في مجال الحرف اليدوية والفنون الصناعية التي لا يمتهنها العرب ولا يقبلون عليها فوجد إلى جانب العناصر العربية بعض الموالي الذين امتهنوا بعض الحرف اليدوية وغيرها من الفنون الصناعية ، ويؤكد ذلك عدداً من الإشارات الواردة في الكثير المصادر الأولية التي توهت عن وجود عناصر غير عربية من الفرس والأفارقة في الكثير من المواقع ببلاد السراة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة (السابع والثامن للميلاد) (١٠٠٠) كذلك يذكر الهمداني وهو من رجال (ق٤هـ /ق ، ١٩) أثناء حديثه عن جرش فيقول: "وفي شق قرية جرش فرقة من الغزارية يدعون الجزارين من موالي قريش"(٣٠٠) فيقول: "وفي شق قرية جرش فرقة من الغزارية يدعون الجزارين من موالي قريش"(٣٠٠) القريب من مدينة نجران (٢١٠) ، ثم يؤكد على أن أغلب العمال فيه من الفرس (٢٠٠) ، ولا يستبعد وجود كثير من العناصر غير العربية والذين كانوا يعملون في مهن وحرف متعددة في بلاد السراة ، وذلك لوفرة المهن والصناعات اليدوية، والموجودة بالبلاد منذ عهود قديمة حستى الآن (٣٠٠) ،

وربحا كان بعض من تلك العناصر في بلاد السراة قد أصبحوا من أصحاب الوجاهة والمكانة الاجتماعية الرفيعة بفضل ما أصابوه من ثراء من وراء احتكار العمل في بعض هذه المهن ، لاسيما التجارة ، ويؤيدنا في ذلك عدة إشارات وردت صريحة في بعض المصادر الإسلامية المبكرة، فقدامة يتحدث عن قرية تربة (٢٤)، فيقول : " قرية قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي " (٣٥) ، كما نجد مصادر أحسرى عديدة ، وبخاصة مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، وكذلك بعض كتب التاريخ الحولي والسير تشير إلى بعض الموالي (الفرس)، وكذلك السزنوج الأفارقة وأحياناً الأتراك كانوا يعملون في الزراعة، والتجارة ، ومزاولة بعض

الصناعات اليدوية في كل من نجران (٢٦)، وبيشة (٣٨)، وتبالة (٣٨)، ورنية (٣٩)، ورنية (٣٩)، ورنية (٣٨)، وبيط بلاد والطائف، وجميع هذه المناطق تأيي على الطريق التجاري الشرقي الذي يوبط بلاد اليمن بالحجاز (٤٠٠) و ولا يستبعد أن تكون تلك العناصر وغيرها قد وجدت أيضاً في أجزاء داخيلية من بلاد السراة، وبخاصة المرتفعات منها والتي يوجد فيها الآن أهم وأنشط المراكز الحضارية مثل: ظهران الجنوب من الناحية الشمالية لمدينة نجران (٤١)، يليه نحو الشمال سراة عبيدة، وأحد رفيدة، وتثليث، وطريب في بلاد قحطان (٢٠٠)، ثم يليه نحو الشمال سراة عبيدة، وأجد رفيدة، وتثليث، وطريب في بلاد بللحمر، ثم اثنين مئيسه مشيط، ثم أبها حاضرة عسير (٣٤)، ثم بلدة صبح في بلاد بللحمر، ثم اثنين بللسمر، ثم تنومة، فالنماص وبلاد بني عمرو (٤٤)، ثم سبت العلاية، وباشوث، والبسائر، وبلاد محتم، وبلجرشي، والباحة، وبلاد بجيلة بني مالك وغيرها من المراكز الواقعة على الطريق الرئيسي الواصل من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً (٤٠٠)،

كذلك كان العبيد من العناصر غير العربية والذين جلبوا إلى بلاد السراة ، إما عن طريق الشراء من أجل الخدمة في بعض المهن الاقتصادية المحلية الحاصة، أو العمل في بيوتات الطبقة الراقية من أهل السراة (٤٩) •

ومن يتجول في طول وعرض بلاد السراة اليوم يلاحظ بعض العناصر البشرية السبي يظهر من أشكال بشرقا، وهيئة شعورهم وتقسيمات وجوههم إلهم يعودون إلى سلالات أفريقية أو تركية وغيرها ، وعندما نسأل عن أصولهم نجدهم قد قدموا إلى بلاد السراة منذ منات السنين ، ومثل هؤلاء لا يستبعد ألهم قدموا إليها في هيئة عبيد ثم اعستقوا وانتموا للعشائر التي عاشوا وتربوا بين أهلها (٥٠٠) ، كما نجد عدة مصادر تشير إلى أن بعض خلفاء بني أمية والخلفاء الأول من بني العباس وبعض مواليهم كانوا يمتلكون عقارات وملكيات زراعية في الطائف ، وبعض المدن الرئيسة في بلاد السراة مثل : الطائف، وتربة ، ورنية ، وبيشة ، وجرش ، ونجران ، وصعدة ، وصنعاء (١٠٠) مصادر أخرى إلى أن عدداً من أشراف مكة خلال العصور الوسطى كانوا يملكون عقارات وأراض زراعية في بيشة ، ورنية ، وتبالة، والباحة ، والنماص ، وأبحا ، وسراة عبيدة ، ونجران، ومدن وقرى أخرى في أرض السراة (٢٥) ، وكانوا لا يأتون إليها إلا عبيدة ، ونجران، ومدن وقرى أخرى في أرض السراة (٢٥) ، وكانوا لا يأتون إليها إلا في أوقسات مستفاوتة في حين أن خدمهم وعبيدهم كانوا هم القائمين عليها طوال العسام (٥٠٠) ،

## ثَالِثاً: الأسرة في المجتمع السروي

سبق القول بأن الطابع القبلي كان غالباً على المجتمع السروي ، وكانت جميع القبائل والعشائر والأفخاذ تتكون من قرى وبواد ومنازل مختلفة ، والقاسم المشترك في هـــذا كله ألهم جميعاً يتكونون في الأساس من أفراد وأسر تتفاوت في الكبر والصغر ،

ولكن الغيالب على نظام الأسرة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة وكذلك أوائل العصر الحديث أن جميع أفرادها يعيشون في مترل واحد ، يسبدأ بالجد إن كان على قيد الحياة ، وينتهي بالأبناء والبنات والزوجات والأحفاد ، وتقوم حياقم على أساس من الترابط والتعاون في ممارسة أعمالهم وكسب معيشتهم من خلل المهن التي يمارسونها سواء كانت رعياً ، أو صيداً ، أو زراعة ، أو حرفاً مهنية يدوية ، أو تجارة وغيرها (٤٥) ،

وكما كان لكل قبيلة أو عشيرة من بلاد السراة شيخ أو مشيخة فإن لكل أسرة أيضاً شيخاً أو رئيساً ، أو ما يسمى بـ (كبير الأسرة) أو (عميدها) ، وبالتالي يكون مسؤولاً عمّا يحدث أو يراد عمله في الأسرة ، فلا يستطيع أي فرد من أفراد الأسرة عمل أي شيء إلا بعد مشاورة كبير الأسرة فيما يرغب القيام بعمله ، وكان لكبير الأسرة هيبة واحترام بين أفراد أسرته ربما تضاهي الهيبة والتقدير الذي يحظى به شيوخ القبائل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم (٥٥) .

## رابعاً : أفراح وأتراح أهل السراة :

إذا مساحاول العشور على تفصيلات دقيقة عن حفلات ومناسبات أهل السراة، وكذلك مسآتمهم وأتراحهم وأحزاهم ، فإننا نجد صعوبة بالغة فيما يتعلق بالقسرون الإسلامية الأولى والوسيطة ، وذلك لأن معظم المصادر التي نوهت عن بلاد السراة في أي جانب من جوانب الحياة تكاد تكون صامتة في هذا المجال، وهذا لا يعني أنه لم يكن هناك أعراف وتقاليد وقيم وفنون شعبية وحفلات ومناسبات مختلفة ، وإنما نؤكد عسلى وجود مثل هذه النشاطات بين أهل السراة منذ العصور الجاهلية وحتى يومنا هذا ، ودليلنا على ذلك يعود إلى عدة أسباب رئيسة هي :

أن استقراء مساكُست وحفظته لنا المصادر الأولية عن بعض الجوانب الاجستماعية في كسل من صنعاء ، وصعدة باليمن ، والمخلاف السليمايي ، وحلى بن يعقوب ، وعشم ، والسرين ببلاد هامة ، وكذلك الطائف ، ومكة المكرمة ، وجدة ، والمدينة المنورة في الحجاز ، وكذلك اليمامة في نجد يجد ألها أشارت إلى توافر عادات وتقاليد عديدة مثل: مراسيم الخطوبة والزواج، وعادات الجنائز والمآتم، وكذلك صفات أخرى عديدة، كالكرم، والشجاعة، والستعاون ، والستكافل ، والصلح ، وأحلاف الجوار وغيرها من العادات والتقاليد المتنوعة والتي ذكرها جواد على مفصلة في كتابه : المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٥٦) ، كما ناقشناها أيضاً خلال القرون المتأخرة الماضية في أجــزاء عديــدة من بلاد السراة ، ونشرناها ضمن كتابنا: عسير ، دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ/١٦٨٠ـ١٩٨٠م) (٥٧) ووجود مصل هذه النشاطات الاجتماعية في العصور الجاهلية، وكذلك في العهود الحديثة وبأجزاء مختلفة من بلاد اليمن ، أو الحجاز ، أو حتى قامة والسراة وغيرها من بلاد شبه الجزيرة المجاورة والمحيطة بأرض السراة يؤكد عسلى وجودها القديم بين أهل السواة منذ عهود ما قبل الإسلام واستمرارها عبر العصور الإسلامية حتى الآن (٥٨).

المستجول في أرض السراة المهتدة من صنعاء إلى الطائف يجد آثار التراث الشعبي الحضاري مهمثلاً في طباع أهل هذه البلاد، وفي أناشيدهم، وأغانيهم الشعبية ورقصاهم، وأهازيجهم، وكذلك في رواياهم وأقاصيصهم الشعبية التي تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم، بل إن كثرة العشائر والقبائل والطاقات البشرية بحدده الأرض لدليل آخر على غناء تراثهم الشعبي، وعلى أنه من

الطبيعي أن يكون بينهم تعايش وتعاون في ممارسة عدد من النشاطات الاجتماعية ، كالبيع والشراء ، والحرث والزراعة ، وممارسة أنواع عديدة مسن الرقصات ، والرياضات ووسائل التسلية البريئة ، والزيارات الأسرية والستعاون ومشاركة بعضهم بعضاً في الأفراح والأحزان وحفلات الزواج، والخيتان ، والأعياد، وكذلك في الجنائز والمآتم وغيرها من كوارث ومصائب الزمان (٥٩) .

ج— إن المستمعن للنقوش والآثار والرسوم المتناثرة بأرض السراة، الممتدة من قاع السيمن إلى الحجاز ، يزيد تأكده من وجود حَسْد هائل في جميع مجالات الحياة الاجستماعية بهذه البلاد، فهذا النوع من المصادر أو الأدلة المادية يمدنا بمادة عسلمية طيبة قد تفيد الباحث لو وجدت من يجمعها ويفحصها ويحللها، ثم يجعلها بين أيدي القارئ كي يستفيد منها ويعرف كيف كان يعيش أولئك الأقسوام مسع ما كان يقابلهم من صعوبات وشظف للعيش في شتى مجالات الحياة (٢٠) ه

#### خامساً : العمران في بلاد السراة :

تسنوع العمران في بلاد السراة ، واختلف من مكان لآخو ، فحفلت البلاد بعديسد مسن المنشآت المدنية والعسكرية والدينية في الفترة موضوع البحث ، وهذا التسنوع والاختلاف يعود في الأساس إلى إمكانات أهل السراة من ناحية ، وإلى طبيعة المسنطقة ذات التسباين الواضسح في التضاريس من ناحية أخرى ، فهناك النواحي، والمخاليف، والمدن ، والقرى ، والأودية، والبوادي التي تسكنها الأسر، وما يتبع تلك المواطن من أبنية ومرافق متعددة لخدمتهم ، وهناك أيضاً منشآت عمرانية أخرى سوف نأتي للحديث عنها في صفحات تالية من هذا العنصر (٢١) ،

أما الشيء الغالب على أرض السراة في العصور المبكرة والوسيطة ، أنه يوجد ها كثير من المدن والقرى الحضارية ، وغالباً ما كانت تلك المراكز العمرانية تقع على الطريق التجاري الواصل بين صعده ونجران في الجنوب ، وبين الطائف ومكة المكرمة في الشمال ، أو في مرتفعات السروات الجبلية الممتدة من نجران إلى الطائف (١٢) ، والجغرافيون والرحالة المسلمون الأوائل أفضل من دون لنا معلومات عن أسماء ومواطن تلك المراكز الحضارية ، وبخاصة الواقعة على الطريق التجاري الذي يصل بين الطائف وصعدة ، ومن أهم تلك المدن والقرى:الطائف،وتربة ، ورنية ، وتبالة ، وبيشة، وجرش ، ونجران ، وصعدة (٢٣) .

أما القرى والمدن الحضارية الواقعة بالمرتفعات الجبلية في السروات ، فالهمداني خير من حفظ لنا معلومات عن تلك النواحي ، فأشار إلى كثير من أسماء المواطن مع ذكر أسماء القبائل والعشائر التي كانت تسكنها في عصره ، وأحياناً يذكر حجم الموطن الذي أشار إليه ، فيوضح هل هو مدينة أو قرية ، أو وادي ، أو ناحية فيقول عن شيبه بسن عتر ، الساكنين ببلاد القرعاء في سراة عسير "ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال له المسقى... " (17) ، وعن مواقع أخرى في سراة الحجر يقول : " سلوان واد فيه قرية يقال له المسقى الشجان واد فيه ستون قرية .. ثم الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهوة ... ثم نحيان واد مستقبل القبلية " (17) ، ويضيف أيضاً أن " الجهوة مدينة السراة أكبر من جرش " (١٧) ، ويتابع الهمداني إشاراته على هذا المنوال إلى عديد من القرى والمدن والمواطن المنتشرة في بلاد السراة (٢٥) ،

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يشير ابن المجاور إلى وضع مواطن بلاد السروات من الطائف إلى نجران فيقول: "جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر، وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب،

وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهــــم ... " (٢٩) •

ومن يشاهد القرى القديمة ببلاد السراة يلاحظ صحة ما ذكر ابن المجاور، بل يشاهد أموراً أخرى تتمثل فيما يلسى :

- أ- تسراكم منازل القرية الواحدة بعضها فوق بعض مع وجود ممرات ضيقة جداً فيما بينها، وهذا التخطيط في اندماج وتقارب بيوت سكان القرية ، ربما كان ناتجاً عن الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي ، لانتشار الفوضى وتعدد حالات السلب والنهب ، بالإضافة إلى ما شاع آنذاك من غارات القبائل على بعضها طلباً للقوت ، مما استلزم تقارب أفراد القبيلة أو القرية الواحدة في مساكنها حتى يتكاتفوا في صد أي عدوان خارجي يهاجم مضاربهم (٧٠) .
- ب- يظهر على كثير من القرى القديمة ألها توجد حول المناطق الزراعية ، أو بعض الأماكن الرعوية المتوافرة فيها الماء والكلأ ، أو ألها توجد حول أسواق تجارية أسبوعية مرتبطة مع عدد من الطرق التجارية البرية ، وبهذا فمواقع القرى ببلاد السراة كانت متأثرة بالحياة المعيشية ، وبما يعود على أفراد القرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم ، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منهيا (٢١) .
- جــ تظهـر آثـار بعض الأسوار التي كانت تحيط في الماضي ببعض القرى ، مثل بيشـة، وتــبالة ، ورنية ، وجرش ، وكذلك الجهوة بسراة الحجر (٧٠) ولا نستبعد أن كثيراً من المدن والقرى الكبيرة في بلاد السراة كانت محاطة بأسوار لحمايتها من أي هجوم خارجي (٧٠) ، وتؤكد المصادر المبكرة على أن مدينة الطـائف كـانت محاطة بسور أثناء محاصرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

لأهلها في السنة الثامنة للهجرة ، وبالتالي فقد استعصى على المسلمين فتحها لحصانة أسوارها، فلم يدخلوها إلا بعد أن دخل أهلها الإسلام (٢٤٠) ، وما نجده في المصادر عن قصة دخول الأزديين الإسلام ، فقد كانت مدينة جُرش يحيط بما سور حصين ، ولم تستسلم هذه المدينة لقائد الجيش الإسلامي ، صرد بن عبد الله الأزدي ، إلا بالحيلة والخديعة (٢٥٠) .

كما نشاهد كثيراً من الحصون القديمة في أغلب قرى وحواضر بلاد السراة، ونلاحظ أن هذه الحصون تنقسم إلى نوعين: منها ما هو داخلي للدفاع عن القرية وسكاها، وهده توجد في داخل القرى، ومنها الحصون الخارجية والأبراج البرانية وتوجد في الأودية وقريبة من الأراضي الزراعية ، وأخرى نشاهدها في رؤوس الهضاب والجبال (٢١) ، وقد أمدنا ابن المجاور ببعض المعلومات عن قصور وحصون السروات ، فذكر المواد المستخدمة في بنائها كالحجر والجص ، كما أشار إلى استخدام سكان القرى الأدوار السفلية في الحصون والقصور مخازن للحبوب يقتاتون منها في أوقات الحصار الطويل ،كما يتولون أو يتناوبون حراسة الحصن من كل جهاته فيقول: ".. وقد بني في كل قرية قصر من حجر وجس ، وكل من هؤلاء ساكن في القرية لله مغزن في القصر، يغذن في المغرن جميع ما يكون له من حوزه وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، يكون أهل القرية معتاطين بالقصر من أربع ترابيعه "(٢٧) .

وهذا النوع من القصور أو الحصون التي أوردها ابن المجاور وتستخدم ، كما أوضحنا ، مستودعات لأهل القرية يخزنون فيها حبوبهم ، وما يتم إنتاجه من مزارعهم كان أمراً شائعاً عند معظم سكان السروات حتى لهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ولا زالت معظم الحصون التي كانت تستخدم من قبل سكان القرى ماثلة للعيان ، مع العلم أنه بدأ يظهر على كثير منها علامات الهدم والخراب ، حيست تشلمت واندرست أجزاء كثيرة منها (٧٨) ، كذلك لازلنا نشاهد قصوراً

وحصور السي داخل السراة ، ومنها ما هو داخل القرى ، وأخرى خارجها • فأما القصور السي داخل القرى ، غير التي ذكرها ابن المجاور، فربما استخدمت للسكن الخساص مسن قسبل أهلها، وفي الغالب لا يمتلك مثل هذه القصور إلا شيوخ القبائل وأعيافها • وهذه القصور كانت أيضاً غاية في الحصانة والمنعة لتصمد أمام الهجمات الخارجية وفترات الحصار، حيث اعتادت القبائل الإغارة على بعضها بعضاً (٢٩) •

أمسا الحصون الواقعة على قمم الجبال أو في بطون الأودية ، فكانت تستخدم في المقسام الأول للأغراض العسكرية من قبل رجال القرية أو العشيرة المالكة لمثل هذا النوع من الحصون ، حيث يستخدمونها في حروبهم ودفاعهم عن مضاربهم وأموالهم من أي عدو يداهمهم (٨٠) .

وجميع القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة مبنية من الحجارة ، أو من الطين ، أو بهما معاً ، وهذه المواد الأساسية في البناء كانت محلية ، إلا أن بناء البيوت والقصور وملحقاتها تختلف من بناء إلى آخر من حيث ضخامتها ، وتعدد طوابقها ، وسعة بنيانها ، وذلك الاختلاف يعود إلى مكانة صاحب السبيت الاجتماعية وقدرته المادية فالأغنياء، وشيوخ القبائل وأعيانها عادة يمتلكون بيوتاً واسعة وكبيرة ،

ونسرجح مسن خلال إشارات قليلة أمدتنا بها المصادر التاريخية وبعض المعالم الأثسرية أن دور أهل الوجاهة تتميز بالحصانة وارتفاع أسوارها الخارجية ، وتستخدم الأحجسار بشكل أساسي في بنائها ويظهر الإتقان والوثاقة بشكل واضح في البناء الخسارجي ، علاوة على الاهتمام بالزخرفة الداخلية لدور هؤلاء الوجهاء وإبراز مدى شرائهم مسن خلال هذا التأنق في الفرش والأثاث ، وغالباً ما كانت دور أهل الطبقة الراقية تنقسم من الداخل إلى قسمين أحدهما خاص بجريم الدار وهي الغرف الداخلية ،

بينما الأجزاء الخارجية منه تخصص لاستقبالات رجال الدار لضيوفهم وعقد مجالسهم ومسامراة ـــم (٨١) .

أما الفقراء وعامة الناس فقد لا يمتلكون إلا غرفة أو غرفتين وربما ثلاثاً وهي تكفيهم سكناً مع مواشيهم وجميع أغراضهم • والمصادر المبكرة لا تفصل لنا الحديث عن طبيعة وأحجام البيوت في بلاد السراة ، لكن بعضها أشارت إلى تعدد طوابق البيوت في كل من صنعاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وإلى استخدام الآجر والجص، وكذلك البيوت في المجابن والطين ، كما كانت أغلب البيوت تفرش بالبسط والفرش ، والتي كانت في الغالب من الصوف أو الشعر والأدم (٨٢) •

وأشار الأزرقي إلى أن أهل مكة كانوا يتخذون صفائح من الحجارة تكون أشبه بالرفوف وتستخدم في وضع متاعهم وحاجاتهم عليها ، وقل أن يخلو بيت من تلك الرفوف (<sup>۸۳)</sup> ، ونستطيع القول بأن بلاد السراة وخصوصاً المراكز الحضارية فيها، لا تختلف كثيراً في بنياتها عما كان سائداً في حواضر الحجاز واليمن ، وذلك لأسباب عدة منها:

- أ- وقـوع بــلاد الســراة بين اليمن والحجاز ، وبالتالي فالسرويين كانوا على احتكاك دائم مع أهل وتجار اليمن والحجاز ، بل كان بعض السرويين ، كما أشار الأزرقي وغيره ، يمتلكون بيوتاً وعقارات في مكة المكرمة وما حولها (١٠٠٠)، ولهذا فليس بغريب على أهل السراة أن يقلدوا الحجازيين في بناء منازلهم ،
- وفرة مواد البناء الأساسية في بلاد السراة ، فالطبيعة الجغرافية لأراضي السراة
   حيث تتوفر بها الحجارة الصالحة للبناء ، وكذلك الأخشاب وما شابهها من
   المواد اللازمة للتشييد والبناء (٥٥) .

إن حسن جو بلاد السراة ، وخاصة في فصل الصيف ، جعل بعض أهل مكة المكرمة وجدة يمتلكون دوراً وعقارات في بعض النواحي السروية القريبة من الطائف ، بال كان بعض خلفاء وأمراء بني أمية وبني العباس – كما سبق القول – يمتلكون بيوتاً وبساتين في الطائف ، وتربة، وبيشة، وجرش،ونجران ، وصعدة ، وصنعاء (٢٠٠) ، بال كان بعض أمراء الأشراف ، في العصور الإسلامية الوسيطة ، وكذلك وجهاء وأغنياء مكة المكرمة يمتلكون هم أيضاً دوراً وعقاراً وبساتين في أرض السراة ، وأصحاب تلك الملكيات جميعهم كانوا يبنون ويمتلكون بيوتاً جيدة تتشابه مع دورهم وبساتينهم المقامة في الحجاز ، والشام ، والعراق ، ومصر وغيرها (٨٠٠) ،

الإشارات المتواترة في بعض كتب الرحلات المتأخرة زمنياً عن فترة البحث والستي تعالج في أغلبها القرون الهجرية الثلاثة الماضية وتتحدث عن مستوى الناحية العمرانية في أرض السراة ، نلاحظ من خلال ما أوردته أن تفصيلات العمران السروي لا تختلف كثيراً عن طبيعة العمران التي كانت سائدة في تسلك المجتمعات خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمواد الأساسية المستخدمة في البناء، وحجم المباني ، فنجد على سبيل المسئال السرحالة الفرنسي موريس تاميزيه الذي زار تلك المناطق في العقد الخسامس من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) يذكر بعض المواقع في بلاد السراة ، وعَدَّد قراها فذكر عن بيشة أن فيها نحو ستين قرية أكسبرها نمران ، والروشن الكبير والروشن الصغير (٨٥) ، وهذه القرى مبنية بالطين ويستعمل أهلها في البناء جذوع النخيل ويختلف الناس إليها من بابين ، أو ثلاثة أبواب تغلق في أيام الحرب ، وجدران بيوها متلاحمة، فهي مثل السور في وجه العدو، ومعظمها تتكون من طابق واحد فقط (٨٩) .

ويسأتي إلى بلاد السراة،قبل الحرب العالمية الأولى، رحالة إنجليزي يدعى السير كياهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis) فيشير إلى مواقع عديدة في الأراضي السروية مثل: بلدة النماص بسراة الحجر، وقرية الشعبين في بلدة رجال ألمع ، وسراة عبيدة في بلاد قحطان ، وقرية الظفير في سراة غامد وزهران ، ثم يصف طسبيعة السبيوت في تلك المواطن ، والطريقة والمواد المستخدمة في عملية البناء(٩٠٠) . والجيد في ملاحظات هذا الرحالة أنه ذكر شيوع استخدام الحجارة في بناء عدد من المنازل ببعض تلك المواقع، مما يؤكد المكانة الاجتماعية المتميزة لغالبية أهلها وثرائهم، فقال عن قرية الظفير "... هي قرية كبيرة ، وفيها حوالي " ٤٠٠ " بيت من الحجر ... وهي بلدة السوق الرئيسي" (١١) • كما أشار أيضاً إلى مثل ذلك في النماص والشعبين وسراة عبيدة (٩٢) ، ويشير سليمان شفيق باشا الكمالي (٩٣) ، إلى طبيعة بعض القرى الواقعة في ســـراتي عسير وشهران (مخلاف جرش قديماً) مثل : قرى القرعا والمسقى وما حولها ، فيشسير إلى استخدام الحجارة في بسناء معظم منازل القرية ، التي تتصف باتصالها وتلاصقها بحيث تشكل سوراً أو خطاً دفاعياً ، ويكمل من حصانة هذه القرى أزقتها الضيقة الملتوية (٩٤) ، وهي بهذا الوصف لا تختلف كثيراً عن غيرها من المدن والحواضر الإسلامية التي قام على إنشائها المسلمون الفاتحون في شتى الأمصار الإسلامية حيث كانت تتسم المسنده الصفات المعمارية (٩٥) ، كما تابع وصفه لقرى عديدة بأرض السراة، فذكر أن أغلب منازلها تتكون في الغالب من طابقين أو ثلاثة وتتميز بالبساطة في شكلها الخارجي، بينما تأنق البناؤون في زخرفتها من الداخل ، وهذه الصفات من مميزات العمارة الإسلامية على امتداد العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والمتأخرة زمنياً (٩٦) ، فيقول : "... وقرى هذه الجهات - ويقصد بلاد السراة - مبنية بالحجارة ، وفيها أزقة ضيقة ، ومنازل متصلة ، بحيث تشبه القرية قلعة قائمة بداتها، ومنازل القرى ذات طابقين أو ثلاثة طوابق ، وهي مطلية من داخلها بالجير ، وذات منظر جميل " (١٧٠) ٠ وياني الشريف البركاني ، وكان معاصراً لكل من الرحالة الإنجليزي كورنواليس (Cornwallis) ، وسليمان باشا الكمالي فيصف بعض القرى في الأجزاء السروية مثل أبما وبيشة وتنومة ، ويأيي وصفه متفقاً مع ما أورده كورنواليس والكمالي من حيث ضيق وتراكم منازل القرية بعضها على بعض ، ومن حيث عدد طوابق المتزل الواحد ، والمواد المستخدمة في بنائه (٩٨) ، ويضيف بعض التفاصيل الأخرى عن بلاد بارق الواقعة في الأجزاء التهامية فيشير إلى تأسيس منازلها بالحجر المنحوت وارتفاع طوابقها إلى ثلاثة أدوار فيقول : " وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل والدور فيها من طابقين إلى ثلاثة " (٩٩) ،

وكــل ما أشار إليه الرحالة المتأخرون السابقو الذكر ربما يقرب لنا الصورة نوعــاً مــا عن طبيعة القرى والمدن الموجودة في بلاد السراة ، منذ فجر الإسلام حتى العصــور الوسطى ، مع العلم أنه من الصعب علينا في الوقت الحاضر أن نرسم صورة

واضحة عن تلك المدن والقرى من حيث هندستها وتخطيطها ، وطراز أبنيتها وارتفاعاتها ، أو عن مساحتها ومرافقها ، وذلك لندرة ما تضمنته المصادر المعاصرة زمنياً أو المستأخرة من معلومات عن العمران السروي ، بالإضافة لانعدام التنقيبات الأثرية العلمية العسلمية في هذه المنطقة ، ونحن واثقون لو قيا الأمر لإيفاد بعثات أثرية لهذه السبلاد السروية ، وتكون على شاكلة البعثات العلمية الأكاديمية التي تقصد الفاو أو السبلاد السروية ، أو التي تقصد العراق ، وإيران ، وبلاد الشام ، ومصر ، وغيرها من البلاد العربية لتوافرت لدينا مادة علمية غزيرة تكشف كثيراً من الغموض وغيرها من البلاد العربية لتوافرت لدينا مادة علمية غزيرة تكشف كثيراً من الغموض الذي يلف تاريخ حواضر ومواطن السرويين في العهد الإسلامي بصفة عامة ، والقرون الأولى مسنه على وجه الخصوص،ويكمل ما توصلنا إليه من خلال صفحات هذا البحث (١٠٠٠) ه

ومن الأنماط المعمارية أيضاً التي عرفتها بلاد السراة العمران الديني والمتمثل بصفة أساسية في بناء المساجد، فلا تخلو قرية من قرى السراة من وجود مسجد يصلي فيه أهل القرية ، ويتدارسون فيه أمور دينهم ، وتقام فيه حلق تدريس القرآن،وأحيانا يجتمع فيه رجال القرية أو العشيرة للتشاور فيما يتعلق ببعض شؤوهم الحياتية والدنيوي من المسجد ودوره في الحياة الدينية، والعلمية ، والدنيوية لأن هناك عشرات الكتب والدراسات التي تعرضت لهذا الجانب، ثم إننا أشرنا أيضاً إلى شذرات عن أهمية المسجد عند أهل قامة والسراة في بحثنا الموسوم ب " ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " ،

ولكن ما يهمنا هو نمط مساجد السراة من الناحية المعمارية ، ومن يعود إلى كستب التراث الإسلامي المبكرة تجدها تخلو من الإشارة إلى هذه الناحية ، ولكن ظهر

بعض الباحثين المتأخرين خلال القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الهجريين (العشب بين الميلادي) فذكروا أسماء عدد من المساجد في بلاد السراة وذكروا تواريخ بعضها التي تعود إلى القرون الهجرية الأولى (١٠٤) ، بل بعضهم أشار إلى تواريخ تشييد مسساجد أخسرى خسلال القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث (١٠٥) . ولكوبي من أبناء بلاد السراة فقد ذهبت إلى بعض المساجد التي ذكرها هؤلاء الباحثون فسلم أجسد أثراً للتواريخ التي ذكروها في مدوناهم ، بل سألت بعض سكان القرى القريسبة المجاورة لبعض تلك المساجد فتجدهم لا يعرفون تاريخاً دقيقاً لتلك المساجد ، وإنما بعضهم يقول لقد سمعنا من الأوائل إلى أن هذا المسجد قد تم تشييده عام كذا وكَــذا ، ولهذا فإنني أخشى أن هؤلاء الباحثين ، وبخاصة من ذكر تواريخ بناء مساجد في القـــرون الهجـــرية الثلاثة الأولى قد دونوا معلوماتهم بناء على ما سمعوا من رواة لا يعسرفون الحقيقة بسبب عامل البعد الزمني بين القرون الهجرية الأولى وبين القرنين السرابع عشسر والخامس عشر الهجريين (١٠٦) . كما أنني قد شاهدت أثناء تجوالي في المنطقة عسدة أمور تتعلق بالمساجد من الناحية المعمارية تكاد تجزم بعودة بعضها إلى العصور الإسلامية الوسيطة وذلك من خلال دراسة الكتلة المعمارية للمسجد وموقعه مـن المدينة والقرية وتوافق ذلك مع عدد من المساجد التي أقيمت في حواضر إسلامية عديدة في العصور الوسطى فعلى سبيل المثال:

لا تكاد قرية من القرى القديمة في بلاد السراة تخلو من مسجد يتوسط القرية، فستحيط به المنازل من كل ناحية ، وتؤدي إليه الطرق من كل مكان، وغالباً يكسون أمام المسجد فناء أو ميدان فسيح حسب مساحة القرية يخرج إليه المصلون بعد صلاقم ، وقد يستخدم هذا الفناء لاجتماعات رجال القرية والتشاور فيما بينهم بخصوص حل مشكلاقم وإصلاح أمورهم ، وهذه الهيئة السي رأينا عليها المساجد في السراة هي الطريقة نفسها التي ذكرتما المصادر

-1

ب جيع المساجد القديمة التي شاهدناها تتكون من دور واحد فقط ، ولا يوجد هما مئذنة ، وغالباً يوجد بجانب بعضها ، وضمن بناية المسجد ، غرفة صغيرة قد تستخدم لأغراض عديدة في خدمة المسجد مثل : استخدامها سكناً للغرباء المسافرين الذين قد يتوقفون في القرية للحصول على بعض الزاد والراحة ، وأحياناً كان يوضع هما بعض الأغراض الخاصة بالمسجد ، كما أن بعض المساجد التي شاهدناها في بلاد قحطان، وعسير ، وشهران ، ورجال الحجر ، وغيامد وزهران توجد هما آثار مكان يجمع فيه الماء ليستخدمه بعض رجال القرية أو المسافرين للوضوء أثناء الصلاة ، وهذه الأماكن يطلق عليها أحياناً "بركة وجمعها بيرك "(١٠٨) ،

جــ يظهـر أن مـواد بـناء المسجد كان من نفس مواد بناء الحصون والقصور والمـنازل الأخـرى ، لكـن شاهدنا في بعض بلاد قحطان وشهران وعسير اسـتخدام الطـين في البـناء ، وأحياناً تستخدم الحجارة والطين ، فالأجزاء السفلية من البناء تشيد من الحجارة ، وتستكمل الأجزاء العلوية من الطين أمـا سـروات الحجر ، وبلقرن ، وشمران ، وغامد وزهران فمعظم المساجد وغيرها من الأبنية من الحجارة ، وذلك يعود إلى توفر الحجارة بجميع أنواعها في بلادهـم وهـذا النمط من البناء قديم واستمر ومعمول به حتى عهـــد قريب (١٠٩) ،

معظم المساجد القديمة التي شاهدناها صغيرة الحجم ، فلم أر مسجداً تصل مساحته إلى أربعمائة مستر مع العلم أنني قد رصدت مشاهدت الأكثر من

أما عسن عمران البادية فالمعروف أن أهل السراة من سكان البادية كانوا يعيشون حياة بسيطة ، ولا يمتلكون بيوتاً مشيدة من الحجارة والطين ، كما هو الحال عسند أهل الحواضر ، كما أسلفنا القول في الصفحات السابقة ، وإنما بيوقم كانت عبارة عن خيام من الشعر يقومون بنسجها من أصواف مواشيهم ، وينقلولها معهم عند تجوالهم أو ترحالهم من مكان لآخر بحثاً عن العشب والماء الذي تعيش عليه أغنامهم وبهائمهم (١١١) ،

ومن الأبنية الأخرى في بلاد السراة ،تلك المدرجات الزراعية، التي نشاهدها في طول وعرض البلاد ، فلا نكاد نرى مواطن زراعية إلا ويحيط بها من معظم الجهات أسوار مبنية بطريقة جميلة وجيدة ، وقد يرجع تاريخ بعض تلك الأسوار إلى مئات السنين، وتتفاوت في الارتفاع ما بين النصف متر والمترين ، وربما بلغ ارتفاع بعضها ثمانية أو عشرة أمتار (١١٢) ، والفوائد التي يمكن استخلاصها من تعمير مثل هذه المدرجات ،هيي: أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة ، صنعتها سواعد أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشكلات طبيعية أو بشرية أو غيرها ، كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار ، إلى جانب الحفاظ على كل قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة لها (١١٣) ،

وهناك أسوار أخرى نشاهد بقاياها على بعض الأحمية (١١٤) في رؤوس الجبال وقيعان الأودية وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار يبلغ ارتفاعها ما

بين المستر والمترين ، وهناك أسوار أخرى كانت تبنى لبعض الأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، لتكون معالم حدود بين منطقتين والمميز في طبيعة هذه الأسوار، أنها بسيطة في بسنائها وتشكيلها، وغالباً تبني بالحجارة فقط دون أن يخلط معها التراب أو الطين ، خلاف ما يحدث في بناء المنازل ، والحصون ، والمدرجات الزراعية (١١٥) ،

ومن المعالم العمرانية الأخرى ، حفر الآبار التي يصل عمق بعضها إلى خمسين مستراً وأكثر ، علماً أنه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشاهد في وقتنا الحاضر ، وإنما أدوات حفرهم كانت بسيطة وبدائية في قدرها وفي طريقة تصنيعها ، وعند الانتهاء من حفر أي بئر ، يطوى جزؤها العلوي ببناء يكسبها شكلاً جمالياً جيداً ، ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها العلوية (١١٦) .

ومن خلال جولاتي الميدانية في أجزاء عديدة من بلاد السراة، خلال العشرين عامساً الماضية ، شاهدت بعض القبور المبنية فوق سطح الأرض ، والتي يصل ارتفاع بعضسها إلى ثلاثة وأربعة أمتار تقريباً ، وأكثر ما رأيت هذا النوع من القبور في بعض الأجــزاء الشرقية من سراتي قحطان وشهران (١١٧) ، وفي وادي عياء (١١٨)، ووادي ترج ، ومنطقة الحدب من سروات بلاد الحجر (١١٩) ،

والملاحظ على بعض تلك القبور جمال بنائها ، وأحياناً نقشها بالجمس أو حجر المسرو ، وإلى جانب هذه القبور السطحية هناك قبور أخرى مدفونة تحت الأرض ، وكثير منها على غير اتجاه القبلة ، وقد لاحظنا على القبور الواقعة في وادي عياء ببلاد بللحمر ، ووادي ترج ببلاد بني شهر كثرة عددية لتلك القبور ، والشيء الغريب أني لم أجد في المصادر التاريخية المبكرة أي إشارة لمثل هذا النوع من القبور في بلاد السراة ، وحاولت أن أعرف تاريخاً لها من بعض المسنين في تلك المناطق ، فلم أجد إجابة شافية

أستطيع الاعتماد عليها ، علماً بأن بعضهم ، يعتقدون وبدون دليل ، أنه حدثت هناك حسروب دامية اقتتل فيها أعداد كثيرة من الناس ، ثم تم دفن من مات منهم في تلك الأماكن ، ولكن لو سلمنا جدلاً بهذا القول ، فما هي الأسباب التي جعلتهم يتقاتلون ، وفي أي زمن كان قتالهم ، ومن هم أولئك المتقاتلون؟ ولو وجدنا إجابة لهذه الأسئلة لربما صَدّقنا هذه الرواية، وإذا اعتقدنا بصحة هذا القول مثلاً ، حتى ولو لم نجد إجابة للأسئلة السابقة ، فمتى حصل الوقت الكافي لمن بقي حياً فيشيد مثل تلك القبور السطحية، يعمل بعضها بالجص ، أو ينقشها بالمرو الأبيض حتى تصبح في هذا الشكل المعماري الجميل (١٢٠) ،

والشيء الذي لا أستطيع الجزم به ، هو هل من الممكن أن مثل هذا النوع من القسبور بني قبل ظهور الإسلام ؟ بدليل أن بعضها لم يكن على اتجاه القبلة ، وهذا أمر محسمل فيه الخطأ والصواب علماً بأن أقسام الآثار والمتخصصين في هذا المجال بها في المسلكة العسربية السعودية هم المنوط بهم العمل على تحديد تاريخ مثل هذه المقابر، وإجراء الدراسات الأثرية الدقيقة لها وبخاصة أنه لازال في بعض القبور السطحية الكثير مسن رفات الموتى والتي عن طريق فحصها فحصاً علمياً معملياً يمكن تحديد تاريخها ، وإن قلسنا أن تاريخها ربحا كان في العهود الإسلامية المبكرة فهذا قول يحتمل الخطأ والصسواب أيضاً ، لأن بناءها أو حفرها على غير جهة القبلة ليس دليلاً قاطعاً، فلربما من بناها ودفن الموتى بها كان جاهلاً بدفن المسلم ، فلم يكن يفكر في وضعه على اتجاه القبلة ، ولم يفكر أيضاً في عدم شرعية بناء القبور فوق سطح الأرض ، أو في حرمة القبلامية الوسيطة ، وبخاصة إذا علمنا ما ساد أجزاء عديدة في العالم الإسلامي من الفوضى والتخلف والجهل بأمور الدين الإسلامي (١٢١) ه

### سادساً: الأطعمة والأشربة:

تختسف وتتنوع الأطعمة والأشربة التي اعتاد أهل السراة على تناولها قديماً ، باختلاف مناطقها ، ومستوى دخل كل أسرة عن غيرها ، ووفقاً لما يتوافر من منتجات زراعية وغيرها بكل منطقة ، كذلك كان لأهل الثراء منهم تأنق في ألوان الأطعمة التي يتناولونها وتختلف عما يتناوله الفقراء الذين يأكلون ما تيسر لهم حسب أرزاقهم ، كما أن الطبيعة ومصادرها ليست عند كل الناس سواء ، فالعاملون في مهنة الرعي مثلاً أغسلب أطعمتهم وأشربتهم من منتجات ما يمتلكون من حيوانات ولهذا شاعت في طعامهم الألبان وبخاصة الرائب منها، والذي يتميز بلذة الطعم ولطف الرائحة (١٢٢) ، والزبد فهو بمتزلة الجبن الرطب في غيرها من الأقطار ، بينما أصحاب المزارع والبساتين يكون جل قوقم مما تنتجه حقولهم وبساتينهم ، والحرفيون والتجار في الحواضر والقرى الكبيرة يعتمدون في مأكلهم ومشرهم على ما يقومون بشرائه من المواد الغذائية المتوافرة في الأسواق المحيطة بهم (١٢٣) .

كذلك تتنوع الأطعمة تبعاً للمناطق التي تتوفر فيها ومن يسكنها من أهل السبداوة أو أهل الحضر ، فالمناطق البدوية كما هو معروف يغلب على طعامها اللحم والثريد والعصيد ، بينما يغلب على سكان الريف حيث المزارع والبساتين تناول الخبز من البُر أو الدّخن والذرة مصحوباً بأدام السمن أو اللبن (١٧٤) .

وتشير بعض المصادر التاريخية المبكرة إلى بعض الأطعمة الرئيسة في بلاد السراة ، فالأزرقي ، والهمداني ، وابن المجاور ذكروا توفر حبوب الحنطة ، والدخن، والشعير ، والذرة ، وأنواع أخرى من الحبوب في أغلب نواحي السراة (١٢٥) ، ومن هذه الحبوب كان يعمل أهل السراة عدداً من الأطعمة التي تختلف في الإعداد والصنع، فمنها ما كان على هيئة خبز ، أو هريس ، أو عصيد (١٢٦) ،

وأحياناً يضاف إلى تلك الأطعمة البسيطة، بعض الأشربة المحلية التي يتم الحصول عليها من الحيوانات الأليفة، كالأبقار والماعز ، والضأن ، مثل الزبد ، واللبن والسمن ، أو من عصير بعض الأشجار ، كالزيتون ، والسمسم وغيره ، وإذا كانت الأطعمة الرئيسة عند أهل السراة لا تخرج عن الحيوانات المحلية ومشتقاتها الرئيسة ، أو من المحاصيل الزراعية ، كالحبوب بجميع أنواعها ، فإن هناك أيضاً أطعمة عديدة كانت متوفرة لدى السرويين مثل الفواكه والخضروات ، والهمداني ، وابن المجاور أفضل من أشارا إلى أنسواع كشيرة من الفواكه والخضروات التي كانت منتشرة في أنحاء بلاد السراة (١٢٧) ، كذلك ابن جبير ، وابن بطوطة ، والقلقشندي أشاروا إلى كثرة الخيرات ببلاد السواة ، حتى إن السرويين أنفسهم كانوا يصدرون منتوجات مزارعهم وحيواناهم الكثيرة إلى أسواق الطائف ومكـة (١٢٨)، فيرغد أهل الحجاز بما جاءهم مين خيرات السراة (١٢٩) ، وقد استمرت بلاد السراة ترفد بلاد الحجاز بخيراها إلى وقب قريب ، ويشير الأستاذ /حمد الجاسر إلى ذلك بقوله "... لقبد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبيل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل، أما الفواكه فقد كانت وسائل النقل في ذلك العهد لا تتمكن من نقل الفواكه وهي صالحة إلى البلاد الأخرى ، فكانت هناك تبلغ درجة من الوفرة بحيث كان كثير منها لا يباع بيعاً ، بل يتناول منه كل من أراد التناول بدون ثمن " (١٣٠) ٠

ويذكر أبو حنيفة الدينوري ، من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن "التين أجناسه كثيرة برية وريفية وسهلية وجبلية، وهو كثير بأرض العرب: وأخبرين رجل من أعراب السراة ، وهم أهل تين قال : التين بالسراة كثير مباح ، ونأكله رطباً، ونزببه وندخره (١٣١) ، وقال أبو حنيفة – أيضاً – :استعمل أعرابي من السراة الزبيب للتين فقال :الفيلحانى تين شديد السواد ، جيد للزبيب (١٣٢) ،

أمـــا العنب فإنه يجود في السراة ، ويعظم شجره ، بحيث تتخذ الصحاف منه على ما نقل أبو حنيفة في كتابـــه (١٣٣) .

وقال أبو حنيفة أيضاً : وأخبرين بعض الأعراب أنه ينحت بالسراة صحاف من سيقان الكرم ، ومن عُجَر تظهر فيها فتجئ خلنجاً موشاة حساناً جياداً ، والكرم تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً (١٣٤) .

وأما العسل في السراة فيعتبر من أجود الأنواع ، قال الدينوري " (حداب بسي شبابة: جبال من السراة يترلها بنو شبابة من فهم بن مالك من الأزد وليسوا من فهم عدوان ، وهذه الحداب وراء شيحاط ، وشيحاط من الطائف وواحد الحداب حدبة ، وحداب بني شبابة أكثر السراة عسلاً وأجوده والغالب على عسلهم عسل الضرم، وكذلك أخبرين بعض الأزد ، أن العسل قرى أضيافهم لكثرته عندهم ، والسراة أكثر أرض العرب عسلاً وعنباً وتيناً ورباً وأنشدين في عسل الضّرم والنسدغ (١٣٥):

كَانَّ فَاهَا بَعْدَ نَومِ السِهِادي مَا تَجْمَعُ النَّحْلُ مِن الشَّهِ الِهِ كَانَّ فَاهَا بَعْدَ نَومِ السَّهِ الدِ مِن ثَمَرِ الضَّهِيَاءِ وَالَقْتَ الدِ (١٣٦) . والضَّرِم النَّصْر وَنَدْغٍ ثَادِ (١٣٦) .

وقال ويسمى العسل الذُّوْب ، قال الجعدي في وصف إمرأة :

الطود الجبل: يعني جبل السراة ، ويريد بأيمن: اليمن ، وقرى قسر من السراة وكان المثل يضرب بحلاوة عسل بني شبابه ففي سجعات "أساس البلاغة "للزمخشري: (كان عصر شبابي ، أحلى من العسل الشبابي) (١٣٨) • وقال الهمداين وبسراة الحجر: البر والشعير والبلس والعتر واللوبياء، واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والأجاص ، والعسل في غربيها (١٣٩) •

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن سيول السراة تنحدر عنها منجدة ومتهمة ولا يسبقى منها سوى ما تختزنه أغوار الأودية في ظاهرها أو في جوفها ، فيتكون من الأول مياه تجري غيلاً طوال العام وقد تبقى أعواماً ، وهي أكثر ما يستفيد منه السكان ، أما الميساه الجوفية فهي قليلة إذ طبيعة أرض السراة صخرية فلا تختزن مياهاً كثيرة إلا في سفوحها، ولهذا فإن الزراعة فيها تكون عثرية – أي بدون سقيي – (١٤٠٠) .

ويقول عرام السلمي: " وكل هذه الجبال تنبت القرظ، وهي جبال متقاودة بينها فتوق، وفي جبال السراة الأعناب وقصب السكر والقرظ والإسحل وفي كل هذه الجبال نبات وشجر من الغرب والبشام " (١٤١) ،

ومن حاصلات السراة البر والذرة والعدس ويسمونه البلسن وهي تسمية فصيحة ، والشعير ، والبن واللوز البجلي ، وتجود فيها الفواكه ، كالعنب والرمان والحسوخ والمشمش والتين والموز ، وتزرع فيها الخضروات كالعنب وتختلف تلك الحاصلات والمسزروعات باختلاف جهات السراة ، فتجود في ناحية دون أخرى ، حسب التربة وتوفر الماء وصلاح المناخ (١٤٢) .

وفي الســـراة أنـــواع مـــن الشجر والنباتات الأخرى ، تجود في المنخفضات وجوانب الأودية ، وقد تغطى بعض الجبال (١٤٣) .

ولقد كان سكان السراة يعتمدون على أشجار بلادهم ونباتاها في أكثر ما يحتاجون إليه في شؤون حياهم ، فمن بعض ثمار الأشجار يأكلون ، ومن تلك الأشجار يستخذون أسلحتهم كالقسي والنبال وأواني أكلهم وشرهم ورحاهم وسقوف بيوهم ومن ورقها وقشور جذوعها ما يصلحون به قرهم وأنحاءهم ، ومن نباتاها ما يتخذون منه أدوية لمرضاهم،أو سماً لقتل أعدائهم من الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة (١٤٤٠).

## سابِماً : الخاتمــة

وخلاصة القسول أن بلاد السراة يوجد بما كثافة سكانية عالية من العهود الجاهسلية حسى العصور الحديثة ، كما أن مقومات الحياة البشرية متوفرة بما ، حيث تسنوع تضاريسها، وخصوبة أرضها ، وتوفر المياه بما ، كما أن موقعها الجغرافي زادها أهيسة لأنما حلقة الوصل بين بلاد اليمن والحجاز ناهيك على إنما تصل ما بين الشرق عبر بلاد اليمامة والبحرين ، كما تصل إلى البحر الأحمر عبر أرض تمامة الواقعة غرب جبال السروات ، كل هذه المميزات جعلت بلاد السراة تحتوي على أنماط اجتماعية عديسدة عالجنا بعضها في هذه الدراسة ، ولكن لازالت هذه البلاد بحاجة إلى دراسات عسلمية عميقة متخذة من الدراسات الأثرية مصادرها الرئيسة لمعرفة أوضاع الناس الذين كانوا يعيشون بما ومظاهر حياقم عبر عصور التاريخ ،

وإنني أهيب بأقسام الآثار في المملكة العربية السعودية وكذلك المؤسسات العلمية المختلفة أن تولي التنقيب والدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية قدراً مسن الأهمية حسى تميط اللثام لنا عما غمض من تاريخنا وحضارتنا التي لم نستطع الاستدلال على كل تفصيلاتها من خلال المصادر والمراجع التقليدية المعروفة ، وإنني في هدفه الورقة لا أدعي الكمال ولكن أسعى إلى المساهمة ولو بنصيب يسير لإلقاء الضوء على تاريخ وتراث حضارة بلاد السراة التي عشت وتربيت في أحضالها ومحاولة حفسظ هذا التراث من الاندراس ، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير ،

### ثَامِناً: الحواشي والتعليقات

- ٧- بعد خروج الخلافة الإسلامية من أرض الحجاز إلى الشام ثم العراق ، بدأ أرباب القلم وأهدل الفكر والثقافة يتجهون نحو مراكز السلطة الإدارية ، سواء كانت في الشام أو العراق أو مصر وغيرها ، وبالتالي لحق بشبه الجزيرة الإهمال والنسيان من قبل مدوي المستراث ، فلم تحظ بالرعاية والاهتمام مثلما حظيت به غيرها من الأمصار الإسلامية ، وللمزيد من التفصيلات انظر : صالح بن سليمان الناصر الوشمي ، ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نماية القرن الثالث الهجري (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز ، ٢ 1 2 1 هـــ) ص ١ ٠ ١ وما بعدها؛عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، السيمن في ظلل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر العربي، السيمن في ظلل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٤ ١ علمية نشرت في كتاب : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، الجزء الأول (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، الجزء الأول (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ،
- ٣- لمنزيد من التفصيلات انظر غيثان بن علي بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الداره ربيع الآخر والجماديان ، العدد الثالث ،
   السنة (١٩) (١٤١٤هـ) ٥٦٧ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه " بلاد قمامة والسراة كما

وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل " • مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، مسارس (١٩٩٤م) ص٧٧ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولىي " • مجلة العصور • المجلد (٩) جــ ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٣٣ وما بعدها •

- ٤- إن الآثاريين عليهم مسئولية كبيرة في دراسة هذه المنطقة المعنية بالدراسة، وكذلك غيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية حيث يوجد بما كثير من الكنوز التاريخية ولا يمكن العثور عليها إلا عن طريق التنقيب والدراسات الآثارية العلمية الجادة.
- وهـناك بعض الدراسات الآثارية التي خرجت عن مناطق عديدة في بلاد قمامة ، أما بلاد السـروات فـلا زالت بحاجة إلى دراسة علمية آثارية ، وفي أثناء جولاتي المتعددة بأرض السـراة شـاهدت النقوش والرسوم والآثار المتنوعة منتشرة ببلاد السروات الممتدة من صـنعاء وصـعده ونجـران جنوباً إلى الطائف ومكة المكرمة شمالاً ، وللمزيد عن بعض المـراجع والمصادر التي خرجت عن نقوش وآثار قمامة انظر : أحمد عمر الزيلعي "مدينة جازان الآثارية في ضوء نقش مؤرخ سنة "٨٦٨هـ / ٤٦٤ هـ" مجلة الدارة ع٢ ، س (٢٠) (المحرم، صفر ، ربيع الأول ، ١٤١٥هـ) ص٩٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى (ق ٣-٩هـ / ٩-٥١م) حوليات كلية الآداب بامعـة الكويـت، الحولية السابعة،الرسالة (٣٩) (٥٠١ اهـ/ ١٩٨٦م) ، وللمؤلف نفسه ، الخُلُف والخَليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض: مطابع الخالد للأوفست، عكاظ ، ع ١١٠٠٠) ص١١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني للدكتوراه " جريدة عكاظ ، ع ٢١٤٠٠) ، عالم الحرم (١١٥ اهـ) ص٢١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني للدكتوراه " جريدة عكاظ ، ع ٢١٠٠) ، الحرب المواقف نفسه "فخار القنفذه أهلني للدكتوراه " جريدة عكاظ ، ع ٢١٥٠) ، والمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني المدكتوراه " المولدة عكاظ ، ع ٢١٠٠) ، والمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني المدكتوراه " المولدة عكاظ ، ع ٢٠١١) ، والمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني المدكتوراه " المولدة عكاظ ، ع ٢١٠٠) ، والمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني الدكتوراه " المولدة عكاظ ، ع ٢١٠٠) ، والمؤلف نفسه "فخار القنفذه أهلني الدكتوراه " المولدة المولدة المولدة المولدة المحرب المولدة المولدة
- ٣- يوجد بالمكتبة العربية عدد من الدراسات التي تناولت بعض القرون الماضية المتأخرة ، وشملت الحديث عن مناطق جازان وعسير ونجران وما جاورها ، وأكثر من كتب عن هذه المناطق محمد أحمد العقيلي ، ومحمد بن عبد الله آل زلفة ، وعبد الله بن محمد أبو داهش ، وعلي أحمد عسيري ، وإسماعيل بن محمد البشري ، وعمر بن غرامة العمروي ، بالإضافة إلى صاحب هذه الدراسة .

- ٧- وفي اعتقادي لو تقدم بعض الآثاريين في المملكة العربية السعودية بمشروع مفصل إلى ولاة الأمر والمستولين في الدولة لدراسة الآثار في المملكة العربية السعودية بما فيها بلاد تمامة والسراة فإنهم (بإذن الله) سوف يجدون الدعم والتشجيع لتحقيق أهدافهم العلمية المنشودة ، ونحن نشاهد اليوم وكالة الآثار بوزارة المعارف وكذلك الهيئة العليا للسياحة تبذلان قصارى جهودهما لدراسة الآثار والتنقيب عنها ، ولكن الطريق لا زالت أمامهما طويلة ، ولا زالوا يحتاجون إلى الدعم المعنوي والمادي وسوف يجدونه (بإذن الله) من الحكومة وفقها الله تعالى، وكذلك من رجال الأعمال والمقتدرين مالياً في البلاد وهم ولله الحمد كثر ،
- ولمزيد من التفصيلات عن عام الوفود وأسماء القبائل والعشائر التي قدمت على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة لتقديم إسلامها بين يديه انظر ، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت :دار صادر ، ١٠٥٥هـ / ١٩٨٥م) جــ١ ، ص٣٦١ وما بعدها ، محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٠٥٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص٧٥ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس "بلاد تمامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد (٣٨) العام (١٩٩١-١٩٩٥م) ص١٤ وما بعدها .

#### ٩ المصادر نفسها

• ١- المصدر نفسه ، ومن يتجول في بلاد قامة والسراة يشاهد عدداً من الأسر والأفخاذ القبلية المنتشرة في هذه البلاد وهي من أصول مضرية عدنانية ، وللمزيد من التفصيلات انظر عز الدين بن عبد العزيز بن فهد الهاشمي • غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام • تحقيق فهيم شلتوت (مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشر ، ٩ • ٤ ٩هـ/ ١٢ • مبد الملك بن حسين العصامي المكي • سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (القاهرة : المطابع السلفية ، د • ت المكي • سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (القاهرة : المطابع السلفية ، د • ت الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني • تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني • تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ/١٩٨٩م) جـــ ٢ ، ص ٢٩٨٩ ، عمر

#### صور من المياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

غـــرامة العمروي • قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (مطبوعات نادي أبما الأدبي ، عـــرامة العمروي • قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام (مطبوعات نادي أبما الأدبي ،

1 الطر أبو معين الدين ناصر خسرو • سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمة من الفارسية إلى العربية وحققه أحمد خالد البدلي (الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود (١٩٨٣م) ص٤٤ ، جمال الدين يوسف بن المجاور • صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستمى ، تحقيق لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١ - ١٩٥٤م) جــ ١ المسمى تاريخ المستمر ، تحقيق لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١ - ١٩٥٤م) - المسمى تاريخ المستمر ، تحقيق لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١ - ١٩٥٤م) - المسمى تاريخ المستمر ، تحقيق لوفغرين (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١ - ١٩٥٤م) - المستمر م

۱۲ – ناصر خسرو ، ص۱٤۲ •

١٣ - ناصر خسرو ، ص١٤٢ ، ابن المجاور ، جــ ١ ٣٧ - ٣٨ .

١٤ - ابن المجاور ، جــ١ ص٣٧ وما بعدها .

١٥ - المصدر نفسه ، جــ١ ، ص٢٦ •

17-ومن يتجول الآن بين قبائل السراة يجد لها فروعاً في السهول التهامية ، وفي البوادي الشرقية، وجميع تلك الأصول والفروع تعود إلى مشيخة ورابطة واحدة ، وللمزيد من التوضيحات انظر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عملى الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٦٥ ومسا بعدها ، ابن جريس "بلاد السراة من خلال صفة جزيرة العرب ..." ص٧٧ وما بعدها، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جد، ، ص

١٧ – الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٥٥٧ .

۱۸-المصدر نفسه ، وانظر عبد الله بن عبد العزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا (بيروت :عالم الكتب، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) مج١، حسر ١-٢ ، ص٣٧٦، حمد الجاسر "جرش قاعدة الأزد " مجلة العرب جس٧ ، س (٥) (محرم / ١٣٩١هـ) ص٩٩٥ وما بعدها ،

9 ا - مديسنة الجهسوة الستي ذكرها الهمدايي أحد المواطن الواقعة في بلاد بني شهر ، بمحافظة السنماص ، وهسي تقسع ضمن قرى عشائر بني بكر التي تجاور بلدة النماص من الجهة

الجنوبية الشرقية ، وللمزيد انظر غيثان بن جريس "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العرب ، جــ٩-١٠ س (٢٧) الربيعــان (٢١٣هـ / ١٤١هـ / ١٩٩٨م) ص٧٠٧ وما بعدها٠

- (3-6) الاسم قديماً و (صدريد) حالياً وأدي صغير يوجد به قرية يطلق عليها هذا الاسم (صدريد) ، وهي على الطريق الرئيسي الذاهب إلى الطائف وتبعد عن وسط مدينة السنماص نحو الشمال بحوالي (3-6) كيلاً ، وتتبع هذه القرية قبيلة كعب أحد القبائل الرئيسة في بلاد بني عمرو بمنطقة رجال الحجو في بلاد عسير
  - ۲۲ الهمدايي صفة ، ۲۲۱ •
  - ٢٣ المصدر نفسه ، ٢٥٥ وما بعدها •
- ٧٤ انظر جواد علي ، المفصل ، جــ٤، ص١٤ وما بعدها ، أبو محمد سعيد بن عوض آل رداد الأسمــري تاريخ رجال الحجر ، المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر (جدة : مطابع التوفيق ، ١٩٤٧هـــ) ص٣٣ وما بعدها ، عبد الله بن محمد أبو داهش أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (• ٠٠ ١٧٠هـــ) (مطبوعات نادي أهما الأدبي، ١٤٢٧هــــ) (مطبوعات نادي أهما الأدبي، ١٤٢٧هــــــ) م ٣٩٠٠ وما بعدها •
- 9 ٧ الأمير مرعي بن محمد تولى الإمارة على منطقة عسير ، وقد اتسع نفوذه حتى شمل نجران وهمدان جنوباً وبيشة ورنية وبلاد غامد وزهران شمالاً ، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) للمزيد من التفصيلات انظر شعيب ابن عبد الحميد بن سالم الدوسري إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (مصر : دار النصر للطباعة الإسلامية ، ١٣٦٥هـــ) ص٧٧ وما بعدها •
- ٢٦-المصدر نفسه ، ٨٠ ، وقد ذكر صاحب هذا المصدر حوالي ثلاثين شيخاً من وجهاء
   وأعيان بلاد عسير ، وشهران ، وقحطان ، ويام ، ورجال الحجر ، وشمران وغيرها .

#### صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ٨٠- هــناك مــئات الوثــائق التي بحوزة الباحث ، وتؤكد على أن القبائل العربية هي الطبقة الرئيســة في تكويــن مجتمع شبه الجزيرة العربي وبلاد السراة من الأجزاء الأساسية في الجزيــرة العــربية ، فكــانت ولازالــت مطبوعة بالطابع القبلي ، ولكن سطوة القبيلة وشــيوخها خفــت كثيراً في هذا العصر ، وذلك بسبب قيام مؤسسات حكومية حديثة تشرف على شؤون البلاد وتقوم على تنظيمها من أجل نشر الأمن والرخاء بين الناس ، وأن يكــون الــولاء لــلدولة وليس للقبيلة كما كان في العصور الإسلامية المبكـــرة والوســيطــة ، لمزيد من التفصيلات انظر ، الأسمري ، تــاريخ رجال الحجر ، ص ٢٩ ، غيــثان بــن علي بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع غيــثان بــن علي بن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشــر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ٣١٤ ١هــ) ص ١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه ، عشــر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ٣١٤ ١هــ) ص ١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه ، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشــر ، ٣١٤ ١هــ) جــ١ ، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشــر ، ٣١٤ ١هــ) جــ١ ،
- 79-3 جسبد السرحمن عسبد الواحد الشجاع اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر ، 180 هـ 180 هـ
  - ٣٠ الهمداي ، صفة ، ص٥٥٥ ٠
- ٣١- الحسن بن أحمد الهمداي كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء تحقيق ونشر كرستوفرتول (السويد: ابسالا ، ١٤٥٨م) ص١٤٥ •
- ٣٧ ويذكـــر الهمـــداي أنه كان يُطلق على أولئك الفرس الذين يعملون في معدن الرضراض باسم "فرس المعدن" ، انظر كتاب الجوهرتين ، ص١٤٥،١٤٧ .
- ٣٣- إن السرجل العربي كان يتجنب العمل في المهن والجرف اليدوية ، بل كان يطلق على من عتهن المهنة أو الحرف اسم "القين" أو "العبد" وهذا الإرث الثقافي عرف عند العرب من

قــبل الإسلام واستمر على مر العصور الإسلامية المختلفة للمزيد من التفصيلات انظر جواد علي، المفصل ، جــ٧ ، ٢٥٣ ، ٥٠٥ ، ٣٤٥ غيثان بن علي بن جريس ، عسير دراســة تاريخيــة في الحيــاة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠ – ١٤٠٠هـ / ١٩٨٨ – ١٩٨٨ وما (جــدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ص١٤٧ وما بعدها .

- ٣٤- بسلدة تسربة تقع على الطريق الرئيسي المتجه من الطائف نحو الجنوب وتبعد عن مدينة الطائف بحوالي (١٠٠) كيلاً ، وقد ورد ذكرها في كثير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ، وهي غنية بمزارعها ووفرة المياه بها زيارة الباحث لهذه البلدة في صيف عسسسام (٢١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- ح۳- لـــلمزيد مـــن التفصيلات انظر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، نبذ من
   كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، مطبوع ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ / ١٨٩٩م) ص١٨٩٠ ، ١٨٩٩ ،
- ٣٦- المصدر نفسه ، ص١٨٨ وما بعدها ، حسين علي المسري "نجران ودورها السياسي والاقتصادي " مجلة المؤرخ المصري (جامعة القاهرة : كلية الآداب ، العدد (٩) (يوليو / ١٩٩٢م) ص٤٦ وما بعدها .
  - ٣٧ المصادر نفسها ٠
  - ۳۸ المصادر نفسها ه
  - ٣٩ المصادر نفسها •
- ٤ لمزيد من التفصيلات عن هذه الطريق الشرقية انظر ، ابن خوداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٣٤ وما بعدها ، قدامة ، كتاب الخرج ، ص١٨٨ • ١٩ ، غيثان بن علي بن جسريس ، " ملامح النشاط التجاري لبلاد قامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " بحث منشور في ندوة طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ، (اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ١٤١١ هـ • • ٢م) حصاد (٨) ص ١٦٥ ١٧١ .
- ١٤ ظهران الجنوب إحدى المحافظات الرئيسة في منطقة عسير ، وتبعد عن مدينة أبها حاضرة مسنطقة عسمير حوالي (١٥٠) كيلاً ، ويوجد بما جميع المؤسسات الإدارية ، لمزيد من

- التفصيلات انظر أحمد حسين الوادعي ظهران الجنوب دراسة تاريخية جغرافية بحث تاريخي (غير منشور) لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ، كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود بأبها (١٤١٥هـ) ، يوجد منه نسخة ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٧) •
- ٧٤ جميع هذه المدن "سسراة عبيدة ، وأحد رفيدة ، وتثليث ، وطريب" توجد ضمن إمارة منطقة عسير ، ويوجه عنها عدد من الأبحاث العلمية ضمن مكتبة الباحث ، كان قد أنجزها طلاب قسم التاريخ في كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبما خلال الأعسسوام (١٤١٤هـ ١٤٢٠هـ) .
- ٣٤ غيثان بن علي بن جريس ، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤٧ هـ / ١٩٩٧م) ص ١٤ وما بعدها ،
- \$ £ الهمداين ، صفة ، ص ٢٦٠ وما بعدها ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ٢٦ وما بعدها .
- 8 ع الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٠ ، عاتق بن غيث البلادي ، بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ٢٠١هـ / ١٩٨٢م) ص ١١ وما بعدها ،
- 87- ابسن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جــ ١ ، ص٩٧ ، وللمزيد انظر ابن جريس " ملامح النشاط التجاري لبلاد قمامة والسراة " ص٨٥١ وما بعدها ، حسين السري " نجران .. " ، ص٤١ وما بعدها ه
- الجستمع وأنساهم وأعمالهم ، ثم إن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت الجستمع وأنساهم وأعمالهم ، ثم إن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت نشطة بسين الناحيتين (الحجاز واليمن) متخذة بلاد السراة معبراً رئيساً بينهما ، انظر القاضسي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ، المقتطف في تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث، ٧ ١٤ هس / ١٩٨٧م) ص٩٧ وما بعدها، جميل حرب محمود حسين الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (جدة : قامة للطباعة والنشر ، ٥ ١٤ هس/ ١٩٨٥م) ص٥٧ وما بعدها ، ريتشارد مورتيل ، الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر المملوكي

الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ، ه • ١٤ هـ /١٩٨٥م) ص١٧٣ ومــا بعدها ، غيثان بن علي بن جريس • بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للإعلان ، ٢٠٤٧هـ / ٢٠٠٧م) ص١٢٨ وما بعدها •

- ٨٤ المصادر نفسها ،
- 9 ٤ وكان العبيد يعملون في بعض بيوت الوجهاء والأعيان ببلاد السراة إلى العقد الثامن من القـــرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ثم تم إعتاقهم تدريجياً حتى تم إلغاء الرق تمامـــاً في المـــلكة العربية السعودية خلال عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (يرحمه الله) .
- ٥ جــولات الباحث الميدانية خلال السنوات الثلاث الماضيـــــة (١٤٢٠ ١٤٢هــ) ومشاهداته للعديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية في جنوبي البلاد السعودية .
- ۱۵-قدامه ، كتاب الخرج ، ص۱۸۸ ، ۱۸۹ ، محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة المدين ، د ، ت) جــ٧ ، ص٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٥١٥ ، ٦٢٥ ، أبو الفرج الاصفهانــــي كتاب الأغانــــي (طبعة بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) جـــ١٣ ، ص٢٤ وما بعدها ،
- - ٥٣- المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٥١ ، ٥٧) .
- 30- هكسذا كان الوضع الاجتماعي السائد عند سكان السراة وجميع سكان شبه الجزيرة العسربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، أما في عصرنا الحالي فقد تغيرت الأحسوال لسدى الناس ، وتلاشي الترابط والتعاون الذي كان سائداً بين الناس قديماً ، والسسبب في ذلك يعود إلى وفرة المال في أيدي الناس، وإلى الرخاء الذي تعيشه البلاد ، وبالستالي أصبح أفسراد المجتمعات لا يحتاجون بعضهم بعضاً كما كانوا في السابق ، ولسلمزيد من التفصيلات عن الفرق بين الماضي والحاضر انظر ، سعيد أطلس " الحياة وللجمتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري " مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد : مطبعة

المجمسع العلمي العراقي ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م) مج ٢ ، ص ٢٧٣ - ٠ ٣٠ ، عبد الله الحامد " الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية خلال قرنين من الزمان (١١٥٠ - ١٣٥٠) "مجلة العسرب ، جــــ -- (سنة / ١) (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٠ ٠ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير (١١٥ - ١٤٠ هـ) ، ص ٣٥ وما بعدهـــا ،

M. M Ahsan. Social life Under the Abbasids 170–289 A. H./ 786-902 A.D. (London, 1979) pp. 29 ff, Ghithan A. Jrais. The Social Industrial and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids 132 - 233 A. H \ 749 - 847 A.D (Unpablished Thesis, Victoria University of Manchester, 1989) pp. 28 ff.

٥٥- المصادر نفسها ، بالإضافة إلى محمد علي مغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ، (جدة :دار العلم للطباعة والنشر، ٥٠٤ هـ / ١٩٨٤م) ص ٥٤ وما بعدها ،

٥٦ - جــ ٤ ، ص ٢٧١ وما بعدها ٠

٥٧ - انظر الصفحات التالية (٧٤ - ١٠١) •

٥٨ - المصادر نفسها الواردة في حاشيتي (٥٦ ، ٥٧) .

90-وصل الباحث إلى هذه الأراء بعد تجواله في جميع أنحاء بلاد تهامة والسراة ، وشاهد غناء تـــراثهم الفكري والحضاري، والذي لا زال بحاجة إلى دراسة علمية جادة معتمدة على جميع المصادر المتنوعة والمختلفة في مادتما العلمية وفي طرق الحصول عليها .

٠٠- المصدر نفسه ٠

٦١-سوف نسورد في الصفحات التالية بعض التفصيلات عن النواحي المعمارية التي عرفتها بسلاد السسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى النصف الثاني من القرن السرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، والتي لازال بعضها ماثلاً للعيان مهجوراً من الاستخدام.

٣٢- الهمـــداين ، صفة ، ص٣٤٨ وما بعدها ، ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة - جزيرة العرب "ص٣٧- ١٠٤ .

٣٧- لمزيد من التفصيلات انظر المصادر التالية: أبو بكر أحمد بن محمد الفقيه · كتاب البلدان · تحقيق أم · دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ،١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م) ص٣١ - ٣٢،

أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، المجلد السابع من كتاب الإعلام النفيسة ، وملحق به كتاب البلدان ، لأحمد بن أبي يعقوب ، (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ، ص١٨٤ ، ٣١٧ – ٣١٧، ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٨٩ – ١٣٥ ، قدامه ، الخراج، ص١٨٨، ١٨٩، البكري ، معجم ما استعجم جـــ١، ص٣٩٣ ، ابن جريس "بلاد تمامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون ..." ص٣٧ وما بعدها ،

\$ ٦- الهمسداني ، صفة ، ٢٥٧، والمسقى احدى القرى الواقعة في شعف شهران بمنطقة عسير اليسوم، ولا زال يوجد بما عددُّ من النقوش والرسوم والآثار التي تحتاج إلى دراسة علمية جادة ، حتى يتضح لنا تاريخ وحضارة هذه البلدة عبر العصور الإسلامية المختلفة ،

- ٦٥ الهمداني ، صفة ، ص٢٦١
  - ٦٦- المصدر نفسه ٠
  - ٣٧ المصدر نفسه .
- ٦٨- المصدر نفسه ، ص٥٥٥ وما بعدها ه
- ٦٩ ابن المجاور ، جــ ١ ، ص٣٧ ٣٨ ، ناصر خسرو ، ص٤٢ .
- ٧- مشاهدات وانطسباعات السباحث في بلاد السراة أثناء تجواله في مناطقها خلال العام الهجسري (١٤٢٠هـ ١٩٩٩ • • ٢٥)
  - ٧١ المصدر نفسه ٠
  - ٧٧ المصدر نفسه •
  - ٧٣- المصدر نفسه ٠
- ٥٧- ابسن هشسام ، السيرة ، جس٤ ، ص٣٣ ، ٢٣٤ ، اليعقوبي ، البلدان، ص١٤ وما
   بعدها ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش .. " ص٣٣ وما بعدها .
- ٧٦ لمسزيد من التفصيلات عن هذه الحصون القديمة في بلاد السراة انظر غيثان بن علي بن جريس " العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) " مجلة

#### صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- المستهل ، العدد (٥٧١) المجلد (٦٦) العسام (٦٦) شوال ذو القعدة (٥٧١ هـ / المستهل ، العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العسام (٦٦) شوال ذو القعدة (٢١) ١٤٠١ هـ /
  - ٧٧ ابن المجاور ، جــ١ ، ص٣٧ -٣٨ ٠
- ٧٨ مشاهدات السباحث وانطسباعاته في بلاد السراة خلال الأعوام التاليسة (١٤١٢ ١٤١٧ مساهدات)، وانظر أيضاً ابن جريس ، عسير ١١٠٠ ١٤٠٠ مساهدر نفسها .
   ٧٩ المصادر نفسها .
- ٨-المسادر نفسها ، بالإضافة إلى جمع الباحث لعدد كبير من الصور الفوتوغرافية لبعض هذه الحصون ، أيضاً قابل عدداً من كبار السن في بلاد السراة خلال الأعوام (١٤١٥ ١٤١٧ ١١٥ هـ..)وسمع منهم بعض التفصيلات عن أهمية هذه الحصون خلال القرون الماضية .
- ٨٠- مسن يتجول في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف يشاهد كثيراً من القصور القديمة ، الخاصة بشسيوخ وأعيسان القبائل ، ويلاحظ أن أغلبها أصبح مهجوراً ، مشاهدات السباحث خلال الأعوام (١٤١٧-١٤١هـ) وللمزيد من التفصيلات عن الحصون والقصور القديمة في بلاد السراة ، انظر ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ ١٤٠٠هـ ، ص٥٠ وما بعدها، عبد المنهم عبد العزيز رسلان "بعض استحكامات منطقة عسير الحربية في العهد العثماني" مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، س (٥) عدد (٥) (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ص٩٧٩ ٢٨٤ ،
- ۱۳۲۲هــــ التفصيلات انظر ، محمد بن سعد ، كتاب الطبقات (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٢٢هـــ ) جـــ ، ص ١٨٩ ، كتاب الإمامة والسياسة ، المنسوب لعبد الله بن مسلم بــن قتيــبة (القاهــرة: دار المعارف،١٣٨٧هــ ، ١٩٦٧م) جــ ١ ، ص ١٨٦ ، أحمد المعقوبي مشاكل الناس لزمانهم (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م) ص ١٢ ، ١٤ ، ابن المجاور ، المستبصر، جــ ١ ، ص ١٧٧ وما بعدها ،
- ٨٣ محمسد بن عبد الله الأزرقي أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ٣ ١٤٠هـ / ١٩٨٣ م ، جـــ ٢ م
  - ۸۶-المصدر نفسه ، جـــ۷ ، ص۶۲۹ ، ۲۲۰ ،

- ٥٨-أبو حنيفة الدينوري من علماء القرن الثالث الهجري ، دون كتاباً كبيراً جداً عن النبات، ومعظم المعلومات المدونة بهذا الكتاب تخص شبه الجزيرة العربية، وبخاصة بلاد قامة والسراة، حيث ذكر جميع النباتات والأشجار الموجودة بهذه البلاد ، ووضح أسماءها وفوائدها وأماكن وجودها ، وقد نشر من هذا المؤلف حوالي ثلاثة أجزاء والباقي منه لازال مفقوداً فلم يُعثر عليه حتى الآن .
- ۸٦-انظــر الأزرقــي ، جـــ ۲ ، ص ۲۲۹ ، قدامة ، الخرج ص ۱۸۸ ، الواقدي ، الغـــازي ، جـــ ۳ ، ص ۹۲۶ ، هــ ۱۸۸ ، الغـــازي ، جــ ۳ ، ص ۹۲۶ ،
- ٨٨-وتعد غران والروشن من المراكز الرئيسة في منطقة بيشة ، وبما أسواق أسبوعية نشطة ذكرة المصادر والوثائق الخاصة بالقرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) •
- ١٠- ٩- انظر "رحلة تاميزية إلى الجزيرة العربية" ترجمة يوسف شلحد ، مجلة العرب، جــ ٩ ١٠ (س/٤ ٢/ الربيعان/ ١٤ ١هــ /١٩٨٩م) ص٣٦٦ ٠
- Sir Kinahan Cornwallis. <u>Asir Befor world War. I.</u> (New York, -1.1976) pp. 32ff.
  - 9 1 المصدر نفسه ، P . 45
  - ۹ ۲ المصدر نفسه ، PP . 49, 60, 61, 75
- 99-سليمان شفيق باشا كان يتولى متصرفية عسير في الفترة من ١٣٢٦-١٣٣١هـ/ ١٩٠٨ من ١٣٣١-١٣٣١هـ ، ثم انستقل بعد ذلك للعمل بسوريا ، ثم أصبح والياً على البصرة ، وأخريراً تسلم وزارة الحربية في تركيا ، انظر ، مذكرات سليمان شفيق باشا جمع / محمد أحمد العقيلي (أبكا : النادي الأدبي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) ص٧ وما بعدها ،
  - ٩٤- المصدر نفسه ، ص٩٢ ، ٩٦ •
- 90- لزيد من التفصيلات عن فن العمارة في بعض الأمصار الإسلامية انظر ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م) جـ٣ ، ص٤٥٥ ٤٦٩ ،

#### صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- 97-المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (98، 90) بالإضافة إلى يوسف حسن العارف . أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا (أبحا : النادي الأدبــــــي، 1111هــ/ 191هم) ص٠٦-١١ .
  - ٩٧ المصادر نفسها ٠
- ٩٨ شــرف بــن عبد المحسن البركاتي. الرحلة اليمانية ، (بيروت: المكتب الإسلامــــي ، ١٣٨٤هـــ) ص١٣٨٤ .
  - ٩٩-المصدر نفسه ، ص٧٨٠
- • ١ وهـو يحي بن إبراهيم الألمعي ، الذي دون عدة مواضيع عن منطقة عسير ، وجمعها في كـــتاب أطلق عليه اسم : رحلات في عسير ، نصوص ، انطباعات ، وصف ، مشاهدات (معلومات النشر غير مدونة) •
- ۱۰۱ المصدر نفسه، ص۱۰۱ ۱۰۷،کما انظر ابن جریس، بلاد بنی شهر وبنی عمرو فی القونین ۱۶/۱۳هــ ، ص۷۵ – ۷۷ ه
- ١٠٠ ومن يتجول الآن في بلاد السراة يرى منات القرى القديمة المهجورة والمندثرة ، وقد يلاحظ على قرب منها قرى وبيوتاً جديدة تم بناؤها بالخرسانة المسلحة ، وحبذا لو وجدت بعض تلك القرى القديمة الرعاية والصيانة والترميم الأثري السليم حتى تبقى متماسكة سالمة من الاندثار لكونها تعكس تاريخ وحضارة أقوام عاشوا في العهود الماضية، وكان لهم تراثهم الحضاري الخاص بهم ، والذي يشكل لبنة هامة في تاريخ الحضارة الاسلامية لشبه الجزيرة العربية ،
- ١٠٣ مشاهدات الباحث وانطباعاته أثناء تنقلاته ورحلاته في بلاد السراة خلال السنوات الماضية ، وخاصة في الأعوام التالية (١٤١٢ ١٤٢٠هـ) .
- ١٠٤ انظر عمر العمروي ، قبائل إقليم عسير ، جــ١ ص٧٧٥ وما بعدها ، النعمي ، عسير في مذكرات سليمان الكمالي ،ص٤٨ وما بعدها، أبو داهش، أهل السراة ، ص١٢٠ ١٢١ ٠
  - 100- المصادر نفسها
  - ١٠٦ مشاهدات الباحث خلال الأعوام الماضية المتأخرة (١٤١٥ –٢٠١ هــ) .

- ۱۰۷ لمزيد من التفصيلات عن تاريخ المساجد الإسلامية في بعض الأمصار الإسلامية خلال القرون الإسسلامية المختلفة، انظر أبو صالح الألفي الفن الإسلامي (القاهرة: دار المعارف، د ت) ص١٨٨ وما بعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور بحوث في تاريخ الإسسلام وحضارته (القاهرة: عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٧م) ص١٠٧ وما بعدها ، محمد بن عثمان الحشائشي تاريخ جامع الزيتونية (تونيس: د٠ت ، ١٩٧٤م) ص١٢ وما بعدها
  - ١٠٨ مشاهدات ورحلات الباحث خلال الأعوام التالية (١٤١٥ ٢٤١هـ).
    - ١٠٩ المصدر نفسه ه
    - ١١٠ المصدر نفسه ٠
- ۱۱۱ ناصــر خســرو ، ص۱٤۲ ، جواد علي ، المفصل ، جــه ، ص٣–٨ ، مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام (١٤١ ١٤٢٠ هــ) •
- ١١٧ ولا زلنا نشاهد معظم مزارع بلاد السراة محاطة بهذه المدرجات التي عرفها سكان جنوب شبه الجزيرة العربية منذ عهود سابقة للإسلام، وللمزيد من التفصيلات انظر صالح بن علي بن عبد الرحمن الشمراني أشكال المدرجات الزراعية وتوزيعها السكاني، وأهميتها في إقليم عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية (مكة المكرمة : مركز بحوث العلوم الاجتماعية ، بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ص١٧ وما بعدها
  - ١١٣ المصدر نفسه •
- 116 أحمية ومفردها (حمى) وهي المواقع التي يحميها بعض الأسر ، أو الأفخاذ ، أو العشائر من أجل استخدامها للرعي وقت الجدب وعدم نزول الغيث ، وفي المصادر الإسلامية الأولى نجد الرسدول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين حموا بعض المواقع القريبة من المدينة المنورة، لكي ترعى فيها خيول ومواشي المسلمين ، وإلى وقت قريب كان عدد من العشائر والبطون السروية تقوم على حماية بعض مواطنها أما في الوقت الحاضر فصارت هذه الظاهرة شبه معدومة، وللمزيد عن طبيعة الحمى في الإسلام، انظر ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ، ٣ ، البكري معجم ما استعجم ، جـ٣ ، ص ، ٢٨،

صــالح أحمد العلي " الحمى في القرن الأول الهجري" مجلة العرب، جـــ٧ (١٣٨٩هـ/ ١٣٦٩م) ص١٩٢٥ - ٥٩٥ .

١١٥ لسدى الباحث عدد من الوثائق التي تنص على أسماء وأحجام حدود وأسوار بين بعض الأسر والعشائر والأفخاد في بلاد السراة ، ومثل هذه الوثائق كثيرة بين يدي رجال أهل السراة وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، وذلك لحفظ حقوقهم وأملاكهم عثل هذه المستندات والوثائق ،

١١٦ – مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام (١٤١٥ – ١٤٢هـ ٠

١١٧ - المصدر نفسه ٠

١١٨ - يقع وادي عياء في الجهة الشرقية من بلاد بللحمر وبللسمر بسروات الحجر ، ويعد من رواف. وادي بيش. يعده من الشرق وادي بن هشبل وقبائل شهران ، ومن الغسرب خارف ببلاد بللسمر ، ومن الشمال بلاد بني أثلة من سراة بني شهر ، ومن الخسوب الماوين وصبح ببلاد بللحمر ، ويوجد بهذا الوادي حصون عديدة يرتفع بعضها إلى خسة وستة طوابق، كما يوجد به عدد من الآبار والأبنية الأثرية التي تحتاج لدراسات علمية أثرية متخصصة ، للمزيد من التفصيلات عن هذا الوادي ، انظر ، رشاد عبد الله الشهري ، آثار وادي عياء ، بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة المكالوريوس بقسم التاريخ ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود فرع أبها (١٣١٤هـ) ص٣ وما بعدها ، علي آل عمر عسيري " في وادي عياء آثار شاهدة لأجيال بائدة " مجلة الجنوب ع (٧٤) س (٤) (ذو القعدة / ٧٠٤ هـ) ص ٢ وما بعدها ، مشاهدات المحنوب ع (٧٤) س (٤) (ذو القعدة / ٧٠٤ هـ) ص ٢ وما بعدها ، مشاهدات الباحث لمعالم وآثار وادي عياء في فصل الصيف عام (٢١٤ هـ/١٩٩٢م) ،

١١٩ - مشاهدات الباحث وانطباعاته عام ١١٤ هـ / ١٩٩٧م) ، أيضاً انظر ابن جريس ،
 بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٤/١هـ ، ص١٤٨ وما بعدها .

١٢٠ مشاهدات الباحث وانطباعاته عام (١٤١٧هـ /١٩٩٧م) ٠

1 ٢ ١ – إن شــبه الجزيرة العربية سادها الإهمال والنسيان خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وخصوصـــاً بعـــد أن استقرت الخلافة الإسلامية في كل من العراق ومصر، وبالتالي

- نــتجت كثير من الخرافات والفوضى القبلية التي أثرت فعلاً على سلامة العقيدة عند أهل البلادو أصبحوا يجهلون كثيراً من أمور دينهم •
- - ١٢٣ المصادر نفسها •
  - ١٢٤ المصادر نفسها •
- ۱۲۵ الأزرقي ،جــــ ، ص۱۲۶ ، ۳۸۳ ، ۳۸۳ ، الهمداين صفة ،۳۵۰، ۳۵۰، ۳۳۰، ۳۲۰ ، ۳۲۰ ابن المجاور، جـــ ۱ ، ۲۵، ۸۷ ، ۱۸۵ ۰
- 177 وهذه الأطعمة كسانت تُصنع بشكل واسع إلى نماية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ثم بدأت تقل تدريجياً ، لكنها لازالت تُصنع عند بعض الأسر في الريف والمدينة على حد سواء .
- السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب .." ص٩٧- ٩٩ ، ومن يتجول اليوم في السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب .." ص٩٧- ٩٩ ، ومن يتجول اليوم في بلاد السراة يلاحظ عشرات الأنواع من الفواكه والخضروات التي تنبت محلياً ، والتي لا تسد حاجة أهلها فقط ، وإنحا امتلأت الأسواق اليومية والأسبوعية بهذه المنتوجات الزراعية .
- ۱۲۸ محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة بن جبير (بيروت: دار الكتب ، د ، ت) ص ١٠٧ و ما بعدها ، محمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة:المسماة تحفة النظار في غسرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكنايي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٥٠٤ هـ / ١٩٨٥ م) جد ١، ص ١٨٣ ، أبو العباس أحمد القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل وعرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري (القاهرة: دار الكتب الحديثة ، ١٩٣٣ م) ص ١٠٤ ، حمد الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات (الرياض منشورات دار اليمامة للطباعة والترجمة والنشر ،
  - ١٢٩ المصادر نفسها •

#### صور من المياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ١٣٠ الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص ٣٦٩ •
- 1٣١ المصدر نفسه ، بالإضافة إلى أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، كتاب النبات (الجزء السيال ، والنصف الأول من الجزء الخامس) ، تحقيق برنهاردلفين (ألمانيا : بفيسبادن، ١٣٩٤هـــ/١٩٧٤م) ص٤ وما بعدها ،
  - ١٣٢ المصادر نفسها ٠
  - ١٣٣ المصادر نفسها ٠
  - ١٣٤ الدينوري ، النبات ، ص٢٥٧ وما بعدها ه
- 1٣٥ وقد أفرد الدينوري فصلاً كاملاً عن العسل وأنواعه وأماكن وجوده ، وذكر أن بلاد الســـراة تأتي في مقدمة مواطن شبه الجزيرة المشهورة بالعسل الجيد في نوعه ومذاقه ، انظر كتابه النبات ، ص٢٩٧ ٢٩٤٠ .
  - ١٣٦- المصدر نفسه ، ص٢٦٧ ٠
    - ١٣٧ المصدر نفسه ٠
    - ١٣٨ المصدر نفسه ٠
  - ١٣٩ الهمداني ، صفة ، ص٢٦٧ •
  - ٤٤ الجاسر ، في سراة غامد وزهران ، ص٧١ وما بعدها •
- 1 £ 1 عرام بن الأصبغ السلمي كتاب أسماء جبال قامة وسكالها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ٢٩٧٤هـ / ١٩٥٥م) ، ص ٢ ٤ ٤ ٠
  - ١٤٢ المصادر نفسها التي وردت في حواشي (١٣٩، ١٤٠، ١٤١) ٠
    - 124 المصادر نفسها •

## الدراسة السابعــة:

ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة <sup>\*</sup>

إعداد

## أ.د. غيثان بن على بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد

2 7 3 7 4 - 7 4 7 5

<sup>(\*)</sup> هذه الدراسة قدمت في ندوة " إنصاد المؤرخين العرب " بالقاهرة ، والتي عقدت خلال الفترة من (\*) (\*) معبان/٢٠٤ هـ الموافق ، ٣/أكتوبر – أول نوفمبر/١٠٠ ٢م) ، وقد نشرت هذه الدراسة مسع غيرها من الأبحاث التي قدمت في تلك الندوة ضمن كتاب : " المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور " • حصاد رقم (٥) (٢٢٢ هـ/٢٠٠١م) ،

# محتويات الدراسة السابعة

## ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة·

الصفحة	الموضوع	السلسل
701-307	تمهيد جغرافي	: \$41
775-705	ملامح الحياة العلمية في بلاد قامة والسراة في عصر النبوة وصدر الإسلام	ثنيــــاً:
<b>۲۷۷-7۷</b> ξ	ملامح الحياة العلمية في بلاد قامة والسراة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين	ثثث :
777	ملامح الحياة العلمية في بلاد تمامة والسراة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري	: لعال
777	١ ـ البلاد التهامية :	
7	أ-البيوتات العلمية في المخلاف السليماني (جازان) ب – البيوتات العلمية في مخلاف حلي بن يعقوب وأحوازها	
<b>797</b>	جـــ علوم اللغة والأدب	
798-79.	د-الحلقات العلمية وأثرها الفكري في بلاد قامة	
798-798	البلاد التهامية	

# تابع : محتويات الدراسة السابعة

## ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامـة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطـــــــة

الصفحة	الموضوع	السلسل
790-798	و – مكتبات البلاد التهامية	
٣٠٠-٢٩٥	٢_ البلاد السروية :	
٣٠٤-٣٠٠	أ – التواصل العلمي بين بلاد السراة والحجاز	
4.0-4.8	ب – الحياة الأدبية في بلاد السراة	
T.V-T.0	جــــ المصنفات والتآليف العلمية والأدبية لعلماء وأدبــــاء	
	وفقهاء السراة	
٣٠٧	الخاتمة	خامساً:
<b>TTE-T·</b> A	الحواشي والتعليقات	سادساً :

## أولاً : \_ تمهيد تاريخي وجفرافي :

عندما نقول قامة والسراة فإننا نقصد البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً إلى جازان (المخلاف السليماني) ونجران جنوباً وهذه البلاد جميعها تقع اليوم ضمن حكومة المملكة العربية السعودية، وتصل في طولها من الشمال إلى الجنوب قرابة الألف كيلو متر، في حين أن عرضها من ساحل البحر الأحمر غرباً إلى أطراف بوادي نجد من الغرب ما بين  $(0.8-0.8)^{(1)}$  وهذه البلاد الواسعة مأهولة بالسكان منذ العهود الجاهلية ، كما تتوافر بها مقومات الحياة من رعي وصيد وزراعة وتجارة وحرف صناعية وغيرها من الركائز لقيام المدن والقرى والهجر (0.8)

وعندما نعود إلى مصادر التراث الإسلامي بأنواعه من تاريخ، وأدب ، ومعاجم لغوية ، وطبقات وتراجم ، ورحلات ، وأنساب، ومعاجم جغرافية وغيرها نجدها تذكر المواطن المرتفعة في هذه المنطقة المعنية بالدراسة باسم السراة ، أو السروات ، وبعضها يفصل الحديث عن مواقع وأماكن محددة يذكرها باسمها :- كنجران ، وجرش ، وبيشة ، والحجر، والجهوة ، ورنية ، وتبالة ، وتربة وغيرها (٣) ، وقد تذكر اسم العشيرة أو القبيلة وأحياناً تنسب القبيلة إلى اسم السراة فيقال :- سراة الطائف، وسراة فهم وعدوان، وسراة بجيلة ، وسراة غامد ودوس، وسراة خثعم، وسراة الحجر، وسراة عتر (عسير حالياً) وسراة جنب أو مذحج (بلاد قحطان حالياً) وغيرها وغيرها (٤) .

أما قامة فهي المناطق السهلية المنخفضة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات، وهذه البلاد لاتقل عن بلاد السراة من حيث استيطان السكان، لكنها تختلف عن السروات من حيث سهولة تضاريسها ومعالمها الجغرافية، ومما يميزها أيضاً ألها تطل على ساحل البحر الأحمر الشرقي، وفي منطقة قامة والسراة

معاً تنتشر الطرق والأسواق التجارية ، كما أنها تعتبر حلقة وصل ما بين مدن الحجاز واليمن الكبرى ، فهي المعبر الوحيد الذي يربط بين تلك المنطقتين (٥) .

ومن يتجول في هذه البلاد اليوم يشاهد آثار وحضارة العصور التاريخية السابقة لازالت متمثلة في كثير من معالمها الطبيعية ، كالطرق التجارية ، والمساجد والجوامع، والقرى والآبار والحصون القديمة ، وكذلك في المقابر وأدوات التراث القديم المتنوعة(١) • ورغم ماآلت إليه هذه الأجزاء وغيرها من البلاد السعودية من رغد العيش لما نالها من التطور والنمو الحضاري، إلاَّ ألها لازالت بحاجة ماسة لدراسة تاريخها وحضارها القديمة، فهي وإن كانت حلقة وصل بين الحجاز واليمن فإنه قد نالها الكثير من النسيان من قبل مدوي التراث الإسلامي، لألهم كانوا إذا تعرضوا لتاريخ وفكر وحضارة شبه الجزيرة العربية فإنهم يركزون على الحواضر الكبرى مثل: - مدن اليمن والحجاز، وتنسى الأجزاء الأخرى، وبلاد تمامة والسراة من البلاد التي سادها النسيان وعدم الاهتمام من قبل علماء وأدباء العهود الماضية وهذا ما جعلني أبذل غاية لجهد منذ عدة سنوات في جمع كل ما أجده حول هذه البلاد، بل واسعى إلى تدوينه ثم نشره في المجلات العلمية والأدبية وكذلك تقديمه في بعض المؤتمرات والندوات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. ولازلت مستمراً في الدراسة والتنقيب عن تاريخ وأدب وفكر وحضارة هذه البلاد، وذلك ليس من باب التحيز أو التعصب ولكنه من باب خدمة بلادي وأهلى كوبي أحد أبناء هذه البلاد التي أعطتني الكثير والكثير، فكان من الواجب رد الجميل فأسعى إلى تسجيل كل ما يتصل بتاريخها وحضارتها ، محاولاً إزالة غبار النسيان عنها • وإن كنت قد قدمت عدة دراسات علمية متنوعة عن تاريخ وحضارة هذه البلاد، إلاّ أن الحياة العلمية والفكرية لازالت بحاجة إلى التعرض لها، وإلقاء الضوء عليها لاسيما خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وهذا هو الهدف الأساسي الذي بُنيت عليه هذه الدراسة • وطبقاً للمادة العلمية التي وفقنا في الحصول عليها من مظان متعددة فسوف نتناول ملامح الحياة العلمية لهذه البلاد منذ فجر الإسلام وحتى (ق٤هــ/١٥ م)، ثم نتعرض بعد ذلك بنوع من الإيجاز إلى إلقاء أضواء جديدة على الحياة العلمية في بلاد همامة حتى (ق٠١هــ/١٦م)، وإثر الانتهاء من ذلك نعرج للحديث عن بلاد السراة، وإبراز الومضات العلمية والفكرية التي ظهرت بها وذلك أيضاً خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة (من ق٤: ق٠١هــ) والله الموفق والمستعان،

# ثَانياً: ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة في عصر النبوة وصدر الإسلام :\_

تقاس حضارة الأمم بما لها من ثقافة، وبما أنتجت من فكر، وبما أبدعت من فن، وأهل قامة والسراة في تقديري كان لهم شيء من ذلك بما قدموا من مساهمات في نشر الدين الإسلامي في بلادهم أثناء ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبما قدموه من جهود في محاربة الشرك وأهله، وبما ساهموا به في الفتوحات الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها( $^{(Y)}$ ) ولم تكن مشاركاقم في الجوانب الحربية فحسب، بل كان لهم خلال ذلك أعمال جليلة تطرقت إلى النواحي الاجتماعية والتجارية والفكرية والثقافية  $^{(A)}$ ، فلقد هاجر بعضهم إلى بلدان ومدن أخرى فأثروا وتأثروا في عاداقم وتقاليدهم وغير ذلك من مناحي الحضارة ، بل كان بينهم من يذهب ويعود في التجارة إلى أجزاء عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، ومن المؤكد أن ذهابهم وإيابهم يولد اقتباس عادات وأعراف وعلوم وثقافات مختلفة عمن يحتك بهم في المواطن والمجتمعات الأخرى  $^{(A)}$  ،

أما تأثيرهم في الحياة العلمية والفكرية والثقافية فذلك يعود إلى أيام ترحيب بعضهم بالدين الإسلامي في عهد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين كان

يعيش بين ظهراني قريش في فترة الدعوة المكية، فتذكر لنا المصادر التاريخية المبكرة أنه دخل الإسلام في تلك الفترة بعض السرويين، والتهاميين ، أمثال : ضماد الأزدي، والطفيل بن عمرو الدوسي، وغيرهما، فلقد كانا من علية قومهما في بلاد قامة والسراة، وكانا يجيدان بعض العلوم والمعارف، فالطفيل كان شاعراً مصقعاً مصقعاً وضماد كانت لديه معرفة بعلم الطب (١١)،

وإذا كان الطفيل وضماد، وقد يكون لهما شركاء لم يذكرهم التاريخ، قد هاجروا من أوطاهُم في بلاد تمامة والسراة، والتقوا بالرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لكي يتعلموا منه شرائع الإسلام، ولكي يلقوا بالجهل وراء ظهورهم ، ويدخلوا من أوسع أبواب المعرفة بعد جلوسهم للتعلم بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كل هذا في الفترة المبكرة لظهور الإسلام، أي قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن تعاليم الإسلام، ورُسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد وصلت إلى الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة مثل بلاد الطائف، وبيشة ،وتباله، وجرش ، ونجران، وجازان، وحلى، وعشم، السرين وغيرها مما ساهم في نشر الإسلام وتعاليمه بين السرويين والتهاميين وبدأ في الارتقاء بحياتهم الفكرية ، فالطفيل وضماد من أوائل رُسل النبي (صلى الله عليه وسلم) الذين عادوا إلى أقوامهم لتعليمهم ونشر الإسلام بينهم، ومحاربة الشرك وعبادة الأوثان وغيرها، ولم تأت السنة السابعة بعد الهجرة إلاَّ والطفيل بن عمرو الدوسي يقدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) (١٢) ومعه ثمانون بيتاً من المسلمين الذين دعاهم من قومه ، وهذا الأمر لم يحدث إلا بتوفيق الله أولاً ، ثم بالجهود العظيمة التي بذلها الطفيل ومن أسلم معه في نشر العلم الشرعي بين أولئك المسلمين الذين وفدوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) • وبعد فتح مكة المكرمة، وفي السنتين الثامنة والتاسعة للهجرة نجد الوفود الإسلامية من أنحاء شبه الجزيرة العربية تقدم على الرسول الكريم في المدينة المنورة، لكي تعلن إسلامها، وتتلمذ على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم تعود لنشر ما تعلمت منه بين أقوامها، ومن بين تلك الوفود جاءت وفود عديدة من بلاد تمامة والسراة مثل وفد دوس الذي قدم به الطفيل بن عمرو الدوسي، والذي سبق ذكره، ووفد ثقيف من الطائف، ووفد ثمالة من النواحي الجنوبية لتهامة وسراة الطائف، ووفد بجيلة ببلاد بني مالك جنوبي الطائف، ووفد غامد بزعامة أبي ظبيان الأزدي الغامدي ، ووفد سلامان من تمامة وسراة الحجر، ووفد بارق من تمامة عسير، ووفد خثعم ، ووفد زيد من بلاد تثليث وما حولها بزعامة عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، ووفود أخرى من منطقة بيشة ، ووفد الأزد من بلاد جرش (عسير) بزعامة صرد بن عبد الله الأزدي (١٣)، وغيرها وفود ورد ذكرها في كتب السيروالتراجم وماشابهها ،

وكل هذه الوفود لم تظهر من فراغ، وإنما نتجت بجهود المسلمين الأوائل أمثال الطفيل وضماد وغيرهما، وكذلك صدى دعوة الإسلام وانتشارها في أنحاء شبه الجزيرة العربية عن طريق رسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكذلك عن طريق الحجاج والتجار الذين كانوا يأتون إلى مكة المكرمة فيشاهدون الأحوال السياسية بها والمنار حرب الشرك، وصعود حزب الرحمن الذي كان قائده وقدوته الرسول (صلى الله عليه وسلم) ها

وقد ترتب على إسلام تلك الوفود التي كان يقودها شيوخهم وأعياهم، أن بدأت الثقافة الإسلامية تصل إلى مواطنهم الأصلية، إما عن طريق أولئك الوفود التي قدمت على الرسول الكريم فتعلمت على يديه شرائع الدين ثم عادت إلى بلادها لنشر ما تعلمت بين أهلهم وذويهم (١٠٠)، أو عن طريق رسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذين أرسلهم إلى جميع أنحاء بلاد تهامة والسراة وإلى بلاد اليمن عامة أمثال : معاذ بن

جبل، وأبي موسى الأشعري، ووبر بن يحنس، وعلى بن أبي طالب، وزياد بن لبيد البياضي وجرير بن عبد الله البجلي وغيرهم • فقد كان الرسول الكريم يبعثهم على الصدقات مرشدين وهادين ودعاة إلى الإسلام، ونحن نعرف بدون شك دور هؤلاء الصحابة الأجلاء في الإسلام ، ومعاصرهم وتلقيهم على رسول الهدى، ثم فيضهم من هذا التلقي الثقافي على أهل البلاد التي مروا عليها منذ خروجهم من مكة المكرمة والطائف حتى وصلوا مدن اليمن الكبرى، وثما لاشك فيه أن أهل هذه البلاد قد نالهم حظ وافر من إرشاد وتعليم أولئك الصحابة (رضى الله عنهم)(١٦)، مما أثر في حياهم الفكرية تأثيراً ملحوظاً، ولعل كتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى بعض سكان هَامة والسراة دليل واضح على بذر ثم ازدهار الثقافة الإسلامية في تلك النواحي، ومن أمثلة تلك الكتب ، كتاب كتبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) لوفد بارق عندما قدموا عليه في المدينة لإعلان إسلامهم في السنة العاشرة للهجرة، قال فيه " هذا كتاب من محمد رسول الله ، لاتجز ثمارهم، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلاًّ بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلا بن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم" وشهد على هذا الكتاب أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وكاتبه للرسول رصلي الله عليه وسلم) أبي بن كعب (<sup>۱۷</sup>) وكتب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتاباً آخر لمطرف بن الكاهن الباهلي الذي قدم عليه من بلاد بيشة بعد فتح مكة المكرمة، قال فيه : " هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن بيشة من باهلة ، إن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر هَارِض، وفي كل أربِعين من الغنم شاه ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة، وليس المصدق أن يصدقها إلا في مراعيها وهم آمنون بأمان الله (١٨) . وكتاب آخر من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نهشل بن مالك من باهلة بيشة قال فيه: " باسم الله هذا كتاب من محمد رسول الله لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل، لمن اسلم ، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله، وأعطى من المغنم خمس الله وسهم

النبي، وأشهد على إسلامه ، وفارق المشركين، فإنه آمن بأمان الله ، وبرى إليه محمد من النظلم كله ، وأن لهم أن لا يحشروا ولا يعشروا، وعاملهم من أنفسهم ١٠٠٠ وفي كتاب آخر لقبائل خعم ببلاد بيشة قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم): " هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة وباديتها، إن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عرار تسقيه السماء ١٠٠٠ فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر، وكل غرب نصف العشر مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم مبروراً وحمى لهم حمي حول قريتهم على أعلام معلى أالله مني وأنا منكم، وجعل شعارهم مبروراً وحمى لهم حمي حول قريتهم على أعلام الوصايا التي يتبعها عندما أرسله من الطائف مع بعض قومه لهدم بعض الأصنام في بلاد دوس وخدم وبيشة وغيرها في السنة الثامنة للهجرة ، فقال له : "١٠٠٠افش السلام، وابتني من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله (١٠٠٠)، إذا أسأت فاحسن، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ١٠٠٠ (١٢٠)،

كل هذه الكتب الآنفة الذكر، والكلمات والأقوال التي قالها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى أولئك الصحابة (رضوان الله عليهم) أو إلى تلك الأقوام التي خاطبها في بارق، أو بيشة، أو خثعم، أو دوس، أو جرش أو نجران، أو بلاد حكم وغيرها ، ليست إلا جزءاً بسيطاً مما حدث من صلات وعلاقات بين الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وبين أهل تمامة والسراة، وليس المهم في هذه الدراسة تتبع الصلات والمكاتبات والعلاقات ، لأنها –سوف تخرج في دراسة مستقبلية بإذن الله ولكن الأهم هو التأثير العلمي الفكري الثقافي على سكان قامة والسراة، ويظهر جليا من عبارات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بعض الكتب السابقة أنه كان يكتب ويخاطب أناساً ربما أصبح بعضهم قادراً على معرفة المسائل الفقهية التي كان ينبههم إليها، بل من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه السائل الفقهية التي كان ينبههم المن المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الم من المؤكد أن بينهم من تعلم شرائع الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه الم من المؤكد أن بينها من تعلم الله على يد الرسول (صلى الله عليه الم المؤلد الم الله عليه الم المؤلد الم المؤلد المؤلد

وسلم)، ثم إن كتابة الكتب من قبل الرسول وإعطاءها للوفود التي تقدم عليه لدليل أن بينهم أو في ديارهم من يستطيع قراءها وتفسيرها وشرحها لأهلهم وذويهم • كما أن ثناءه (صلى الله عليه وسلم) على صرد بن عبد الله الأزدي ووفده الذين قدموا من ديار جرش (عسير) عندما استقبلهم استقبالاً حسناً وقال لهم: " مرحياً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم٠٠٠" لم يكن ينتج من فراغ، فلو لم يلمس الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) إيماناً صادقاً، وأخلاقاً حميدة، وبياناً رفيعاً، وثقافة إسلامية صحيحة لما قال هذا القول الطيب الجميل. ومما يزيدنا يقينا على رسوخ التعاليم الإسلامية عند سكان تمامة والسراة منذ السنوات الأولى لظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) قول جرير بن عبد الله البجلي للرسول (صلى الله عليه وسلم) في السنة العاشرة للهجرة، عندما سأله (صلى الله عليه وسلم) عن أحوال الإسلام ببلاد هامة والسراة قال: " يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم التي تعبيد ١٠٠٠ "(٢٣) . هذا القول من صحابي جليل من أهل السراة رأى وشاهد وعاصر عصرى الجاهلية والإسلام بتلك البلاد، بل كان من صحابة الرسول رصلى الله عليه وسلم) الذين عملوا جاهدين في محاربة الشرك وتعليم شرائع الإسلام في طول البلاد وعرضها التي تمتد من مكة المكرمة والطائف إلى حواضر اليمن الكبرى(٢٤). ثم إن شهادته هذه وقوله عن بلاد السراة في تلك الفترة المبكرة يدل على رقى الوعى الديني في تلك النواحي حتى أنه أصبح لهم مساجد يرفعون فيها الآذان، ويقيمون فيها الصلوات ، بل وصل بهم الإدراك إلى إخلاص العبادة الله وحده وهدم الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله، ومثل هذا الإنجاز العظيم لايتم إلاَّ بوعي ثقافي علمي فكرى يقوم عليه رجال تعلموا القواعد الأساسية الشرعية الإسلامية من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن صحابته المقربين إليه ، أمثال أبي بكر الصديق،

وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) و ولم تصل أحوال المجتمع في بلاد قامة والسراة إلى ما وصف جرير البجلي للرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا بجهود فقهاء وعلماء وطلبة علم تخرجوا من مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم ذهبوا في أنحاء عديدة من شبه الجزيرة العربية لينشروا الدين الإسلامي وما يتصل به من علوم وشرائع، ويحاربون ما لا يضر ولا ينفع من أصنام وفجور وطغيان، وهكذا وصلت أحوال الناس في تلك البلاد في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) •

وعندما جاء عصر الخلفاء الراشدين، كانت العلوم والثقافة الإسلامية قد زرعت في قلوب السرويين والتهاميين وأثمرت، فأصبح يعيش بين ظهرانيهم العلماء والفقهاء الذين يتقنون العلوم الشرعية واللغوية المختلفة ، والذين يسعون إلى محاربة الكفر، وتعليم الناس ما يجب عليهم ، مستمدين أقوالهم وأحاديثهم من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأكبر دليل على ذلك موقف سكان بلاد قامة والسراة من حروب الردة التي ظهرت في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق حيث لم يشارك في الارتداد منهم إلا أقوام قليلة، أما السواد الأعظم فبقوا متمسكين بالشريعة الإسلامية التي تعلموها من الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٢٥)، وهذا لايحدث إلا بوجود تربة إسلامية صالحة، وعلماء وفقهاء ورجال علم يبينون للناس ما جهلوه ، ويحذرو هم من خطورة الارتداد الذي شارك فيه المنافقون أو من في قلبه مرض ولم يثبت الإيمان في فؤاده ،

وبدأت حواضر الحجاز، مكة المكرمة والمدينة المنورة، تزخر بالعلماء والفقهاء وطلبة العلم، وخاصة في الفترة الأولى من صدر الإسلام يوم كانت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، وبدأ طلبة العلم يهاجرون من أوطاهم الأصلية وافدين على حلقات التعليم والذكر في الحرمين الشريفين ولم تكن تقتصر هجرهم عند حد التعليم

في مدن الحجاز، ولكن البعض منهم كان يذهب للدراسة والتعليم ثم ينخرط في سلك الجهاد في سبيل الله ، فيخرجون مع الجيوش الإسلامية إلى كل من بلاد العراق وفارس، والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وكثير من مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة تورد روايات متعددة عن جهود أهل تمامة والسراة الذين قدموا من بلادهم للاستزادة من العلوم الشرعية والفقهية ، ثم انخرطوا في الجيوش الإسلامية للجهاد في سبيل الله ونشر الدين الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية (٢١)،

والمجاهدون من بلاد تهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية المبكرة كثيرون، وبعضهم كان من طبقة المتعلمين وأصحاب الفكر والبيان، بل كان فيهم من يقرض الشعر ويعد من فحول الشعراء • وعمر بن معدي كرب الزُبيدي أفضل مثال على ذلك(٢٧)، حيث كان من كبار مستشاري سعد بن أبي وقاص في القادسية، ومن أقواله التي قدمها لسعد بعد معركة القادسية قوله : "••• أيها الأمير لانحب أن تتقي علينا فإن الذي نصرنا عليهم بالأمس، هو الذي ينصرنا عليهم اليوم٠٠٠ وقد علمنا أن الله عز وجل إذا كتب على قوم القتل فلابد لهم مما كتب لهم٠٠ فلسنا نشك أن القتل في سبيل الله أفضل من الموت على وثير الفرش فطوبي لمن قتل في سبيل الله صابراً يريد بذلك ما عند الله من الثواب الجزيل ١٠٠٠ (٢٨) وعمرو بن معدي كرب كان أيضاً من الخطباء الجيدين، بل كان له مشاركات خطابية في معركة القادسية يهدف من ورائها إلى حث المسلمين على الجهاد ورفع معنوياتهم ، فيذكر من خطبه أنه قال في أحد أيام القادسية مع الفرس "٠٠٠ يا معشر المسلمين ! لعله قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا : نعم والله باأيا ثور لقد هالتنا ﴿ وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشَّمِس الى وقتنا هذا، فقد تعينا وكلت أبدينا ودواينا، وكاعت رجالنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلاَّ أن يأتينا الله بغياتُ من عنده، أو نرزق عليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم وتذبون عن حريمكم، وتدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض ، وانزلوا عنها، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا، فإنكم بحمد الله صبراء

في اللقاء ليوث عند الوغي، وهذا يوم كبعش أيامكم التي سلفت، والله إني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ، ويكبت بكم عدوه٠٠<sup>(٢١)</sup>٠ ثم ترجل عن فرسه وجاهد الكفار وهو يقـول :

لقد في عَلمتُ أقيسالُ مذحَسجَ أنَّتُسي

أنسا الفارسُ الحامسي إذا القسسوم أضجروا

صبرت لأهل القادسية معلم

ومثلي إذا ليم تصبر الناس يصبر

وطاعَنتهُ م بالرُّمْ حتى تبــــدُوا

وضاربتهم بالسيمف حتسى تكسروا

بذلسك أوصانسي أبسي وأبسو أبسسي

بذلكك أوصانكي فلست أقصر

حمدت إلهسى إذ هدانسي لدينسسه

فلله أسمى ما حييت وأشكر (٢٠)

وهذه الأقوال والعبارات والأشعار التي قالها عمرو بن معدي كرب لاتخرج إلاَّ من رجل صاحب فكر وثقافة ، بل عاش في بيئة ذات تربة فكرية وثقافية ، والأهم في معانيه وألفاظه أنها تصدر من شاعر وقائد ومستشار عسكري امتلاً قلبه بالإيمان الصادق بالله، ويفضل الشهادة في سبيل الله بدلاً من الموت على وثير الفراش ،

ومن أشباه عمرو بن معدي كرب الزبيدي كثير ، وخاصة الذين تركوا مواطنهم الأصلية وشاركوا في جبهات الفتوحات الإسلامية المبكرة، ثم استقروا في الأمصار الإسلامية وعملوا على نشر الثقافة والفكر العربي الإسلامي بين سكان تلك الأقوام وإنا لنجد كتب التراث الإسلامي تذكر العديد من أسماء الأعلام الذين قدموا من بلاد الحجاز، أو قامة والسراة ، أو اليمن ، أو أجزاء أخرى في شبه الجزيرة

العربية، ثم برزوا في معارف وعلوم مختلفة، حتى إن بعضهم صار من كبار المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين أو اللغويين وغيرهم، وهناك أيضاً من برز في سلم السياسة أو التجارة أو نواح حضارية أخرى مهمة (٣١).

والسؤال الذي يفرض نفسه هو ، ما مستوى وطبيعة الحياة العلمية والفكرية والثقافية في بلاد تهامة والسراة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم)؟ والإجابة عن هذا السؤال ليست سهلة يسيرة لأن الأمر يتعلق بمنطقة صعبة التضاريس، بل بعيدة بعض الشيء عن المراكز الحضارية والثقافية الكبرى، وقبل أن نتكلم عن منطقة تهامة والسراة فإنه من الأجدر التعرض للأحوال الفكرية والعلمية في حواضر شبه الجزيرة العربية أمثال : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء وغيرها ه

وعندما كانت الحجاز محط أنظار المسلمين ، والمدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية في عهدي الرسول الكريم والخلفاء الراشدين، كانت جميع النواحي الحضارية مزدهرة في جميع حواضر شبه الجزيرة العربية ، ومع انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية مسن الحجاز إلى الشام في عهد دولة بني أمية ، ثم إلى العراق في عهد دولة بني العباس تبدلت الأحوال في جزيرة العرب وصارت من حسن إلى سيّيء، ونشطت الهجرات مسنها متجهة إلى حواضر العالم الإسلامي الكبرى، ومن أهم الأصناف المهاجرة آنذاك أرباب العلم من العلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم ، ومثل هؤلاء لا يلامون عسلى تركهم أوطافهم وهجرهم إلى المراكز الحضارية والثقافية الكبرى مثل : بغداد ، وفارس ، ودمشق ، والقاهرة، وفاس ، وقرطبة وغيرها، وذلك لسهولة العيش هناك ،

أما حواضر شبه الجزيرة العربية الكبرى ، فلم تخل من النشاط الفكري والعلمى ، وأفضلها مدن الحجاز ( مكة المكرمة والمدينة المنورة) فقد نالت حظاً لا بأس

به من العلم والعلماء، ولم تتأثر كثيراً من الناحية العلمية بعد انتقال العاصمة الإسلامية مسنها، وذلك لوجود الحرمين الشريفين بها، ولأداء مناسك الحج بها سنوياً ، ولوجود مسجد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بها ، كل هذه الأسباب جعلت لها متزلة فسريدة ومميزة عند جميع المسلمين ، وخاصة عند رجال السياسة ورجال العلم، فنجد الخلفاء والأمراء كانوا حريصين على زيارة الحجاز والتودد إلى أهله وقضاء حوائجهم، والصرف على مشاريعهم، والتقرب من علمائهم ، أما العلماء وأرباب القلم فكانوا يحرصون على مشاريعهم، والتقرب من علمائهم ، أما العلماء وأرباب القلم فكانوا الله على ويارة أرض الحجاز لأداء مناسك الحج وزيارة مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك للاتصال ببعض علماء مكة والمدينة، ومنهم من كان يفضل المجاورة للكعبة الشريفة أو لقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم عقد حلقات العلوم الشرعية في رحاب الحرمين الشريفين وأحياناً كان يقوم بعضهم بتدوين بعض المعارف المختلفة عن الحجاز بشكل خاص أو عن جزيرة العرب بشكل عام ، وهذا مما جعل المختلفة عن الحجاز بشكل خاص أو عن جزيرة العرب بشكل عام ، وهذا مما مسدن الحجاز تحتفظ بسبعض النشاط العلمي والفكري خلال العصور الإسلامية المختلفة عن الحجاز بشكل خاص النشاط العلمي والفكري خلال العصور الإسلامية المختلفة عن الحجاز به هو المناه المنه المنه والفكري خلال العصور الإسلامية المنتون المناه المناه المناه المناه المناه المنه المناه المناه

والنشاط الفكري والعلمي الذي كان في رحاب الحرمين الشريفين خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة أثر على الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية أمثال: صنعاء وصعدة في اليمن، واليمامة في نجد، والإحساء وغيرها في بلاد البحرين، وذلك بمجرة بعض طلبة العلم من تلك الحواضر إلى مدن الحجاز لكي يؤدوا مناسك الحج والعمرة، ثم يتلقوا بعض العلوم على أيدي علمائها، وأحياناً على أيدي بعض العلماء المشاهير الوافدين إلى الحرمين الشريفين، والذين كان لهم حلقات درس في مكة أو المدينة،

وطلبة العلم من اليمن وعلماؤه أنشط الفئات الذين لهم علاقات مستمرة ومتصلة بعلماء الحجاز أو بالعلماء الوافدين إلى الحرمين من المراكز الحضارية في العالم

الإسلامي آنسذاك وإنا لنجد بعض المصادر التاريخية المبكرة وكذلك الدراسات الأثسرية ، تذكر أسماء كثيرة من علماء اليمن الذين كانوا يأتون إلى الحرمين الشريفين للستدريس فيهما ، ثم العودة إلى بلادهم لقضاء بعض الوقت بين أهلهم وذويهم، وفئة مسنهم كانت لاتستوقف إقامتهم في الحجاز وإنما يذهبون إلى الشام والعراق ومصر والمغرب والأندلس لكي يعلموا ويتعلموا هناك (٣٣) ، كما أن بعض علماء المسلمين في العسراق أو الشام ومصر أو الحجاز كانوا يهاجرون إلى بلاد اليمن لكي يلتقوا ببعض العسماء المشاهير هناك فيتعلموا على أيديهم بعض العلوم المختلفة، وكذلك الأدباء والشعراء كانوا يخرجون من بلاد اليمن حتى يقدموا على خلفاء بني أمية وبني العباس فسيمد حوهم لكي يحصلوا على رضائهم وأعطياهم (٤٣) ، وقد لايتوقف الأمر عند خروج الشعراء من اليمن أو بلاد هامة والسراة ، وإنما بعض الشعراء المشاهير في العالم خروج الشعراء من اليمن أو بلاد هامة والسراة ، وإنما بعض الشعراء المشاهير في العالم الإسلامي كانوا على علم بمستوى أدب اليمن وشعر شعرائه، ثما ينهض دليلاً على التواصل العلمي بين الأقطار الإسلامية ،

وهذا الهمدايي يحدثنا عن مترلة الشاعر بكر بن مرداس اليمني بقوله: (٥٥)

" فخبرني ابن مرزا الأبناوي عن بعض من حدثه من أهل صنعاء عن أبيه قال: وافيت الحج فرأيت في الطواف فتى ظريفاً خفيف الروح يعصب به جماعة حتى قضى طوافه وصلاته فقلت: من هذا؟ فقيل أبو نواس الحسن بن هاني فسلمت عليه وفاوضته وأخبرته بنفاق أشعاره بصنعاء وسألته شيئاً منه فقال: تطلبني مثل هذا وعندكم بكر بن مرداس قال: قلت وأنه عندك بهذه المنزلة؟ فقال: أما هو القائل:

يا إخوتسى إن الطبيسب السني

ترجون أن يبرئني مسقمــــي

•••إلخ القصيدة "

ومثل هذا الحديث يدلنا على معرفة أبي نواس وربما غيره بأحوال الشعر في اليمن، وكذلك علو مترلة الشعراء في اليمن حتى صار كبار الشعراء في العراق وغيرها يحفظون ويرددون أشعارهم.

وسقنا الحديث السابق عن أحوال الحجاز واليمن الفكرية والعلمية لكون بلاد هامة والسراة تقع بينهما، ومن البديهي أن تنال هذه البلاد المتوسطة الموقع قسطاً من العسلم سبواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز، خاصة وألها معبر لأهل اليمن أثناء توجههـــم لمكـــة المكرمة والمدينة المنورة، والقارىء لكتب التراجم وغيرها من كتب الأولين، ككيتاب الطبقات لابن سعد، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابــة ،وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والأغاني لأبي الفــرج الأصفهاني ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وطبقات فقهاء اليمن لعمر بن سمرة الجعدي، والعقد الثمين للفاسي، والشعر والشعراء لابسن قتيسبة ، وبمجسة المجالس للقرطبي • كل هذه الكتب وغيرها يجد فيها القارئ معلومات قيمة عن علماء وفقهاء ، وشعراء وأدباء، وأرباب سيف وغيرهم ، عاشوا في حواضر هذين القطرين (السيمن والحجاز)، وفي غيرهما من حواضر العالم وبعضــهم كانوا تماميين وسرويِّي المولد ، وبعضهم الآخر حجازيون ، أو يمنيون ، أو كوفيون ، أو بغداديون أو دمشقيون أو قرطبيون مستقراً ومقاماً (٣٦)، ولكن مع الأسف لم نجـــد لهذه المنطقة ( تمامة والسراة ) ذكراً واسعاً وصريحاً في مثل هذا المجال . ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والمؤلفين بشكل عام بالمراكز الحضارية الشهيرة في العالم الإسلامي ، أكثر من اهتمامهم بالمناطق المغمورة ، والواقع أن منطقة هَامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز ظلت منسية ، ردحاً من الزمن ، ولهذا وجب علينا أن نقوم بالبحث عن المصادر التي تعرضت لها ، لكي نظهرها للوجود حتى تكون غذاء دسماً وضرورياً للأجيال القادمة .

ونجـــد أن المصـــادر الأولية تمدنا ببعض المعلومات اليسيرة عن بعض الأدباء والشعراء، خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، وكانوا يذهبون ويروحون ما بين بلاد تقامـــة والسراة وغيرها من الحواضر الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، ومن أولئك الشعراء:

ابن اللهيئة ، وهو عبد الله بن عبيد الله أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكسلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن ثبت بن مالك وقيل أكلب بن ربيعة بن نسزار (۳۷) ، لم يعرف تاريخ ولادته ووفاته وإنما عاش ومات خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجرى متنقلاً في أرض الجزيرة العربية من بلاد السراة إلى صنعاء والشام وبغداد، ومن أسماء الأماكن في السروات والتي وردت في قصائده وتدل على انتمائه إليها قوله في بيشة ممتدحاً (معن بن زائدة) (۳۸):

#### لولا رجاؤك لم أسر من بيشة

#### عرض العراق بفتيه ورواحسل(٢٩)

وذكر في أبيات أخرى أسماء المواقع في بلاد قحطان وشهران والحجر، كما ذكر أبياتاً كثيرة يفتخر بقومه خثعم ، فيقول :

#### وخثعم قومي ما من الناس معشر

أعم ندى منهم وأنجى لخائـــــف('')

ويقول:

# وأنك إن فخرت بغير شيء ترد به حديث المبطلينا فإن لخثعم آيات نعمى إمارات الهدى نوراً أمبينا (١٠)

ولــه قصائد وأشعار عديدة جمعت في ديوان من قبل الأستاذ (أحمد راتــب النفاخ) ، وقد صدر هذا الديوان عام ١٣٧٨هــ بمقدمة الأستاذ/ محمود محمد شاكر في سلسلة (كنوز العرب)(٤٢) .

# الحمد بن يزيد بن عمرو القشيبي (٢٠) ، وهذا الشاعر ينتهى نسبه إلى حمير، ثم يعرب بن قحطان، وكان يسكن بصعدة مع صديقه الشاعر محمد بن أبان الخنفري (٤٠) ، في عهد الدولة الأموية ، وكان صديقاً وحليفاً وصهراً له ، فقد تزوج من أخته الفارعة ابنة أبان ،

ولما نشبت الحرب بين الربيعة والسعديين قام القشيبي مع ابن آبان في هذه الحرب وأفرى في السعديين وذلك على حد المصاهرة والحميرية كما يقول الهمدايي إذ لم يكن للشاعر شأن بهذه الحرب،

ولما اصطلح الحيان وعادت بعض بطون السعديين وأحس أنه قد أوجع القوم في حرب لم يكن طرفاً فيها خاف على عقبه من بني سعد بن سعد فارتحل إلى نجد وحالف بعض القبائل اليمينة كزبيد وفحد وجنب حتى يعز بجم ويقوى ثم تقدم فترل رياض تنادح (ببلاد شهران حالياً) في جمع من أهل بيته وخدمه وحشمه ومن رغب الظعن معه من قومه (63) .

ولما طال المكث به وتمادى في المقام اجتمعت إليه قبائل عز (عسير) وكلمته في النزول بأرضها وأحميتها فسألهم المهلة حتى يعود رواده الذين بعثهم إلى نواحى الطائف وأنه لمرتحل ، ولكن عزاً رأت ذلك مماطلة ومدافعة منه ، وألحت عليه في طلب الارتحال، وكره سرعة الرحيل ، وجرت بينه وبين القوم مشادة وملاحاة حتى

فزع كل فريق إلى سلاحه، وبعث الشاعر الصريخ يستنجد بأحلافه زبيد وجنب وهد وكان منهم حلال بالقرب منه فأنجدوه واقتتل الفريقان قتالاً شديداً الهزمت بعده عتر بعد أن قتل جمعاً من أشرافها ورؤسائها، وبعدها ارتفع الشاعر من رياض تنادح إلى قرية جرش حتى يكون قريباً من أحلافه واستوطنها ، ولكن الحرب لم تنته بل ظلت مشتعلة بين الحيين، وكانت له أشعار ومناقضات مع محمد بن أبان في تلك الحرب وكان يبعث بها إليه في صعدة (٢٤) .

ولم يحدد الهمدانى الذي أورد أخباره مكان وزمان وفاته، ولم تذكر المصادر الأخرى شيئاً عنه ، ومن ثم ستظل وفاته مجهولة لنا إلى أن تكشف كتب التراث هذا المجهول .

وشعر أحمد بن يزيد قوي الأسلوب فخم التعبير يمثل العصبية القبلية عامة والعصبية اليمينة خاصة ، ولعلنا نلمس هذه الشدة في اللفظ والمعنى في قصيدته التي بعث بها إلى محمد بن أبان يصور فيها بلاءه وبلاء أحلافه حيث يقول:

لقد لفلفت عنز علينا وأجلبت ودبت الينا في كتائبها تسلمين وساقت علينا من معد قبائللا تبختر في الماذى في الحلق الخضر فقالت معد ارحلوا من سيوفنا وخلوا بلاد الأكرمين ذوى الفخلل فسارت إلينا من زبيد عصابة وقالوا لنا بالجد منهم والنصر وجاءت بنو نهد بن زيد بعارض من المزن وانى الرعد منبجس القطر واردف من يام وحى عدياة فوارس ليسوا الميل في ساعة الكلل وغورى جنب في عرين حبيضة يرن عزيف الجن في شاهق وعليا التحاليات على هذا النحو إلى آخر القصيدة التي تبلغ أربعة وعشرين بيتا بنتقا

ويمضي على هذا النحو إلى آخر القصيدة التي تبلغ أربعة وعشرين بيتا ينتقل من معنى إلى معنى في قوة الفارس، وصلابة المحارب (٤٧) .

**٣\_ جعفر الحارثي** ، وهو جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاءة بن المُعَفِّل بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد المدان ينتهي نسبه إلى مذحج ثم إلى كهلان فيعرب بن قحطان • ويكنى بأبي عارم وهو ابنه وفيه يقول: عند مقتله (٤٨) .

#### ليغني شيئاً أو يكون مكانيا أوصيكم إن مت يوما بعارم

ولد هذا الشاعر ونشأ بنجران بلاد بني الحارث بن كعب، وكان فارس قومه وشاعرهم، كما كان أبوه شاعراً أيضاً • وكغيره من شعراء عصره لم نجد تحديداً لميلاده أو أخباراً عن نشأته الأولى ، وكل ما نعرفه من أخبار هذا الشاعر تلك الحادثة التي أودت بحياته ، ولكنها حفظت لنا بعض أخباره ، وهي حادثة قتله لأحد العقيليين ، ورفع أمره لوالي مكة ثم حبسه والقود منه بقتله ، وقد اضطربت الروايات واختلفت حول مقتله • ولعل أبا الفرج الأصفهائ خير من يعطينا صورة لهذا الاضطراب وذاك الاختلاف حيث يقول: (( وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل: قيل: إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها وقيل: بل في غارة أغارها عليهم • وقيل: بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه))(١٠٠٠)

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فان الشاعر قد رفع من نجران وحبس بمكة (٥٠٠ في القرن الثابي للهجرة ، وتردد الوالي في قتله لخؤولة أبي جعفر المنصور في بني الحارث بن كعب ، ولكن العقيليين أقاموا القسامة عليه وهددوا الوالي إن لم ينصفهم ليقدمن على الخليفة المنصور، ويجيب الوالى بعد هذا التردد فيقيد لهم منه بقتله •

وكما اختلفت الروايات في تحديد أسباب الحادثة التي أدت إلى مقتل الشاعر اختلفت في تحديد زمان ومكان القود منه، فبينما نجد أبا الفرج الأصفهاني يذكر أن الحادثة كانت في عهد أبي جعفر المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي وأنه نسخ ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه  $(^{\circ})$ ، إذ به ينقل عن أبي الكلبي أن الحادثة كانت في عهد إبراهيم بن هشام المخزومى ، ومن ثم فإن الرواية تقرر أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان و إذ به يعود وينسخ من كتاب للنضر بن حديد يقرر فيه أنه قتل في عهد المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي و بعد نقل صاحب الأغانى لهذه الروايات نجد التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام يقرر وبدون تردد أن القتل كان على عهد الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي  $(^{\circ})$  و

ويبقى بعد ذلك أن نقف عاجزين عن تحديد السنة التي قتل فيها الشاعر ، فلم يذكر أحد ممن ترجموا له تحديداً لهذه السنة ، وقد حزن عليه أبوه حزناً شديداً ، بل نجران كلها بكت مقتله ، فيذكر أبو الفرج أن أباه عندما علم بمقتله عمد إلى كل ناقة وإلى كل شاه ونعجة فذبح ابنها ورماه أمامها وقال : ابكين معنا على جعفر (٥٣) ،

وقد وصف أبو الفرج جعفر بن علبة بأنه شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه ، وهذه الصفات في الواقع تنطبق على الشاعر ، فأما كونه غزلاً فله أبيات في غاية الجودة ، وحادثة قتله ربما أفصحت عن هذه الصفة ، وأما كونه فارساً مذكوراً في قومه فيظهر ذلك من خلال شعره ، وتبقى صفة القلة في شعره فهذا مالا نستطيع أن نثبته أو ننفيه، لانستطيع أن ننفيه لأن ما بين أيدينا من شعره قليل ولا نستطيع أن نثبته لأن شعر أهل السراة وبلاد اليمن في هذه المدة قد أصيب بالإهمال وعدم التسجيل ه

ومهما يكن من الأمر فإن الذي نلاحظه على شخصية الشاعر هو أنه كان مستهتراً رقيق الدين ، يظهر لنا ذلك من حادثة قتله كما يظهر لنا من شربه الخمر ،

فقد ذكر أبو الفرج أن جعفر بن علبة شرب خمراً حتى سكر فأخذه السلطان وحبسه فأنشأ يقول:

لقد زعموا أنى سكرت وربم يكون الفتى سكران وهو حليم لعمرك ما بالسكر عار على الفتى ولكن عارا أن يقال لئيسم وإن فتى دامت مواثيق عهسده على دون ما لاقيته لكريسم

فهو يقرر هنا أن العار ليس في السكر ، وإنما في اللؤم ، ويظهر لنا في هذه الأبيات شخصية أخرى فيها الوفاء، وفيها الكرم والرجولة والكبرياء وهذا الكبرياء يبرر في موقف القود منه قال أبو الفرج :

(( فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال له: أسكت لا أم لك ، إنّي إذا لمهياف ، وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

#### أشد قبال نعلى أن يرانى عدوى للحوادث مستكينا(٥٥)

لم يصلنا من شعر جعفر بن علبة إلاً ما كان مرتبطاً بحادثة قتله للعقيلي والقود منه ومن المؤكد أنه قد قال شعرا خلاف ذلك ، فقد ذكرت له بعض الأبيات في الغزل تشهد ببراعته في هذا المجال.

وعلى كل حال فان شعر جعفر - كما يبدو لنا - ينقسم إلى قسمين : - قسم غزلي وآخر هماسي • وقد تميز شعر الغزل برقة الألفاظ وسهولتها كما تلمس فيه حرارة العاطفة • ولعل ما يمثل هذه السمات قوله :

أشارت لنا بالكف وهي حزينـــة تودعنا إذ لم يودع سلامتهــا وما أنسى م الأشياء ما أنسى قولهـا وقد زل عن غرا الثنايا لثامها

#### بمجتمع الا لشحط لامها

#### أما من فراقي اليوم بدولا النـوي

أما شعر الحماسة ، فهو يمتاز بقوة الألفاظ ، وجزالة الأسلوب وجودة المعنى ، كما فى قوله :

# لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها نقاسمهم أسيافنا شر قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها (٢٥)

٤ العجير السلولي ، شاعر عاش في بلاد السراة خلال العصر الأموي ، وله قصة مع الخليفة هشام بن عبد الملك ، فتذكر المصادر الأولية أنه كان في بيشة مكان يسمى (المعمل)، وهو عبارة عن قرية من أعمال مكة في أرض السراة لبني هاشم ، وكان أول أمر (المعمل) أنه كان بين سلول وخثعم ، فيحفر السلوليون به ويضعون فسيل النخل فيأتى الخثعميون وينتزعون الفسيل ويهدمون ما حفر السلوليون ، ثم يفعل الخثمعيون مثلما يفعل السلوليون ، ولايزال بينهم قتال وحروب دائمة حتى صار يطلق على ذلك المكان اسم "مطلوب" وعندما رأى ذلك العجير شاعر بني سلول تخوف أن يقع بين الناس شر أخطر من ذلك فأخذ من هذا المكان طيناً وماءً عذباً وذهب به إلى الشام ليعرضه على الخليفة هشام بن عبد الملك، ويخبره ما يدور في ذلك المكان من حروب ونزاعات، وعندما قابل الخليفة وأخبره ، قال هشام بن عبد الملك : كم بين الشمس وبين هذا الماء ؟ فقال: أبعد ما يكون بعده • قال : ما بين الطين؟ قال: في الماء ، ثم أخبر العجير الخليفة بما في بيشة من أودية ومياه عذبة، كما أخبره بجودة وخصوبة أرض بيشة ، فأرسل الخليفة إلى أمير مكة المكرمة وأمره أن يشترى مائتي زنجي ويجعل مع كل رجل امراته ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب في بيشة للزراعة به، فلما رأى الناس ذلك قالوا أن

مطلوباً معمل يعمل فيه فذهب اسمه المعمل إلى يومنا الحالي(٥٧) وقال العجير السلولي .

حتى أصيب بغيظ أهل مطلوب زرق الدجاج وتجفاف اليعاقيب بنو أمية وعداً غير مكنوب(<sup>٨٥)</sup> لا نوم للعين إلا وهي ساهــــرة ان تشتموني فقد بركت أيكتكــم قد كنت أخبرتكم أن سوف يعمرهـا

# ثَالِـثاً: ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين:

ويأي بعد ذلك الحسن بن أحمد الهمداي — يرحمه الله — فيدون لنا بعض المعلومات عن الحياة العلمية والفكرية في بلاد السراة الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، ويشير إلى الجانب اللغوي عند سكان تلك البلاد في عصره، ثم يقارنه بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية (١٥٠) ويخلص إلى أن أهل السراة أكثر فصاحة في القول، وسلامة في اللغة حيث يقول : "٠٠٠ الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزييد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام، فأرض سنحان، فأرض نهد وبني أسامة فعنز، فختم فهلال من ربيعة ، فسراة الحجر (بلاد بللحمر، وبللسمر ، وبنو شهر ، وبنو عمرو) فلوس، فغامد، فشكر، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبني علي، غير أن أسافل سروات فلوس، فغامد، فشكر، ففهم ، فثقيف ، فبجيلة ، فبني علي، غير أن أسافل سروات

ورغم ماذكره الهمداين من معلومات جيدة عن رقي المستوى اللغوي لأهل قامة والسراه خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين)، إلاَّ أنه للأسف لم يدون لنا شيئاً يذكر عن نشاطهم العلمي والفكري في بلادهم بصفته عالماً يمنياً كان يمر عبر بلادهم ذاهباً آيباً ما بين صنعاء ومكة المكرمة، ولكن في اعتقادنا أهم لم يصلوا إلى المستوى اللغوي الذي ذكرهم به إلاَّ ولديهم نشاط علمي وفكري،

ونجزم أنه كان بينهم علماء وفقهاء وقضاة وشعراء وغيرهم من أرباب العلم ودليلنا على ذلك ما ذكرناه سلفاً عن نشاط الثقافة الإسلامية في بلادهم منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكان أهل البلاد يفدون على الرسول الكريم في المدينة المنورة ليتعلموا ويتفقهوا على يديه ثم يعودون إلى أوطاهم ليعلموا أهلها ما تعلموا من شرائع الإسلام، بل كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) شديد الحرص على إرسال بعض كبار صحابته (رضوان الله عليهم) إلى أهل قامة والسراة واليمن ليفقهوهم ويعلموهم شرائع المدين، وجاء من بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخلفاء الراشدون فساروا على هجه في إرسال العلماء والفقهاء والولاة والقضاة ورجال الحسبة إلى كل جزء من أجزاء الدولة الإسلامية، وبالتالي فبلاد قامة والسراة لابد ألها نالت قسطاً من الحياة العلمية والفكرية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد دولتي بني أمية وبني العباس، ولو أن المصادر التاريخية المبكرة لا توضح لنا ذلك، والسبب كما ذكرنا العباس، ولو أن المصادر التاريخية المبكرة لا توضح لنا ذلك، والسبب كما ذكرنا الخضارية الكبيرة في العالم الإسلامي، ومنطقة السراة وقامة إحدى هذه الديار النائية والمعزولة،

ورغم هذا القصور من جانب الهمداني ، إلا أنه يُعد أفضل من أشار إلى أحوال السراة في عصره، حيث ذكر ظهور بعض الشعراء والأدباء أيضاً ببلاد هامة والسراة وأورد أن بعضهم كانوا يذهبون إلى حواضر الحجاز الكبرى ليلتقوا ببعض الأدباء والشعراء هناك فيتسامرون ويتبارون معهم في قرض الشعر، ومن أبرز الشعراء الذين عرفناهم من الهمداني الشاعر أبو الحياش الحجري الذي ينتسب إلى الحجر بن الهنو ببلاد سراة الحجر والذي ورد ذكره أثناء تجمع بعض الشعراء من نجد والحجاز والسراة في مكة المكرمة، وكان أبو الحياش يمثل أهل السراة، عندما طغى على الناس القحط وقلة الأمطار، فأنشد الشعراء قصائد شعرية ليتوسلوا فيها إلى الله جل جلاله

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

طالبين الرحمة والغيث، وقد ذكر الهمداني بعض تلك القصائد التي قالها الشعراء المختلفون في مكة المكرمة (۱۱) و أورد القصيدة التي قالها أبو الحياش، فقال في مطلعها: رب ما خاب من دعاك و لا يحل عنك الدعاء عنك الدعاء لم يخب للنبي يعقوب ياذا الحسل على الرجاء وبانت الذي رددت عليه المحل عليه المحل المحاء المنات الذي رددت عليه المحل ال

ثم جاء إلى وصف الأرض التي عمها القحط فكان أغلب ماذكر مواطن ببلاد مّامة والسراة ، فقال :

ـن لك - الله - أعبدٌ وإماءً رحمة منك هب لنا إننا نحـــــــــ \_س ومستهم لها البأس\_\_اء ان هاتا لأزمة عمت الناال \_ض غيو ثا أتت بها الأنـــواء ولكم ثم كم سقيت لنـــــا الأر \_\_\_ها فجازان تلك فالصبياء \_\_\_ك فحلى ممطورة غينــاء فقرى بيش ، فالدويمات فالبـــــر ومن الطود فالزتامات خضـــــر رويت فالتنومة الزهـــــراء فأشجائها الحنا فالجباء فقرى الحجر جهوة الزرع والضرع \_طى حكين الجنات فالحيفاء فجبال السراة فالفرع الوسي \_\_\_ فأجبال دوسها طخياء فالذري من سراة غامد فالنمــــــ سهلها والجبال منها المسساء ـــث فعشم السرين فالسراء (٦٢)  ويستنتج القارىء الكريم من قراءته لهذه الأبيات حرص الشاعر أبي الحياش على ذكر أسماء بعض الأماكن والمواقع في بلاده (أرض قمامة والسراة) وقد حاول عد بعضها مثل: تنومة، والجهوة، والأشجان، التي تقع ببلاد بني شهر (أرض رجال الحجر) وهي مسقط رأس الشاعر، كذلك ذكر مواقع أخرى عديدة في قمامة والسراة، مثل بيش، والبرك، وحلي، وجازان، وصبياء، وقنونا، ودوقة، والليث، وعشم، والسرين، وسراة غامد وغيرها، وذكر هذه الأماكن يدل على معرفة الشاعر بتلك الأماكن، وعلى حرصه وصبغ عاطفته عليها راجياً من الله أن يشملها برحمته بترول الغيث والخير عليها، كما يستخلص أيضاً من مشاركة الشاعر أبي الحياش مع غيره من شعراء شبه الجزيرة العربية أن بلاده خاصة وبلاد قمامة والسراة عامة كانت غير خالية من العلماء والأدباء والشعراء، ولو لم يكن ذلك لما كان هذا الشاعر السروي قام وأخذ نصيب المشاركة مع غيره من الشعراء، وبخاصة في حاضرة مكة المكرمة التي عرف عنها النشاط الفكري والثقافي منذ عهود قديمة،

# رابعاً : ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة من ق ٤: ق١٠هـ

1 البيلاد التهامية: أما الفترة الزمنية التالية لعصر الهمداني ونعني بها الفترة الممتدة من أواخر (ق٤هـ وحتى نهاية ق٠١هـ)، فنلاحظ أن المنطقة موضوع البحث قد اعتراها النسيان، وصارت المصادر الإسلامية الوسيطة لاتذكرها إلا لماماً، ورغم هذا التجاهل إلا أننا قد تمكنا من العثور على بعض الشذرات المتناثرة من المادة العلمية في بطون المصادر على اختلافها - لاسيما كتب التراجم والطبقات وبعض الكتب المحلية لكل من اليمن والحجاز - وهي تساعدنا في إلقاء بعض الأضواء على طبيعة الحياة الفكرية لأهل تمامة والسراة آنذاك العلمية المحادر على المسراة آنذاك المحلود المحادر المسراة المناه المحلود المحادر المسراة المناكب المحادر المح

### أ\_ البيوتات العلمية في المخلاف السليماني ( جازان )

فتشير بعض المصادر التي تناولت بالحديث المنطقة التهامية الممتدة من جازان حتى مكة المكرمة إلى عدد من البلدان والمواقع وتذكر ما كان بما من نشاط علمي وفكري، ويأتى في مقدمة تلك المواقع بلاد المخلاف السليماني وأحوازها، ومخلاف حلى ابن يعقوب وما يحيط به من أحواز، وكما نعلم فإن هاتين المنطقتين تقعان في المنطقة السهلية من قامة، وكل منهما تضم بين جنباها العديد من الأحواز والقرى والمدن. وقد أفاضت كتب التراجم على وجه الخصوص والمصادر الأدبية بعامة في ذكر من ظهر بهما من العلماء والفقهاء وإن كانت تفاصيلها عن حياة هؤلاء العلماء وتأثيرهم الفكري تكاد تكون معروفة في كثير من الأحيان ، كذلك عددت لنا بعض البيوتات العلمية الشهيرة في تلك النواحي، والتي حمل أفرادها مشعل العلم في تلك المناطق مما ينهض دليلاً على ازدهار النشاط الفكرى في بلاد هامة والسراة خلال الفترة موضوع البحث، وجدير بالذكر أن بعض هذه الأسر العلمية لازال العلم في أفرادها حتى اليسوم، ولعل من أشهر علماء هذه المنطقة وكذا البيوتات العلمية التي ظهرت على سبيل المثال لا الحصر ماكان في المخلاف السليماني الذي عُرفت فيه عدة أسر علمية يأتي في مقدمتها أسرة آل الحكمي ، وأسرة الأسدى ، والديباجي، وآل شافع ، والضمدي، وآل معافي، وآل النعمان، وآل النعمي، وآل النمازي، وغيرها، ونظراً لضآلة المادة العلمية التي بين أيدينا، فسوف نتناول بإيجاز الحديث عن بعض علماء هذه البيوتات محاولين إلقاء الضوء على دورهم الفاعل في إثراء الحياة العلمية في البلاد التهامية والسروية وخاصة ما يتصل بالعلوم الدينية المختلفة من فقه وحديث وقراءات وغيرها والتي كانت أكثر شهرة من غيرها من العلوم في تلك البلاد، وأولى هذه البيوتات التي عُرفت بالعلم في المخلاف السليماني •

#### ١ - أسرة آل الحكمي :ـ

ومن أشهر علماء هذه الأسرة الفقيه صديق بن على بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠/ت٧٨٦هـ)، ويُعد من أوائل الشخصيات العلمية المنتسبة لهذه الأسرة، وينسب إليه تأسيس أحد المساجد الجامعة بأبي عريش(٦٣)، كذلك أمدتنا كتب التراجم بأسماء شخصيات أخرى من أبناء الأسرة لعبوا دوراً بارزاً في الحياة العلمية بالمخلاف السليماني سواء في الإفتاء أو التدريس وغير ذلك من ضروب العلوم الفقهية المختلفة؛ ومنهم الشيخ الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عيسى الحكمـــى (٠٠٠/ت • ٨٨ه.)، وترجم له السخاوي دليلاً على شهرته العلمية فذكر أنه عُرف " بابن مطير من بيت شهير (٢٤)، وقد توفى بجدة ودفن بمقبرة المعلاه في مكة (٢٠)، والشيخ أبو القاسم بن على بن بكر الحكمى (٠٠٠/ت٨٩) وكان مشهوراً بالولاية والفضل ، والصلاح والسعى في قضاء حوائج الناس(٢٦)، والفقيه عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير الحكمي (٠٠٠/ت٥١٥هـ) الذي نعتته المصادر بالعلم والصلاح ونقاء السريرة(٦٧٠) ، والشيخ الطاهر بن أبي القاسم بن على بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠) ٩٢٢/٠٠ وكان شيخاً كاملاً في الحقيقة والطريقة، وله كرامات مشهورة؛ وهناك أيضاً العالم السهل بن صديق بن على بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠/ ٩٢٥هـ " ذو الكرامات الخارقة والأحوال الصادقة " (١٩٠)، والشيخ الهادي بن أبي القاسم بن على بن أبي بكر الحكمي (٠٠٠هـ ٩٣٧/٠٠) الذي ذكر عنه علو هيبته في العلم فلقب بـ (الشيخ الشهير والولي الكبير)(٧٠) والشيخ جمال الدين المقبول بن صديق الحكمي (٩٠٠٠/٨٩٠هـ) ، الذي وصفته احدى المصادر بأنه " كان من العلماء المحققين الفصحاء المبرزين عالماً بالفقه والعربية وعلمي المعابي والبيان، وعلم البديع"(٧١) والعالم جمال الدين محمد بن الطاهر بن أبي القاسم الحكمكي(٠٠٠)ت • ٩٥٠هـ الذي ذكر عنه أنه كان من الفقهاء المشهورين (٧٢) • والشيخ أحمد بن أبي

الفتح الحكمي (۰۰۰/ت ۱۹۹۱هـ) الذي " انتهت إليه رتبة الفتوى والتدريس بأبي عريش"( $^{(VV)}$ ) والشيخ صديق بن الدهل الحكمي ، وكان من أعلام بيت آل الحكمي علماً وسيادة  $^{(2V)}$  ، والفقيه أحمد بن الدهل بن صديق الحكمي (۰۰۰/ت ۹۵۹هـ) ، وكان من أكابر القراء ويمتاز بصوت حسن يمتع به السامعين  $^{(0V)}$  ، والشيخ الصديق بن الطاهر الحكمي (۰۰۰/۲۹هـ) الذي " انتهت إليه الفتوى والرياسة لتدريس الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة  $^{(VV)}$  ، والشيخ محمد بن صديق بن أبي الفتح الحكمي (۱۹۳۹هـ) الذي انتهت إليه رياسة التدريس والإفتاء في زمنه  $^{(VV)}$  ، والشيخ على بن صديق الحكمي (۱۹۰۰/۱۹۹هـ) الذي يعد من فقهاء عصره  $^{(VV)}$  ، وآخر من ترجمت له المصادر من علماء آل الحكمي هو الشيخ عمر بن عبد القادر الحكمي (۱۹۹۰هـ) الذي اسندت إليه رياسة التدريس والإفتاء في عصره  $^{(VV)}$  ،

#### ٢ أسرة آل الأسدي:

 ومن أبناء هذه الأسرة أيضاً من اشتغل بالقضاء واتسمت أحكامه بالعدل وذاع صيته في هذا المجال، وقد أمدتنا المصادر بأسماء عدد منهم نذكر على سبيل المثال: القاضي الشيخ/أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (ت/٢٦٩هـ)، والذي كانت له مشاركاته العلمية في علوم القرآن والسنة إلى جانب العمل بالقضاء (٥٨٥، وهناك أيضاً القاضي مقبول بن عمر المثنى الأسدي (ت/٩٨٧هـ) ، وتولى منصب القضاء في بلدة أبي عريش وكان مثالاً للورع والتقوى (٢٥٠، والفقيه أحمد بن محمد القيراط الحراز الأسدى (ت/٩٩٧هـ) وذاعت شهرته في علوم القراءات وما يتصل بها من التفسير والتجويد (٢٥٠)،

## ٣ - أسرتا آل الديباجي وآل شافع:

وهما من أُسَر المخلاف السليمايي أيضاً التي طار صيتها العلمي في البلاد التهامية والسروية وبخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين؛ ومن أبرز علمائهما في تلك الفترة والذين عرفوا بالصلاح والتقوى والمكانة العلمية المتميزة مما أهلهم للجلوس للإفتاء والتدريس العالم الشهير فخر الدين صديق بن موسى بن أحمد الديباجي (٨٦٦-٤١هـ) وكان يلي منصب الإفتاء بأبي عريش (٨٨٠).

ومن أسرة آل شافع ببلدة صبيا أمدتنا المصادر بترجمة للفقيه الزين بن الأمين شافع (ت٩٥١هـ)، وذكر عنه جلوسه للإفتاء (٩٩١ والتدريس بأحدى مناطق مدينة صبيا من أرض المخلاف السليماني والشيخ الحسين بن محمد شافع (ت٩٦٨هـ)، وتولى بدوره القضاء والإفتاء في صبيا وقد سار فيهما سيرة حميدة، ومُدحت طريقته في القضاء وإصدار الأحكام (٩٠٠)، والفقيه المهدي بن الزين بن الأمين شافع (٠٠٠) بالفي اشتغل بالوعظ والتدريس بذات البلدة السابقة ، والشيخ حاتم بن محمد شافع (٠٠٠) عمد شافع (٥٠٠) الذي اعتلى منصب القضاء بصبيا كما جلس للإفتاء والتدريس بجامعها (٩١٥).

#### ٤ - أسرة الضمدي :-

وهي نسبة إلى وادي ضمد، وقد أمدتنا كتب التراجم بسير عدد من أشهر علمائها منهم الفقيه محمد بن علي بن عمر الضمدي ( $^{(47)}$  -  $^{(47)}$  الذي وصف بأنه " إمام المحققين في عصره  $^{(47)}$ "، وأنه " من أئمة المعقول والمنقول، أوحد زمانه في الفروع والأصول  $^{(47)}$ " في جميع الفنون  $^{(37)}$ " ، وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول  $^{(69)}$ ، و "ما لا تسعه الأوراق،وفيه من السخاء ما لا يوجد في غيب سره  $^{(47)}$ " وقد عرف بحبه للأعمال الصالحة  $^{(47)}$ ، والشيخ محمد بن علي الضمدي  $^{(48)}$ .

## ٥ ] أسرة آل معافي:

وهي من أُسَر المخلاف السليماني أيضاً، وقد اشتهر العديد من أبنائها بالعلم وقرض الشعر، نذكر منهم الشيخ/ أحمد بن علي المعافي الذي ترك أهله وعشيرته وجاور الأشراف الحوازم في بلدة صلهبة عام (٩٦٦هــ) $^{(19)}$  على أثر فتنة وقعت بين الأشراف المعافين في بلدته، وقد سجل هذه الأحداث في أشعار صدرها إلى صديقه الفقيه محمد بن على بن عمر الضمدي السابق ذكره (٨٣٣هـ- ٩٩هــ) $^{(11)}$  وفيها يقول :—

اطمأنت بآل حـــازم داري وإلى الله أشكر المحسن البـــر فأعن يا أخي أخاك سريعـــاً قد وعدنا على الدعاء جواباً

وأساءت بنو معافا جـــواري واشكو إساءة الأشـــرار بدعاء تتلوه في الأسحـــار وأصح الوعود وعد الباري(١٠١)

وقد أجابه الفقيه ابن عمر شعراً أيضاً فقال :-

بددته منهم أمور طيسواري

فلقد خالفوا الصواب، ولكسسن يا أخي قومك الأقارب فاحفظهم فكما قيل في التولسي التقالسي فاعف عمن عصاك منهم وعسا

مادروا بالذي به أنــــت داري وإن ضيعوا حقوق الجـــوار والجواري كما علمت جـــواري ملهم بصفح عن ذنبهم واغتفار (١٠٢)

## ٦\_ أسرة آل النعمان:

وتنتمي هذه الأسرة إلى بلدي الشقيري وضمد من بلاد المخلاف السليماني، وقد اشتهر فيها غير ذي واحد خلال القرن العاشر الهجري بصفة خاصة نذكر منهم الشيخ/ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يحيى النعمان ( ٠٠٠/ ٩٩هـ)الذي ذكر عنه بأنه "كان فقيها عالماً "(١٠٠٠)، والشيخ محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم النعمان ( ٠٠٠/ ٩٩هـ) وكان من أكابر العلماء وتروي المصادر التي ترجمت له أنه انقطع في آخر حياته ببلدة ضمد، حيث عكف على العبادة والوعظ ولازم التدريس (١٠٤) و

ونحتتم حديثنا عن البيوتات العلمية ببلاد المخلاف السليماني ودورها في ازدهار الحركة العلمية ببلاد قامة والسراة بلمحة موجزة عن أسري آل النعمي وآل النمازي : وهما من الأسر التي توارث بعض أفرادها المناصب العلمية بأرض المخلاف ونعموا بمكانة مرموقة في حقل الإفتاء والتدريس سواء بمواطنهم الأصلية، أو في البلاد التي استقروا للعمل بها ا

ومن أبرز علماء أسرة آل النعمي الشيخ/ محمد بن الحسن النعمسي (ت ٩٩هـ)، وقد أطنبت المصادر في وصف صلاحه وتقواه وعلو كعبه في العلوم الدينية (١٠٥)، أما فقهاء علماء آل النماري وكان موطنهم الأصلي بلدة صبيا فقد أشتُهر منهم العديد نذكر على سبيل المثال القاضي نور الدين أبو الحسن صالح بن صديق بن علي النمازي (ت ٩٦٥هـ)، وتولى مناصب الإفتاء والتدريس ، وكانت له مدوناته في العلوم الدينية وظل عاكفاً على العلم حتى وافته المنية (١٠٠١)، وهناك الشيخ

يعقوب بن على النمازي (ت ٩٧٩هـ)، وذكرت المصادر أنه هاجر لليمن في طلب العلم واستقر هناك مزاولاً العمل بالتدريس فترة من الوقت ثم عاد إلى موطنه الأصلي بصبيا (١٠٧) ، حيث داوم على التدريس والإفتاء بمراكزها العلمية، علاوة على الوعظ والإرشاد، وحاز مكانة إجتماعية بارزة يدلنا على ذلك ما ذكرته المصادر عنه من أنه كان " مقبول الشفاعة، نافذ الكلمة، يصدع بالحق، ويقابل بالامتثال "(١٠٨) • وبالإضافة إلى الدور الفكرى الذي لعبته البيوتات العلمية السابق ذكرها في ازدهار الحياة الفكرية ببلاد هامة والسراة، شهدت بلاد المخلاف السليماني أيضاً عدداً آخر من العلماء والفقهاء من خارج تلك البيوتات اسهموا بدورهم بنصيب وافر في الحركة العلمية نذكر منهم: - الشريف على بن عيسى بن هزه بن وهاس بن أبي الطيب السليمانيي ( ۱۰۰ ، ۱/۰ ۰ ه.) الذي كان " إمام الزيدية بمكة "(۱۰۹) والشيخ أبو محمد سعيد بن أسعد بن على الحراري (٠٠٠ ، ١٧٨/هـ) الذي ترجم له الخزرجي فذكر أن " أصل بلده قرية المراح في رأس وادي نخلان، وكان حافظاً لكتاب الله(١١٠)، والفقيه محمد بن أحمد بن على بن وهاس ( • • • ٧٩٢/ هـ ) الذي قيل عنه أنه " كان عالمًا عابداً صواماً قواماً" (١١١) والفقيه عمر بن عقيل (٥٦ههـ) الذي لازم التدريس بأبي عريش، كما كان حافظاً ومجوداً للقرآن الكريم"(١١٢)، والشيخ أحمد بن حسن بن أحمد بن إبراهيم شهاب الدين الحزيمي الكنابي الجازابي (٨٦٤هـ/٠٠٠) وهو من أبناء بلدة أبي عريش أيضاً من منطقة المخلاف السليماني، ونشأ بها وحفظ القرآن، (١١٣) والشيخ محمد بن المحبوب الوليدي (ت ٠٠٠هـ)، الذي يُعد من مشاهير العلماء في عصره، وينتمي بدوره إلى أبي عريش(١١٤) .

#### ب \_ البيوتات العلمية في مخلاف حلى بن يعقوب وأحوازها :-

ويقع هذا المخلاف بدوره في البلاد التهامية ، وإلى الشمال من المخلاف السليماني، وقد ظهر به أيضاً عدد من العلماء والفقهاء على مدار العصور الإسلامية الوسيطة، ينتمون إلى بعض البيوتات التي توارث أفرادها العلم والعمل بالتدريس والإفتاء والقضاء و ونلاحظ أن هذه البيوتات العلمية تتوزع في أنحاء المخلاف المختلفة من أحواز ومدن وقرى، ولعل من أشهر مناطق المخلاف التي ساهمت في إثراء الحركة العلمية بفضل من أنجبتهم من علماء وفقهاء ضمتهم هذه الأسر العلمية مناطق السرين، وعشم والقنفذة، وقنونا ، والأحسبة، ووادي حلى وأحوازه، وهذا الوادي الأحير ضم بين جنباته العديد من هذه الأسر العلمية مثل :—

# ١ ] أسرة آل الطواشي:

وترجع أصولهم إلى قبائل الأزد، وأصل بلدهم بلدة عثر الواقعة بساحل بيش في المخلاف السليماني، وجَدّ هذه الأسرة ويدعى الشيخ/ علي بن عبد الله الطواشي قد هاجر من عثر إلى حلى في آواخر (ق٧هــ/١٣م) (١٠٥٠)، ثم انتشرت الأسرة بحلى وكثرت ذراريها، ويعلق على ذلك أحد الباحثين المعاصرين بقوله " أن لهم ذرية كبيرة في قرية القوز من أحواز مخلاف حلى، ولهم وجاهة عند العرب والأشراف وأخلاق جميلة "(١١٦)،

ومن أبرز علماء هذه الأسرة الشيخ/ نور الدين علي بن عبد الله الطواشي ( ٠٠٠ / ٣٠ / ١٩٠٥ / ١٤٠ الله الطواشي أبيراً عادفاً ولياً كاملاً ، جليل القدر مشهور الذكر (١١٠٠ ، قال عنه اليافعي " الطواشي نسباً ، الشافعي الصوفي مذهباً "(١١٩ ) اشتغل بفنون من العلم حتى علم الطب، وأكثر إشتغاله بالفقه (١٢٠ ) ، وقد امتدحه تلميذه اليافعي ذاكراً فضله وكرمه بقصيدة شعرية منها :-

تخلفت يوم البين عنهم بجثت وراحوا بقلبى يوم بانوا أحبت ي

وناديت والركب اليماني راحــــل وعندى مقيم في الحشا حر لوعـــي خليلي سيرا بلغا لي تحيتــي إلى عند سكان الربوع البهيـــة إذا جنتما حلي ابن يعقوب يمنـــا قليلاً حيث السعادات حلــــت وبنا غرامي في الربوع وقبـــل رباها وصبا دمعة بعد دمعـــة له أسفرت بيض العلا عن محاســـن وقالت له: بشراك بشرى برويتــي سقى الله أياماً خلوت بسيـــ بها ،هل تراها سامحات بعـــودة فكنا بها في طيب جمع بها الهنــا وعيش صفا من قبل تكدير فرقــة ولاسيما يوماً أغر مباركـــا به اليمن والبشرى تبليغ منيتــي (٢١٠)

وقد أنجب الشيخ/ نور الدين عدداً من الأبناء شهروا بالعبادة والتفقه في علوم الدين هم على التوالي : عبد الله ومحمد وابو بكر وإبراهيم (١٢٢) وقد انجبوا بدورهم العديد من الأبناء لهجوا جميعاً لهج آبائهم وجدهم نور الدين في العمل بالعلم ونشره بين أهل مخلاف حلي (١٢٣) وأثروا الحركة العلمية به ٠

### ٢ - أسرتا بني الوكيل والعقابية:

وظهرت الأسرة الأولى في مخلاف حلي خلال القرن الثامن الهجري/ القرن الرابع عشر الميلادي، وكان لعلمائها الكثير من المناظرات واللقاءات العلمية مع فقهاء أسرة آل الطواشي السابق ذكرها(١٧٠)، أما أسرة العقابية والتي ترجع في أصولها إلى قبيلة كنانة فهي من الأسر العلمية المهاجرة من بلدة حلي في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) واستقرت ببلدة أبي عريش في منطقة المخلاف السليماني وعمل بعض أفرادها بالقضاء في نواحي المخلاف يؤيدنا في ذلك صاحب كتاب العقيق اليماني فيقول: "والعقابية من كنانة أهل حلى بن يعقوب، إلاً

أن القاسم عقيمي والد القاضي على بن أبي القاسم العقيبي وصل إلى أبي عريش واستوطنها • • • "(١٢٦) •

## ج\_ علوم اللغة والأدب:-

ولم تقتصر شهرة البلاد التهامية العلمية على علمائها الذين نبغوا في العلوم الشرعية المختلفة بل ظهر فيها أيضاً العديد من الأدباء والشعراء الذين ساهموا في ازدهار علوم اللغة والأدب وكانت لهم مساهماتهم الواضحة في هذا المجال ومن يطالع العديد من المصادر والمراجع التاريخية والأدبية التي تناولت منطقة جازان (المخلاف السليماني) يجد فيها ذكر العديد من الأدباء والشعراء وأمثلة متعددة من إنتاجهم الأدبي وما جادت به قرائحهم من أشعار وسوف نقتصر هنا على أسماء أبرز هؤلاء الأدباء

والشمعراء والفيترة الزمنية التي ظهر فيها كل واحد منهم دون الاستغراق في دراسة إنستاجهم الأدبي والمستوى الذي بلغه هذا الإنتاج فهذا محله دراسة أخرى متخصصة ليس هنا مجالها ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء التهاميين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الشاعر الشريف على بن عيسى بن حمزه بن وهاس السليماني (ت: المخـــلاف أيضاً في القرن السادس الهجري (الثالث عشر الميلادي) عمارة بن على بن زيدان بن أحمد بن محمد الحكمي (ت٥٦٩هـ)، والشاعر دهمش بن وهاس بن عثور ابسن حسازم بسن وهاس الحسين السليماني(١٣٩١) • ومن شعراء القرون التالية للقرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، الشاعر الأمير القاسم بن على بن محمد بن غانم الندروي(١٣٧٠)، والشاعر القاسم بن على بن هتيمل، وكلاهما من شعراء القرن السابع الهجري (١٣٨) ، والشاعر منصور بن عيسى بن سحبان الضمدي (٠٠٠/ السرجال مسن أهل القرن التاسع الهجري(١٤٠٠)، وشعراء آخرون معاصرون لابن أبي السرجال أمثال: - محمد بن على بن عمر الضمدي (٨٨٣-٩٩٦هـ)، والمقبول بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي (٠٠/ت ٩٤٩هـ)، وشمس الدين أحمد بن على المعافي الحسني (٠٠٠/ت٩٩٩هـ)، وصديق بن الدهل الحكمي (٠٠٠/ت٩٥٢هـ) وعمر بن عبد القادر الحكمي (٩٥٣-٩٨١هـ) ومحمد بن الحسين النعمي (ت: · (141)(\_\_8999

وظهر أيضاً في مخلاف حلي بن يعقوب وأعماله عدد من الشعراء والأدباء، وقد دونت المصادر والمراجع التي بين أيدينا بعضاً منهم كما قدمت لنا نماذج من إنتاجهم الأدبي ولاسيما- الأشعار-، ونلاحظ أن ما قدموه لنا من إنتاج يقل في مستواه وأهميته البلاغية والأدبية عما قدمه أدباء المخلاف السليماني.

ومن أوائل شعراء مخلاف حلي الشاعر محمد بن سعيد العشمي (عاش في ق 0 = -1 ومن أوائل شعراء مخلاف عند ياقوت الحموي ، حيث ذكر أنه من " شعراء جنوبي الجزيرة العربية المعاصرين للدولة الصيلحية 0 = -1

وأورد لنا بعضاً من شعره وفيه يقول :

#### ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة

#### بتعشر بين الأثل والركوان(١٤١)٠

وكذلك الشاعر أبو الحسن على بن عبد الله الطواشي ( • • • / ت ٧٤٨هـ) الذي أفاض في مدحه تلميذه اليافعي فقال " ومنهم في حلي بن يعقوب : شيخنا وبركتنا الكبير صاحب القلب المنير نور الدين علي المعروف بالطواشي • • • ( • ١٤٠٠) " • وقد أورد اليافعي شيئاً من شعره وقال أنه " نظم رائق "( ١٤٦٠) ومنه قوله :

تركوني من هواهم في عمى نحوهم أخرت عنهم قدما أقرع السن عليهم ندمسا بالضنا صباً معنى مغرمسا يسعف الصب ويشفى السقما ورجائي وانكساري سلّمساً (۲۵٪)

أسفي من هجر سكان الحمى كلما قدمت يوماً قدم ألم المحمى صرت مما فاتني من وصلهم ليتهم إذ هجروا لم يتلفوا فعسى الدهر يوصل منهم قد جعلت الدمع مني شافعاً

كذلك ظهر في مخلاف حلي أسرة نبغ غير واحد من أبنائها في نظم الشعر وتعرف باسم أسرة آل العليف، وذكر أحد الباحثين المعاصرين أنه برز منها عدد لابأس به من الأدباء والشعراء كان لهم نصيب وافر في رقي الحركة الأدبية بالمخسلاف (١٤٨) ومن أشهر أبناء تلك الأسرة الشاعر جمال الدين محمد بن حسن بن عمد بن أحمد بن مسلم بن يحيى جمال الدين المكى الحلوي بن العليف

(۱٤٩ – ١٩٨ه)، الذي ارتحل إلى مكة لطلب العلم بما ثم هاجر إلى كثير من البلدان لنفس الغرض  $(^{149})$ , وقد أورد له بعض مؤرخي مكة غاذج من أشعاره وقصائده التي مدح بما بعض أمراء مكة في عصره  $(^{109})$ , ومنهم أحمد بن الحسين بن محمد بن العليف (١٥٨ – ١٩٨٩هـ)، وأحمد بن محمد بن حسن العليف (١٩٤ – ١٩٨٥هـ)، وعلي بن محمد بن حسن العليف  $(^{109})$ , ومن شعراء هذه الأسرة أيضاً وأدبائها بدر الدين حسين ابن محمد العليف المكي، الذي كان يرتاد مكة المكرمة ويمدح أمراءها، ففي عــــام (١٩٨هـ) امتدح الأمير حسن بن عجلان بقصيدة سماها (الدرة الثمينة) وذلك عندما أعيد إلى إمارة مكة المكرمة  $(^{109})$ .

#### د\_ الحلقات العلمية وأثرها الفكري في بلاد تهامة :-

ومن خلال استعراضنا السابق لأبرز البيوتات العلمية في منطقة تمامة، وبخاصة في المخلاف السليماني ، يتبين لنا تواجد نشاط علمي وفكري ملحوظ ، وإن كان يأي في المرتبة الثانية بعد حواضر الحجاز واليمن الكبرى والتي كانت أكثر صيتاً وشهرة في المصادر والمراجع التي عالجت تاريخ وتراث شبه الجزيرة العربية في العصور الإسلامية الوسيطة ه

ونلاحظ من خلال نشاطات تلك البيوتات والأسر العلمية ألها تنوعت تنوعاً ملموساً بما يخدم حياة الناس والمجتمعات التهامية ، فكان هناك من علماء تلك الأسر من يقوم على التدريس وتعليم الناس أمور دينهم وغير ذلك من العلوم المعروفة آنذاك، وهناك من جمع إلى جانب التدريس العمل بالإفتاء والقضاء وتقسيم المواريث وغيرها من الأحكام الشرعية ، كما لم تخل أنشطتهم العلمية من عقد الحلقات أو المناظرات الفقهية والعلمية سواء كان ذلك في المساجد أو في منازلهم ، وكان علماء وفقهاء المخلاف السليماني (جازان) أكثر نشاطاً من غيرهم في عقد هذه الحلقات، فتذكر لنا

العديد من المصادر بعض حلقات التعليم في كل من أبي عريش، وصبيا، وضمد وغيرها من مراكز هذا المخلاف مثل: - حلقة الشيخ الهادي بن أبي القاسم بن على بن أبي بكر الحكمي (ت٩٣٧هـ) والتي استمرت في آداء رسالتها التعليمية طوال حياة هذا الفقيه، ولفترة طويلة بعد وفاته، حيث ذكرت المصادر التي اعتمدنا عليها في التأريخ لذلك استمرار عقدها إلى ما بعد عام ١٠٣٦هــ(١٥٣)، وهذا الاستمرار يشير إلى اهتمام أبناء وأحفاد هذا الشيخ من أسرة آل الحكمي بالنشاط العلمي والعمل به والمداومة عليه، وجدير بالذكر أن هذه الحلقة التدريسية كغيرها من حلقات العلم في ذلك الزمان ، كانت تفتتح كل صباح بالذكر وتلاوة القرآن الكريم(١٠٤) • وحلقة الفقيه صديق بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمد بن حسن الديباجي الجازاني العريشي (٨٦٢/٠٠٠) واهتم فيها بالقاء دروسه الدينية على الطلاب بموطنه لفترة من الزمن (١٥٥٠) • والشيخ صديق بن أبي بكر الحكمي (ت:٨٧٣هـ) الذي أسس الجامع بمدينة أبي عريش فكان محط رحال طلاب العلم(١٥٦) ، والشيخ محمد بن صديق الحراز الأسدي (٠٠٠/ت ٩٦٠هـ) الذي رجع من رحلته العلمية إلى بلدة أبي عريش فتصدر للتدريس (١٥٧) ، وقصده الطلاب فتخرج على يديه جيل من القراء والمتخصصين في علوم القرآن (١٥٨) ، والشيخ الصديق بن الطاهر بن أبي القاسم بن على بن أبي بكر الحكمي (ت:٩٩٦هـ) الذي انتهت إليه رئاسة التدريس في الفقه، والحساب والفرائض، والمساحة، والجبر، والمقابلة(١٥٩) •كما كان المسجد الجامع في ضمد من المراكز العلمية الهامة التي تعقد بما الحلقات الدراسية التي يؤمها طلاب العلم، وينسب تأسيس هذا المسجد إلى محمد بن على بن عمر الضمدي (٨٨٣- ٩٩هـ) ، الذي كان له حلقة علمية مشهورة ، وتخرج فيها على يديه عدد من علماء وفقهاء عصره، وقد ذاعت شهرة ضمد حتى صارت بفضل هؤلاء العلماء وتلك الحلقات من مراكز الفكر المشهورة عنطقة هامة (١٦٠) و كذلك كانت حلقة الشيخ نور الدين أبي الحسن صالح بن صديق النمازي الصبياني (ت/٩٧٥هـ) من الحلقات العلمية المشهورة بتهامة (١٦١)، وحلقة الشيخ عيسى بن يوسف الظفاري (ت/٩٥٦هـ) والتي داوم على عقدها في مسجد الصدر أبي القاسم بمدينة أبي عريش (١٦٢).

ويذكر الأستاذ/ محمد أحمد العقيلي وجود ثلاث مدارس فكرية علمية شهيرة بمنطقة جازان (المخلاف السليماني) كان لها أثر كبير في نشر الوعي والثقافة بين الناس وأولها مدرسة آل شافع في وادي صبيا، وكانت مدرسة سنية تقوم على تدريس ومناقشة الكتب والأشعار المنبثقة من المذهب السني (١٦٣) والمدرسة الثانية مدرسة ضمد وقد وصفها العقيلي بألها "كانت من أنشط المدارس وأفضلها بالعلم والأدب ، وأهم مواد تدريسها فقه مذهب الإمام زيد، وعلم الكلام ، والمغة، والحديث، والأدب، وعلم أصول الفقه، وعلم الفرائض، والعروض، والجبر، والمقابلة، وعلم المساحة، وعلم القراءات (١٦٤) والمدرسة الثالثة مدرسة أبي عريش، أو مدرسة آل الحكمي التي تعتبر امتداداً لمدرسة آل شافع، وقد تأسست في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وهي مدرسة نشيطة اشتملت على تدريس مواد: الفقه ه، والحديث، وعلم القراءات السبع، والفرائض، والحساب ، وعلم المساحة، والجبر ، والمقابلة، والأدب ، والعروض، والنحو، والصرف (١٦٥) .

ونستطيع القول أن المخلاف السليماني كان أكثر نشاطاً من غيره في بلاد همة من حيث كثرة من أنجبتهم من العلماء والفقهاء والأدباء الذين اضطلعوا بنشر الوعي والثقافة بين أفراد مجتمعاهم سواء عن طريق الوعظ والارشاد والتدريس في كتاتيبه ومساجده وحلقاته العلمية ، ورغم هذا الدور الفاعل للمخلاف السليماني الذي غطى على كثير من المناطق التهامية الأخرى إلا أنه لاينفي وجود نشاط فكري علمي ظهر في قرى وأحواز أخرى من بلاد هامة لاسيما ما يتعلق بالحلقات التعليمية

والتي لاتكاد تخلو منها قرية أو جزء من مسجد أو جامع تقام فيه الجمع والجماعات إلى جانب ما يتبع ذلك من وعظ وإرشاد وتفقيه في الدين ، وبخاصة المراكز التجارية التي تقع على طول طرق التجار والحجاج ما بين مكة ومدن اليمن عبر الساحل ،فكانت لاتخلو من العلماء والفقهاء الذين يرتادوها في ذهابهم وإيابهم مابين الحجاز واليمن، وهؤلاء الأخرون بدون شك ، كان لهم دور في أقامة الصلوات في الجوامع والمساجد التي يمرون بما وكذلك من المحتمل أن البعض منهم أقام في بعض تلك المراكز لبعض الوقت ، إما للتجارة أو لطلب العلم، أو للتدريس وتعليم من يرتادهم من طلاب العلم، كما أن علماء قامة وخاصة من عاش في المخلاف السليماني، أو حلى بن يعقوب، أو البرك، والسرين، وعشم وغيرها كانوا لايستقرون في أوطائهم ، وإنما البعض منهم كان يرحل من بلده لطلب العلم وغالباً ماكانوا ييممون شطر الحجاز أو اليمن ، بينما اتجه بعضهم خارج شبه الجزيرة العربية في رحلة علمية تجول فيها بين الأمصار الإسلامية المختلفة للاستزادة من العلوم الشرعية واللغوية وغيرها على أيدي مشاهير علماء تلك الأمصار، وقد عاد بعضهم من تلك الرحلة العلمية إلى أوطاهُم ، حيث لازموا التدريس والتعليم لأبناء بلادهم مؤدين بذلك رسالتهم العلمية والتعليمية على أكمل وجه، بينما استقر آخرون لأداء الرسالة نفسها في المدن والأمصار التي رحلوا إليها (177) •

## هـ ] أشهر المصنفات العلمية التي دونها علماء وأدباء البلاد التهامية :ـ

كانت المصادر والمراجع التي تناولت بالحديث البلاد التهامية والسروية في العصور الإسلامية شحيحة كعادها في معلوماها عن تلك المناطق، فإذا ما حاولنا التعرف على مدونات علماء هامة ونشاطهم في التأليف في العصور الإسلامية الوسيطة وحتى القرن العاشر الهجري، لاتحدنا تلك المصادر سوى بشذرات متناثرة عبر صفحاها، ومن هذه النتف الضئيلة نحاول إلقاء الضوء والتعرف على بعض المصنفات

التي ألفها ودولها علماء ذلك العصر وخاصة من عاش منهم في منطقة المخلاف السليماني الأوفر حظاً وشهرة في الجانب العلمي من بلاد تقامة ،

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء والفقهاء أصحاب التصانيف العلمية الشيخ أحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (ت٢٦٩هـ) (١٦٢٠)، والذي ينسب إليه تأليف كتاب الجواهر الحسان في تاريخ أبي عريش وجازان"، وأرجوزة في فرض الكفاية (١٦٨٠)، كذلك شهر غير واحد من علماء بلدة ضمد وأحوازها بتآليفهم في مختلف فروع العلوم المعروفة آنذاك لاسيما ما يتصل بالتاريخ وعلوم الأدب ومن أبرز المؤلفات في هذا المضمار، كتاب الوافي للضمدي ،المتوفي عام ٤٧٨هـ(١٦٩) وكتاب "التحذير من الظلم "للعالم محمد بن علي بن عمر الضمدي (١٨٨ه- ٩٩هـ) وهو أحد علماء أسرة آل الشيخ أبي الحسن صالح بن صديق النمازي (ت٥٧٥هـ)، وهو أحد علماء أسرة آل النمازي بصبيا، وقد أمدتنا المصادر بترجمة وافية له واشهر مدوناته ونلاحظ تنوعها ما بين علوم التاريخ والنحو وغير ذلك من علوم العربية منها " السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف"، و"شرح على ألفية ابن مالك" و" منظومة الأنوار الساطعة" وهي أرجوزة فريدة جامعة صدرها بقوله :-

## قال النمازي الفقير صالح أحمد ربي الله فهو الفاتح

وختمها بالصلاة والسلام على رسولنا الكريم فيقول :-

وآله أهل التقي والســـؤدد(١٧١)

على النبي المصطفى محمد

## و - مكتبات البلاد التهامية :

أما عن مكتبات قمامة وما كانت تضمه من مدونات خلال الفترة موضوع البحث، فأغلب الظن أن العديد من مدن وقرى قمامة قد ضمت بين منشآقما التعليمية وبخاصة المساجد والجوامع عدداً من المكتبات ضمت بدورها مؤلفات متنوعة في مادقما العلمية، لاسيما التفاسير وكتب الفقه والتي كانت توضع على صورة أوقاف وأحباس

في المساجد لانتفاع طلاب العلم بها ، أما معظم العلماء والفقهاء، وخاصة الكبار منهم، فبدون شك كانوا يقتنون مكتبات خاصة يطالعونها ويعودون إليها عندما يريدون التأليف أو التدريس أو وعظ الناس وإرشادهم، أو العمل في مهام القضاء والفصل بين الناس في الخصومات، ولما يؤكد قولنا ماذكرته بعض المصادر عندما تعرضت لأحداث عام (٨٨٨هـ/٧٧ هـ) يوم وقعت حرب شديدة الوطأة بين الشريف أحمد بن دريب صاحب جازان، والشريف محمد بن بركات صاحب مكة المفرم على أثرها صاحب جازان، "وقتل من أصحابه جم غفين وانتهكت الحرمات، وانكشفت العورات ونهبت خزانته، وما فيها من الكتب النفيسة وهدمت دور الخلافة، وأصبحت البلاد خاوية على عروشها" (١٧٧٠)،

ويتضح من النص السابق اهتمام حكام البلاد في جازان وأعيالها بالكتب والمؤلفات القيمة، والحرص عليها بدليل ألها كانت من محتويات خزائنهم الخاصة، وإذا كان هذا حال الحكام، فمن باب أولى أن يكون نفس الاهتمام وبشكل أكثر متواجد عند عُلماء البلاد التهامية وأسرها العلمية، فيحرصون بدورهم على اقتناء مكتبات عامرة بالمصادر القيمة في المعارف والعلوم المختلفة (١٧٣) ويدفعنا ذلك للقول بأن المكتبات الخاصة على اختلافها وتفاوها في الأحجام وما تحويه من مصنفات كان موجوداً على امتداد البلاد التهامية ، مما ينهض دليلاً على وجود حركة علمية وأدبية وفكرية نشطة خلال العصر موضوع الدراسة ،

## ٢\_ البلاد السروية :-

لعل أول ما يلاحظه الباحث عن ملامح النشاط العلمي والحركة الفكرية بتلك البلاد، هو ضآلة هذا النشاط مقارنة بما لمسناه عن الحياة العلمية في البلاد التهامية، وبصفة خاصة في الفترة الزمنية التالية للقرن الرابع الهجري وحتى نهاية القرون الإسلامية الوسيطة، ويرجع ذلك في اعتقادنا إلى عدة أسباب جعلت بدورها

المصادر والمدونات الإسلامية تغفل التعرض لهذه البلاد في كثير من الأحيان ويأتي في مقدمة هذه الأسباب :-

- 1- صعوبة تضاريس بلاد السراة الممتدة من نجران حتى الطائف، وتتمثل هذه الصعوبة في الارتفاع الشاهق لجبالها، فضلاً عن وعورة مسالكها، الأمر الذي جعل معظم أرباب العلم والقلم يحجمون عن ارتياد هذه المناطق والإقامة فيها، وإن تصادف ووصل بعضهم إلى بعض أنحائها، فهم لم يكونوا سوى عابري سبيل في طريقهم إلى الحجاز أو اليمن سالكين الطريق التجاري القديم الذي يربط بين حواضر الحجاز واليمن عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراه (١٧٤)،
- كثرة الصراعات القبلية في هذه البلاد والتي استمرت عبر العصور الإسلامية، وحتى وقت قريب من عصرنا الحالي، يؤكد ذلك العديد من الوثائق التي ترجع إلى فترة زمنية حديثة، وخاصة تلك التي تعالج أحوال ونظم حياة القبائل في شبه الجزيرة العربية ، يلاحظ انتشار الصراعات القبلية بصورة كبيرة نظراً لانعدام السلطة المركزية القوية، وقد استمر الأمر على هذه الحالة، حتى نجح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله في توحيد البلاد تحت قيادته (۱۷۵) .
- ٣ صارت بلاد السراة طاردة للسكان، حيث نشطت حركة الهجرة منها إلى الكثير من الحواضر الآمنة بالحجاز واليمن، رغم توافر مقومات الحياة في بعض أجزائها، ويرجع ذلك بالإضافة للأسباب السابق الحديث عنها (من صعوبة التضاريس وعدم الأمان) إلى كثرة الكوارث الطبيعية التي ألمت بالبلاد وتواليها لاسيما موجات القحط والغلاء، وما يعقب ذلك من تفشي الأوبئة التي تحصد أرواح الآلاف من سكان السراة ، ومن يتبقى منهم قيد الحياة يؤثر

السلامة بالهجرة إلى حيث الأمن والسلامة، وتؤكد لنا ما سبق العديد من المصادر الإسلامية التي أفاضت الحديث عن مثل تلك الأحداث، فعلى سبيل المثال يذكر ابن كثير في حوادث عام ٩٥هـ، فيقول :- " وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين العجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار" (١٧٦) ويذكر ابن فهد أنه في أحداث سنة (٩٤هـ) " وقع بالطائف ووج، وليه (١٧٧٠)، وباء عظيم، هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيهم إلا الله، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لا مالك لها، واستولى عليها سواهم، وامتد هذا الوباء إلى أخلـ ـــــــة • • • • "(١٧٨) •

ولمثل هذه الأسباب ضعف التطور الحضاري لبلاد السراة، بما فيه الحياة الفكرية والنشاط العلمي في الفترة موضوع الدراسة، ورغم ذلك الضعف إلا أننا لانعدم عدة إشارات أفادت بوجود بعض ملامح للحياة العلمية في البلاد السروية مثال ذلك :-

طهور عدد من الأسر والبيوتات العلمية في أنحاء متفرقة من البلاد، وبخاصة في القرون الثلاثة الماضية واشتُهر غير واحد من أبنائها بالتفقه والعمل بالعلوم الشرعية والأدبية وغيرها، وقد لازموا التدريس والوعظ والارشاد، وعمل البعض منهم في القضاء والإفتاء (۱۷۹)، ونلاحظ من دراستنا لتراجم هؤلاء العلماء أن بعضهم قد رحل في طلب العلم إلى العديد من المراكز والحواضر العلمية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، ثم عادوا إلى بلادهم للمساهمة في إثرائها علمياً، والتدريس لبني جلدهم، وقد اقتنى أغلبهم مكتبات قيمة عامرة بالمدونات في المعارف المختلفة والمتداولة آنذاك (۱۸۰۰)، وهذا المثال يؤكد ما ذهبنا إليه من وجود نشاط فكري في البلاد السروية ورغم أنه خارج

الفترة الزمنية موضوع البحث، إلا أنه ينهض دليلاً على وجود مقومات لحياة فكرية جيدة، وبيئات مساعدة لنمو النشاط الفكري في تلك البلاد، لأنه من غير المعقول أن تظهر بيوتات علمية وأدبية فجأة دون أية مقدمات تشير إلى تربة صالحة لنشأة مثل تلك النشاطات،

- ٧ العثور على بعض المخطوطات والمدونات علاوة على عدة مصاحف في أنحاء متفرقة من البلاد السروية، وكلها يعود تاريخ تدوينها لما قبل القرن العاشر الهجري، وإذا ما سلمنا بما يراه بعض الباحثين من ألها لم تدون في بلاد السراة، فهي على الأقل قد وصلت إليها من بعض المراكز الحضارية المجاورة (١٨١٠)، مما يقطع بوجوده حياة علمية على قدر من النشاط في تلك البلاد الأمر الذي دفع أناساً لحمل هذا التراث الفكري لينتفع به أهل السراة على اختلافه من المراكز المحتلفه على المتراث الفكري المنتفع به أهل السراة على الحتلافه من المراكز المحتلفه المراكز المحتلفه المراكز المحتلفه المراكز المحتلفه المراكز المحتلفه المراكز المحتلفة على المراكز المحتلفة المحتلفة المحتلفة المراكز المحتلفة المحتلفة
- ٣ وجود المساجد الأثرية القديمة بأنحاء متفرقة من البلاد السروية، وكذلك المحطات التجارية، وما يعلو بعض واجهات هذه المباني المختلفة وجدرانها من نقوش وزخارف كتابية ينهض بدوره دليلاً على وجود بعض ملامح الحياة العلمية بتلك المناطق (١٨٣).

كذلك مما يجعلنا نعتقد بوجود هذا النشاط العلمي والفكري في بلاد السراة وإن كان محدوداً مقارنة بالبلاد التهامية – ماورد في المصادر وكتب التراث الإسلامي من إشارات عن المراكز الحضارية السروية الواقعة على طول الطريق بين الحجاز واليمن، ومنها نجران ، وجرش ،و بيشه ،و تبالة ،و تربه ،وغيرها ، وجيعها كانت محطات عامرة بالحركة التجارية، والمساجد الجامعة (١٨٤) مما يجعلنا نقول بألها شهدت أيضاً نوعاً من الحياة الفكرية والعلمية بحكم القرب من المراكز العلمية المتألقة في قمامة

واليمن وبحكم استمرارية الحياة والحركة التجارية على هذه المحطات، وإن لم تتحدث المصادر صراحة على ذلك وأقمنا هذا الترجيح على بعض الأسباب التي نراها وجيهة إلى حد ما مثل:

- ١ أن تلك المحطات حسبما ورد في المصادر كانت نشيطة اقتصادياً ، وغالباً
   ما يتبع ازدهار النشاط الاقتصادي والثراء رقياً في الحركة التعليمية والفكرية (١٨٥).
- وقوع بعض هذه المحطات التجارية على الطريق الرئيس للتجارة والسفر وهو المعروف بطريق السلطان أو الجادة السلطانية والتي كانت محل اهتمام الولاة والحكام وعنايتهم لمرورهم عبرها(١٨٦٠)، ولعل ذلك الأمن وتلك الحماية كانت دافعاً للعديد من العلماء إلى اتخاذها سبيلاً للمجاز عبرها إلى اليمن أو حواضر الحجاز، ولما كانت الرحلة سواء للحج أو التجارة أو طلب العلم تستغرق عشرات الأيام، الأمر الذي يدفعهم للاستقرار بعض الوقت أثناء رحلتهم في بعض المناطق السروية التماساً للراحة، فلا نستبعد أن بعضاً من هؤلاء العلماء قد انتفع بهم أهل السراة علمياً عندما حلوا بمساجدهم بعقدهم في تلك الفترات حلقات للعلم والتدريس والوعظ والإرشاد والإفتاء مما ساهم في إيجاد نوع من النشاط الفكري في تلك البلاد ذات الطبيعة الجبلية الوعرة (١٨٧٠).

كذلك الحال إذا ما انتقلنا إلى الجهات الغربية من بلاد السراة نجد العديد من المراكز الحضارية والتي ورد أغلبها عند الهمدايي في مؤلفه الشهير " صفة جزيرة العرب" ونلاحظ أنه أطلق على تلك المراكز العلمية أسماء قبائلها وعشائرها القاطنين بحالاً من موجودة بحاله وبعضها الآخر لم يرد ذكره عند الهمدايي ثما يجعلنا نرجح ألها لم تكن موجودة

في زمنه (القرن الرابع الهجري)، أو لم يصله عنها شيء من أخبارها فلم يذكرها ولكنها لاتزال قائمة في أعالي وسفوح بلاد السراة الغربية والمعروفة باسم " الأصدار" •

ومن أبرز تلك المراكز الواقعة أعالي السروات من الجنوب إلى الشمال سراة عبيدة وبها بلدة الحرجة (١٩٠١) ، وأحد رفيدة ، وخيس مشيط ، وأبها، وتنومة ، والنماص ، والباحة وغيرها الحراكز الواقعة في منطقة الأصدار أو عند سفوح جبال السروات فمن أشهرها بيش، والشقيق ، ورجال ألمع ، ومحائل، وبارق، والمخواة وغيرها (١٩٠١) ، وهذه المراكز وغيرها كثير قد نوه بذكرها الهمداني، وإن لم يسهب بكثير من المعلومات عنها ، ولكننا نلاحظ من خلال تجوالنا في تلك المناطق على مدار العقود الثلاثة الماضية أن تلك الأنحاء السروية لاتزال عامرة بالكثير من الشواهد الأثرية كالمساجد والأسواق وبقايا مقابر وحصون قديمة يرجع تاريخ بعضها للعصور الإسلامية الوسيطة (١٩٢١) مما ينهض دليلاً على ألها كانت فيما مضى مراكز حضارية متألقة ويؤيدنا في ذلك أيضاً تلك الأخبار والروايات الشفوية المتداولة بين سكان هذه المناطق، والتي تتضمن أحداث وأسماء مواقع وأشخاص وأسر عاشوا في تلك المراكز، وتعود هذه الروايات إلى قرون عديدة ماضية (١٩٣) ،

## أ \_ التواصل العلمي بين بلاد السراة والحجاز :

تشير المصادر الإسلامية على تنوعها واختلافها إلى وجود علاقة قوية وطيدة ربطت فيما بين بلاد السراة والحرمين الشريفين، فكان أهل السراة يترددون بكثرة على الحجاز وبخاصة مكة المكرمة ، وقد تنوعت أغراضهم التي من أجلها قدموا فإما للحج والعمرة أو لطلب العلم، أو للتبادل التجاري،

ومن أشهر الذين ذكروا ذلك ابن جبير في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وابن بطوطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، حيث سجل كل منهما مشاهداته لأهل السراة أثناء تأديتهم مناسك الحج والعمرة • وقد

أفاض ابن جبير الحديث عن فصاحتهم، وقوقم البدئية، وصدق نيتهم في أداء المناسك فيقرل :- " والقوم عرب صرحاء فصحاء حفاه أصحاء، لم تغذهم الرقه الحضرية، ولا هذبتهم السير المدنية ولا سدت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النيه، فهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة لائذين بجوارها متعلقين بأستارها فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها، وفي أثناء ذلك تصدع السنتهم بادعية تتصدع لها القلوب وتتفجر بها الأعين الجوامد، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم متلقين لها من السنتهم "(١٩٠١) ويؤيد ابن بطوطه سابقه بقوله :- " لهم صدق نية وحسن اعتقادلله ثم يستطرد قائلاً : فتراهم لله داعين بأدعية تتصدع لرقتها القلوب، وتدمع العيون الجوامد، [و] الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم "(١٩٠٠).

ومن النصين السابقين نلاحظ أن ابن جبير وابن بطوطة قد اتفقا مع الهمداني على فصاحة أهل السراة، والتي كانت تظهر بوضوح في ألفاظ أدعيتهم، فتجعل من يسمعهم في الحرم المكي الشريف ينصت إليهم، ويؤمن على أدعيتهم، بل ويسوق ابن جبير دليلاً على صحة كلامه مؤكداً على صدق نيتهم وخشوعهم في الدعاء أن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، كان ينتظر مجيئهم إلى مكة المكرمة وطوافهم، ثم يدخل في جملتهم تبركاً بأدعيتهم (١٩٦٠)،

وتبرز العلاقات العلمية بين أهل السراة والحجاز واضحة في حرص السرويين على طلب العلم وتلقي العلوم الدينية بخاصة في الحرم المكي على مشايخه ومشاهير علمائه، وقد تجلى هذا الحرص في إرسال الأباء من السرويين أولادهم إلى مكة بغية حفظ القرآن والاستزاده من علومه، ويؤكد لنا ابن جبير ذلك من واقع مشاهداته والتي خرج منها بانطباع سبق الحديث عنه وهو الفصاحة التي فطر عليها أهل السراة فيذكر أنه شاهد صبياً سروياً في حجر الكعبة قد جلس لأحد الفقهاء يعلمه فاتحة

الكتاب وسورة الإخلاص، ويظهر الرحالة تعجبه لطريقة تعلم ذلك الصبي، ومقدار الجهد الذي بذله المعلم في تعليمه فيقول كان المعلم يقول له " " قل هو الله أحد " فيقول الصبي " هو الله أحد" فيعيد عليه المعلم ، فيقول له :- " ألم تأمري بأن أقول : هو الله أحد؟ قد قلت • • • وكان يقول له " بسم الله الرحن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، فيقول الصبي " بسم الله الرحن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين " فيعيد عليه المعلم، ويقول له لاتقل :- والحمد لله ، انما قل الحمد لله ، فيقول الصبي " إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم، أقول والحمد لله للاتصال، وإذا لم أقل بسم الله وبدأت قلت ، الحمد لله "(١٩٧) ثم يقول ابن جبير " فعجبنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم "(١٩٨) .

ولانستغرب على أهل السراة صلاقم الجيدة بالحجاز وأهله فهي مهبط الوحي وهما قبلة المسلمين ومحط رجالات العلم والفقه، وبالتالي آثر العديد من السرويين البقاء والمجاورة لبيت الله الحرام ، ودليلنا على ذلك من يطالع مدونات مؤرخي مكة والمترجمين لأعيالها يلاحظ ألهم قد حفظوا لنا أسماء العديد من السرويين الذين استقر هم المقام في مكة وماتوا هما، ودفنوا في مقابرها، ولعل من أبرز من حفظ لنا تلك الأسماء ، تقي الدين الفاسي والذي استدل على مواطنهم الأصلية من ألقائهم، حيث ألحق كل واحد عمن ترجم له بنسبته الأصلية إلى عشيرته أو قبيلته ، كالزهراني، أو الخامدي أو الحجري، أو الخثعمي ، أو البيشي ، أو المذحجي، أو القحطاني ، وغيرها، وقد وردت معظم هذه الأسماء السروية في كتابه العقد الشمين، وجمعها من شواهد القبور الموجودة على أضرحتهم في مقابر عديدة من مكة وخاصة مقبرة المعلاة (1919).

وكون مدونو التراث الإسلامي من الأمصار الإسلامية كانوا يرتادون مكة ويلتقون بأهل السراة وربما سألوهم عن أوطالهم وما بها من نشاطات سياسية وحضاريسة ، ومن يدقق النظر في كثير من التواريخ المحلية عن مكة المكرمة، وكذلك

الدواوين الشعرية القديمة وبعض كتب الأدب مثل : كتاب الأغابي، والعقد الفريد، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، وخلاصة الأثر للمحبي وغيرها(٢٠٠٠) يجدها تحتوي على أسماء عديدة لرواة وفقهاء وعلماء سرويين كانوا يقيمون بأرض السراة ، وقد يروحون ويفدون ما بين الحجاز وبلاد السراة. وقد احتفظت لنا المصادر بأسماء بعض هؤلاء العلماء والفقهاء السرويين الذين عاشوا في العصور الإسلامية الوسيطة وإن لم تمدنا بمعلومات مستفيضة عن آثارهم العلمية ونتاجهم الفكري ، ومن أشهرهم على سبيل المثال: - محرز بن عبد الله من أهل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ويذكر عنه أنه كان " رجلاً مؤمناً من أهل ترج "(٢٠١)، وإسماعيل بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عطيه النجراني من علماء القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي (٢٠٢)، وأفضل بن محمود بن محمد السروي، ويقول عنه الفاسي " هكذا وجدته مذكور في حجر قبره بالمعلاه" ووصفه " بالشيخ الصالح العابد الزاهد العالم الكامل العارف بالله ، توفى بمنى في أيام التشريق سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجـــرة"(٢٠٣) • وخلف بن حسن بن ناصر بن مقدم القحطاني(٢٠٠) ، والفقيه الدوسري المعروف سنة (٩٣٢هــ/١٥٢٥م)(٢٠٠٠، وأبو عمرو عثمان بن هاشم الحجر، الذي قال عنه الشرجي و"أظن أصله من الجبل(٢٠٩)، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جميع الملقب بالسني، قال عنه الشرجي، هو " صاحب الخليف، وهي قرية قريبة من قرية الخلف، وهما من الحجاز ممايلي اليمن (٢٠٧)، ومحمد بن عبد الهادي بن بكري، وهو عالم " أهل الحجاز المتصل بطور السراة من جهة اليمن "(٢٠٨)، ومحمد بن عمر الحجري المتوفي عام (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)(٢٠٩) ، ومحمد بن عيسى بن سالم بن على بن محمد الأزدي الدوسي (١٠١هـ/١٠٤م-١٧٤هـ/٢١٥م) وأبو عمران السروي الزهراني (ت:٧٥٧هـ/٢٥٦م)(٢١١) والفقيه موسى القرشي(٢١١)،

ويحيى البجلي الذي أصله من بجيلة زهران من ضواحي مكة المكرمة، ويذكر عنه، أنه أقام بمكة يتعبد حتى ذاع صيته وتوفي سنة (٨٢٠هـــ/٢١٧م) (٢١٣).

#### ب \_ الحياة الأدبية في بلاد السراة:

ومعلوماتنا عن الحياة الأدبية عند السرويين ضئيلة للغاية، في ضوء أن المصادر الإسلامية المبكرة لاتسعفنا بمعلومات نتوصل عن طريقها للتعرف على مستوى الأدب والأدباء السرويين وبخاصة ما يتعلق بالشعر العربي الفصيح، أما ما يتصل بشعراء العامية وأشعارهم فمعلوماتنا عنهم تأتي بصورة أوضح وأكثر تفصيلاً، حيث نسمع بعض المقاطع من الشعر العامي يرددها الرواة في بلاد السراة، ويذكرون ألهم حفظوها وتناقلوها شفوياً وتنسب لشعراء عاميين كانوا يقطنون بلاد عسير خلال القرون الماضية (٢١٤).

كذلك شاعت الأمثال الشعبية والحكم، والكنايات العامية والقصص والحكايات، وتعد من أكثر الألوان الأدبية شيوعاً عند أهل السراة، ولاغرابة في ذلك، حيث يصاحبها الترويح والفكاهة علاوة على عدم التزامها بالقواعد اللغوية العربية وما تضفيه على سامعها ورواقا من أنس ومتعة (٢١٥).

أما شعراء الفصحى، فمعلوماتنا عنهم مستقاة من بعض المصادر المتأخرة زمنياً عن الفترة موضوع البحث  $(^{717})$ ، حيث حفظت لنا أسماء بعض الشعراء السرويين الذين عاشوا في العصور الإسلامية الوسيطة، كما ألحقت بتراجمهم نماذج من إنتاجهم الشعري، ومن أهم هؤلاء الشعراء : محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام (ت:  $^{717}$ )، ومحمد بن علي بن سعيد بن هشام  $^{717}$ ، ومحمد بن عبد الله اليزيدي  $^{717}$ ، وموسى بن محمد بن عبد الله اليزيدي  $^{717}$ ، وسدير بن عامر الوادعي

والدارس للقصائد الشعرية التي جادت بها قرائح هؤلاء الشعراء وأوردها أصحاب المصنفات السابقة، يلاحظ ألها تمتاز بالحبكة اللفظية الجيدة، وطريقة نظمها وصياغتها توحي للقارئ أن ناظمها شخص واحد (٢٧٤)، الأمر الذي جعل كثير من الدارسين المعاصرين يشككون فيها، مما يجعلنا نقترح بوضعها تحت الدراسة الأكاديمية الدقيقة للوقوف على قائلها الحقيقي أو مجموعة ناظميها، وإذا تأكدت مصداقيتها ونسبتها إلى هؤلاء الشعراء على اختلافهم، فقد يغير هذا الأمر من الرأي القائل بتواضع مستوى الحياة الأدبية في بلاد السراة، وتظهر دراسات ووجهات نظر جديدة تقول بخلاف ما طرحناه عن بساطة الحياة العلمية في تلك البلاد،

### جـ المصنفات والتآليف العلمية والأدبية لعلماء وأدباء وفقهاء السراة

أما من ناحية التدوين والتآليف في بلاد السراة، فقد عرف عند السرويين بعض الكتب والمدونات التي يرجع إليها طلبة العلم في بلادهم، وقد تكون تلك الكتب مجلوبة من الحجاز واليمن وهامة وغيرها، لكن العكوف على التآليف والتدوين فلانجد المصادر المبكرة تذكر لنا هذا الأمر صراحة، وربما عائد ذلك إلى عدم وجود من كان يقوم هذه المهام من الفقهاء والعلماء هذه البلاد ، بل أن تواضع الحياة العلمية والفكرية هذه المنطقة ربما كان سبباً رئيساً في عدم وجود علماء كبار يستطيعون البحث والتأليف في بعض العلوم والمعارف، ومع هذا فإننا نجد بعض المراجع والمؤلفات المتأخرة والتي ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) تذكر لنا العديد من المؤلفات التي يدعى أصحاها ألها من مدونات وتأليف بعض علماء

وأدباء بلاد السراة، مع ألها لم تذكر ولم يرد اسمها عند أصحاب المدونات ومؤلفات العصور الإسلامية الوسيطة ، ومن تلك المؤلفات مايلي :-

- النجوم اللوامع من مختصر التواريخ الجوامع، للمقداد الحرجي (٢٢٥).
  - ١ المذكرات في مختصر مسيرة أمراء عسير، لجعفر الحفظي (٢٢٦).
    - ٣ المروج الحسان في تراجم الأمراء والأعيان، للخنطلي(٢٢٧).
    - القول الجلي في تاريخ أمراء حلي ، لأبي شهاب الحربي (٢٢٨).
      - الوش المحبوك ، لزين العابدين بن إبراهيم (۲۲۹) .
- حلبقات العلماء ، للشيخ موسى بن جعفر الذي اختصر فيه " تراجم علماء منطقة عسير من بيشة حتى صعدة ، وكذلك الأفلاج، ووادي الدواسر، ونجران ، وتمامة عسير من الليث حتى ميدي (٢٣٠).

ومن عناوين هذه المؤلفات الآنفة الذكر نلاحظ: -

أن هذه المؤلفات ، ومن عناوينها، ندرك ألها تناقش قضايا تتعلق ببلاد السراة، وخاصة منطقة عسير خلال القرون الماضية المتأخرة، وفي اعتقادنا ألها لاترجع في تفصيلاتها إلى تاريخ بلاد السراة قبل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وهذا القول يأتي تحت مظلة الظن والاعتقاد، وخاصة إذا كانت هذه المراجع فعلاً قد دونت وظهرت تحت هذه المسميات لأننا لم نسمع عنها إلا في وقتنا الحاضر ولانجد مصادر مبكرة تذكرها، ولازلنا نجهل كل شيء عنها وعن محتوياتها لأنه لم يظهر لنا إلا عناوينها فقط، ولانستطيع الجزم بعدم وجودها ولكن أملنا كبير أن نراها تخرج إلى حيز الوجود فقد نجد فيها مادة علمية قيمة توضح لنا بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي تميط اللثام عن دور هذه المنطقة الحضاري في العصور الإسلامية

الوسيطة، والتي نعتقد ألها كانت فعلاً فقيرة في حيامًا العلمية حتى خيم عليها الإهمال والنسيان، وهذا مايؤكده أحد الدارسين المعاصرين عندما تحدث عن تاريخ بلاد الحجر من أرض السراة فقال " لعل سبب إهمال نسب وتاريخ رجال الحجر هو عدم بروز أحد أبناء تلك القبائل في قديم الزمان بالعلم الكثير والإطلاع الغزير الذي يؤهله إلى الكتابة عن أرضه ونسبه، وأن وجد منهم علماء في العصر الإسلامي لكن علمهم مقتصر على التفقه في الدين، وتوحيد رب العالمين، ونعم العلم هو، غير أنهم غفلوا عن تاريخهم وماضيهم، كما أن من يوجد منهم في أقطار المعمورة، فهم حجريون نسباً، ولا تهمهم صلتهم بأصولهم، وأرضهم لبعد المسافة بين السراة والأقطار التي نزحوا إليها كمصر ، والشام، والعراق، ولعلهم أخذوا بمنطوق الآية الكريمة { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } "(٢٣١) .

#### 

وخلاصة القول: إن بلاد هامة والسراة من خلال هذا العرض قد عاشت في الفترة موضوع الدراسة حياة لاتخلو من نشاط فكري متنوع وخاصة البلاد التهامية عمثلة في المخلاف السليماين، ومخلاف حلي بن يعقوب وأحوازه، وتأي مرتبة تلك البلاد العلمية في اعتقادنا تالية مباشرة للمراكز العلمية الحضارية في بلاد اليمن والحجاز، فقد ظهر بها عدد لابأس به من العلماء والأدباء وأرباب القلم هلوا مشعل الثقافة والتنوير في العصور الإسلامية الوسيطة، ودفعوا عن بلادهم الإهمال والنسيان الذي لحقهم، أما بلاد السراة فكانت مقارنة بتهامة تعيش حياة علمية وفكرية بسيطة متواضعة، رغم ما فطر عليه أهلها من بيان وفصاحة ويرجع ذلك لصعوبة تضاريسها الأمر الذي ساعد على انعزالها وتقوقعها على نفسها، فلم تشهد من التألق العلمي ما شهدته البلاد التهامية ه

#### والله من وراء القصد ٠٠٠

#### سادسا :الحواشي والتعليقات

- ١ مشاهدات الباحث وجولاته في هذه المنطقة خلال الثلاثين سنة الماضية كونه أحد أبنائها،
   فقد ولد ولازال يعيش فيها حتى الآن •
- للمزيد من التفصيلات انظر: عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للنشر، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) ص٧ ومابعدها؛ عبد الواحد محمد راغب دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الجزء الأول (العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية) (القاهرة: مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ص١٤١٠ ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١٠٠١-١٤٠٠هـ) ( جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٣٣ ومابعدها،
- ٣ انظر الحسن بن أحمد الهمداني و صفة جزيرة العرب و تحقيق محمد على الأكوع الحوالي (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧هم) ،
   ص ١٠٥ ومابعدها، حمد الجاسر و في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات و (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٢٩١م) ص٣٥٣ ومابعدها ومابعد
- المصادر والمراجع نفسها، ولمزيد من التفصيلات انظر: عاتق بن غيث البلادي، بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، ٤٠٤ هـ/ واليمن (رحلات ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس، "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ) عـدد (٣) السنة (١٩٥)، ص ٧٦ ومابعدها،
- انظر عاتق البلادي. بين مكة واليمن ، ص١٤ ومابعدها، وعن أهمية بلاد تمامة والسراة القتصادياً وتجارياً انظر : بحثنا الموسوم بـ " ملامح النشاط التجاري لبلاد تمامة والسراة في المعصور الإسلامية الوسيطة " تم تقديمه في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، في الفترة

الممتدة من (۲۵-۲۱/۸/۲۷ هـ /۲۱ مـ /۲۱ بوفمبر /۲۰۰۰ م)، وقد نشر هذا البحث ضمن أعمال تلك الندوة في كتاب تحت عنوان : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ "حصاد رقم (۸)" (۲۲۱ هـ / ۲۰۰۰م) ص۱۵۷ - ۲۲۲ .

لزيد من التوضيحات، انظر: أحمد بن عمر الزيلعي، الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض: مطابع الخالد، ١٤١٧هـ) ص٣٧ وما بعدها، وللمؤلف نفسه نقوش إسلامية من حمدانه بوادي عليب (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ١١ ومابعدها ؛ أبو محمد سعيد بن عوض آل رداد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، المسمى نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر ( جدة : مطابع التوفيق ، ١٤١٧هـ) ، ص ٤٥ ومابعدها ، بالإضافة إلى انطباعات ومشاهدات الباحث أثناء تجواله ورحلاته المتعددة في المنطقة موضوع الدراسة ه

لاشك أن بلاد تمامة والسراة، الأجزاء الواقعة بين مدن اليمن والحجاز الكبرى كانت من المواطن الهامة في فجر الإسلام، وذلك لما تتمتع به من موقع جغرافي إستراتيجي حيث تربط بين المراكز الحضارية الكبرى في كل من الحجاز واليمن، وكذلك كثافتها السكانية، حيث كانت من المناطق الهامة التي شارك أعداد كبيرة من رجالها في اعتناق الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ثم انخراطهم في ميادين الجهاد ومد الفتوحات الإسلامية في كل من بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس والعراق وبلاد فارس والهند والسند وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي آنذاك وإنا لنجد مصادر التاريخ الإسلامي المبكرة ملأى بأخبارهم ومشاركاقم في نواح عديدة خلال العهود الإسلامية المبكرة وللمزيد من التفصيلات انظر، محمد بن حبيب البغدادي و كتاب المنمق في أخبار قريش وللمزيد من التفصيلات انظر، محمد بن حبيب البغدادي ومابعدها، وللمؤلف نفسه والأكليل ومابعدها، الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٥٥٣ ومابعدها، وللمؤلف نفسه والأكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير و تحقيق عجب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، من أخبار اليمن وأنساب حمير و تحقيق عجب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، من أخبار اليمن وأنساب حمير و مابعدها و المدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، من أخبار اليمن وأنساب حمير و مابعدها و المدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، من أخبار اليمن وأنساب حمير و مابعدها و الكتب العلمية ، عمد وضوان عمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، عمد وضوان (بيروت : دار الكتب والميد و الكتب و الميرون و تور الكتب و الميرون و تور و الكتب و و الكتب و الميرون و الكتب و الميرون و تور و الكتب و و الكتب و الكتب و الميرون و الكتب و الكتب و و الكتب و الكتب و و الكتب و الكتب و الكتب و و الكت

ومابعدها، عز الدين أبو الحسن بن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، د ، ت) جـ٣، ص ٤١ -٤٣، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار سويدان، ١٣٨٧هـ/١٩٦٩م) جـ٢، ص ٢٣٠ ومابعدها، أحمد بن عبد ربه ، العقد الفريد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٠٤ هــ/١٩٨٣م) جـ٣، من عبد ربه ، العقد الفريد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٤٠٤ هــ/١٩٨٩م) جـ٣، للهمداني"، ص٢٧-١١، وللمؤلف نفسه ، " دور أهل تمامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " مجلة المدارة العدد (٤) السنة (٢٠) رجب الفتوحات الإسلامية المبكرة أي صدر الإسلام " عبلة المدارة العدد (٤) السنة (٢٠) رجب من السنة الثانية عشرة للهجرة " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مج (٣٨) سنة (١٩٩١م)، وللمؤلف نفسه ، "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، (أبحا مطابع مازن، ١٤١٣هـــ)، ص٣٤-٤٤ ،

- 9 وللمزيد من التفصيلات انظر كتابنا ، عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠) ص١٩ ومابعدها ،

ويذكر أن الطفيل بن عمرو كان زعيماً لقبيلة دوس، وكان رجلاً شريفاً يرتاد مكة المكرمة من وقت لآخر، كان أجداده على علاقة مصاهرة مع أبي سفيان بن حرب وزعماء آخرين من قريش، وفي إحدى المرات أثناء السنة الحادية عشرة من النبوة جاء إلى مكة فاستقبله أبو سفيان وبعض طغاة قريش فحذروه من مقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو السماع له، ولكنه لم يصغ لتحذيرهم وقال: "٠٠، إبي رجل لبيب شاعر، ما يخفي على الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل، ومايقول؟ فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته"، ثم ذهب لقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسمعه يتلو القرآن، فأعجبه ما سمع، وقال: "ما سمعت قط قولاً أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه "ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال للرسول (صلى الله عليه وسلم) ودعا له، وللمزيد من التفصيلات، انظر، محمد بن حبيب البغدادي، كتاب وسلم) ودعا له، وللمزيد من التفصيلات، انظر، محمد بن حبيب البغدادي، كتاب المنمق، ص١٩٩ ا - ٢١، ١٠، جمال الدين بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي ١٣٩٦هـ/١٩٩ م) جـ ١، ص٠٠ ٢ - ١٠٤، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ ٣٠، ص١٩٠٥ ه

ضماد الأزدي من أزد شنؤه بسراة عسير، جاء إلى مكة المكرمة وكان يعالج من مرض الجن، فاستقبله طغاة قريش وحذروه من مقابلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووصفوه بأنه ساحر مجنون ، فلم يسمع ضماد لما قالوا ، وقال: " • • • لو أين أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي" ثم لقيه (صلى الله عليه وسلم) فقال له : " • • • يامحمد إين أرقي من هذه الريح فهل لك • • • ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " فقال ضماد : " أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعاك على الإسلام" فبايعه و وللمزيد من المعلومات، انظر : ابن الحوزي، صفة الصفوة، جــ١، ص

- 1 1

- ٢٠٤ ومابعدها، صفي الرحمن المباركفوري الرحيق المختوم (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هــ/١٩٨٨م) ص١٣١-١٣٣٠ ٠
- ۱۳ وللمزيد من التفصيلات عن تلك الوفود، انظر: ابن سعد ، الطبقات، جــ١، ص٢٦٩- ٢٣٠، ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ٢٥٩ ، جـ٣، ص١٣٠- ٢٣١، الفيري، تاريخ ، جــ٣، ص١٣٠- ١٣١، محمد حميد الله ، عموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، عموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٣٠- ٢٩١ ، ٢٩١- ٢٩٠ ،
- وأهل قامة والسراة كانوا على صلات اجتماعية وتجارية مع أهل مكة المكرمة من قبل الإسلام ، واستمرت هذه العلاقات ونشطت بعد ظهور الإسلام ، وعلى طول العهود الإسلامية المختلفة ، وللمزيد من التفصيلات انظر: شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إم دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق إم دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، النشر غير معروفة) ص٩٩ ومابعدها، ناصر الدين خسرو القبادياني المروزي ، رحلة النشر غير معروفة) ص٩٩ ومابعدها، ناصر الدين خسرو القبادياني المروزي ، رحلة ناصر خسرو ، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي (الرياض، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود،٣٠٤ اهــ/١٩٨٣م) ص٩٢ ومابعدها،غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب جـــ٧-٨، السنة (٢٦) (١٤١٤هــ) ص٤٤٧-١٦١، وللمؤلف نفسه ، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جــ١، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م) ص٤١٩٥ ، وللمؤلف عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م) ص٤١-٥٥ ، وللمؤلف

- نفســه " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العــرب ، جـــ٩- ١٠ سنة (٢٧) الربيعان (١٤١٣هــ/١٩٩٢م) ص ٢٠٧-٣٢٣ ٠
- و10 وتذكر لنا بعض المصادر التاريخية حرص الكثير من الشخصيات الوافدة على الرسول الكريم على الاستماع إليه والأخذ عنه والشواهد كثيرة على ذلك فهذا فروة ابن مسيك المرادي يول على سعد بن عبادة بالمدينة وافداً على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان يحضر مجلسه ويتعلم القرآن وفرائض الإسلام، وقل مثل ذلك في ضماد الأزدي، وأبي موسى الأشعري، والطفيل بن عمرو الدوسي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وجرير بن عبد الله البجلي، وأبي ظبيان الغامدي، وأبي هرير الدوسي وغيرهم كثير، وللمزيد من التفصيلات انظر، الجاحظ، البيان والتبيين (طبعة بيروت)، جـ٣، ص ٢٦٤، البغدادي خزانة الأدب (طبعة بولاق)، جـ٤، ص ٢١، ابن سعد، الطبقات ،جـ١٠ البغدادي خزانة الأدب (طبعة بولاق)، جـ٤، ص ٢١، ابن سعد، الطبقات ،جـ١٠ ص ٣٣٢، وم ٣٣٢٠ ومابعدها،
  - ١٦- المصدر نفسها •
- -1۷ انظر ابن سعد الطبقات، جــ ۱ /ص ۳۵۲ ، غیثان بن علی بن جریس بلاد بنی شهر وبنی عمرو، ص ٤٤ •
- - ١٩- المرجعان نفسهما ٠
- ٢٠ ابن سعد، الجزء المطبوع في الهند، ١٠١، ابن سعد، الطبقات، جــ١، ص٣٣٨، ابن
   هشام ٠ السيرة جــ٤، ص٣٣٣-٢٣٤، محمد حميد الله ٠ مجموعة الوثائــــــق ٠
   ص٠٢٩٠، ٢٩٩٠ ٠
- ٢١ أي ذو الصورة والشكل الحسن، أو ذو الوقار و وتقول هئت للأمر إهي، هيئة ،وتميات قيواً، والهيئة ، الشارة و فيقال مثلا فلان حسن الهيئة و انظر ابن منظور، لسان العرب و فعل " هيأ " جـــ ١٥ ، ص ١٧٠ (طبعة بيروت) و

- ٢٤ وللمزيد من التفصيلات عن حياة جرير بن عبد الله البجلي انظر ۱۰ ابن الجوزي ، صفة الصفوة، جــ ۱، ص ٧٤٧ ومابعدها ١٠ ابن سعد، الطبقات، جــ ١، ص ٣٤٧ ومابعدها ٠
- وللاطلاع على تفصيلات أكثر عن حروب الردة في البلاد الممتدة من مكة المكرمة إلى صنعاء وصعدة في اليمن، والتي أطلقنا عليها اسم بلاد محامة والسراة، وكذلك الاطلاع على من لم يشارك في الارتداد بتلك البلاد، وقاموا بجهود طيبة في الدعوة والجهاد ضد المرتدين هناك ، انظر: الطبري، تاريخ، جـ٣، ص٢٣٧-٢٣٧، عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، تحقيق خليل شحادة وآخرين (بيروت: دار الفكر، ١٠٤١هـ/ ١٩٨١م) جـ٧، ص٣٩٨ علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٩م) جـ٣، ص٣٣٥، البلاذري، فتوح، ص (بيروت: دار الأندلس، ١٤٤١هـ/ ١٩٨٩م) جـ٣، ص٣٣٥، البلاذري، فتوح، ص جريس " بلاد تمامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " مـــــج جريس " بلاد تمامة والسراة منذ فجر الإسلام حتى السنة الثانية عشرة للهجرة " مــــج
- وللاطلاع على كثير من الروايات والأخبار في المصادر التاريخية المبكرة ، وعلى دور أهل قمامة والسراة في التعليم في صدر الإسلام، ثم المشاركة في الفتوحات الإسلامية الأولى في اليرموك والقادسية واجنادين ونحاوند وغيرها، انظر محمد بن عبد الله الأزدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة : مطابع سجل العرب، ١٩٦٩م) ص ومابعدها ، أبو عبد الله عمر الواقدي، فتوح الشام (بيروت : دار الجيل، د،ت) جــ١، ص٥ ومابعدها، أبو محمد أحمد بن أعثم، كتاب الفتوح، مصور من طبعة حيدر أباد بالهند (بيروت : دار الندوة، ١٩٨٨هـ/١٩٦٨م) جــ١، ص١٠٥ ومابعدها،

المسعودي و مروج الذهب، جــ  $^{8}$  ومابعدها، ابن خلدون، تاريخ، جــ  $^{8}$  و مابعدها ، غيثان بن جريس و " دور أهل قامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " مجلة الدارة ،  $^{8}$  ،  $^{8}$  ،  $^{8}$  .

ولزيد من التوضيح عن نسب وموطن وأعمال وأشعار عمرو بن معدي كرب الزبيدي، انظر الطبري، تاريخ جـ٣،ص٥٧، البلاذري، فتوح، ص٧٥، ابن أعثم، كتاب الفتوح، جـ١، ص٧٧ ومابعدها، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٤٣٠ ومابعدها، ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ١، ص٤٢١–٣١٩، محمد بن عبد الله بن قتيبة، الشعر والشعراء (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٩٩) ص ٥٤٧ - ٢٤١٠

- ۲۸ ابن عشم کتاب الفتوح، جت ۱، ص ۲۷۱
  - ٧٩ المصدر نفسه، جــ١، ص٧٧٦ •
  - ۳۰ المصدر نفسه، جــ١، ص٢٧٧٠
- ٣٩ وللمزيد من التفصيلات عن أولئك الرجال المشاهير يجب الاطلاع على كتب التراجم والطبقات، وخاصة المؤلفات المبكرة التي تم تأليفها في اليمن أو الحجاز أو بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، وفي العراق وبلاد فارس، وأغلبها متوفر في مكتباتنا العربية والإسلامية .

(١٤١٣هــ/١٩٩٢م) ص٨٦-٨٨، وللمؤلف نفسه، " علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس " مجلة المنهل"، العدد (٥٠٢) مج ٥٤ (١٤١٣هــ/١٩٩٣م) ص٨٢ ومابعدها وللمؤلف نفسه.

# The Social, Industrial and Commercial History of the Hegaz Under the Early Abbasids 132-323/749-847. Ph.D. Thesis Victoria University of Manchester (1987) pp. 87ff.

- و لم التفصيلات عن هجرة علماء اليمن وعلاقاقم مع أجزاء عديدة في العالم الإسلامي، انظر: عمر بن علي بن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد (بيروت: دار القلم (د،ت) ص٤ ومابعدها، محمد يجيى زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ٥٠٤ هـ /١٩٨٤م) ص٥٥ ومابعدها، محمد بن أحمد العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جازان: النادي الأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٨٤م) (جزءان الثاني والثالث)،
- ۳۲- انظر الشريف المرتضى، أمالي المرتضى (القاهرة: الحلبي، ١٩٥٤م) جــ١، ص٢٢٢٥ الحسن بن أحمد الهمدانــــي، الأكليل (بغداد: مطبعة دار الحرية، ١٩٧٧م) جــ١، ص٣٥-٣١، للمؤلف نفسه، صفة جزيرة العرب، ص٨٤، أحمد عبد الله السوعي، أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري (جدة: المطبعة العربيــة، ١٠٠٥هـــ/١٩٨٥م) جــ١، ص٢٢ ومابعدها،
  - ٣٥ الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٨٤ ٨٥ .
- ٣٦- ونجد في كثير من كتب التواث الإسلامي، وخاصة كتب الأدب والشعراء، أقوال وأشعار وروايات كثير من الشعراء الذين قدموا من بلاد تمامة والسراة إلى بعض المراكز الحضارية الكبرى في العالم الإسلامي، وإذا بحم يحنون إلى مواطنهم الأصلية ويتذكرونها فترد في قصائدهم ورواياتهم وأشعارهم، وللمزيد من التفصيلات انظر، أحمد عبد الله السومحي، أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري (جزءان)،
- ٣٧ لزيد من التفصيلات انظر: ديوان ابن الدمينه وتحقيق أحمد راتب النفاخ وتقديم ومراجعة محمود محمد شاكر (القاهرة: دار العروبة، ١٣٧٨هـ)، ص١٤ ومابعدها وأيضاً

- انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة و الشعر والشعراء (بيروت: دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ /١٩٥٧م)، ص٤٩٦-٩٣٤ للمزيد أيضاً انظر: " أخبار ابن الدمينة ونسبه "، كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (طبعة بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ /١٩٩٢م) ط٢، جـ٧١، ص٩٨-١١٢ ه
- ٣٨ معن بن زائدة الشيباني من رجال الدولتين لأموية والعباسية ومن أجود العرب، ومن القادة المذكورين بالبأس والنجدة، وكان فارساً شجاعاً انظر: الطبري تاريخ، جـــ٧، ص٥٠٥–٥٠٨
  - ٣٩ ديوان ابن الدمينه ، ص٣٩ •
- ٤٠ المصدر نفسه، ص٣٧، وله أشعار عديدة في كتاب الشعر والشعراء لإبن قتيبة، ص٩٤ المصدر نفسه، ص٣٧، ومابعدها وكذلك في كتاب الأغاني (طبعة بـــيروت، ١٤١٢هــ/١٩٩٢م) جـــ١١، ص٩٩ ومابعدها .
  - ۲۱ ديوان ابن الدمينة، ص٣٦ ، ٣٧ •
  - ٤٧ المصدر نفسه (جمع وتحقيق أحمد راتب النفاخ) •
- 93- انظر لمزيد عن أخبار هذا الشاعر: الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٦م)، جـ٧، ص١٦٨ ،١٩٦١ ١٦٦، أحمد بن محمد الشامي، قصة الأدب في اليمن (بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة، ١٩٦٥م)، ص
- ولد الشاعر بن أبان الخنفري بصعدة في خلافة الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) سنة خمسين للهجرة ، ونشأ بما ، يعود نسبه إلى يعرب بن قحطان ، للمزيد انظر :
   أحمد الشامي قصة الأدب في اليمن، ص٧٥٧ ومابعدها ،
- - ٤٦ المصادر نفسها ٠

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- - ٥٠ المصادر نفسها ٥
- انظر: شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (بيروت: عالم الكتب، تاريخ النشر غير معروف)، جــ ١، ص ٤٦، كما انظر: " جعفر بن علبة الحارثي" جمع ودراسة شودافي علام، ص ٣٥٧ و مابعدها •
- ۱۳ ما الأغاني، جــ ۱۳، ص ٤٦، " جعفر بن علبة الحارثي " جمع ودراسة، شودافي علام، ص الأغاني، جــ ٣٥٦ ، ص ٣٥٦ ،
- ١٤٥- الأغاني، جــ ١٣٠، ص٤٥، ٥٦ . " جعفر بن علبة الحارثي " جمع ودراسة ، شودافي علام ، ص ٣٦٩-٣٧٠ .
- - ٥٦ " جعفر بن علبة الحارثي " جمع شودافي علام، ص١٨٨٠ .

النيد من التفصيلات عن الشاعر العجير السلولي، انظر: - محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء • قراءة وشرح محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدين، تاريخ النشر بدون) جـــ ٢٠٥٣ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٥ ، وهناك روايات تقول : أن العجير السلولي عاش في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد عبد الملك للنك التفصيلات عن أخبار هذا الشاعر ونسبه، انظر: - كتاب الأغايي (طبعة بيروت)، التفصيلات عن أخبار هذا الشاعر ونسبه، انظر: - كتاب الأغايي (طبعة بيروت)، المحمد ال

٥٨ - المصدر نفسه، ص٤٧ ومابعدها •

-4.

٥٩ - انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٧٧٧ - ٢٧٩ .

المصدر نفسه، ص ٢٧٩ ، والمتتبع والدارس للألفاظ واللهجات في يومنا الحالي بشبه الجزيرة العربية ، يجد أن بلاد السراة الممتدة من صنعاء في اليمن إلى الطائف في الحجاز لإزالت من أنقى اللهجات القريبة أو النابعة من اللغة العربية الصحيحة، مع العلم ألها في الآونة الأخيرة بدأت تضعف وتتقهقر إلى الوراء، والأسباب لذلك كثيرة من أهمها : اختلاط أهل البلاد بعناصر عديدة وافدة من بلدان إسلامية وغير إسلامية، وكثير منهم لا يعرفون العربية فيبدأ سكان البلاد بتكسير لغاقم ولهجاقم حتى يفهم منهم أولئك الوافدون وبالتالي صارت تتأثر لهجات أهل البلاد بتأثيرات سلبية وخطيرة على اللغة العربية ، أيضاً تدين مستوى تدريس اللغة العربية في المدارس وذلك ناتج عن عدم وجود المدرسين الأكفاء الملمين بعلوم اللغة، ومن المؤسف حقاً أنا قد نشاهد كثيراً من المعلمين المنتخرجين في الجامعات، وبعضهم يحمل مؤهلات عالية، ومنهم من تخصصه اللغة العربية لايفقهون في أصول اللغة العربية شيئاً، وإن تحدثوا أو خطبوا لاحظت اللحن في حديثهم شائعاً وإن حضرت لدرس معلم في مدرسة، أو مخاضرة أستاذ في جامعة وجدته يتحدث بلغة بعيدة عن القصحى ، وأحياناً تكون بلهجة البلد الذي جاء منه سواء كان من داخل الملكة العربية السعودية أو من خارجها،

71- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٧٨-٣٨٤، وأيضاً انظر: تفصيلات أكثر في مقالة عبد الله الناصر الوهيبي "تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية" بحث مقدم في الندوة

#### ملامح الحياة العلمية فى بلاد تعامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- 77- انظر: الهمداين ، صفة جزيرة العرب، ٣٨١-٣٨١، غيثان بن علي بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداين، ص٧٦-١١١ ٠
- ٣٦٠ شمس الدين محمد السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت:
   منشورات دار مكتبة الحياة، د٠ت) جــ١، ص١٢٥.
  - ٦٥- المصدر نفسه،
- 77- عبد الله بن على النعمان الضمدي. العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني ، لازال مخطوط، وتوجد صورة منه لدى الباحث، بدون رقم ، جـــ١، ص السليماني ، لازال مخطوط، وتوجد صورة منه لدى الباحث، بدون رقم ، جــ١، ص
  - ٣٠- السخاوي، الضوء اللامع، جــــ، ص ٥٠
  - ٣٨ النعمان الضمدي، العقيق اليماني، جـــ ٢، ص ١٤٨، أبو داهش، أهل تمامة ، ص ١٨٨ .
    - ٦٩ النعمان الضمدي، العقيق اليماني، جــ ٢، ص١٤٨٠
      - ٧٠ المصدر نفسه، جــ٧، ص١٦٥، ١٦٦٠
      - ٧١ العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٥ .
    - ٧٧ المرجع نفسه ، ص ٦٠١، أبو داهش ، أهل تمامة، ص١٨٨٠ ٠
      - ٧٣ النعمان الضمدي، العقيق، جـــ ٢، ص ١٨٠ ه

- ٧٤ العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٦ .
- - ٧٦- العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٠٦ .
    - ٧٧ المصدر نفسه ، ص١٠٦،١٠٠ ٠
      - ۷۸ المرجع نفسه ، ص۱۰۷ .
      - ٧٩ المرجع نفسه ، ص١٠٨٠ .
- ٨٠ المرجع نفسه، أبو داهش، أهل قمامة ، ص١٨٥
  - ٨١ ١ النعمان الضمدي ، العقيق ، جــ ١ ، ص١٣٩ .
    - ٨٢ العقيلي ، أضواء على الأدب ، ص ١٣٢ •
  - - ٨٤ العقيلي ، أضواء على الأدب ، ص١٣٣٠ .
      - ۸۵ المرجع نفسه ، ص ۱۳۶ **-**
      - ٨٦ المرجع نفسه ، ص ١٣٥ ه
- ٨٧ العقيلي ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، جــ ١ ، ص ٣٥٦ .
- ٨٩ عمد العقيلي " آل شافع في صبيا "مجلة العرب ، جــ١، س٧ (رجب، ١٣٩٢هــ)، ص
  - ٤٨، أبو داهش، أهل قامة ، ص ١٩٠٠
    - ٩٠ المراجع نفسها٠
    - ٩١ المراجع نفسها ه
- 97- الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات تحت رقم (١٣٣٤)، ص ١١، وللمزيد انظر:أبو
  - داهش، أهل قامة ، ص ١٩٢٠
  - 99- عاكش، عقود الدرر، ص١٢٠
    - ٩٤ المصدر نفسه،
  - 9 النعمان الضمدي، العقيق، جـ٣، ص٣٠٨ •

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ٩٦ المصدر نفسه ٠
- 9V محمد بن علي بن عمر " لامية ابن عمر الضمدي في الاستسقاء" تحقيق عبد الله أبو داهش، ص٩٠ ٠
  - ۹۸ ابو داهش ، أهل قامة ، ص ۱۹۲ ه
  - ٩٩ النعمان الضمدي ، العقيق ، جـــ ، ص ٢٣٣، ٢٣٤
    - - ١٠١ المصدر نفسه •
      - ١٠٢ المصدر نفسه،
- ٥٠١- لزيد من التفصيلات انظر، عبد الرحن بن أحمد البهكلي، نفح العود في سيرة دولة الشريف حود" تحقيق محمدالعقيلي (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيـــــز (رقم الشريف حود" محادالعقيلي (الرياض: مطبوعات دارة الملك عبد العزيــــز (رقم ١٩٨٧)، ص ٨٧٠)
- ۱۰۱-۷-۱- النعمان الضمدي، العقيق، جـ۲، ص٢٣٣، محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، نسخة مصورة عن مطابع السعادة بمصــر (١٣٤٨هـــ/١٩٢٩م) جــ١،ص٢٨٤، محمد العقيلي، التاريخ الأدبي في جازان، جــ١، ص٢٥٤، ص٢٥٩، ابو داهش، أهل قامة، ص١٩٥٠.
  - ١٠٨- المصادر والمراجع نفسها ٠

- ١٠٩ انظر لمزيد من المعلومات تقي الدين محمد الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين تحقيق فؤاد سيد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٦هـ/١٩٨٦م)، جــ ٦، ص٢١٧، أبو داهش، أهل تمامة، ص١٩٦٠ •
- ١١- علي بن الحسن الخزرجي كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (مصر: مطابع الهلال، ١٣٢٩هـ/١٩١م) جـ١، ص ٢١٦
  - ١١١ النعمان الضمدي، العقيق، جـ١، ص٧٠
  - ١١٣ السخاوي، الضوء اللامع، جــ١، ص٢٧٢ •
- 110- انظر، أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، طبقات الحواص :- أهل الصدق والإخلاص (بيروت : دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيــع ، ٢٠١هــ/١٩٨٦م)، ص٢٠٢،
- 117 أحمد عمر الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي " حوليات كلية التحريب المولية (٣) (٣٩) (٣٩)، ص٣٦ ٠ الآداب جامعة الكويت، الحولية (٣) رسالة (٣٩) (٣٩)، ص٣٦ ٠
  - ١١٧ الشرجي، طبقات الخواص، ص١٩٨، أبو داهش، أهل قمامة، ص٢١٨
    - ١١٨ المصدر نفسه،
- 119 عبد الله بن سعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة المعتبر من حوادث الزمان و (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ / ١٩٨٢م) جــ٤ ، ٣١١
  - ١٢٠ المصدر نفسه، جــ٤، ٣١٤ ه
  - ١٢١ المصدر نفسه، أبو داهش، أهل قامة، ص١٦٩ .

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ۱۲۲ الشرجي، طبقات الخواص، ص۲۰۱، ۲۰۲، أحمد الزيلعي "المواقع الإسلامية ٠٠٠" ص٢٢ . ٣٦٠٠
- - ١٢٤ الزيلعي، " المواقع الإسلامية ٠٠٠ ، ص٠٤ ٠
    - 140- المرجع نفسه.
- ۱۲۲ العقيلي، التاريخ الأدبي، جــ ١، ص٣٥٥ ، انظر أيضاً : أبو داهش، أهل تمامـــــة ، ص ١٢٦ .
  - ١٢٧ السمعاني، الأنساب، جـ٧، ص٧٩ ، ٨٠، أبو داهش، أهل قامة ، ص٢٢١ •
- ۱۲۸ محمد بن عبد الله بن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار القاهرة: مطابع وادي النيل، ۱۲۸۷ هـ ۱ ۱۸۷۰ م)، ص۱٤۸ •

- ۱۳۲ محمد بن مسلط الوصال البشري، تاريخ عسير في رسالة إبراهيم بن زين العابدين الحفظي (د٠٠: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٩٠
- ۱۳۳- عمارة بن علي اليمني، تاريخ اليمن المسمى:- المفيد في أخبار صنعاء وزبيد. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (د٠ت: ١٣٩٩هــ/١٩٧٩م)، ص٢٧٥، ٢٧٥٠
  - ١٣٤ العقيلي، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، جــ١، ص٣٩
    - ١٣٥- المرجع نفسه، جــ١، ص٤٥٠

- ١٣٦ الفاسي، العقد الثمين، جــ، ص٣٦٢
  - ١٣٧ أبو داهش، أهل قامة، ص ٢٤٩٠
- ۱۳۸ عمد أحمد العقيلي تاريخ المخلاف السليماني ، الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤٠٢هـ ١٤٠٢ ٢٠٦٠ ٢٠٠٠
- 1۳۹ علي بن الحسن الخزرجي كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة: مطابع الهلال، ١٣٢٩هــ ١٩١١م) ، جــ ٢، ص٣٨؛ الفاسي، العقد الثمين، جــ ٢، ص ٣٨، الفاسي، العقيلي، التاريخ الأدبي، جــ ١، ص ٢٧٤، أبو داهش، أهل قامة، ص ٢٧٦ •
- ١٤٠ عبد الله بن محمد الحبشي. " من شعراء ضمد في كتاب مطلع البدور" مجلة العرب، جلة العرب، معبان/٩٠ عدم ١٤٠٩، ص ٨٣ ومابعدها.
- 111 علي بن محمد أبو زيد الحازمي · من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد · (جدة : مطابع دار البلاد، 1118هـــ/١٩٩٣م) ، ص ٣٠٠ •
- 187 حسن إبراهيم الفقيه ، مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ ١٩٩٧م)، ص٦٤ . وعشم قرية شامي قامة فيمايلي الجبل بناحية الأحسبة ،
- ۱٤٣ ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت:دار صادر ، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م) ، جـــ، ص١٤٠ ، انظر أيضاً ، حسن الفقيه، مخلاف عشم، ص٧٧ .
  - ٣٤٠ ياقوت الحموي ، معجم ، جـــ ٢ ، ص٣٤ .
    - 1 ٤٥ اليافعي، مرآة الجنان، جــ ٤،ص ٣٦١ •
  - ١٤٦ المصدر نفسه، وللمزيد من التفصيلات انظـر أبو داهش، أهل قامة، ص٥٤٥ .
- 18۷- اليافعي، مرآة الجنان، جـــ، ص ٣٢٦ وللمزيد من التفصيلات عن اشعار الطواشي انظر: أحمد الزيلعي " المواقع الإسلامية ٥٠٠، ص ٣٨٠
  - ١٩٧٠ العقيلي، التاريخ الأدبي، جــ١، ص١٩٧٠.

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- 119 ابن حجر، إنباء الغمر • ، جـ٧، ص ٩١، السخاوي، الضوء اللامع، جـ١١ ، ص ١٤٩ ابن حجر، إنباء الغمر • ، جـ٧، ص ١٥٧ ، العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص ١٩٧، أبو داهش، أهل تمامة، ص ٣٤٣ •
- - ١٥١ العقيلي، التاريخ الأدبي، جـ١، ص١٩٨، أبو داهش، أهل تمامــة، ص٣٤٨٠.
  - - ١٥٣ النعمان الضمدي، العقيق، جـــ ٢، ص١٥٤ ه

    - ١٥٦ عاكش، عقود الدرر، ص٢٦، أبو داهش، أهل تمامة، ص٢٠٢٠
      - ١٥٧ العقيلي، أضواء على الأدب، ص١٣٣٠
        - 10*٨ ا*لمرجع نفسه ٠
- ١٦٠ لزيد من التفصيلات انظر، محمد بن علي بن عمر " لامية ابن عمر الضمدي • "، ص ٨، أبو داهش، أهل قامة، ص ٢ ٣ •
- (رمضان وشوال/ ١٤١٤هـــ)، ص ٢٠٩ النمازي حياته ومؤلفاته " مجلة العرب، جــ٣-٤ (سنة/٢٩)
  - ١٦٢ العقيلي، التاريخ الأدبي، جــ ١، ص ٢١٣
    - 177- المرجع نفسه، جــ١، ص٢١٤٠
    - 178- المرجع نفسه، جــ١، ص ٢١٥٠

- 170- المرجع نفسه·
- 177- من يستقرىء الحياة العلمية الفكرية في شبه الجزيرة العربية خلال القرون الماضية المتأخرة يجد أن الوثائق تعكس أسماء عدد كبير من طلبة العلم الذين ذهبوا إلى مواطن عديدة بحدف طلب العلم، وبعد الانتهاء من رحلاقهم يعودون إلى أوطاقهم لتعليم الناس وتنويرهم في أمور دينهم، وهذا الأمر لايختلف عن منهج علماء المسلمين عبر العصور الإسلامية ، فكانوا في ذهاب وآياب لمثل هذا الهدف الشريف،
  - ١٦٧ العقيلي، أضواء على الأدب، ص ١٣٤٠
    - ١٦٨- المرجع نفسه ٥
  - ١٦٩ الشوكاني، البدر الطالع، جــ١، ص٣٩٨ •
  - ١٧٠ على أبو زيد الحازمي " من رجال العلم في القرن العاشر الهجري"، ص١٩٠.
    - ۱۷۱ أبو داهش، أهل قامة ، ص ۲۱ ۰
- الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد.
   تحقيق عبد الله محمد الحبشي (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني د٠٠٠/د٠ت)،
   محمد الحبشي (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني د٠٠٠/د٠ت).
- 91٧٣ ونلاحظ استمرار ذلك إلى العديد من البيوتات والأسر الرفيعة في هذه البلاد، وكذلك البلدان اليمانية، حيث يتوارثون هذه المصادر والمخطوطات التراثية حتى يومنا هذا، مشاهدات وإنطباعات الباحث خلال العقدين الماضية،
- 1 الجغرافيا على هذا الطريق عدة مسميات منها: طريق السلطان أو الجادة السلطانية، أو طريق الحج، ١٠٠ خ، هذه الأسماء، والتي وردت في كتب التاريخ علاوة على كتب الجغرافيا والرحلات، وظهرت بصفة خاصة عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل، لزيد من التفصيلات انظر بحثنا الذي تم تقديمه ونشره في ندوة اتحاد المؤرخين العرب المنعقدة بالقاهرة في الفترة الممتدة مسن (٢٥- ٢١/٨/٢٧) هسـ/٢ ٢٣/ نوفمبر/ المنعقدة بالقاهرة في الفترة الممتدة مسن (٢٥- ٢١/٨/٢٧) وصفها الرحالة الجغرافيون

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- المسلمون الأوائل • مجلة المؤرخ العربي عدد (٢) مج (١) (١٩٩٤م)، ص ٧٣ ومابعدها •
- ۱۷۵ انظر غيثان بن جريس، عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (۱۱۰۰ ۱۷۵ مرابعدها، مرابعدها، مرابعدها،
- - ١٧٧ وهذه الأجزاء تأتى إلى الجنوب من بلدة الطائف •
- ۱۷۸ محمد بن محمد بن فهد. إتحاف الوري بأخبار أم القرى. تحقيق عبد الكريم على بــــاز، ( مكة المكرمة : مطابع شركة مكة للطباعة والنشــر، ۱٤۰۸هــ/۱۹۸۸م)،جـــ ، ص ١٤٠٠ .
- 9 \ 1 \ 9 و الزيد من التفصيلات انظر ، غيثان بن علي بن جريس، " أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية " مجلة العرب، جــ٩-٠١، س(٢٦) (الربيعان/ ١٤١٧هــ/١٩٩١م) ، ص٤٩٥-، ٢١؛ هاشم بن سعيد النعمي، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة مابيــــن (١٢١٥-ا١٢١٥) العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة مابيـــن (١٢١٥-١٢٥) من ١٤١٥هـــ) ، ص ١٩ومابعدها،
  - ١٨٠- المراجع نفسها ٥
- ١٨١ يقتني الباحث العديد من المخطوطات والوثائق التي يعود تاريخها إلى ما قبل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وقد حصل عليها من بعض الأسر العلمية الموجودة في بلاد تمامة والسراة، والتي كان البعص من أجدادهم الأوائل يعدون من طبقة الأدباء والعلماء في هذه المنطقة المعنية بالدراسة .
  - ١٨٢- المصدر نفسه،
- 1۸۳ من واقع المشاهدات العينية للباحث أثناء تجواله بالعديد من البلاد السروية خلال العقدين الماضيين .

116- للمزيد انظر" ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ٠٠٠ "، ١٣٥٠ ومابعدها؛ وللمؤلف نفسه" بلاد هماه والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"، ص٧٤ ومابعدها، كما انظر بحث المؤلف نفسه والموسوم " ملامح النشاط التجاري لبلاد همة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة" ٠

١٨٥- المراجع نفسها ٠

١٨٦- المراجع نفسها ٠

١٨٧- المراجع نفسها ٠

۱۸۸ - ابن جریس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزیرة العرب للهمداني"، ص۸۰ ومابعدها ه

- ١٨٩ وورد ذكرها عند بعض الرحالة والمؤرخين وحددوا موقعها مابين الحجاز وصعدة، ووصفها البعض بقولهم ألها بلدة عامر في بلاد شريف من سنحان من أرض قحطان، وقد استقر بها عدد من العلماء الوافدين من الحجاز واليمن، كما استطرد أحد الباحثين المعاصرين فذكر أنه كان بها قلعة لمبني رسول اسمها القاهرة، وقد دمرها العسيريون أثناء اصطدامهم مع قوات بني رسول في النصف الثاني من القرن السابع (الثالث عشر الميلادي) انظر د ( القاهرة: مطابع الحلبي، ١٣٦٥هــ/١٩٥٥م)، ص٥٥ و ويتحدث باحث أناظر د ( القاهرة: مطابع الحلبي، ١٣٦٥هــ/١٩٤٥م)، ص٥٥ و ويتحدث باحث تحر عن بلده الحرجه، فيذكر أنه كانت قصبة منطقة قحطان في الماضي، وهي مدينة عريقة لها تاريخ حافل بأهل العلم ، وبرز فيها عدد من العلماء منهم المقداد الحرجي صاحب كتاب " النجوم اللوامع في مختصر التاريخ والجوامع" وهو من علماء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي" و انظر : أحمد بن حسن بن عبد الله النعمي و عسير في مذكرات سليمان الكمائي ( القاهرة: المطابع الحديثة، د٠ت)، ص ١٥٥ ١٥ ولزيد من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطسة من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطسة من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطسة و من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطسة و من التفصيلات، انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطسة و من التفصيلات الكمائي ( إلى القاهرة المالة الأدبي / ٢٤١هـــ/ ١٠٥٠) و المعرف المعرف

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ١٩٠ لمزيد من التفصيلات عن هذه المراكز ، انظر : الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٠ ، وما بعدها ، الوصال البشري ، تاريخ عسير ، ص ٢٧ وما بعدها ، ابن جريس ، بلاد بني شهر وبني عمر خلال القرنين ١٤/١٣ هـ. ، ص ١٦ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب ، • " ، ص ٨١ وما بعدها ، كما انظر : بحث المؤلف نفسه " ملامح النشاط التجاري لبلاد قمامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " والمنشور ضمن أعمال ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام ١٤٢١هـ/ ، • ٢٩) ص ١٥٧ ٢٢٢ ،
  - ١٩١- المصادر والمراجع نفسها ٠
- 797- مشاهدات الباحث وتنقلاته في أرجاء بلاد قامة والسراة خلال الثلاثة عقود الماضية جعلته يلاحظ العدد الكبير من الآثار والنقوش والرسوم المتناثرة في أجزاء هذه البلاد، وهو ينادي من خلال هذه الدراسة أقسام الآثار والمؤسسات المتخصصة في المملكة العربية السعودية إلى النهوض والعمل الجاد على دراسة هذه الآثار في هذا الجزء موضوع الدراسة ، وكذلك في أجزاء عديدة من المملكة العربية السعودية، وخاصة المناطق المنسية كبلاد قمامة والسراة، وإننا نشكر وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف التي بدأت تحصر مواقع الآثار في جميع أنحاء المملكة، ونرجو لها التوفيق حتى تبدأ في المرحلة الفعلية لتكوين فرق عمل تقوم بالتنقيب ثم الدراسة لجميع هذه الآثار التي تقوم بحصرها وتصنيفها الآن،
- 197 من المعروف أن هذه الروايات الشفهية والأخبار المنقولة قد لاتكون دقيقة في معلوماتها، الخراد ألها أحياناً لاتقوم على ثوابت وبراهين علمية، وخاصة إذا كانت منقولة عن العامة ولكن تواترها واستمرارها يشير إلى قدم هذه المراكز عما يجعلنا لانستبعد تواجد بعض ملامع النشاط الفكري بما خلال الفترة موضوع الدراسة .
  - 191 انظر ابن جبیر، الرحلة ، ص ۱۱۱، وللمزید من التفصیلات انظر غیثان بن جریس "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسیط" مجلة العرب، جــ (-9-1) (-1/2) الربیعان/ -1/2 (-1/2)، -1/2 ومابعدها، وللمؤلف نفسه •

- ۱۹۵ ابن بطوطة الرحلة (تحقيق علي المنتصر الكناني/ يبروت: مؤسسةالرسالة ، ۱۶۰۵هــ/ ۱۹۵ ۱۹۵ ۱۹۸ ۱۹۸ ۱۹
  - ١٩٦- ابن جبير، الوحلة ، ص١١٢
    - 19٧- المصدر نفسه، ص١١٣٠
      - ١٩٨ المصدر نفسه ٠
  - ١٩٩ الفاسي، العقد الثمين، جــ ١، ص ١٥، أبو داهش، أهل السراة، ص٥٦ ومابعدها •
- ٢٠٠ لزيد من التفصيلات انظر: نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د٠ت) ، ص٣٧ ومابعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص١٩٩٨ ومابعدها؟
- ١٠١ مفرح بن أحمد مسيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين : القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم على العياني متحقيق رضوان السيد وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : دار المنتخب للدراسات والنشر والتوزيع، ١٦٣ هــ ١٩٩٣م)، ص١٦٠ .
- ۲۰۲ انظر محمد محمد زيارة ، ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، دوت) جـــ ۲، ص۵۷ ، أبو داهش، أهل السراق، ص١٥٧ ومابعدها .

  - ٢٠٤- السخاوي، الضوء اللامع، جـــ٧، ص١٨٣ •
- ٠٠٥- انظر: محي الدين عبد القادر العيدروسي، تاريخ النور السافر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م).

#### ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

- ۲۰۲ الشرجي، طبقات الخواص، ص۱۹۲ ۰
  - ۲۰۷ المصدر نفسه، ۳۳۹ ۰
- ۲۰۸ عبد الرحمن البهكلي ، نفح العود، ص۱۳۱ ٠
- ۲۰۹ انظر أحمد بن القنفذ و آخرين الف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي (الرباط، د٠ن،
   ۱۳۹٦هـــ/۱۹۷۹م) ص٩٩
  - ٢١ الفاسي، العقد الثمين ، جـ ٢٠، ص ٢٤٦ •
  - ٢١١ المصدر نفسه، جـ٧، ص ٢٠١١، أبو داهش، أهل السراة، ص٧٥١ .
- ٣١٧ انظر السخاوي، الضوء اللامع، جــ ١٠٠، ص١٨٨ ، الشرجي، طبقات الحواص، ص ٣٤٧، أبو داهش.، أهل السواة، ص١٥٧ .
- ٣٠١ حد الجاسر" مع الموسوي المكي في رحلته (٨) مجلة الفيصل عدد (٢٣٠) س(٣٠)
   (شعبان/١٤١هـ)، ص٣٦، أبو داهش، أهل السراة، ص١٥٧ .
- ٢١٤ أثناء تجوال الباحث في بلاد تهامة والسراة خلال ثلاثة العقود المنصرمة استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من الوثائق والمخطوطات من ضمن هذه المدونات قصائد شعرية عامية يعود تاريخ بعضها إلى القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، وقد نجرى عليها بعض التحقيقات ونخرجها في المستقبل (إن شاء الله) .
- ٢١٥ أيضاً من ضمن الوثائق التي في حوزتنا عدد لاباس به يعكس بعض الألوان الأدبية العامية مثل: القصص الشعبية ، والترف والفكاهة، والأمثال الشعبية والكنايات العامية التي كانت متداولة بين أهل السراة وكذلك أهل قامة خلال القرون الماضية المتأخرة .
- ٢١٦ من أمثلة هذه المصادر والتي عاش أغلب مدونيها في القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي) كتاب: تاريخ عسير في رسالة إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي المؤلفه محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري، وكتاب: امتاع السامر بتكملة متعة

الناظر، لشعيب الدوسري، وكتاب : عسير في مذكرات سليمان الكمالي، لأحمد بن حسن النعمي وغيرها •

۲۱۷ - أحمد النعمى، عسير، ص۲۸ •

۲۱۸ – المرجع نفسه، ص۱۷ ۰

٢١٩ - المرجع نفسه، ص ٣٦ ٠

٠ ٢ ٢ - الوصال البشري، تاريخ عسير ، ص٣٩

۲۲۱ - أحمد النعمي، عسير، ص ١٥٠

٢٢٢ - شعيب الدوسري، إمتاع السامر، ص٢٥، ٣٤ •

٣٢٣ - المرجع نفسه ، ص ٣٩ ومابعدها •

٤٢٢ - المراجع نفسها التي وردت في الهوامش السابقة رقم (٢١٧ –٢٢٣).

حمر غرامة العمروي. قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام. (منشورات نادي أبحا
 الأدبي، ١١٤١١هــ/١٩٩١م)، جــ١، ص٦٤.

٢٢٦- المرجع نفسه.

۲۲۷- المرجع نفسه.

۲۲۸ المرجع نفسه.

۲۲۹ الوصال البشري، تاريخ عسير، ص۲۱، ۲۲ •

• ٢٣٠ المرجع نفسه، ص٣٣، ولمزيد من التفصيلات انظر : أبو داهش، أهل السراة ، ص ١٦٠ ومابعدها •

۲۳۱ سورة الحجرات، آية (۱۳)، ولمزيد من التفصيلات انظر آل رداد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، ص ۷۸، ۷۹ .



### الدراسة الثامنــة:

ملامح النشاط التجاريُ لبلاد تهامة والســـــراة فيُ العصور الإرسلامية الوسيطة <sup>\*</sup>

إعداد

# أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ بقسم العلوم الاجتماعية كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية جامعة الملك خالد

(\*) هذه الدراسة قدمت في ندوة ( إنحاد المؤرخين العرب ) بالقاهرة ، والتي عقدت خلال الفترة من ( ٢٥ – ٢٧/شـعبان/ ٢١ ٤ هـ الموافق ٢١ – ٢٣/نوفمبر / ٠٠٠ ٢م) ، وقد نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الأبحاث التي قدمت في تلك الندوة ضمن كتاب : " طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ " حصاد رقم (٨) (٢١١ هـ/ ١٠٠٠م) ص ١٥٧ .

### محتويات الدراسة الثامنة

### ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة

الصفحات	الموضوع	السلسل
***	تمهيد	: <b>Ž</b> 9Ì
<b>71-77</b>	الموقع الجغرافي لبلاد تمامة والسراة	ثانيــاً:
<b>767-767</b>	اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري	ثثث :
<b>717-71</b>	التجارة ومقوماتما في أرض تمامة والسراة	: العبال
771-754	الطرق التجارية	خامســـاً :
<b>*19-*17</b>	أهم المراكز التجارية في قمامة والسراة	سادساً :
***-**	الأسواق	سانعـاً :
<b>***</b>	الحسبة والمحتسب	ثامناً:
<b>4</b> 44-449	الصادرات والواردات	تاسعاً:
<b>٣٩ ٣ . . . . . . . . . .</b>	المعاملات التجارية	عاشراً :
<b>44</b> £- <b>44</b> •	معوقات التجارة	الحادي عشر
<b>٣٩٦-٣٩</b> 0	الحاتمة	الثاني عشر
£77-79V	الحواشي والتعليقات	الثالث عشر

# أولاً : مَلْهُ يَكُن :

أحيطت بلاد تمامة والسراة من جهامًا الأربع بحدود جغرافية متنوعة ، فالبحر الأحمر يحدها من الغرب ، وصحارى وسط الجزيرة العربية من الشرق، والبلاد السعيدة، أرض اليمن ، من الجنوب ، ومكة المكرمة والطائف من الشمال ، ولهذا فهى ترتبط بعدة مناطق لها أهميتها التاريخية والحضارية ، علاوة على ثروامًا البشرية والطبيعية، وعلى الرغم من هذا نجد ذكرها في المصادر المتقدمة قليلاً وأحياناً يكاد يكون نادراً ؛ لأن بدايات التدوين كانت منصبة على كبريات الحواضر الإسلامية في العالم الإسلامي، فكان حديثهم عن شبه الجزيرة العربية منصباً على مدن الحجاز واليمن والبحرين واليمامة وغيرها من المدن الكبرى، وهكذا بقيت بلاد تمامة والسراة وغيرها من مثيلاهًا في طي النسيان ، ولهذا فإن البحث التاريخي الحضاري في جانب من جوانب من مثيلاهًا في طي النسية يكاد يكون صعباً ، إن لم يكن شائكاً ، وذلك لقلة المعلومات عنها ،

واختيارنا لهذا الموضوع " ملامح النشاط المتجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة " ، يعود إلى أهميته وجدته في الوقت نفسه ، ثم إلى أهمية هذه البلاد اقتصادياً وتجارياً ، وسوف نركز على عدد من العناصر لاستجلاء الحقيقة التاريخية التي توضح أهمية هذه المنطقة ، فنبدأ بأهمية الموقع الجغرافي ، ثم اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري في هذه البلاد مع الإشارة إلى بعض المقومات الأساسية لنجاح التجارة بها، وبعد ذلك نتجه إلى الحديث عن الحياة التجارية وما يتعلق بها ، فنوضح الطرق التجارية الهامة ، والأسواق التي كانت منتشرة بهذه البلاد ، مع الإشارة إلى أهم صادراتها ووارداتها، وما يمكن ذكره من سير التعامل التجاري في هذه المنطقة ، والمشاكل التي كانت تعترض هذا النشاط ،

وأرجو من الله العلي القدير أن أوفق إلى الإتيان بجديد في هذه الدراسة ، وأن أفتح الباب للباحثين الراغبين في استكمال ما لم أستطع الوفاء به ، أو تصحيح ما قد أقع فيه من أخطاء •

#### ثانياً: الموقع الجغرافي لبلاد تهامة والسراة :ـ

بلاد تمامة والسراة ، التي نقصدها في هذه الدراسة ، هي المنطقة الواقعة بين الميمن جنوباً ، والحجاز شمالاً ، وهذه المنطقة لا تشمل كل أرض تمامة والسراة المشار إليها في بعض كتب التراث ، والتي تجعلها تمتد شمالاً إلى المدينة المنورة، أو بلاد الشام ، وجنوباً إلى حواضر اليمن الكبرى، أما هذه الدراسة فسوف تركز على واسطة العقد، أي قلب ذلك الإقليم ووسطه،

أما بلاد قامة ، فهي تلك الأراضي المنخفضة بين ساحل البحر الأحمر وبين جبال السروات ، وهناك عدد من المصادر اللغوية ، والجغرافية والتاريخية المبكرة أشارت إلى أن العرب أطلقوا على جبال السراة حجازاً، لأنما حجزت بين الأغوار التهامية ، وهي هابطة، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف تلك الجبال في غربيه إلى أسياف البحر، الغور ، أو أغوار قامة (١) ،

كذلك هي أرض واسعة طولها أكبر من عرضها، حيث تأتي في الوسط بين ساحل البحر الأحمر من الغرب، وسفوح جبال السروات من الشرق، أما في الطول فقد تمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى بلاد عدن جنوباً ، ولكن ينبغي الإشارة إلى أننا لن نتعمق في الدراسة عن تمامة اليمن، وإنما سوف نقصر حديثنا جنوباً إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان الحالية) ، وشمالاً إلى الأطراف الجنوبية لمنطقة مكة المكرمة، وهي منطقة سادها بعض الغموض والنسيان خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، رغم أنه كان يقطنها كثير من العشائر والقبائل المتعددة ، التي كان لها دور في تاريخ

المنطقة، وقد أشار ابن حبيب ، والهمداني ، وناصر خسرو ، وابن المجاور وغيرهم إلى بعض تلك العشائر والقبائل، مع ذكر بعض من مواطنهم ومراكزهم الحضارية (٢) ، ومن تلك المراكز الكبرى في العصور الوسطى، بلدان المخلاف السليماني ، وهي : من الشرجة (الموسم حالياً) جنوباً إلى حلي بن يعقوب شمالاً ، ثم يأتي بعدها في الشمال مبلاد السرين ، وعشم ، والليث ، والقنفذة، ويلملم ، وهذه المواطن تشمل قرى وأحوازاً ومخاليف عديدة (٣) ، ويأتي إلى الداخل من أرض قمامة، وعلى مقربة من سفوح جبال السروات ، من الجنوب إلى الشمال، صبيا وبيش ، ودرب بني شعبة ، ورجال ألمع ، وبارق ، وخاط ، والمجاردة ، وقمامة غامد وزهران وغيرها مراكز حضارية عديدة (١) ،

وعن بلاد السراة ، فسراة الشيء في اللغة أعلاه ، وظهره ، ووسطه ، ويذكر عن أرض السراة ، ألها سلسلة الجبال المتصلة المشرفة على عرفة ، والتي تمتد جنوباً إلى حواضر اليمن " ويشير بعض الجغرافيين المسلمين الأوائل إلى أن تلك الجبال الممتدة من حواضر الحجاز الكبرى إلى حواضر اليمن يطلق عليها جبال السروات ، وربحا أطلق عليها الحجاز " ويبدو أن حدود جبال السروات ، أو الحجاز ، صارت مثار جدل واختلاف عند الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل، والذي يهمنا في هذه الدراسة، أن بلاد السراة المعنية هنا، والمتقابلة مع الأجزاء التهامية آنفة الذكر، عرفت باسم أرض السروات ، ومفردها سراة ، لأن هذه المنطقة يوجد بها سروات كثيرة ، ومن أشهرها : - سراة الطائف، يليها نحو الجنوب سراة فهم وعدوان ، ثم سراة بني سعد وبلحارث، ثم سراة الحجر ( قبائل بني عمرو ، وبني شهر ، وبللسمر ، وبللحمر)، يليها سراة عسير ، التي كان يطلق عليها قديماً ( سراة عتر ) ، ثم سراة قحطان ، وتعرف قديماً بسراة (جنب) ، وتمتد أطرافها الجنوبية إلى بلاد نجران "

وهذه السروات يسكنها كثير من القبائل والعشائر والأفخاذ، ولازالت تنسب كل سراة إلى العشيرة التي تقطنها ، وإن كان معظم سكان تلك السروات يسكنون في المرتفعات أو السروات التي تفصل بين الأجزاء التهامية والنجدية ، غير أن بعض الأفخاذ والعشائر كانت ترحل عن موطنها في السروات، وتتزل الأغوار التهامية في الغرب، أو الأجزاء النجدية في الشرق (^) .

وقد ضمت بلاد قامة والسراة العديد من الظواهر التضاريسية ، والأقاليم المناخية ، فالأغوار التهامية يغلب على أرضها الاستواء، لكنها لاتخلو من الجبال والهضاب والأودية الصغيرة والكبيرة ، أما بلاد السراة فيظهر بما الجبال الشاهقة والمتوسطة الارتفاع ، إلى جانب الهضاب والوهاد المتفاوتة الارتفاع ، ويظهر على قمم جبال السراة ألها تنحدر بشكل كبير تجاه الغرب ، وعند سفوحها الغربية يقل الإنحدار تدريجياً حتى تتصل بالسهول التهامية، أما انحدارها نحو الشرق فيظهر عليه التدرج نحو المضاب الشرقية ، ومن جبال السروات يظهر العديد من الأودية المنحدر بعضها نحو الشرق، وبعضها الآخر نحو الغرب، ومن أهم الأودية المنحدرة نحو الشرق ، أودية المناف مثل : – وادي وج ، وادي ليه ، وادي السر، يليها إلى الجنوب وادي تربة ، شم وادي رنية ، فوادي بيشة ، ثم وادي تثليث ، وغيرها أودية عديدة في بلاد قحطان ونجران (٩) ،

أما الأودية الغورية المتجهة من مرتفعات السراة تجاه الغرب ، فمنها إلى الشمال نحو الجنوب المتجهة، وادي نعمان حول مكة المكرمة، ثم وادي ملكان ، وواديا أدام ويلملم ، ثم وادي الليث ، ثم أودية أخرى تأخذ مياهها من سراة غامد وزهران وخثعم مثل : وادي الشواق، ثم أودية دوقة ، وقرماء ، والأحسبة ، ثم وادي حلي ، وبعض روافد هذا الوادي تأتي من سراة الحجر ، ثم وادي عتود الذي

يسيل من بلاد قحطان ( سراة جنب) ، ثم وادي بيض، فوادي بيش ، وأخيراً واديا صبيا وجازان (١٠٠) •

ويبدو على مناخ تمامة والسراة ، أنه ممطر في أغلب فترات العام ، وتكون الحرارة شديدة صيفاً معتدلة شتاء ، وخاصة في الأجزاء التهامية ، أما الجبال السروية ، فالحرارة معتدلة نسبياً في الصيف، شديدة البرودة في الشتاء وهذا التنوع في المناخ والتضاريس أثر على حياة السكان ، فكثير منهم كانوا يشتغلون بالرعي ، والصيد ، والجمع والالتقاط، وخاصة أهل البوادي ، وبعض ممن كان يعمل بالرعي كان أيضاً يعمل بالزراعة ، ومن يدقق النظر في بلاد تمامة والسراة يجد أن الأراضي الزراعية كثيرة بها، مع توفر المقومات الأساسية للحياة الزراعية أيضاً (١١) ، أما الصناعات والحرف التقليدية والتجارية فكانت توجد بكثرة في المراكز والتجمعات السكانية الكبيرة ، كما أن أهل البوادي والأرياف كانوا لايخلون من ممارسة هذه المهن من أجل سد حاجاتهم الذاتية (١١) ،

ومعظم سكان قامة والسراة من القبائل العربية القحطانية ، إلا ألهم أيضاً يختلطون بعشائر وقبائل عربية عدنانية ، وإلى جانب العرب كان يعيش في هذه البلاد عديد من العناصر الأخرى مثل : – العبيد وجلهم من قارة أفريقية ، وكذلك الموالي الفرس ، والأتراك، ومعظم أعمالهم كانت في المراكز الحضارية الكبرى مثل : – نجران ، وجرش ، وبيشة ، والطائف، والمخلاف السليماني ( جازان ) وحلي وغيرها ، وغالباً ما كان يعملون في الزراعة، والحرف الصناعية التقليدية، والتجارة (١٣٠) ،

### ثَالثاً: إهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري:

تأثر تاريخ وأحوال شبه الجزيرة العربية بتاريخ الدولة الإسلامية منذ ظهور الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحتى الدولة العثمانية في بداية العصر الحديث، وكان هذا التأثير يتفاوت من المدن الكبرى إلى المراكز والقرى والمواطن الصغرى، وبلاد تمامة والسراة تعد من المواقع الصغيرة إذا ما قارناها بحواضر الحجاز أو اليمن أو البحرين، ومعظم حكام العالم الإسلامي، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة، كانوا يولون الحواضر الكبرى أهمية كبيرة من الناحية السياسية والحضارية، وتأتي الحجاز، وخاصة المدن المقدسة في مقدمة تلك الحواضر التي كانت محل اهتمامات الحلفاء والأمراء آنذاك، ويعد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم الخلفاء الراشدون من بعده (رضي الله عنهم)، من أوائل من اهتم بالحجاز ثم اليمن ، فلو تابعنا سير أحداث التاريخ ، وانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية لوجدنا أن سكان اليمن ، وسكان تمامة والسراة كانوا في مقدمة من اعتنق الإسلام، وقبائل الأوس والخزرج الأزدية ، ثم من جاء بعدهم من قبائل تمامة والسراة في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأكبر دليل على ذلك (١٠)،

وفي عهد الخلفاء الراشدين نجد كثيراً من سكان قامة والسراة ، يتركون بلادهم ، ويشاركون في حركة الفتوحات الإسلامية (١٥٠) ، ولم يحدث هذا إلا بالعناية التي أولاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون من بعده لأهل قامة والسراة ، وكثير من الرسائل التي كان يبعثها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدون إلى بعض الصحابة في أرض قامة والسراة، أو إلى بعض شيوخ القبائل والعشائر هناك، ويوضح لهم فيها ما يجب عليهم تجاه أنفسهم وأهليهم والناس (١٦٠) ،

واستمرت أرض الحجاز على أهميتها لحلفاء الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية، فبحكم قرب مكة المكرمة والطائف لبلاد هامة والسراة، وكذلك موقعها بين الحجاز واليمن، فقد حظيت ببعض الاهتمام السياسي والحضاري من خلفاء بني أمية، والحلفاء الأول من بني العباس ، حيث كانوا يرسلون من قبلهم إلى بلاد هامة والسراة، وكذلك إلى اليمن والحجاز من يتولى الإمارة ويرسى قواعد الأمن بها ، وغالباً ما كان والي مكة المكرمة يتولى الإمارة على أرض هامة والسراة فيرسل من قبله العمال على مناطق عديدة بها مثل: – نجران ، وجرش ، وتبالة ، وبيشة ، وتربة ، وحلي ، وعشم ، والسرين ، وضنكان، والمخلاف السليماني وغيرها(١٠٠)، وكان أولئك العمال يتعاونون مع أعيان وشيوخ القبائل من أجل استقرار الأمن ، وحماية الطرق والأسواق وأعراض وممتلكات المواطنين (١٥٠).

وتشير المصادر إلى مظاهر اهتمام الخلفاء والحكام عبر حقب التاريخ الإسلامي بالطرق التجارية المارة بأنحاء شبه الجزيرة العربية ، لاسيما جنوبها الغربي ، لكونها تخدم أغراضاً مختلفة ومتعددة يأتي على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج اليماني عبر أرض قامة والسراة ، وسير الجيوش من موقع إلى آخر للدفاع عن المدن والحصون، وتيسير وصول البريد من العاصمة إلى الولاة والنواب والعمال في المدن المختلفة بهذه الأرجاء، وأيضاً حرصاً على خدمة التجارة سواء الداخلية منها أو الخارجية ( $^{(1)}$ ), ومن بين هذه الاهتمامات ، عناية الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ( $^{(1)}$ ) ومن الموالي والعبيد الملك ( $^{(1)}$ ) ببلاد السراة ، فكان يرسل بعض ولاته ومعهم أعداد من الموالي والعبيد لحراسة وحفظ مواطن المعادن في بيشة وما حولها  $^{(1)}$ )، كما كان يرسل رجال الحسبة للحفاظ على حركة التجارة بالأسواق المنتشرة في أرض السراة  $^{(1)}$ )، إلى جانب جمعهم زكاة المال التي كانت ترسل لبيت مال المسلمين  $^{(1)}$ ) كذلك تشير مصادر أخرى إلى اهتمام الخليفة المهدي العباسي  $^{(1)}$  العباسي العباسي المهامية العدي العباسي العباسي العبارة المهامية المهدي العباسي العباسي العبارة المهامية المهدي العباسي العباسي العبارة المهامية المهدي العباسي العباسي العباسي المهامية المهدي العباسي العباسي العباسي المهامية المهدي العباسي العباسي العباسي العباسي العباسي العباسي العباسي المهامية المهدي العباسي المهامية المهدي العباسي العباسي العباسي العباسي العباسية العباس العباس المبارة العباس ال

والسروية ، وخاصة الطرق التجارية المارة بها إلى اليمن ، فيذكر عنه أنه أمر بحماية وإصلاح الطريق الشرقي الذي يخرج من الطائف إلى صعدة عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة ، كما أمر بوضع محطات للبريد وعماله على تلك الطريق ، وسعى إلى بناء وإصلاح المحطات التجارية الواقعة على الطريق الواصل من صنعاء عبر الطائف إلى مكة المكرمة ومنها إلى بغداد حاضرة بنى العباس (٢٣).

وتورد عدد من المصادر أن الاهتمام ببلاد هامة والسراة لم يقتصر على خلفاء بني أمية وبني العباس وإنما امتد هذا الاهتمام أيضاً إلى صغار الأمراء وعبيد وموالي الخلفاء، حيث نجد ذكراً لخالصة مولاة الخليفة المهدي التي كانت تقتني دوراً وعيوناً ومزارع في الطائف، وتربة ، وبيشة بأرض السراة (٢٤) • ولعل الخليفة المهدى قد اهتم بأرض السراة لأن زوجته الخيزران قدمت في الأساس من تلك البلاد ، فتذكر بعض الروايات ألها بيعت في أسواق جرش ( عسير حالياً) ، ثم أخذت إلى مكة المكرمة، وأخيراً استقر بما المقام في بغداد لتصبح زوجة للمهدي ، وينجب منها الخليفتين الهادي (۱۹۹-۱۷۰هـ/ ۵۸۷-۷۸۹م)، والرشيد (۱۷۰-۹۳هـ/۷۸۲-۸۰۸م)<sup>(۲۵)</sup>۰ كما نلاحظ أيضاً اهتمامات كل من الخليفة الرشيد ، وولده الخليفة المأمون (١٩٨-١٨ ٢هـ / ٨١٣ - ٨١٣م) ببلاد قامة والسراة ، حيث حرصا على بعث ولاقما إليها وإلى بلاد اليمن كي يجبوا زكواهًا، ويحافظوا على أسواقها، وعلى ضبط الأمن كما(٢٠٠٠ . واستمر أمراء البرامكة على منهج خلفاء وأمراء بني العباس ، من حيث الاهتمام بتلك المناطق ، فكانوا يرتادونها ويقتنون ببعض مراكزها الحضارية الدرر والبساتين ، حتى إننا وجدنا بعض كتب التراث أطلقت أسماء بعض رجالات البرامكة على بعض المواقع في مكة ، والطائف ، وبيشة ، ونجران، وصعدة ، وصنعاء(٢٧)، وهذا مما يدل على أن أرض السراة كانت موضع اهتمام عند خلفاء وأمراء بني العباس الأول(٢٨). وتواكب مع ضعف الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي) أن ضعفت سيطرقها على الحجاز ، وعلى بقية شبه الجزيرة العربية ، وأصبح أمراء الأشراف يتولون مقاليد الأمور في الحجاز ( مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والطائف) ، وأحياناً يمدون نفوذهم على أرض قامة والسراة ، وفي غالب الأحيان كان حكم هذه البلاد بيد شيوخ القبائل الذين كان الواحد منهم يمثل دولة مستقلة ،

وقد ذكر ذلك كل من الرحالتين ناصر خسرو وابن المجاور، فعند حديث ناصر خسرو عن بعض المراكز الحضارية الواقعة بتهامة والسراة مثل: - نجران ، وبيشة وغيرها، أشار إلى أن بمذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادي شاسعة ثم قال :- " ••• وفي كل بادية حاكم مستبد لايخضع لأية سلطة مركزية "(٢١)، أما ابن الجاور فيذكر تعدد القرى في أرض هامة والسراة، ثم يقول :- " ••• ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها ، كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولايخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم "(٠٣)، ويتضح لنا من هذه الأقوال أن البنية الاجتماعية في بلاد تمامة والسراة ، خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، كانت تعتمد على القبيلة التي تعد الوحدة الرئيسة في المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة هو السيد الحاكم الذي لاينازعه أحد في سلطانه ، وهو الذي يعلن الحرب، وهو الذي يطفئها مع المشائخ الآخرين(٣١) . ولهذا فشيوخ القبائل في بلاد تمامة والسراة، وفي غيرها من شبه الجزيرة العربية كانوا حتى بداية القرن العشرين يمثلون قوة عظمى على أفراد قبائلهم ، فهم أصحاب الحل والعقد فيهم ، ولهذا فمسؤولية هؤلاء الشيوخ تمتد إلى كل مجالات الحياة في القبيلة ، فهم يسعون للحفاظ على أمن قبائلهم، وعلى سير الحياة الاجتماعية والاقتصادية لديهم. وهذا النفوذ الذي كانت تتمتع به القبائل ومشائخها، خلال العهود الإسلامية الوسيطة ، يؤكد على ضعف نفوذ الخلافة المركزية وتدهور اهتماماتها ببلاد هامة والسراة، أما طبقات الأشراف بمكة المكرمة فكانوا على صلة بأهل هامة

والسراة ، حتى إن بعضهم كانوا يمتلكون الدور والعقار والمزارع في مواطن مختلفة هناك، بل كانوا أيضاً على علاقة مصاهرة مع بعض مشائخ القبائل التهامية والسروية ، ومثل هذه الصلات كانت ذات فائدة عظمى لهؤلاء الأشراف، لاسيما عند اندلاع الحرب بينهم على منصب الإمارة في مكة المكرمة والطائف ، فلا يتورع بعضهم من الإستجارة بأهل قمامة أو السراة ، أو طلب النجدة العسكرية من أصهارهم هناك (٣٢).

# رابعاً: التجارة ومقوماتها في أرض تهامة والسراة

لاشك أن بلاد تهامة والسراة قد حباها الله بمقومات طبيعية وبشرية ساعدت على قيام نشاط تجاري متنام ومزدهر كها خلال الحقبة الوسيطة من عصر الإسلام، ومن أبرز المقومات الطبيعية مايلي :-

- أ موقع بلاد قامة والسراة الذي يربط بين منطقتي اليمن والحجاز ، وهاتان المنطقتان، كما أشارت بعض كتب التراث الإسلامي ، من أفضل مناطق شبه الجزيرة العربية ، لتميز موقعها ، وكثرة خيراتها وسلعها ، وتجارب سكافها التجارية (٣٣٠)، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى ذكر رحلات أهل مكة في الشتاء والصيف، وأن بلاد اليمن كانت إحدى الجهات الرئيسة التي كان القرشيون يذهبون إليها لممارسة تجاراتهم منذ عهود ما قبل الإسلام (٤٠٠)، ومن المؤكد أن أرض قامة والسراة كانت حلقة الوصل التي يسلكها القرشيون في ذهابهم إلى اليمن (٥٠٠)،
- ب اتساع بلاد قامة والسراة في الجهات الأربع ، وإطلالها من الغرب على البحر الأحمر، ومن الشرق على صحارى نجد ، ثم تنوع تضاريسها ، والظروف المناخية بها، جعلها تتنوع في نشاطاقها البشرية، وفي مواردها وخيراقها الطبيعية والاقتصادية، وهذا مما أدى إلى ازدهار الحياة التجارية بها(٢٦).

ج - توفر وسائل النقل لدى سكان هذه البلاد ، حيث كانت الجمال وسيلة النقل الرئيسة لديهم ، كما كان الحال في بلاد العرب، ومن ثم ازدهرت أهمية الجمال على إلها إحدى وسائل النقل عند سكان السراة ، والسهول التهامية القريبة من شاطىء البحر الأحمر، فكانوا يحرصون على اقتناء الجمل كي يستخدموه في نقل بضائعهم، ومحاصيلهم الزراعية، وأمتعتهم الأخرى، ولوحظ أن البوادي عند سفوح جبال السراة من الشرق كانوا أكثر من يمتلك الجمال ، فربما اقتنى الرجل الواحد منهم المائة والمائتين والخمسمائة والألف من الإبل ، وإلى جانب الجمال وجدت الحمير والبغال التي كانت تستخدم لنقل البضائع والأغراض الخفيفة، الإضافة إلى ركوبها في التنقل من مكان لآخر (٣٧) هكان لاخر (٣٧) همكان لاخر وسلم المنابع والأغراض الخفيفة والإضافة إلى ركوبها في التنقل من

أما المقومات البشرية فتتركز في قوة ، وعزم الرجال ، وهما صفتان مميزتان لرجال تقامة والسراة ، علاوة على قوة صبرهم وتحملهم وقناعتهم ، مما جعلهم يحرصون على كسب أرزاقهم من كدهم ، ومما أنعم الله عليهم من خيرات شتى علاوة على مهارقم الفائقة في التجارة، وما يتصل بها من نشاطات سواء على مستوى المواطن التي عاشوا فيها، أو على مستوى المدن ، فازدهرت تجارقم الداخلية منها والخارجيه فيها،

### خامساً: الطرق التجارية:

توافرت لبلاد تمامة والسراة عدد من طرق التجارة البرية والبحرية ، ومن دراستنا لهذه الطرق، يمكن القول بأن الطرق البرية لبلاد تمامة والسراة اشتملت على طرق داخلية وأخرى خارجية ،

فالطرق الداخلية هي التي تربط أجزاء البلاد الداخلية بعضها ببعض ، وهي كثيرة جداً ، فلم تكد تخلو مدينة أو قرية من طرق تربط بعضها ببعض ، كما لاتوجد قبيلة أو عشيرة أو حتى مترل إلا ويربطه طريق، وأحياناً طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى ومن يتجول في بلاد تهامة والسراة ، ويلاحظ القرى القديمة ، وموارد المياه ، ومواطن الرعي ، أو الأراضي الزراعية، يجد آثار كثير من الطرق القديمة التي كانت تستخدم سواء لمرور الناس ، أو لمرور المواشي والحيوانات عليها ، كما سيشاهد طرقاً أخرى تربط أماكن التجمعات السكانية بالأسواق الأسبوعية ، وتربط أيضاً الأجزاء السروية بالأراضي التهامية الغربية ، أو البوادي الشرقية ، ويظهر على تلك الطرق صعوبة المسالك، وذلك لصعوبة التضاريس ، وبخاصة في المتحدرات الغربية لجبال السروات ، حيث يوجد هناك كثير من العقبات التي يسلكها أهل البلاد في ذهاجم وإياجم بين تهامة والسراة (٢٩) .

أما الطرق الخارجية ، فهي تلك الطرق التي تربط أجزاء تهامة والسراة بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية ، ومن أهم تلك الطرق :- الطريق الواصلة بين الحجاز واليمن عبر أرض تهامة والسراة ، وأهمها :-

المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات ، وهذا الطريق كان مستخدماً المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات ، وهذا الطريق كان مستخدماً قبل الإسلام، فيذكر أن أبرهة الحبشي الذي خرج من اليمن إلى الحجاز عام (٧١هم) ، مجدف هدم الكعبة ، اتخذه طريقاً له (٢٠٠٠)، كما سلكه من قبله تبان أسعد أبي كرب الملك الحميري الذي تروي كتب التاريخ القديمة خبر وصوله إلى المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) والسالك لهذا الطريق لازال يلاحظ آثار الإصلاحات القديمة بادية عليه كتذليل عقباته ، وتبليط الخشن من أرضه ، ورصف بعض مجاري الأودية التي

تعترضه ، حيث جرت عادة الحكام منذ القدم ، وطوال العصور الإسلامية الوسيطة، على تعمير الطرق وتعبيدها ، وإرساء بعض مظاهر العمران بين كل محطة وأخرى ، تتمثل في إقامة الاستراحات والمساجد للمصلين ، وآبار لمياه الشرب ، وذلك ضماناً لأمن وراحة المسافرين عبرها، وتوفيراً للأغراض التي قد يحتاجها المسافر أثناء سفره عبر تلك الطرق والدروب(٢٠) ،

كما يلاحظ أيضاً وجود قبور بعض الذين سلكوا هذا الطريق وتوفوا ودفنوا عليه ، ويستدل من النقوش الموجودة على هذه القبور أن هؤلاء المتوفين كانوا ينتمون إلى عصور مختلفة ، فبعضهم توفوا في الجاهلية ، وبعضهم في العصر الإسلامي ، كما لازلنا نسمع السكان المقيمين حول تلك الطريق ينعتولها بـ ( درب الفيل )، وأحياناً بـ (درب أسعد الكامل) (٤٣) ،

ومنذ ظهور الإسلام ، نجد أنّ هذا الطريق أصبح من الطرق الرئيسة ، حيث نشطت الرحلة عبره في العصور الإسلامية الأولى ، فكان يسلكه الصحابة (رضوان الله عليهم) وهم ذاهبون آيبون من الحجاز إلى اليمن (ئن) ، كما كان يسلكه الحجاج والتجار وطلبة العلم، وبخاصة إبان فتريّ الحكم الأموى والعباسي ، بدليل ورود ذكره كثيراً في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل، من أمثال : – ابن حرداذبة (فئ) وقدامة (تئ) والحربي (لأن) واليعقوبي (ألك) والهمداني (أف) والمقدسي (أف) والإدريسي (أف) ووقدامة (تئ) والحربي السماء أغلب المحطات التجارية المهمة الواقعة بين صعدة والطائف في الأجزاء السروية، والتي تمر بحا قوافل الحج والتجارة ، مما يشير إلى كثرة السنخدامها ، ولعل ذلك كان بحكم الصلة الوثيقة التي ربطت بين ولاة اليمن والخلافة العباسية ببغداد ، ولاسيما في عصر القوة، ونعني به العصر العباسي الأول (٢٥) وقد العباسية ببغداد ، ولاسيما في عصر القوة، ونعني به العصر العباسي الأول (٢٥) وقد على هذا الطريق ، والسبب الذي جعلنا نعتمد على الهمداني دون غيره من المصادر على هذا الطريق ، والسبب الذي جعلنا نعتمد على الهمداني دون غيره من المصادر

السابق ذكرها، والتي أشارت إلى هذا الطريق، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقد ولد وعاش أغلب حياته في بلاد اليمن ، ثم إنه سافر عدة مرات من حواضر اليمن إلى حواضر الحجاز ، بل كانت مهنته في شبابه جمالاً يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن ، فمن ثم كانت له معرفة جيدة بأحوال ومحطات وأطوال الطريق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن، والمارة ببلاد السراة ، إلى جانب أنه الجغرافي الوحيد الذي رسم لنا طول الطريق الجبلي الذي يأتي من صنعاء إلى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا في عداد المنصفين إذا اعتمدنا على كتابه : — صفة جزيرة العرب، في ذكر محطات هذا الطريق (٢٥) ، مع العلم أننا لن ننسى ما ذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التي كانت على هذه الطريق ،

أما طريق الساحل فلم يشر الهمداني فيه إلى المسافات بين المحطات ، وإنما ذكر الطريق القادم من مدن اليمن الكبرى حتى بلد حكم في جازان ، ثم إلى الهجر، فعثر ، فبيض، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلي ؛ فالجو ، فالجوينية ، فقنونا ، ثم دوقة ، فالسرين ، فالمعجر، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة (٥٥) .

ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة، والإدريسي ، عن الطريق السروية التي تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوباً ، والتي كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها الجيوش في أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية، بل كان يستخدمها التجار وموظفو الدولة ، كالأمراء والقضاة، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم، ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التي كانت على طول الطريق، فابن خرداذبة أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر ألهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشيء الكثير ، وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالي حيث يقول :

إذا شئت غنتني بأجزاع بيشة إلى النخل من تثليث أو من ييمبما٠

وواصل حديثه عن الجسداء وذات حرب ، وسروم راح التي أطلق عليها الهمداين سروم الفيض ، والتي تقع إلى الشرق بثمانية أميال من جرش ، فذكر تعدد الآبار بها، وأشار إلى أنها محطات تحتوي على قرى وسكان من عشائر مختلفة (٢٥٠).

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التي ذكرها الهمداني ، وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقلل المحدد « ومن الفتق إلى تربة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي ، ومن تربة إلى صفر ، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ، وفيه ماء عذب من بنرين، ومن صفر إلى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل، وهي في بطن واد كثير النخل، ومن كرى إلى رئية ، منزل في صحراء ، ونخل وعين عظيمة عنبة ، والعمران حولها ، ومن رئية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون من عيون وآبار، مضرية قيسية ، ومن بيشة إلى الجسداء ، قرية عظيمة منزل أعراب من قيس ، ومن جسداء إلى بنات حرب قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، أعراب من قيس ، ومن جسداء إلى بنات حرب قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ،

وحوله أعراب من خثعم وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلاً ، ومنه إلى كثبة قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار في صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثبة إلى الثجة موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زبيد، وحوله أعرابهم ، ومن الثجة إلى سروم راح ، وهي قرية عظيمة في صحراء فيها عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ، ومن سروم راح إلى عيون كثيرة الكروم، فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ، ومن سروم راح إلى الهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل، وفيما بينها وبين سروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهي شجرة تشبه الغرب ومن المهجرة إلى العرقة وهي أول عمل اليمن، وهي إلى عمل صعدة (هم المداني ، وابن حسدة (هم الله والمداني ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التي قبل كانت الحد بين الحجاز واليمن، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتي تبالة وبيشة ، كانت الحد بين الحجاز واليمن، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتي تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ومزارع ، ثم يقول :— « وهي صغيرة في منخفض فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ومزارع ، ثم يقول :— « وهي صغيرة في منخفض أكمة » ، أما بيشة فهي أيضاً مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وكما ماء ونخل كثير (٥٩) ،

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها: - الطريق الحبلي بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترقاً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولاً ، ويسير من عدن إلى ذمار، وصنعاء ، وصعدة ، وبيشة ، ومنها إلى الطائف ، • • إلح (١٦٠) • كذلك أطلق عليها طريق السلطان ، أو الجادة السلطانية، لكولها الطريق الرئيس الذي كان محل اهتمامات خلفاء المسلمين الأول ، وبخاصة في العصر العباسي الأول ، حيث دأبت الجيوش ورجالات الدولة ، وكذلك طلاب العلم ، وقوافل التجارة على عبوره في أسفارهم إلى الحجاز وغيرها (١١) •

وإلى الغرب من الطريق السابقة ، وعبر بلاد السراة ، يأيي طريق آخر ،
 وتخرج من بلاد قحطان (سراة جنب) ، ثم أجزاء من شهران وعسير شمالاً
 (عنلاف جرش قديماً)(۱۲) ، ثم سراة الحجر ، فسراة غامد وزهران حتى

تصل الطائف ومكة المكرمة في الحجاز (١٣) ، وهذه الطريق تأتى عبر قمم جبال السروات ، ويطلق عليها سكان السروات " طريق الحجاج" أو "محمل الجبال" ، ويشير إليها أحد الدارسين المعاصرين فيذكر أن هذه الطريق تعد من حلقات الاتصال بين اليمن والسراة ثم الحجاز في قديم الزمان وحديثه ، ثم يقول :- " ••• وأنا أذكر جحافل هذا الطريق مسلكاً ، وأعرف أن بعضه كان ولايزال مرصوفاً بالحجارة ليسهل السير فيه ١٠٠٠ وهذه الطريق لازالت آثارها ماثلة للعيان ، بل لازال كبار السن في هذه البلاد يذكرون حزولها ومسالكها ، بل يتذكرون بعض الجيوش العثمانية التي كانت تسلكها في الذهاب والإياب ما بين اليمن والحجاز خلال القرون الماضية المتأخرة (٢٥٠) . ونجد "جادة السلطان" ، وكيفية خروجها من بلاد اليمن عبر جبال السروات، ولكن في بلاد قحطان (سراة جنب) ، وبلاد عسير ( سراة عتر ) يتم تفرعها إلى ثلاث طرق هي : - طريق السلطان الذي فصلنا الحديث عنه ، ويأتي عبر بيشة وتبالة ، وتربة ، حتى الطائف ومكة المكرمة ، وطريق آخر من شمال أبما ، حاضرة عسيم ، عبر عقبة تيه الساحل. والطريق الثالث، هي طريق الحاج عبر جبال السروات(١٦) . ويقول الحجري في هذا الطريسق "٠٠٠ ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة، يخرجون بلاد الحرجة من سنجان، ثم الوقشة من بلاد عبيدة ، ثم درب سلمان بعبيدة ، ثم درب العقدة لرفيدة ، ثم ذهبان بلاد ابن مشيط ، ثم شهران شرقى أبها على نحو ثلاث ساعات ، ثم المجزعة من شهران٠٠٠ ومن يريد طريق ساحل تهامة، فمن رأس عقبة تيه ، ثم وادي بعرور ، وهو واد ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب، ومنه يخرجون إلى سبت محائل. وأما محمل الجبال فيمرون من المجزعة إلى الحمراء ما بين بللسمر وبللحمر، ثم المضفاه، ثم ساق الغراب، ثم تنومة ، ثم النماص من بلاد بني شهر، ثم غامد إلى رغدان(٢٠) " ٠ وحلقة الوصل بين مرتفعات بلاد السراة ، والأغوار التهامية ، العديد من المنافذ التي تخترق السروات عبر المنحدرات الغربية حتى تصل سهول تمامة ، وهذه المعابر الطبيعية يطلق عليها عقبات ، ومفردها عقبة ، وهي كثيرة جداً ، فيوجد لكل عشيرة أو قبيلة في جبال السروات من اليمن إلى الحجاز عقبة تصل بين الأجزاء السروية والتهامية ، ومن يدقق النظر في كتب التراث المبكرة ، فإنه لايجد أحداً دون شيئاً عن هذه العقبات ، وليس لأنما غير موجودة ، لكن أصحاب المدونات المبكرة لم يتوغلوا في أعماق جبال السروات ، وفي معرفة أحوال منحدراتما الغربية ، والسبب في يتوغلوا في أعماق جبال السروات ، وفي معرفة أحوال منحدراتما الغربية ، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة تضاريسها، وربما إلى فقدان الأمن بما في العصور الإسلامية الوسيطة ، وخاصة أن سكائما يتميزون بالقوة ، وصعوبة المراس ، وعدم قبول أي غريب يدخل بلادهم ، وقد وجدنا كلاً من المقدسي، وناصر خسرو، وابن المجاور يتفقون على صعوبة تضاريس بلاد السراة ، وانغلاق أهلها على أنفسهم، وخصوصاً من يعيش منهم في قمم السروات ، أو في منحدراتما الغربية (١٨٠٠)، ولكن تلك المنافذ من يعيش منهم في قمم السروات ، أو في منحدراتما الغربية (١٨٠١)، ولكن تلك المنافذ أنساب منها :—

- أ- أن من يدرس التقسيمات البشرية لسكان هامة والسراة يجد العديد من العشائر والأفخاذ في جبال السروات لها فروع ، وفخوذ في الأغوار التهامية ، بل يجد بينها العديد من الأحلاف والصلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الوطيدة ، وهذا مما يؤكد على حركة تنقلات وهجرات ما بين السراة وهامة ، ولايتم ذلك إلا من خلال تلك المنافذ الضيقة بين السروات والأغوار التهامية (19) .
- ب انني في جولاني وتنقلاني في بلاد تهامة والسراة خلال الثلاثين سنة الماضية ،
   وعبوري بعضاً من تلك العقبات التي تربط هذه الأجزاء ، وجدت عدداً من

النقوش، والآثار الواضحة للعيان تؤكد على ألها كانت ، بل ومازال بعضها مستخدماً حتى اليوم، وقد وجدت هذه النقوش على قبور أشخاص سلكوا هذا الطريق ، وربما أنَّ الجوع ، أو المرض، أو الوحوش المفترسة كانت سبب موت أولئك الأفراد (٧٠)،

جـ - أثبتت الوثائق والدراسات الخاصة بالتاريخ الحديث أن كثيراً من الجيوش وقوات الأشراف في مكة المكرمة ، أو الجيوش العثمانية في اليمن ، أو الحجاز ، أو السروات كانت تسلك بعض العقبات التي تصل ما بين السراة وهامة ، وذلك بهدف عبورها لمحاربة بعض القبائل في هذه البلاد ، وأحياناً لسرعة الوصول ما بين الحجاز واليمن في حالة طلب الإمدادات من طرف لآخو (١٠) ،

ومن أهم تلك العقبات ، وبخاصة التي وردت في بعض المصادر والمراجع المتأخرة، عقبات : – ضلع ، ورجم ، وتيَّه في سراة عسير ، وحظوة ، وساقين ، وسنان، وتلاع في سروات الحجر، والأبناء ، والمخواة ، وبني سعد في سروات غامد وزهران وما يليها شمالاً من سروات أخرى(٧٢) .

والثابت أن هذه العقبات مثلها مثل الطرق الداخلية أو الخارجية التي تربط بين اليمن والحجاز ، عبر بلاد السراة ، حيث كانت تستخدم في تيسير مرور حركة الجيوش ، والحجاج، والتجار وغيرها من المنافع الأخرى .

٣ - الطريق البرية عبر قامة ، فقد أشار الهمداني إلى طريق الساحل، أو طريق قامة، والذي يبدأ مساره من عدن باليمن إلى مكة المكرمة ، ويصل حتى جدة، ونلاحظ أن الهمداني لم يفصل لنا مسافات هذا الطريق وطوله بالأميال، كما فعل في حديثه السابق عن طريق السلطان في بلاد السراة ، وإنما اكتفى بأن ذكر امتداد هذا الطريق بمحاذاة الساحل مباشرة ابتداء من عدن إلى باب

المندب، ثم أشار إلى أغلب المحطات التي تقع بين مدن اليمن الكبرى ، وبلد حكم في جازان، ثم استمر يذكر تلك المحطات حتى مكة المكرمة، فذكر بعد جازان : المهجر، فعثر، فبيض، فزنيف، فضنكان، فالمعقد ، فحلي ، فالجو، فالجوينية ، فقنونا، ثم دوقة، فالسرين، حيث يلتقى عندها الطريق الساحلية ، موضوع الحديث، بالطريق الأوسط أو السلطانية ، ومن عندها يعودان للافتراق، فيتجه طريق الجادة إلى مكة عبر المعجر، فالخيال ، فيلملم، فملكان ، فمكة المكرمة ، بينما يتجه الطريق الساحلي إلى جدة ، وكانت رحلة القوافل على هذه الطرق من عدن إلى مكة تستغرق في هذه الفترة نحو الشهر (٢٣) ،

وقد نوه عدد من الرحالة والجغرافيين الأوائل بالإضافة إلى الهمداني إلى أهمية طرق هامة التي تربط بين اليمن والحجاز ، كما أوضحنا ، فبينوا لنا اعتماد سكان تلك المناطق والحجاج والتجار الوافدين من اليمن إلى الحجاز عبر بلاد هامة والسراة على هذه الطرق التهامية ، ومن أولئك الرحالة عمارة اليمني الذي فَصَّل الحديث عن هذا الطريق فقال: - " أما طريق تهامة فهي تفترق إلى طريقين : فواحدة ساحلية على البحر، وواحدة هي الجادة السلطانية ، متوسطة منها إلى البحر يوم أودونه ، وفيها إلى الجبال يوم أودونه بحسب انضمام البحر والجبل وافتراقهما عند تهامة ، وفي كل الحبال يوم أودونه بحسب انضمام البحر والجبل وافتراقهما عند تهامة ، وفي كل مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم ، فمن الساحلية : الشرجة ، ثم مرحلة من الطريقين الساحلية والوسطى جامع عظيم ، ثم بيض ، ثم اللويمة ، ثم المعجر ، فالقنديرة ، ثم عثر ، وهي مقر ملك قديم ، ثم بيض ، ثم اللويمة ، ثم حمضة ، ثم ذهبان ، ثم حلى ، فالسرين (٢٠) " إلى أن يصل الطريق إلى جدة (٢٠) .

ثم يأي على ذكر محطات الطريق الوسطى ، أو الجادة السلطانية ، فيذكر جازان، والساعد ، وتعشر ، والمبنى ، ورياح ، والهجر ، ثم تلتقى طريق الجادة بالساحلية ، ويفترقان من السرين ، وبينهما وبين مكة خسة أيام ، فأول ما يلقى الحاج من عمارته بئر الرياضة ، ثم سبخة الغراب ، ثم الخبت ، ثم يرد الناس وادي يلملم ، وهو ميقات أهل اليمن • • • ثم يردون بئراً من عمارته يقالها لها أدام ، ثم يفترق الناس

فمن أراد مكة ورد من عمارته ببئر البيضاء ، ثم القرين ، ثم مكة ، ومن أراد عرفات ورد من عمارته بئر بوادي الرحم ، ثم نعمان ، ثم عرفات (٧٦) •

ويضاف إلى الطريقين اللتين سبق ذكرهما في هامة ، طريق ثالثة ، سبق الإشارة اليها عند حديثنا عن طريق أهل السراة ، وهذه الطريق تأيي عن طريق جبال السراة حتى تصبح شمال أهما ، ثم تنحدر من عقبة تيه إلى هامة ، ويقول الحجري عن هذه الطريق : (ومن يريد طريق ساحل تهامة ، فمن رأس عقبة تيه ، ثم وادي بعرور ، وهو واد ضيق على مسيرة (١٨) ساعة من الشرق إلى الغرب ، ومنه يخرجون إلى سبت محائل ١٠٠٠)(١٧) .

ومما يؤكد أيضاً على أهمية هذه الطرق البرية ، ولاسيما في رحلة الحج تناولها من قبل عدد من الأدباء في أراجيز نظمية معروفة تلقي بدورها الضوء على محطات هذه الطرق وتتابعها ، ومن أشهر هؤلاء الأدباء :- أحمد بن موسى الرادعي (٠٠٠ - ١٨٢هـ)، ومحمد بن إسماعيل الأمير (٩٩٠ ١ - ١٨٢ هـ)، وابن إسحاق الصنعاني (١٩٩ ١ - ١٨٢ هـ)، وابن إسحاق الصنعاني وغيرهم ، ومما قاله ابن إسحاق :

كان خروجنا من الأوطـــان لقصد بيت الواحد المنان يوم الخميس وهو من شـوال إحدى وعشرين بلا مقال

34.44

ميقاتنا في قصدنا للحـــرم باسم بئر عذبة هنيــــة (۸۰) وبعد سرنا إلى يلملـــــم وهو يسمى الآن بالسعديــة

وقال العجيلي :

وفي وادي يلملم إذ أهلوا (١١)

صحبت المدلجين بخبت سعيسا

ولم تكن أحاسيس الأدباء التهاميين هينة تجاه الحج ، وطرقه ، ولا مكة المكرمة ومشاعرها ، بل تزداد هذه العواطف كلما أهل الموسم ، وهمّ المهلّون بالرحلة إلى بيت الله ، وهناك تفيض المشاعر ، وتهيج الأشواق ، يقول عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعي (٠٠٠-٣٠٨هـ) في هذا الشأن :

أمن نيابتي برع تقيـــــم ومالك والتخلف عن فريــق طوت بهم المراحل في الفيافــي فلعسان فسردد ثم مـــــور

وقد رحل الأحبة يانديــــم متى رحلوا حللن بك الهمــوم قلائص تذرع الفلوات كــوم فحيران لهن به رسيــــم

إلى جازان جازت وهي هيهم ولؤ لؤة (٢٠٠ وغوان قميه تساورها المفاوز والرسوم سرت والليل متعكر بهيه بجنب الحفر يطربها النسيم غمار الآل يلحقها السموم تحن فلا تنام ولا تنيم عشية لاح زمزم والحطيم (٣٠٠)

إلى حرض إلى خلب تراءت ومرت في ربا ضمد وصبيا وذهبان وفي عمق وحلي وفي يبه وفي كنفي قنونا فدوقة فالرياضة ما استمرت إلى الميقات ظلت خائضات وباتت عندما وردت إذا ميا وفي أم القرى قرت عيرون

وهذه الطرق التي ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها باقية في كثير من المواطن ماثلة للعيان ، بل لازال هناك كثير من النقوش والكتابات والرسوم التي تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق، وقد رجعنا إلى بعض الدراسات الحديثة والمهتمة بالآثار والنقوش على محطات الطرق الساحلية، حيث كانت تذكر أسماء عدد من الأشخاص الذين وافتهم المنية على تلك الطرق، وهم في ذهائهم وايائهم إلى اليمن أو الحجاز ، بل وجدنا بعض النقوش توضح بما لا يدع مجالاً للسك السبب والزمن الذي كتبت فيه تلك النقوش ، أو الكتابات وكثير منها كان في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة (عمل المحوث أن هذه الطرق قد استخدمت أيضاً اثناء التاريخ الحديث والمعاصر من قبل الجيوش العثمانية التي كانت تذهب من الحجاز إلى اليمن ، أو العكس، فبعض من رحالة العصر الحديث يذكرون مشاهداهم على الطريق الواصل من مكة إلى منطقة عسير (سراة عتر قديماً) (٥٨) ، وهذا هو شرف ابن عبد المحسن البركاتي صاحب كتاب: — "الرحلة اليمانية" ، الذي قدم مع حملة الشريف حسين بن على من مكة إلى منطقة عسير عام (١٩٢٩هـ/ ١٩١٩م) ، وقد رصد أثناء الرحلة أهم المواطن التي على طول الطريق من مكة المكرمة حتى قامة سراة المحرة المراق عتر قديماً المكرمة حتى قامة سراة وصد أثناء الرحلة أهم المواطن التي على طول الطريق من مكة المكرمة حتى قامة سراة وسراء عبد المحرة على قديماً المراق عتى قامة سراة المحرة المحرة عتى قامة سراة المحرة المحرة عتى قامة سراة المحرة المحرة عتى قامة سراة المحرة على قديماً المحرة عتى قامة سراة المحرة على قامة سراة المحرة المحرة على المحرة المحرة المحرة على على طول الطريق من مكة المحرة حتى قامة سراة عربة المحرة على المحرة على عربة المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على عربة المحرة على المحرة على المحرة على المحرة المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على المحرة على المحرة المحرة على المحرة المح

الحجر ، ثم صعد مع عقبة ساقين التي تطل على تنومة في السراة، ومن هناك واصل طريقه عبر قمم جبال السروات حتى دخل مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية) واستقر في حاضرةا مدينة أبها $^{(\Lambda^1)}$  ويلاحظ على رحلة البركاتي أنه كرر ذكر أغلب المواطن التي ذكرها كل من الهمداني ، والحربي ، وعمارة اليمني، والحجري ، ومن أهم تلك المواطن :— الليث ، ودوقة ، وقنونا ، وبارق ، ومحائل، وجميع هذه الأماكن تقع في قامة ، أما في السراة فذكر أجزاء من سروات الحجر في بلاد بني شهر، وبللسمر ، وبللحمر حتى بلغ أبها $^{(\Lambda^1)}$  ،

كما يعد الطريق البحري أحد أهم وسائل الاتصال بين بلاد قامة والسراة ، وبين العالم الخارجي ، فوجود الأجزاء التهامية على ساحل البحر الأحمر ، وفر لها منافذ عدة ربطتها بقارات العالم القديمة (أفريقيا ، وأوربا ، وآسيا ) ، ويعد البحر الأحمر أحد الشرايين المائية الهامة التي كانت تصل بلاد أوروبا بأقصى الشرق ، على مدار العصور التاريخية، حتى إنَّ مختلف المصادر أجمعت على هذه الأهمية ، وبصفة خاصة في فترة صدر الإسلام وعصر بني أمية ، وتعدّ هذه الطريق من أهم الطرق البحرية التجارية ، فحكام بني أمية قد أولوه كثيراً من الاهتمام فشجعوا سير التجارة فيه ، وسعوا إلى حكام بني أمية قد أولوه كثيراً من الاهتمام فشجعوا سير التجارة فيه ، وسعوا إلى البحري بسبب تحول اهتمام خلفاء بني العباس إلى الخليج العربي ، والسعي إلى محاربة قبائل الجزيرة العربية اقتصادياً عندما كانوا يسعون إلى الوقوف في وجه الخلافة قبائل الجزيرة العربية اقتصادياً عندما كانوا يسعون إلى الوقوف في وجه الخلافة العباسية ، والانضمام إلى بعض اعدائهم مثلما حدث مع العلويين في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هه ١٩٧٤ عهره) (١٩٨٥) .

ولكن عاد طريق البحر الأحمر إلى مكانته السابقة ، وحاز ذات الاهتمام السابق وذلك بعد ضعف الخلافة العباسية ، وظهور عدد من الدويلات في العالم الإسلامي، واستقلال الأشراف بالحجاز ، بل تصاعدت أهمية هذا الطريق ، حتى أصبح

طريقاً عالمياً لفت نظر القوى الأجنبية كالبرتغاليين ، والأسبان ، والهولنديين ، ثم الإنجليز ، وصار طريقاً حيوياً لهم يمكن استخدامه للوصول إلى الشرق ، ويساعدهم أيضاً على الاستفادة من ثروات البلاد الواقعة على هذا البحر(٩٠) . ومن خلال تفنيد هذه الحقائق التاريخية يمكن القول بأن بلاد تمامة والسراة قد تأثرت كثيراً بهذا الشريان البحري ، كطريق تجاري مثلما تأثرت بحركات المرور والتنقل التي قامت بما شعوب كثيرة على مر العصور، وهذا التأثير ربما كان سلباً أو إيجاباً لأن الأجزاء التهامية لها عدد من الموانىء المطلة على البحر، ومن تلك الموانىء: - ميناء الشعيبة ، الذي ذاع صيته منذ العصر الجاهلي ، ولكن قلت أهمية هذا الميناء في عصر الخليفة الراشد عثمان بن عفان ( رضى الله عنه ) بعد تشييد ميناء جدة في عام ٢٦هـ /٢٤م، الذي أصبح بعد ذلك واحداً من أهم المراسى العالمية في أواخر العصور الإسلامية الوسيطة (٩١). يليه إلى الجنوب ميناء القنفذة ، وكان من الموانىء القديمة ، لكن لم يظهر ميناءً هاماً إلاًّ في أواخر العصر الإسلامي الوسيط(٩٢) ، ويأتي إلى الجنوب موانىء أخرى مثل: -السرين ، والبرك، وحلى ، والقحمة ، وجازان ، والموسم ، وكل هذه الموانىء كانت معروفة منذ صدر الإسلام ، وبعضها من العهد الجاهلي. وكثير من كتب التراث أشارت إلى أهمية هذه الموانىء ونشاطها التجاري خلال العهود الإسلامية الوسيطة ، وأكدت أن أهل هامة والسراة قد استخدموها لتصدير منتجاهم التي كانت تصدر لهم من الهند والصين وعدن وبعض بلدان أفريقيا وأوربا(٩٣) . ومما ساعد على تزايد حركة التجارة أيضاً من خلال هذه الموانىء، ألها كانت تتصل بالموانىء التي على الطرف الآخر من البحر الأحمر من جهة القارة الأفريقية (٩٤) ، وكذلك بالطريق التي تصل مصر بالبحر المتوسط حتى تصل إلى أوروبا ، وكذلك بالطريق التي تصل الهند والصين في أقصى الشرق<sup>(٩٥)</sup> •

# سادساً: أهم المراكز التجارية في تهامة والسراة:

اشتهرت عدة مراكز ومدن في قامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة بالنشاط التجاري، الأمر الذي ساعد على توثيق العلاقات بينها وبين عدد من المناطق المحيطة بها كاليمن والحجاز ومدنها المتعددة ، فارتبطت معها بوشائج تجارية مما ساعد على زيادة مكانة التجار في مجتمع بلاد قامة والسراة من جهة ، ومن جهة أخرى ساعد على إنماء الموارد المالية لهذه الجهات ، وتنوع النشاطات البشرية ، علاوة على زيادة الكثافة السكانية بتلك الجهات ، ومن ثم إلى ازدهارها الحضاري(١٦٠) ،

وقد ورد ذكر هذه الأجزاء التهامية في عدد من المدونات وكتب التراث ، فنجد عاكشاً الضمدي يتحدث عن سكان المخلاف السليماني فيذكر ألهم قبائل كثيرون، وأنساهم صحيحة ما بين عدنانية وقحطانية، وأغلبهم من قحطان ، وفيهم من المروءة ، والنجدة، والشجاعة، والكرم ماليس في غيرهم (٢٩٠) وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يذكر الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه :- " صفة جزيرة العرب " عدداً من المواطن والمراكز الهامة في بلاد قامة فيقول :- وببلد حكم قرى كثيرة مثل :ـ العداية ، والركوبة، والمخارف ، والقليق ، وبها :ـ وادي حرض ، وحيران ، وجيدة أيرة مثل :ـ العداية ، والركوبة، والمخارف ، والقليق ، وبها :ـ وادي حرض ، وحيران ، ووادي خيب ووادي بني عبس، ووادي الحيد ، ووادي تعشر، ووادي جحفان ، ووادي الميد ، ووادي خيب مغلاف عثر، وعثر ساحل جليل ، ومدينة بيش،وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية :ـ ثم مخلاف عثر، وعثر ساحل جليل ، ومدينة بيش،وحصبة أبراق ، وفيه من الأودية :- "أمان موادي بيش ، ووادي عيف ، ووادي بيض ، ووادي بيض ، ووادي مينه قائلاً :- " ووادي بيش ، ووادي عمرم ١٠٠٠ " منه ثم بلد حرام من كنانة ، وهو يتجه نحو الشمال معدداً بعض المواطن فيقول :- " ١٠٠٠ ثم بلد حرام من كنانة ، وهو وادي اتمه وضنكان ، وهو معدن غزير ١٠٠٠ والحرة حرة كنانة ، والمعقد ، وحلي ، وهو وادي اتمه وضنكان ، وهو معدن غزير ١٠٠٠ والحرة حرة كنانة ، والمعقد ، ووادي تلومة ، وو

الفراسة ، والجونية ، ووادي المحرم، ودعنج ، وعشم معدن ، وقرية وحلى العليا والسرين ساحل كنانة هو وحمضة ، والليث ، ومركوب واديان فيهما عيون٠٠٠ "(٠٠٠) ،

وعلى هذا النحو عدد لنا "لسان اليمن "كثيراً من المواطن التجارية والمراكز الحضارية التي تكتنف منطقة تهامة في عصره، ويلاحظ أنه على الرغم من ذكره لعدد من هذه المواطن ، فإنه لم يأت على كل المراكز الكبرى في تهامة ، علاوة على عدم إمدادنا ، وهو الذي تجول وعاش بين بوادي وحواضر هذه المنطقة ، بتفصيلات دقيقة عن بعض الجوانب الحضارية التي اشتهرت بما تلك النواحي، وفي هذه الدراسة لانستطيع أن نورد كل التفصيلات عن كل بلدة ، أو مدينة ، أو قرية في تلك الأجزاء، وإنما سنحاول ذكر أكبر المراكز الحضارية التجارية التي وردت الإشارة إليها في كتب التراث الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ومن تلك المواطن : – مدينة أبو عريش ، وبلدة بيش ، ومدينة عثر، والبرك ، وقنونا ، والسرين ، وعشم ، وحلي ،

فمدينة أبو عريش تأي إلى الشرق من مدينة جازان في يومنا الحالي ، وقد ذكرها كل من اليعقوبي والهمداني في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) فعدد اليعقوبي مراحل الطريق بين مكة المكرمة وصنعاء فقال :- "ويبه المعقوبي، وزنيف، وريم، وبيش، والعرش من جازان" (١٠١) وقال الهمداني في ذكر مراحل تلك الطريق" • • • ثم الشرجة ، ثم العرش ، ثم عثر" (١٠٠) ويأي ذكرها أيضاً عند يجيى بن الحسن في كتابه " غاية الأماني في أخبار القطر اليمني " عندما تحدث عن أحداث عام ٩٩ههـ/٢٠٢ (١٠٥).

ويعد الحسن بن أحمد عاكش أفضل المؤرخين في ذكر مدينة أبي عريش فيقول "وأبو عريش هذا أول من اختط ببقعته مسكناً جد بني الحكمي ، وكان جدهم رجلاً صالحاً له يد في الطريقة فبنى عريشاً هناك ، وكان يقصده الناس من كل ناحية لما هو

عليه من الفضل، فلذا يسمى أبو عريش ، وزمن اختطاطه قديم أظنه في القرن السابع» (۱۰۰۰) •

وهناك بعض شعراء القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي ) الذين ذكروا "أبو عريش " في شعر ، فهاهو عبد الرزاق اليمني يقول :

عج بوادي الهضاب في الأسحار

بربي أبي عريش حيث (الغوابي )

مايسات الحجول والأسمسوار

وطلوع البدور والأقمــــــار

وبلدة بيش وردت في كتابي اليعقوبي والهمداني، فذكرها الأول على الطريق بين مكة واليمن ، ثم أشار إلى أن أهلها الأزد(١٠٦)، أما الهمداني فذكر أن بها موالي قريش وساحلها مدينة عثر، وذكر في مكان آخر من كتابه قول الشاعر أبي الحياش الحجري :-

فقرى بيش فالدويمات فالبر ك فحلي ممطورة غينــــاء(١٠٧)٠

أما مدينة عثر، فكانت إحدى المدن الهامة في بلاد قامة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وأن مالكها آنذاك هو سليمان بن طرف الحكمي الذي ضرب العملة باسمه ووحد بينها وبين مخلاف حكم تحت مسمى" المخلاف السليماني "، وأن حجم إمارته التي كانت عثر عاصمة لها آنذاك تقدر بمسيرة سبعة أيام في الطول

ويومين في العرض ، فكانت من بلدة الشرجة جنوباً إلى مدينة حلي شمالاً ، ويصل خراجها في السنة خسمائة ألف دينار عثرية (١٠٨) .

وبلدة البرك كانت من المواطن المشهورة في هامة ، وذلك لمكانتها السياسية والاقتصادية ، فلقد عمرها بعض الولاة في العصور الإسلامية الوسطى ، وتقع بين ذهبان وحلي ، كما تقع على ساحل البحر الأهر من ناحية هامة عسير، وفيها ترسو السفن، وهي بين ميناء حلي بن يعقوب من الشمال ، وميناء القحمة من الجنوب ، وقد سميت باسم البرك ابن وبرة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاع المرك ابن وبرة بن يعلى بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاء وهذه المدينة وإن كانت معروفة خلال القرون الإسلامية الأولى ، فقد زادت شهرها منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وذلك في عهد المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (ت٤٤٦هـ/ ١٤٤٩م) ، الذي تذكر بعض الروايات التاريخية أنه اهتم ها فأمر بعمارها الما مدينة السرين فكانت أحد الموايىء الهامة على ساحل البحرالأهر ، وقد تم تحصينها ، كما رتب الجنود على جبل البرك لحماية النشاط التجاري كأحد الموايىء المهمة على البحر الأهر (١١٠٠).

وقنونا أحد المواقع التجارية والحضارية في همامة ، فقد ورد ذكرها عند الهمداني كإحدى المحطات الواقعة على الطريق الواصل بين مكة واليمن (١١١)، كما ألها كانت معروفة موقعاً تجارياً مهماً قريباً من سوق حباشة الذي عرف في الجاهلية والإسلام ، حيث يقول الأزرقي عن هذا السوق وقربه من قنونا: « وحباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق، من صدر قنونا وحلي ٠٠٠» وهي من مكة على ست ليالي ، وهو آخر سوق خريت "(١١١) ،

أما مدينة السرين فكانت إحدى الموانىء المهمة على ساحل البحر الأحمر، وقد ذكرها الرحالة المقدسي في القرن الرابع المجري (العاشر الميلادي) فقال (( والسرين بلد صغير له حصن الجامع فيه على باب البلد مصنعه ، وهو فرضة السروات ،

والسروات معدن الحبوب والتمور ، والبردية ، والعسل الكثير (١١٦) ، ولهذا فإننا نجد أن بلدة السرين قد ظهرت مع غيرها من موانىء بلاد تمامة خلال العصور الوسطى كي تربط سكان أهل تمامة والسراة مع غيرهم من الشعوب والتجار الذين كانوا يطلون على البحر الأحمر من جهات عدة، أو كانوا يعملون في نقل البضائع من أو إلى أرض تمامة والسراة ،

ويبدو أن بلدة السرين لم تعمر طريلاً في نشاطها التجاري الخضاري ، حيث أخذت المصادر تكتب عنها منذ منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) فيذكر أحد الباحثين المعاصرين بعض التفصيلات عن هذه المدينة فيقول : "إن هذه المفترة كانت الحياة العامة فيها في تناقص وتأخر إلى أن آل بها ذلك إلى الخراب والموت في أواخر القرن الثامن الهجري، حيث ظهر على أقلام المؤرخين ذكر اسم الواديين من مستهل القرن التاسع الهجري بديلاً لاسم السرين تبعاً لاسم الموقع البديل الذي اتخذه نواب أمير مكة على تلك الجهات (١١٤) ويؤكد هذا القول ما ذكره عمر بن فهد في تاريخه عندما قال " وتوجه راجح بن قتادة إلى اليمن هارباً ، لما استولى عليها ابو سعد ابن أخيه ، علي بن قتادة ، وسكن السرين يعني : ـ الموضع المعروف بالواديين (١١٥) .

أما مدينة عشم ، او مخلاف عشم ، كما ورد ذكره ضمن غيره من مخاليف مكة ، فلقد أورده عدد من الجغرافيين والرحالة ، عند ذكرهم لمخاليف هامة ، فذكروا أن لمكة مخاليف ، وسعوها أحياناً بالحصون ، ثم أوردوا أسماء عديدة منها : – السرين ، وضنكان ، وعشم ، وبيش (١١٦) ، ويظهر أن هذه البلدة كانت نشطة بتجاراها وحضارها حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، حيث تواتر ذكرها في مدونات رجال هذه الفترة ، وذلك بوصفها إحدى المراكز المهمة في هامة (١١٧) ، بينما في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) صمتت المصادر عن ذكرها تماماً ، فعلى سبيل المثال ، لم ترد في معجم ياقوت الحموي،

خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، مما يشير بطريق غير مباشر إلى انعدام أهميتها في زمنه ، وأن الخراب قد لحق بها(١١٨) .

ومدينة حلي كانت من أشهر مدن قامة ، ويذكر الحجري ألها ( بلا من تهامة في شماليها ، جنوبي القنفذة على مسافة سبع مراحل من مكة ( ١١٩) و " تطلق كلمة حلي على وادي حلي المشهور قديماً وحديثاً باتساعه ، وخصوبة أرضه ، كما تطلق هذه الكلمة على مدينة حلي المعروفة في المصادر العربية باسم : – حلي بن يعقوب التي يعتقد بألها كانت العاصمة المركزية للوادي ( ١٠٠١ ، وهذه المدينة كانت من أكبر وأنشط محطات طرق الحج اليمنية إلى مكة المكرمة ، كما تذهب بعض المصادر الإسلامية المبكرة إلى ألها بلغت قمة تطورها في القرن الخامس المجري (الحادي عشر الميلادي) ، وظلت تؤدي دورها الحضاري حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، ويث أشار إليها ابن بطوطة في رحلته فذكر ألها مدينة كبيرة ، تتسم بالازدهار العمراني، ووصف جامعها الكبير بأنه أحسن الجوامع ( ١٠٠١) ، كما يُعلق أحد الباحثين المخدثين في أثناء حديثه عن حلي من خلال أوصاف المؤرخين لها بألها كانت مدينة ضخمة تضم بين جنباقا سوقاً تجارياً كبيراً، ومسجداً جامعاً، وآخر ثانوياً ، علاوة على أعمالها الكثيرة من قرى ونواح ( ١٧٠١ ) فيقول : – ولا شك أن هذا دليل قطوع على أنها كانت مدينة مدينة مدينة مدينة مدينة مدينة من قرى ونواح ( ١٧٠١ ) فيقول : – ولا شك أن هذا دليل قاطع على أنها كانت مدينة مدين

وعلاوة على هذه المراكز التجارية والحضارية لبلاد تهامة، فهناك أيضاً الأجزاء التهامية الداخلية الواقعة بين سواحل البحر الأحمر وسفوح جبال السروات ، والممتدة من مكة المكرمة شمالاً إلى مخلاف حكم (جازان) جنوباً ، مثل: – الليث،والقنفذة (١٢٤٠)، ثم تمامة سراة غامد وزهران وحاضرتها المخواة ، يليها إلى الجنوب تمامة سروات الحجر، كوادي خاط ، والمجاردة ، وبارق ، ثم بلدة محائل، ورجال ألمع ، ودرب بني

شعبة ، والشقيق، وغيرها من مواطن عديدة كانت لاتقل في أهميتها الحضارية والتجارية عن مدن عشم، والسرين، وعثر ، وبيش ، وحلى وغيرها (١٢٥) .

أما المراكز السروية التجارية والحضارية ، فقد كانت منتشرة في أرجاء المنطقة السروية ، ولكننا سوف نشير إلى أهمها ، وهناك عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل قد أشاروا إلى أسماء عدد من تلك المحطات التجارية التي تقع على الطرق السروية التي تربط اليمن بالحجاز (١٧٦) ،

ويأي في الجنوب مدينة نجران التاريخية ، وقد أفاضت المصادر في الحديث عن هذه البلدة ، وأشارت إلى أهميتها السياسية ، والدينية ، والاقتصادية (١٢٧٠) و ولما امتازت به بلاد نجران من استراتيجية الموقع ، فقد أكسبها ذلك أهمية كبيرة في مجال التجارة، وكذلك خصوبة تربتها جعلها من المدن الزراعية التي تنتج التمور والحبوب وأنواعاً أخرى من المحاصيل الزراعية التي قامت عليها بعض الصناعات والحرف التقليدية ، علاوة على تصديرها إلى الجهات المحيطة بحالها ،

ويلي مدينة نجران مخلاف جرش (جزء من منطقة عسير الحالية) ، أو مدينة جرش، وهي لا تقل في أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية عن مدينة نجران ، بل إن هذه المدينة قد ورد ذكرها في المصادر الإسلامية المبكرة منذ أن دخلها الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واستمرت تؤدي مهمتها السياسية والحضارية في منطقة عسير حتى القرن السابع، وربما الثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، ثم يختفي ذكرها بعد ذلك (۱۲۹)، ومن يتجول في موقع مدينة جرش اليوم، وهي تبعد عن مدينة أبها نحو الجنوب الشرقي بحوالي (۳۵ – ٤٠) كيلو متراً ، يجدها لازالت تحتوي على نقوش ورسوم وآثار عديدة توضح قيام نشاط حضاري تجاري كبير بها ، خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة (۱۳۰)، وإنني من خلال هذا

البحث أهيب بالأقسام الأكاديمية الأثرية المختصة في البلاد السعودية أن تولي هذا المكان بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب، وإنني متأكد أنهم سوف يجدون مادة علمية كثيرة تعكس تاريخ وحضارة هذا الجزء من جنوب شبه الجزيرة العربية(١٣١).

ونخلص إلى القول ، بأن الهمداني قد أفاض في ذكر تفصيلات دقيقة عن مواطن السراة سواء المنحدرة تجاه الأغوار التهامية ، أو بلدان السراة الواقعة في الأجزاء الشرقية ، علاوة على ما ذكره عن مواطن سروات عسير (عتر)، والحجر ، وغامد وزهران(١٣٢)، مما ينهض دليلاً على كون كثير من هذه المراكز زاخرة بالنشاطات البشرية المتنوعة كفاية لحاجة سكالها ، ويأتى على رأس هذه النشاطات النشاط التجاري، هذا ونلاحظ أن هذه المواطن والمراكز الحضارية التي دونها الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لازالت تحمل نفس المسميات إلى يومنا هذا، بل لازال كثير منها يتميز بالنمو والنشاط الحضاري الذي تعيشه مواطن عديدة في شبه الجزيرة العربية، ومن هذه المراكز: - بلدة ظهران الجنوب في ديار وادعه ، وإلى الشمال من بلاد نجران ، ثم سراة عبيدة ، وأحد رفيدة في بلاد قحطان أو (سراة جنب، أما أبها ، والملاحة ، وطبب ، وتندحة ، والقرعاء ، وبيشة، وترج ، وتبالة ، وعبل ، وتنومة ، والجهوة ، والخضراء ، وحلباء، وسدوان، والعرق، وغيرها مما ذكر الهمدايي ، فلا زالت تحمل نفس المسمى الذي كانت تحمله في القرون الإسلامية المبكرة، كما أن بعضها ، تعد اليوم ، من المحافظات الكبرى في منطقة عسير (مخلاف جرش قديماً)(١٣٣). وجميع هذه البلدان وغيرها في أرض السروات تكتظ بالكثافة السكانية ، إلى جانب توافر جميع المقومات الأساسية لقيام نشاطات حضارية متعددة ، من اجتماعية ، وفكرية ، واقتصادية وغيرها(١٣٤).

سابعاً : الأسواق :

نشطت حركة التجارة الداخلية في بلاد قمامة والسراة نشاطاً ملحوظاً نلمسه في عدد من مدن هذه البلاد وقراها ، فكان هناك كثير من الأسواق التي تقام في ساحات هذه المدن والقرى ، وعلى الرغم من كثرة هذه الأسواق وتنوعها ، إلا أن الغالب عليها، كما يبدو، هو نظام الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع ، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوعاً ، لاسيما في المدن والقرى الصغيرة ، فكان لكل قبيلة أو عشيرة في بلاد قمامة والسراة سوق يقام في أرضها ، ويسمى باليوم الذي يقام فيه ، فمثلاً: – يقال سوق الجمعة ، وسوق السبت، وسوق الاثنين ، وهكذا نسبة إلى اليوم الذي يقام فيه السوق من كل أسبوع (١٣٥٠) ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم وسلعهم على اختلافها ، ويبدأ السوق في الصباح الباكر ، ويستمر إلى آخر النهار، ويزدحم طوال اليوم براغبي البيع والشراء ، وكانت القبيلة التي يقوم السوق على أرضها ، غالباً ما تتولى حمايته من أي اعتداء ، وتوفير الأمن والراحة للتجار ومرتادي الأسواق (٢٣٠٠) ،

ولم تكن وظيفة الأسواق تقتصر على مزاولة البيع والشراء ، وإنما كان الناس يتداولون فيها الآراء ، ويتناقلون الأخبار ، ويتم فيها الوعظ والإرشاد ، وأغلب الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـ (الراية)، يستخدم للوعظ، أو الإعلان من فوقه عن خبر معين ، ويذكر أن أهل تمامة والسراة كانوا يستخدمون مثل هذا المكان في رفع العلم الأبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس ، وينوهوا بفضله ، وقد يرفعون علماً أسوداً لمن غدر، أو لم يف بالتزاماته نحو عشيرته، أو غيرهم (١٣٧) ،

ومعظم السلع في أسواق تهامة والسراة الأسبوعية كانت تعرض على الأرض، فيفرش البائع لها قطعة من القماش، وأحياناً تكون على الأرض بدون أي فرش. والسوق الواحد يكون في مكان محدد من أرض القبيلة (١٣٨) ، وقد عرفت قامة والسراة بالأسواق المتخصصة ، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق، كل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلع معينة، فكان هناك سوق للحبوب، وآخر للماشية ، وثالث للبز ، وغيرها لبيع أغراض أخرى متنوعة (١٣٩) ،

وإلى جانب ذلك عرفت تلك المناطق أيضاً الأسواق الدائمة ، حيث شهدت بعض الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة في أطرافها، وخاصة في الأسواق الكبيرة بالمدن مثل: – نجران ، وجرش ، وبيشة وغيرها في بلاد السراة ، وكذلك حلي ، والسرين، وعثر ، وغيرها في الحواضر التهامية (١٤٠٠) ، وكانت هذه الأسواق على ما نرجح تقوم على غرار الأسواق الإسلامية في العصور الوسطى بالمدن والحواضر الكبرى، حيث تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت والمحال من الجانبين ، وكان يتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها البائع أو صاحب الحانوت مع عملائه لعقد الصفقات ، وإجراء عملية البيع والشراء، وأحياناً كانت بعض الحوانيت الكبرى تنقسم إلى قسمين أحدهما داخل الآخر، ويتخذ القسم الداخلي مخزناً للبضائع ، بينما الجزء الخارجي يعدّ معرضاً لها ، ومجلساً للعملاء (١٤٠١) ،

وفي أثناء حديثنا عن الطرق التجارية لاحظنا مرور بعضها بمحطات عديدة حفلت بالنشاطات البشرية المتنوعة ، وبخاصة الأسواق التجارية ، التي كانت مقصداً للتجار السالكين لتلك الطرق ، حيث اعتادوا الترول في بعضها، وعقد الصفقات التجارية مع من يصادفو لهم من التجار بكل محطة ، أو مع سكان القرى والمناطق المحيطة بكل محطة تجارية ، وبعض الأسواق التجارية في هذه المحطات ترجع شهرقما التجارية إلى العصر الجاهلي، واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة ، وأبرز هذه المحطات النشطة بأسواقها : أسواق الشعيبة ، والسرين ، وقنونا ، وحلي والبرك ، وعشم ، وبارق ، وحباشة ، وغيرها في أرض قمامة ، وكانت جميعها تعج بالحركة

التجارية، ويرتادها الكثير من التجار من داخل بلاد قامة والسراة ومن خارجها (١٤٠٠)، وغد بعض الجغرافيين والمؤرخين الأوائل ينوهون في مدوناقم عن نشاط بعض هذه الأسواق في العصور الإسلامية الوسيطة، فابن المجاور يشيد بأسواق نجران وما حولها، ويقول :- " وعليها المعول في البيع والشراء "(١٤٠٠)، ويتحدث الهمدايي عن سوق عثر ويذكر أنه من أشهر أسواق قامة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فيقول :- "٠٠٠ بيش وبه موالي قريش، وساحله عثر، وهو سوق عظيم "(١٤٠٠)، ويؤكد المقدسي ما ذكره الهمدايي عن أسواق عثر أثناء حديثه عن تلك المدينة التي تعد حاضرة لبيش فيقول :- "٠٠٠ وعثر مدينة طيبة مذكورة ، لأنها قصبة الناحية ، وبها سوق حسن "(١٤٠٠)، ويتحدث ابن المجاور عن بعض نواحي قامة ، ومنها ميناء السرين، الواقع على البحر الأحمر ، فيذكر نشاطه التجاري الزاخر، وأنه كان موئلاً للتجار القادمين من فارس بتجارهم ، وأنه لكثرة توافدهم عليه كانوا سبباً في شهرته حتى أطلق عليه « بناية المفرس على ساحل البحر » (١٤٠٠)، كما أشار المقدسي إلى هذا الميناء فذكر « بناية المفرس على ساحل البحر » (١٤٠٠)، كما أشار المقدسي إلى هذا الميناء فذكر النه النه المناء هن مرد اليه من بلاد السراة من سلع متنوعة ،

ونلاحظ كثرة الأسواق الأسبوعية في بلاد قامة والسراة ، وتناثرها في أنحاء البلاد، وقد لمست ذلك من خلال مشاهداتي الشخصية أثناء تجوالي وزيارايي لعدد من مناطق هذه البلاد المعنية بالدراسة خلال السنوات الماضية ، فوجدت كل عشيرة أو قبيلة لاتخلو نواحيها من سوق أسبوعي ، كما اطلعت على عشرات الوثائق التي تنص على مسمى بعض هذه الأسواق، ومن المسؤول عن حمايتها ، وبنود أخرى عديدة تضمنتها هذه الوثائق تشيربل وتؤكد على استقرار الأمن بها(١٤٨٠) ، كما شاهدنا عدداً من الآثار والنقوش التي لازالت واضحة للعيان في بعض الأسواق ، والتي تحتاج إلى تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراستها والتنقيب عن آثارها ، خصوصاً أن بعض تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراستها والتنقيب عن آثارها ، خصوصاً أن بعض

الأسواق يبدو عليها القدم التاريخي، ومن الصعب تحديد عمرها التاريخي إلاً عن طريق الدراسات والتنقيبات الأثرية (١٤٩) . كما أن بعض الجهات الرسمية في حكومة المملكة العربية السعودية بدأت منذ عدة سنوات تولي بعض هذه الأسواق الأسبوعية نوعاً من الجهود في صيانتها والحفاظ على ما يوجد بها من تواث وآثار قديمة ، ونرجو من هذه المؤسسات الحكومية ، بل نرجو من المؤسسات التعليمية في البلاد أن تضاعف الجهود في الحفاظ على هذه الأسواق، وما تحتويه من تواث وفكر حضاري، ولعل الاهتمام بصيانة هذه الأسواق الاقتصادية الأثرية ، والعمل على ترميمها وتجديدها يمثل أحد مظاهر التطور الحضاري الذي تشهده البلاد في الآونة الحالية (١٥٠٠)،

## ثامناً: الحسبة والمحتسب:

وإذا كانت مهمة حفظ الأمن ، والقيام بأعباء الحراسة في أسواق بلاد قامة والسراة تقع على عاتق القبائل والعشائر المحيطة بكل سوق، فإننا لانعدم إشارات وردت في بطون المصادر الإسلامية تشير إلى أن أسواق التهائم والسراة قد عرفت شألها في ذلك شأن الأسواق بالحواضر الإسلامية الكبرى – وظيفة المحتسب ، وذلك منذ أمد طويل ، فقد أمدتنا المصادر بأن خلفاء المسلمين الأول كانوا يرسلون من قبلهم من يتولى وظيفة الحسبة في أسواق قامة والسراة ، ولا أظن أن أولئك المحتسبين كانوا يغطون جميع أسواق هذه البلاد، لكن من المحتمل ألهم كانوا يشرفون على الأسواق الكبيرة ، والتي تقع في مدن واسعة، أو على ملتقى طرق رئيسة (١٥١) ، ومهمة المحتسب ، أو والي السوق (٢٥١) ، أن يشرف على سير البيع والتجارة في السوق ، منعاً للغش ، والتدليس ، والتلاعب في الأسعار ، مما يؤدي إلى ارتفاع أثمان السلع، الأمر الذي ينقل كاهل الأهالي ، ويزيد من أرباح تجار السلع ، وكذلك يقوم المحتسب على فض المنازعات ، وحل المشاكل التي قد تحدث في السوق، وربما كان من مسؤولياته

جباية الأموال من البائعين في الأسواق نظير السماح لهم بالجلوس فيها وممارسة البيع والشراء ، كما أن من مسؤولياته حفظ الأمن في السوق، وكان يعين في عمله عريفاً أو نقيباً لكل صنعة في السوق من أهلها، خبيراً بعملهم وتدليسهم ، وتقتصر مهمته على رقابة أهل الصنعة ، وإطلاع المختسب بأخبارهم ، وأحياناً قد يتعرض المختسب، أو والي السوق ، للإيذاء من بعض العشائر المحيطة بالسوق، وما حصل في سوق حباشة ببلاد بارق في هامة عام (١٩٧هه ١٨٠٨م) لأكبر دليل على وجود ولاة لبعض الأسواق في فترات الإسلام المبكرة ، حيث يذكر الأزرقي (١٥٠١) ، وابن فهد أنه في سنة ١٩٧هف في فترات الإسلام المبكرة ، وكان والي مكة يستعمل عاملاً على هذا السوق (وهي آخر سوق خرب من أسواق الجاهلية ، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه جند فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلة الأزد في هذا العام، فأشار فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلة الأزد في هذا العام، فأشار فيقيمون به ثلاثة أيام من أول رجب متوالية ، فقتلته قبيلة الأزد في هذا العام، فأشار فيل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت) (١٥٠٠).

ونخرج مما سبق ذكره عن الأسواق ، والحسبة والمحتسب ببعض الاستنتاجات مثل:-

- ا- لايستبعد أنه كان هناك أسواق أخرى عديدة في بلاد تهامة والسراة ، قد خربت نتيجة للصراعات القبلية في البلاد ، أو من قبل الولاة والأمراء في الحجاز ، وذلك لما قد يصدر من بعض القبائل المحيطة ببعض الأسواق، والمعتدية على عمال الأسواق المرسلين ، كما حصل في سوق حباشة ، خلال عصر الخليفة العباسي الأمين ١٩٣٣ ١٩٨هـ / ١٩٨٨م) ، وفي عهد ولاية والى مكة داود بن عيسى .
- ب إن بعض الأسواق كانت ذات أهمية تجارية ، أو ذات موقع تجاري هام ، فولاة مكة المكرمة كانوا يرسلون إليها المحتسبين ومعهم قوة عسكرية تعينهم على ضبط الأمن وسير الحياة التجارية في الأسواق المرسلين إليها ، ولكن فيما يبدو

أحياناً فإن تلك القوة تكون صغيرة ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وخصوصاً لو ثارت في وجوههم عشائر كبيرة ، ومن ثم فإنهم قد يتعرضون للخطر ويفقدون حياتهم.

جـ - إن المشاهد اليوم لأرض قامة والسراة ، يرى جميع مقومات الحياة التجارية 

ها، فوقوعها بين منطقتي الحجاز واليمن ، ثم إطلالها على شاطىء البحر الأحمر 
أكسبها موقعاً تجارياً هاماً ، كما أن وفرة الخيرات الزراعية والثروة الحيوانية 
ها، وتعدد مسالكها ، وتنوع تضاريسها أكسبها ميزة أخرى، إلى جانب كثرة 
سكالها ، وتعدد قراها ومدلها ، كل هذا جعل الأسواق التجارية منتشرة بها ، 
بل جعل النشاط التجاري الداخلي والخارجي معها ميسوراً ،

# تاسعاً : الصادرات والواردات :

إن بلاد تهامة والسراة كانت تتمتع بنشاط تجاري زاهر، فلا تقتصر المتاجر على أهل البلاد أنفسهم ، وإنما خرجوا للمتاجرة مع سكان الإقليم والأجزاء المجاورة لهم في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ففي ميدان التجارة الخارجية بأرض تمامة والسراة ، نلاحظ أن معظم العشائر والقبائل ، بل جميع المدن والحواضر كانت تحتوي على أسواق أسبوعية تكتظ بأنواع عديدة من السلع ، سواء المحلية منها كالمصنوعات والمنتجات التهامية والسروية التي كانت تشتهر بها وتعمل على تصريفها في الأسواق الخارجية ، أو تلك الواردة إليها من الشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية مما أدى إلى التنوع الشديد في حركة الصادرات والواردات (١٥٥٠) وقد توافر في هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية ، كالحبوب بأنواعها، والصناعات اليدوية المتنوعة ، كأدوات الزراعة ، والنجارة ، والحدادة، والمنسوجات، والجلود بأنواعها ، وغيرها (١٥٥١) و وغالباً ما كانت تصدر هذه

السلع من الحواضر والمراكز الحضارية المتعددة في أرض تهامة والسراة، وذلك لتوفر الزراعة عندهم، أما أهل البادية والأرياف فكانوا يتاجرون في بعض الحيوانات الأليفة التي توجد لديهم مثل: – الإبل، والأبقار، والأغنام، والماعز، كما كانوا يتاجرون في منتجات تلك الحيوانات مثل: – السمن، والزبد، والأصواف، والجلود(١٥٧٠).

وإذا ما نظرنا في بعض المنتوجات التي كانت تتوفر في بلاد تمامة والسراة ، ثم تصدر إلى مدن اليمن، والحجاز ، واليمامة، والبحرين، وأحياناً إلى خارج شبه جزيرة العرب، فإن الحبوب تأتي على رأس قائمة تلك السلع، وقد وجدنا عدداً من المؤرخين والجغرافيين الأوائل يذكرون كثرة إنتاج الحبوب بأرض تمامة والسراة ، (^^^) بل إن ابن المجاور في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يذكر كثرة الحصون والقصور في بلاد السراة ، وكان من فوائد تلك القصور اتخاذها محازن للحبوب فقال :- « وقلا في بلاد السراة ، وكان من فوائد تلك القصور اتخاذها محازن للحبوب فقال :- « وقلا بيني في كل قرية قصر من حجر وجمع ، وكل واحد من أهل القرية لله محزن في القصو يخرن في القصور ومثل هذه الحصون والمخازن التي توجد بما تدل على كثرة إنتاج الحبوب في البلاد، بل إن الباحث قد عاصر هذه العادات عند أهل السراة خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حيث كان لكل قرية حصن، أو أكثر ('``)، أن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حيث كان لكل قرية حصن، أو أكثر فيها المرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، حيث كان لكل قرية عصن، أو أكثر فيها المورض ماثلة للعيان، مع العلم ألها أهملت وبدت عليها علامات الخراب الغرض ماثلة للعيان، مع العلم ألها أهملت وبدت عليها علامات الخراب الغرض ماثلة للعيان، مع العلم ألها أهملت وبدت عليها علامات الخراب

كما تعد الخضروات والفواكه من السلع المهمة التي توافرت ببلاد تهامة والسراة نظراً لكثرة زراعتها ، وخصوبة أراضيها ، والتي أشار إليها غير واحد من الرحالة والمؤرخين مثال ذلك ابن جبير الذي ذكر ألها « أرض خصبة متسعة كثيرة

التين والعنب ، واسعة الحرث، وافرة الغلات » (١٦٢) ، ومن ثم اضطلع سكاهًا عهمة تصدير الفائض منها إلى الحجاز وبلاد اليمن وأفريقية عبر البحر الأحمر، ويأتى في مقدمة هذه السلع الكروم على أنواعها ، والرمان ، واللوز ، علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل(١٩٣٠) • كذلك أشاد الهمداني بأرض هامة والسراة وخصوبتها التي تبرز في تنوع ووفرة محاصيلها الزراعية، التي عدد بعضها مثل: – البر، والشعير ، والتفاح ، والخوخ ، والكمثرى ، والعسل(١٦٤). ويوافق قدامة الهمدايي في وفرة الفواكه بأرض السراة(١٦٥)، كما أكد المقدسي ما ذكره ابن جبير ، عن خروج الفائض من الفواكه والخضروات السروية والتهامية مصدراً إلى أسواق مكة المكرمة ، وإلى موانىء البحر الأحمر لتصديرها إلى خارج شبه الجزيرة العربية (١٩٦٠)، كما ذكرت مصادر أخرى وفرة هذه المزروعات في بلاد السراة مثل :- بيشة ، وجرش ، ونجران ، ونوهت بعدد من مواطن وفرة الفواكه ، والتمور بها ، حتى إن نجران وصفت باسم ( نجران الحقول » (۱۹۷۰ • كما أشادت ، دلالة على شهرها الزراعية، بتمور بيشة ونجران وجودها ، ويشارك الهمداني في هذا القول عندما وصف بعض أنواع التمور المنتجة في بلاد السواة ومدح جودها، فذكر ألها على نوعين هما : – المدبس، والقسب، ولاتوجد إلاّ ببلاد السراة ، وخاصة في نجران وبيشة(١٦٨).

كذلك اشتهرت أرض قامة والسراة بوفرة ثرواقا النباتية الطبيعية ، والتي تقوم على المنحدرات من جبال السروات تجاه قامة، والتي يطلق عليها اسم " صدر " وهمعه "أصدار" ، وقد حفظ لنا الدينوري أسماء مئات الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة ، والمستخدمة لأغراض عديدة ، كما تحدث عن جودة بعض تلك الأشجار ، وتزايد الطلب عليها فكانت تصدر أخشابها أو أوراقها إلى بعض الأسواق الكبرى في الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، كي يستفاد منها في منافع عديدة (١٦٩)، وقد ساعد توافر هذه الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة على تكاثر حشرة لها أهميتها في المجال

الاقتصادي ، ونعني بها النحل، عما أدى إلى توفر العسل الذي يزيد عن حاجة أهل البلاد، وبالتالي دخل في قائمة صادراتهم، ودلالة على كثرته ، أن بعض المواطنين في أرض السراة كانوا يدفعون عليه زكاة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعندما جاء عصر الخليفة الراشد، عمر بن الخطاب، (رضي الله عنه) امتنع بعضهم عن دفع زكاته ، فلم يكن على أمير الطائف الذي كان يتولى إدارة شؤون أهل السراة ، إلا أن يكتب للخليفة عمر بذلك ، فكتب عمر إلى الوالي قائلاً :- "إن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فاحم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم) فلا تتحم لهم " (١٧٠٠)، ويذكر أن خلفاء بني أمية وبني العباس كانوا يرسلون إلى أمرائهم في أرض الحجاز كي يزودوهم بعسل السدر، والندغ ، والسحاء، والضرم المتوافر عند أهل تمامة والسراة ألى العسل على شبه الجزيرة العربية ، ودمشق، وبغداد تقتصر صادرات تمامة والسراة من العسل على شبه الجزيرة العربية ، ودمشق، وبغداد ، بل عرف طريقه أيضاً ، نظراً لجودته الفائقة ، عبر موانىء البحر الأحمر إلى بعض الأجزاء الأفريقية، كما اشتد عليه الطلب ببلاد فارس (١٧٠١).

كذلك كانت الجلود والمنسوجات من السلع الهامة التي تصدر إلى خارج بلاد هامة والسراة ، فيشيد ابن حوقل ويشاركه الاصطخري وقدامة بجودة أديم نجران، وجرش، وأجزاء عديدة من أرض السراة (۱۷۳) ويذكر الإدريسي شهرة هذه المناطق بالمصنوعات الجلدية ، لاسيما نجران وجرش ، حيث تعد دباغة الجلود صناعة رئيسة لعظم أهلها، وقد بلغت الجلود المدبوغة فيهما درجة عالية من الجودة ، ويؤكد ذلك الإدريسي بقوله : « وبها تدبغ الجلود الميمانية التي لايبلغها شيء في الجودة » (۱۷۴) ، وفي موضع آخر يؤكد أهمية هذه الصناعات لأهل هاتين البلدتين فيقول : إن هذه الصناعة هي « ٥٠٠٠ بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بدئك » (۱۷۵۰) ، وهذه السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة في العالم الإسلامي، بل كانت قدى بعض السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة في العالم الإسلامي، بل كانت قدى بعض

المصنوعات الجلدية السروية التهامية إلى بعض الزعماء والخلفاء والأمراء ، وهذا يدل على جودةا وعلو قيمتها (١٧٦) كما تفنن أهل قامة والسراة في تزيين الجلود وزخرفتها برسوم وزخارف متنوعة ، وعمدوا إلى الضغط عليها بآلات معينة ، كما تفننوا في تذهيب بعض الجلود الأخرى وهملها إلى أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة ، مما عرف ب (المذهب) ، وهو من أرقى الجلود وأغلاها، ويشتريها الأغنياء، والأمراء لاستعمالها في الأشياء الغالية (١٧٧٠) ، ولكثرة الجلود ودباغتها في بلاد قامة والسراة فكانت تستخدم لباساً وغطاء أثناء الليل ، وتصنع منه النعال وأدوات أخرى عديدة (١٧٨٠) كما أن الهمداني أثناء تجواله في أرض قامة والسراة أشاد بدقة صناعة الجلود بتلك المبلاد ، وبخاصة في مواطن نجران ، وجرش ، وبيشة وغيرها، وذكر ما يصنعون من الجواب أو المحافظ في استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار ، وأحياناً الجراب أو المحافظ لها استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار ، وأحياناً توضع بها النقود : – الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية ، ومثل هذه المصنوعات توضع بها النقود : – الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية ، ومثل هذه المصنوعات كانت تصدر إلى أسواق الحجاز ، ومن هناك ينقلها تجار الشام ، ومصر ، وبلاد فارس، والعراق إلى مواطن عديدة في العالم آنذاك (١٧٩) .

كذلك عرفت المنسوجات المنتجة في بلاد قامة والسراة طريقها للتصدير، وبخاصة ما ينتجه أهل مخلاف نجران، فتشير المصادر إلى مصالحة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنصارى نجران على ألفي حلة يؤدولها له كل عام، وثمن الحلة آنذاك كان أربعين درهماً، كما ذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه كفن في ثلاثة أثواب نجرانية (۱۸۰۰)، وهذا مما يدل على بروز نشاط نجران في مجال صناعة وتصدير المنسوجات، لاسيما القطنية بوجه خاص، وكذلك الحلل اليمانية المشهورة التي تغنى بحا الشعراء، ويطعم نسيجها بخيوط الحرير (۱۸۱۰).

ومما ضاعف من شهرة هذه البلاد في صناعة المنسوجات ، وساعد على تقدمها وازدهارها، ازدياد الطلب عليها من أجل كسوة الكعبة، فتروي المصادر أن خلفاء بني أمية، وكذلك بعض خلفاء بني العباس ، طلبوا من أهل نجران صناعة الحلل النفيسة لكسوة الكعبة المشرفة (١٨٣) ، وكانت هذه الحلل مطعمة بالديباج (١٨٣) .

كما كان أهل قامة والسراة يصدرون إلى أسواق جزيرة العرب في الحجاز، واليمامة، واليمن ، والبحرين بعض الأدوات الحديدية التي كانت تصنع في بلادهم مثل: – الخناجر، والسيوف ، وبعض الأدوات المستخدمة في الزراعة والصيد وغيرها (۱۸٤) و أيضاً كانت الحيوانات توجد في هذه البلاد بكثرة ، وغالباً ما كانوا يصدرو فما إلى مكة المكرمة أثناء موسم الحج ، وربما صدروا بعضها من موانىء البحر الأحمر إلى خارج شبه الجزيرة العربية (۱۸۹) ، كما كانوا يصدرون من تلك الموانىء الحبوب والتمور وغيرها (۱۸۹) ،

وإذا كان أهل تمامة والسراة قد صدروا العديد من سلعهم المحلية إلى أسواق عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فإلهم أيضاً كانوا يستوردون بدورهم الكثير من السلع التي يحتاجولها في تصريف حياقم اليومية، وأحياناً يقايضون بها سلعهم التي جلبوها من بلادهم، ومعظم الأسواق الكبيرة في المواطن الساحلية التهامية وكذلك في البلاد السروية كانت ترد إليها السلع من خارج أرض تمامة والسراة ، وبها يتم التبادل التجاري، فكانت نجران، وجرش ، وبيشة ، والطائف وغيرها من الأسواق الساحلية تعج بالحركة التجارية ، ومما يؤكد ذلك قول ابن المجاور ( وعليها المعول في البيع والشراء) (١٨٧٠) ، فكان التبادل التجاري يتم في هذه الأسواق المحلية بين التجار القادمين إليها من اليمن ، والحجاز، والعراق وفارس ، وبلاد الروم، فكان التبار الخليون يجلبون سلعهم ويبيعون بالمقايضة مع أولئك التجار القادمين (١٨٨٠)، بل

اليمنية، المتسمة بدقة الصنع، وجمال الألوان والزخرفة ، علاوة على السلع الشرقية ، لاسيما الأفاوية الواردة من الشرق الأقصى والتي كانت تجد سوقاً نافقة عندهم لعدم وجودها ببلادهم وكانت هذه السلع تصل إليهم عن طريق موانىء البحر الأهر مثل: – ميناء عدن ، وجازان ، والبرك ، والسرين ، والشعيبة ، وجدة ، وغيرها (١٨٩٠) كما كانوا يستوردون من مكة المكرمة أيضاً بعض الملاحف ، والعباءات ، وغير ذلك من المنسوجات ، وأدوات الزينة ، وكثير من هذه السلع المستوردة كانت ترد إلى الحجاز من بلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، وفارس ، والعراق ، وبلاد ما وراء النهرين (١٩٠٠) ه

وقد دللت لنا بعض المصادر على عمق العلاقات التجارية القائمة بين سكان لمامة والسراة ، وأهل الحجاز ، وبخاصة أهل مكة المكرمة، فيذكر ابن حبيب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أن التهاميين والسرويين كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة ، لاسيما السلع الغذائية ، فيجدون حسن الاستقبال والترحاب من المكيين، وبخاصة تجارهم ، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة (١٩١١)، كما يشير الأزرقي أيضاً وهو من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى تعيين مكان عدد في أسواق مكة كانت ترتاده عير أهل قامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها ومارستها التجارة في مكة كانت ترتاده عير أهل قامة والسراة فتقيم به مدة إقامتها عشر الميلادي) فيذكر نشاط السرويين التجاري في مكة، وما يجلبون معهم من حبوب عسل الميلادي) فيذكر نشاط السرويين التجاري في مكة، وما يجلبون معهم من حبوب وسلع متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة من سلع لاتتوفر ببلادهم (١٩٢٠)، كما يورد ابن جبير تفصيلات أخرى دقيقة عن تجار بلاد السروات الوافدين إلى مكة المكرمة ، ومعاملاقم التجارية مع المكيين ، مما ينهض دليلاً على تواصل هذا النشاط التجاري بين الطرفين، والدور المهم الذي قام به أهل السروات في تزويد الحجازيين وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول :- « إن قبائل تعرف بالسرو أو وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول :- « إن قبائل تعرف بالسرو أو وأسواقهم بما ينقصهم من السلع الضرورية فيقول :- « إن قبائل تعرف بالسرو أو

السراة، أهل جبال حصينة يستعلون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام فيجمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبياء إلى مادونها ، ويجلبون السمن ، والعسل، والزبيب ، واللوز فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة ، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً موقرة بجميع ما ذكر ، فيرغدون معايش أهل البلد ، والمجاورين فيه ، وينفقون ويدخرون ، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق ، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش (١٤٠٠) ،

ويضيف ابن جبير قائلاً: «ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين انهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم ، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان ، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب، ويبايعونهم به ويشارونهم ، ويذكر أنهم متى أقاموا عن هذه الميرة ببلادهم تجدب ، ويقع الموتان في مواشيهم وأنعامهم ، وبوصولهم بها تخصب بلادهم وتقع البركة في أموالهم » (١٩٥٠) ،

ويؤكد ابن بطوطة في رحلته على ما ذكره ابن جبير فيقول: - " وأهل الجهات الموالية لمكة ، مثل بجيلة ، وزهران ، وغامد يبادرون لعضور عمرة رجب ، ويجلبون إلى مكة : الحبوب ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، والزيت ، واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها ، وتعمهم المرافق " (١٠١٠) ، ويضيف ابن الجاور إلى ما سبق قوله :- " فأذا دخلوا مكة ملؤوها خبزاً من الحنطة ، والشعير ، والسويق ، والسمن ، والعسل، والدرة ، والدخن واللوز والزبيب ، وماشابه ذلك ، وكذلك يقول أهل مكة : حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب ، والسرو أمنا نكسب منهم القوت " (١٩٧٠) ،

وقد ظل هذا النشاط التجاري متواصلاً إلى عهد قريب فكنا نرى أهل قامة والسراة يسوقون مواشيهم ويحملون بعض سلعهم إلى أسواق مكة في مواسم الحج كي يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمالها سلعاً أخرى تفيدهم في حياقم اليومية ، كالألبسة المختلفة ، وأدوات الزينة والطعام وما شابهها ،

## عاشراً: المعاملات التجاريـــة:

إن دراسة أوجه النشاط التجاري لبلاد قامة والسراة ، في ضوء الازدهار الذي شهدته تلك المنطقة في مجال التجارة داخلياً وخارجياً، تستلزم من الباحث بطبيعة الحال، استجلاء طرق التعامل التجاري المتبعة آنذاك في أسواقها، ودرج التجار من أبنائها والوافدين عليها على التعامل كها •

وفيمايلي دراسة موجزة لأوجه التعامل :-

# أ القايضة:

وكانت من أهم وسائل التعامل التجاري داخل أرض تهامة والسراة، وقد لجأ اليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية في أسواقهم ، فاستعاضوا بها عن النقد ، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة ، وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة في الأسواق، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية ، حيث يجدون فيها سلعا أخرى هم في حاجة إليها، فيتم تبادل السلع بعضها ببعض كل حسب حاجته، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجاري، مقتصرة على الأسواق المحلية، وإنما كانت سائدة أيضاً داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، يؤكد ذلك كل من الأزرقي، وناصر خسرو ، وابن جبير، وابن المجاور، وابن بطوطة خلال حديثهم عن نشاط أهل السراة التجاري، وكيف الهم كانوا يحملون من بلادهم سلعاً عديدة مثل الحبوب بأنواعها، والسمن ، والعسل ، والزبيب، واللوز وغيرها، فيأتون بها إلى أسواق الحجاز فيقايضون بما سلعاً أخرى يحتاجونها في ديارهم (١٩٥١)، وقد نص ابن جبير على شيوع فيقايضة كوسيلة للتعامل التجاري أساسية بين تجار السروات وأهل مكة بشكل صريح

فيقرل: " ومن العجب في أمر هؤلاء \_ يقصد أهل السراة \_ المائرين أنهم لايبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنها يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب، ويبايعونهم ويشارونهم (١١١)،

## ب\_ التعامل النقدي:

تُعد وحدات النقد العمود الفقري للاقتصاد النقدي ، فهي تمثل سلطة الدولة وشرعيتها، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة ، ومرونة قصوى في سبيل تحقيق مطالبه وإشباع رغباته الشرائية (٢٠٠٠) وقد عرفت أسواق تمامة والسراة مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامي التعامل النقدي كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التي سادت في الأوساط التجارية في العصور الوسطى الإسلامية، ولاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية المتحاري العلاقات الاقتصادية العليقات الاقتصادية المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها العليقات الاقتصادية العليقات المتحاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية العليقات المتحاري العليق المتحاري العليقات العليقات المتحارية العليقات العليقات المتحاري العلية العليقات المتحاري العلية العربي العلية العلية العربية العلية العربية ا

ويمكننا أن نقسم الوحدات التي سادت أسواق شبه الجزيرة العربية بما فيها أسواق تمامة والسراة وجرى بها التعامل التجاري في الفترة موضوع البحث إلى ثلاث وحدات نقدية وهي : النقود الذهبية (الدينار) ، ويمثل الوحدة النقدية الرئيسة لاسيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى، ثم النقود الفضية (الدارهم) ، وكانت تجرى بها عمليات البيع والشراء في الأسواق الداخلية لاسيما السلع الغذائية، والنقود النحاسية (الفلوس) وهي بمثابة الوحدات النقدية المساعدة ،

ونلاحظ أن أهل تمامة والسراة قد استخدموا العملة على اختلاف وحداتما في نشاطهم التجاري بوجه خاص لاسيما مع تجار المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن ، وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التي استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن في تجارتهم الداخلية والخارجية ، ومن بينها تجارتهم مع بلاد تمامة والسراة ، كانت هى العملة

الذهبية السائدة في العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي المبكر، وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية (٢٠١) .

أما عن أنواع العملة المستخدمة في التعامل التجاري بين سكان هامة والسراة، وكذلك أهل مكة واليمن، فيذكر المقدسي أهم استخدموا النقود المحلية المطوقة ، وهي العشرية ثلثا المثقال (٢٠٢) حيث يقول (وتؤخذ كدراهم اليمن عدداً ، وتفضل العثرية، حتى ربما كان بينها دريهم، ودينار عدن قيمته سبعة دراهم، وهو ثلثا المبغوي توزن ولاتعدده، والدراهم المستعملة في الأقاليم - يقصد بلاد اليمن - تسمى بمكة المحمدية مع ولأهل اليمن العلوية )) (٢٠٣) .

كما عرفت بلاد الحجاز ، عملة " المزبقة" (۲۰٤) ، ولكن هذه العملة كثيراً ما كانت تتعرض للتزييف مثلها في ذلك مثل الدراهم النقية التي كانت هي الأخرى تتعرض للتزييف، وتبلغ قيمة هذا النوع من العملة ( المزبفة) ،  $\frac{1}{24}$  من الدرهم النقي، أي أن كل أربعة وعشرين درهماً من المزبفة ، تساوي درهماً واحداً من الدراهم النقيسة (۲۰۰، ولوحظ أن أهل السراة وقامة كانوا يتعاملون أحياناً بهذه العملة عند قدومهم إلى أسواق الحجاز، وربما حملوها إلى ديارهم للتعامل بها هناك ،

وهناك نوع ثالث من العملة كانت سائدة بدورها أيضاً في الأوساط التجارية ببلاد اليمن والحجاز ، والأرجح أنه تم التعامل بها أيضاً في بلاد السراة ، وهذه العملة هي الذهب المصري، والذي عُرف أيضاً باسم الدينار المصري (٢٠٠٠)، أو الدينار الأحمر (٢٠٠٠) ، وقد أشار إلى هذه العملة المؤرخ ابن المجاور والذي حدّد استخدامها في هذه المناطق وأشار إلى سعر صرفه مقارنة بالدينار السائد في اليمن ويعرف بالدينار الملكي (٢٠٨) ،

كما راجت في أسواق المنطقة موضوع الدراسة الدراهم الفضية وكانت تعرف بالدراهم العباسية (٢٠٩)، وقد ظلت سائدة في أسواق السراة واليمن، حتى بدايات (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) عندما أقدم الأئمة الزيدية على ضرب عملة فضية بأسمائهم في صعدة، ولكنها لم تنتشر انتشار الدراهم العباسية لنقص أوزالها عنها من ناحية، وتطرق الزُغل " التزييف" إليها (٢١٠)، ومع قلة الواصل من معدن الذهب إلى أسواق الشرق الأدنى والساحل الشرقي للبحر الأهر بصفة خاصة مع تزايد أخطار الحركة الصليبية، بدأ الناس في الاعتماد على الفضة واستخدامها بشكل رئيس في ضرب العملة، وبدأ النظام النقدي يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية، وتحول الذهب إلى مجرد وسيلة لتقدير القيمة المدفوعة من القطع الفضة،

## جـ ـ الدفع بالأجل :

وهي إحدى طرق ثلاث عُرفت في أوجه التعامل بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشتري ، وبعد الصكوك أو الحولات ، ثم البيع والدفع بالأجل ، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لايستطيع الدفع نقداً، وأحياناً يقوم هؤلاء الباعة الصغار بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقسيطاً، ويحدد يوم معين من أيام الأسبوع يتم الاتفاق عليه بين الطرفين موعداً للسداد وقد شاعت هذه الطريقة في شبه الجزيرة العربية عامة وفي بلاد اليمن خاصة في بيع صفقات التمور، ولا نستبعد تعامل أهل السراة وقامة بما في ضوء انتشار هذه الطريقة في شتى مناحى الديار الإسلامية (٢١١) ،

### د\_ الموازين والمكاييل والمقاييس:

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامي، كما كانت تختلف أيضاً في القطر الواحد من مدينة إلى أخرى، كما يظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلى عصر (٢١٢).

ويبدو واضحاً اختلاف وحدة الموازين والمكاييل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة، فوحدة المكيال تعرف في السلع السائلة باسم الوعاء الذي يحتويها فالسمن على سبيل المثال يباع بالجَمنة وهي تساوي خسة أمنان (٢١٣) ، كذلك كان الشيرج " السليط " يباع بالجرة أو بالمن، والجمنة والجرة هما اللذان يحفظ بجما السمن والشيرج " السليط أو الزيت " لسيولتهما (٢١٤) ،

# ١\_ الموازيسن:

أما عن وحدات الوزن المعروفة في شبه الجزيرة العربية ، ومنها الحجاز واليمن وبلاد قامة والسراة فأولها المن، وهو وحدة الميزان الرئيس في هذه المناطق، ويطلق عليه أحياناً مسمى " رطل " وكان الرطل المكي يساوي مائتي درهم (٢١٥)، وكانت معظم السلع التجارية وفي مقدمتها العطور والحلويات والعسل، وكذا الثياب الحريرية تباع في بلاد قامة والسراة بالرطل أو المن (٢١٦)،

وجدير بالذكر أن عيار المن أو الرطل يختلف باختلاف نوعية السلعة الموزون هما، وبالتالي يختلف عياره عن المن أو الرطل الرسمي السابق، فكان المن أو الرطل المستخدم في وزن اللحم والشحم والهريس (٢١٧)، والجنيه يعادل ٤٠٠ درهم (٢١٨) فيكون وزنه بالجرامات حوالي (١٢٥٠) جم وهو بذلك يساوي ما كان معروفاً في القطر المصري حتى وقت قريب بالأقة (٢١٩)، بينما يبلغ عياره – كما سبق القول – في

#### ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة

وزن السمن ثمانمائة درهم ، كذلك يستخدم هذا العيار للمن في بيع الزيت والخوب والمن أن المن في بيع الزيت والخوب والخوب والمن والخوب والمن والخوب والمن والمن والمن والمن والمن والمن والمنور وال

كما لايزال يستخدم حتى الآن عدة أنواع أخرى من الأرطال يختلف وزلها باختلاف البلد المنسوب إليه من بلاد تهامة والسراة ، مثل الرطل الحجري، والبندري، والبارقي وغيرها، كما استخدم في الموازين أيضاً الدينار، والدرهم ، والدانق (٢٢٢)، والقيراط (٢٢٣) ، ومن الثابت عند اختلاف عيار النقد كان يتم التعامل بالنقود وزنا لاعداً (٢٢٠٠) ، فكان وزن الدرهم ستة دوانق، وكل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيــــل (٢٢٠٠) ، والدانق يساوي قيراطين ونصفاً (٢٢٠٠).

### ـ الأوقية :

وحددها ابن المجاور بحوالي  $\left(21\frac{1}{3}\right)$  درهم وبحساب الدرهم (١٢٥ و ٣٠١ و ٣٠٥ و عددها ابن المجاور بحوالي  $\left(21\frac{1}{3}\right)$  درهم وبحساب الدرهم (١٢٥ و يكون وزن الأوقية في (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) بالسلام (٣٧٠) جم، بينما ذكر هنتس أن وزنما في شبه جزيرة العرب في صدر الإسلام كان حوالي (٤٠) درهماً أي (١٢٥) جم (٢٢٧) (210)

### ـ البيعة :

وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأديم وقدرها ابن المجاور بمائة مسن، وذكر أن حمل المجمل يبلغ بيعتين ونصفاً ومن ثم يتراوح وزن البيعة الواحدة طبقاً لوزن المن ما بين  $\left(81\frac{1}{4}\right)$  كيلو جراماً ، أو  $(1 \cdot 0)$  كيلو $(81\frac{1}{4})$ 

### ٢\_ المكاييك :

تعددت أنواع وأسماء المكاييل التي استخدمها أهل تمامة والسراة في التعامل مع الحبوب والغلال والتمور وما شابحها فكان هناك :-

### <u>ا المسلم :</u>

اختلف الفقهاء في تقديره ، ولذا اختلف عياره من منطقة إلى أخرى في العالم الإسلامي ، ففي بلاد تهامة والسراة ، حيث كان يستخدم وحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة فيبلغ وزنه خسة أرطال وثلثاً أو ما يعادل رُبع الصاع(٢٢٩).

### ب - الصـــاع:

ويستخدم في بيع الحنطة وسائر الحبوب في بلاد قامة والسراة، أو تلك المجلوبة إلى أسواق الحجاز، ويقدره ابن المجاور بأربعة أمداد، كما استخدم الفرق في الكيل، وهو يعادل ثلاثة صيعان (٢٣٠).

ويلاحظ أن المكاييل شألها شأن النقود، كانت تتعرض أحياناً لحالات الغش والتطفيف، لاسيما عند أرباب السفن في الموانىء الواقعة على ساحل البحر الأحمر، يؤكد ذلك المقدسي بقوله ( وفهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما (وهو الأصفر) جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير (۲۳۱)،

## ٣\_ المقاييس

وكانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة في أسواق همامة والسراة هي :- \_ الثراع : (٢٢٢) :

ويختلف طوله حسب الزمان والمكان ، وينقص في المواسم ويعود إلى ما كان عليه قبل الموسم، وهو عدة أنواع منها الذراع اليدوي ، والذراع الحديدي، أما ذراع

اليد فيستخدم كوحدة قياس في بيع وشراء الأقمشة كالبرود وشقق الحرير وغيرها ويتراوح طول ذراع اليد ما بين (٤٨,٥٤سم) إلى (٣,٠٥سم).

أما الذراع الحديدي ، فكان يستخدم في قياس وبيع ألواح الساج ، وأيضاً بعض الأقمشة كالبز وغيرها وطوله حوالي (١٨٧ر٥همم)(٢٣٤ ويضاف إلى هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضي وتقدير مساحتها عُرف بالذراع الشرعي أو ذراع المساحة، وكان يبلغ طوله حوالي (١٨٧٥ههم)(٢٣٥) .

كما عُرفت مقاييس وأطوال أخرى مثل قدم الانسان وخطوته ، وشبر الكف، والباع (٢٣٦) ، وعُرف أيضاً الميل عند أهل قامة والسراة، وذلك من خلال ما ذكره الهمداني عند تقديره لمسافات الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز عبر أراضي السراة ، فقدرها بالأميال (٢٣٧).

# الحادي عشر: معوقات التجارة:

رغم هذا النشاط التجاري الذي شاهدته بلاد هامة والسراة، فإنه نشاط قد تأثر سلباً ببعض المعوقات ، والملاحظ أن هذه المعوقات لم تلق بظلالها على التجارة فقط، بل أيضاً على جوانب أخرى من الأنشطة البشرية في هذه المنطقة، ولعل أهم هذه المعوقات هي:—

أ - الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك أحياناً بأهل البلاد، فتهلك منهم اعداداً كبيرة ، فتتأثر القوى البشرية المنتجة في المنطقة، ومن ثم تتاثر حركة الأنشطة البشرية في مجتمع تهامة والسراة، ونجد بعض المصادر تشير إلى هذه الأوبئة وتأثيرها الضار على النشاط السكاني، مثل : - ابن كثير ، حيث يذكر في حوادث (٩٧ ٥هـ/، ١٢٠م) فيقول : - "وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت منها ثماني عشرة لم يبق

فيها ديار ولا نافخ نار"(٢٣٨)، ويذكر ابن فهد في أحداث عام (٣٤هه/ مها ٤٣٠هـ/ ٤٣٠ هـ) أنه "وقع بالطائف، ووج، وليه، وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيهم إلا الله، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لا مالك لها، واستولى عليها سواهم، وامتد هذا الوباء إلى نخلة ولله عاقبة الأمور"(٢٣٩)،

ومن أهم الأوبئة التي هاجمت منطقة قامة والسراة: الطاعون ، والجدري ، والحمى وغيرها من الأمراض الفتاكة، ومن أهم المصادر التي أشارت إلى انتشار مرض الحمى والجدري وغيرها في بلاد قامة، المؤرخ عبد الله بن على النعمان فيذكر عام (١٥٩هـ/ ٤٤٥١م) أنه ( حصل على المسلمين الوباء العظيم، والأمراض بالحمى الضمدي المطبقة بمدينة أبي عريش ، وصبيا ، وضمد ••• وكافة المخلاف السليماني كان ابتداؤه في شهر رمضان، واستمر نحو سبعة أشهر ، انتقل بسببه عالم كثيرون ، وعلماء أخيار، وسادة أخيار ••• وأشراف أجلاء كبار فلله الأمر من قبل ومن بعد ، قيل وإن الذين فقدوا من أعيان وادي جازان ••• مدة الوباء الف ومائتان نفس (١٠٤٠) ، ويذكر أيضاً أنه في عام (١٥٥٠ - ١٠٥ هـ/ ١٦٤٩ – ١٦٥٥م) ظهر بالناس ببلاد قلمة والسراة وغيرها مرض الجدري فقضى على حلق كثير (١٤٠٠) .

وإذا كانت هذه الأمراض ، من أهم معوقات الحضارة في مجتمع قامة والسراة ، بسبب فقدان أهم قوة مؤثرة في خلق هذه الحضارة ، وهي القوة البشرية ، فإن هذه الأمراض قد أضرت أيضاً بممتلكات سكان هذه المنطقة ، وبخاصة بحيواناقم مثل : – الجمال ، والأبقار ، والحمير ، والبغال وغيرها ، فتأثر اقتصاد الأسرة والمجتمع كله ، وتؤكد الروايات إلى أنه كان من أصعب الأمراض منذ القدم هناك ، هو مرض الجدري ، والحميات ، فكان كثير من الناس بل أسر كاملة تموت دون أن تجد المساعدة ، أو الرعاية الطبية لمحاربة تلك الأمراض (٢٤٢) .

ب - تعرض البلاد لموجات من الجفاف، والقحط، والغلاء فيذكر أيضاً عبد الله الضمدي أثناء حديثه عن بعض أجزاء من هامة فيقول: - « حصل فيها غلاء عظيم عن السهل والجبل، لاسيما المخلاف السليماني كان ابتداؤه في سنسة (١٥٩٤هـ/١٥٦٤م) وامتد إلى سنة (١٩٧٨هـ/١٥٧٠م) حتى كادت عقود شعائر الإسلام أن تستخرم وأجلت الناس عن أوطانها ••• وخرجت المخدرات من بنات السناس سائرات في الأسواق ، ويقلون الدم ويأكلونه ، وانقطعت السبل ويذكر أيضا في عام (٩٧٩هـ/٩٧١م) أنه "وقع القحط والفلاء في أرض الحجان وانقطعت المأكولات في الأسواق وهلكت النواب" (٢٤٤) ، ويذكر أنه في عـــام (٤٦ / ١٠٤هـــــ/١٦٣٦م) ( وقعت مجاعة في وادي ضمد ذهب ضعيتها ألفان من أهل بلدة الشقيري) (٢٤٠) ، وفي عــام (٦٦٠ ١هـ/١٥٦م) ((  $)^{(11)}$   $)^{(11)}$   $)^{(11)}$   $)^{(11)}$   $)^{(11)}$   $)^{(11)}$   $)^{(11)}$ وفي سنة (١٠٧٩هـ /١٦٦٨م) ( تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الُجِـدِبِ والقحيط في صبيا والتهانم ونواحيها • • وكذلك أهل الحجاز الأعلى هـربوا من بلادهم وتركوها، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هاربين. وإلى رب السبيت ملتجسئين وخاضعين، وهسم يصيحون ، الجسوع الجسوع ، ويتضرعون وفي الطريق يتصرعون، (٢٤٧) ويذكر أنه في صفر عام (١١٧١هـ/ ١٧٥٧م) ابستدأ تسرافع الأسسعار وشمسل ذلسك أكثر النواحي والأقطار ٢٠٠٠وكان يسنقل الطعمام من أرض السيمن كنزييد ونواحيها، ولم يزل الترافع في ازدياد حـتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشاً ٠٠٠ ومات عالم كثير بالجوع والمرض وهلكت الأنعام)) (١٤٨).

جـ - صعوبة تضاريس بلاد السراة، وارتفاع درجة الحرارة في أرض هامة، كل هذا اعاق حركة الإنتاج، فصعوبة التضاريس يعرقل حركة النقل والمواصلات، وارتفاع درجة الحرارة ينشر الأمراض، ويقلل من حجم الإنتاج (٢٤٩)،

- انتشار القبائل في مناطق وعرة، وبُعد هذه القبائل عن المركز السياسي للخلافة الإسلامية،فنشبت الصراعات والحروب القبلية على حدود الأراضي والأودية بسبب التواع على ملكية الأراضي أحياناً ، وبسبب التعدي على حقوق الجيران، وبسبب انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر أحياناً أخرى، فانشغل أهل هذه القبائل عن أعمالهم ، ومنها العمل التجاري ، كما تخرف تجار المناطق البعيدة من الحضور إلى مناطق المنازعات خوفاً على حياهم وعلى تجارهم بسبب غياب الأمن في هذه المناطق في بعض الأحيان ، وتؤكد بعض الروايات التي ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) هذه المتراعات أو تذكر تفاصيل هذه الاشتباكات التي كانت تقلق مضاجع الناس ، وتشل حركتهم في شتى الجالات (٢٥٠٠) ،
- هـ معاناة التجار والحجاج للجوع والعطش أثناء رحلاقهم ذهاباً وإياباً ما بين الحجاز وبلادهم، مما أدى إلى موت كثير منهم، فتذكر بعض المصادر أنه في عام (٧٨٧هـ/١٩٨٩م) قد أصاب حجاج اليمن عطش شديد هلك على أثره حوالي ألف نسمة (٢٥١)، وفي عام (٥٠٠هـ/١٣٩٧م) يذكر ابن حجر أنه أصاب الحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة ، في ذلك الموسم ، عطش أودى بحياة الكثير منهم، (٢٥٠) ويذكر ابن فهد أنه في سنة (٥٠هـ/ ٢٤٤٦م) قد وقع على حجاج البحر من أهل اليمن أمر عظيم، وهو أهم لما وصلوا بلدة على طريق الليث خالف عليهم الريح، فخرجوا إلى البر فضاع بحم الدليل عن الماء ، فمات منهم خلق كثير (٢٥٠٠).
- قديد قطاع الطرق واللصوص لطرق التجارة والحج ، وقدد أمن طرق التجار والحجاج من بلادهم إلى بلاد الحجاز ، فقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات غزيرة عن جرائم قطاع الطريق، والاعتداءات التي كانوا يقومون

كما على الحجاج والتجار فيقتلوهم ويأخذون أمواهم ، وغالباً ما كان أفراد من بعض القبائل والعشائر الواقعة على الطريق هم الذين يقومون كمذه الأعمال، وفقدان الأمن في البلاد ، ثم الجوع والحاجة هما من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القبائل إلى الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار ولهب أمواهم، ويذكر ابن المجاور ، خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وضع السكان في إحدى الأجزاء التهامية وقطعهم طريق الحج والتجارة ، فيقول :- "... لم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم، ولا أسرف ، ولا أجرم ، ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج، لانهم يسمون الحاج جفنة الله ، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون :- إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد، وإذا قلت لأحدهم : قطع الله رزقك من الحرام ، الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ، ولا أخذ ولا عطاء ، وجميع ما تعملونه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ، ولا أخذ ولا عطاء ، وجميع ما تعملونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من المضائح والفنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقصى للحاج منكم الحق وثلث الباطل"(١٥٠٠).

## الثاني عشر: الخاتمــة

ومسن هذا العرض نخلص إلى القول بأن بلاد قامة والسراة قد تمتعت بنشاط تجاري زاهر خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، ساعد على ذلك ما حظيت به تسلك الأراضي من بعض المقومات الرئيسة المساعدة على قيام نشاط تجاري متعدد ومتنوع ، حيث توفرت طرق المواصلات التجارية ، كما تعددت بها المراكز الحضارية التي تحتوي على أسواق عديدة زاخرة بحركة البيع والشراء للكثير من السلع المحلية ، أو تلك التي كان تجار السروات يهتمون بالحصول عليها من المناطق والبلدان المجاورة ، حيث تجدد لها سوقاً نافقة ببلاد قامة والسراة وبخاصة السلع الشرقية الواردة من الشسرق الأقصى عن طريق بلاد اليمن الأمر الذي أدى إلى تنشيط حركة التبادل التجاري في المنطقة ،

ونلاحظ أنه على الرغم من وجود بعض معوقات التجارة - كما اسلفنا القول - فإنما لم تفت في عضد النشاط التجاري على أرض تمامة والسراة بل ظل أهلها عبر حقسب التاريخ المختلفة يقومون بدور إيجابي ملموس في تنشيط الحركة التجارية بخاصة والحياة الاقتصادية بعامة في شتى أنحاء شبه جزيرة العرب •

ونحن من خلال هذه الورقة لا ندعي استكمال كل ما يتعلق بالتجارة والتجار وأي بلاد تهامة والسراة ، وإنما اكتفينا بذكر بعض الملامح الهامة لهذا الجانب الهام من جوانب التاريخ الحضاري للبلاد الواقعة في جنوبي المملكة السعودية في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة – فتعرفنا على العوامل والأسباب التي أدت إلى ازدهار الدور التجاري لهذه المناطق – داخلياً وخارجياً فأبرزت ما لقيته التجارة من اهتمام الولاة والحكام حرصاً على توفير السلع اللازمة لمواطني السروات ، عن طريق الاهتمام

بإصلاح الطرق التجارية وإقامة المحطات لراحة التجار والمسافرين ، كما أوضحت من خلال هذا العرض كيف غمرت شتى المراكز الحضارية في المنطقة بالكثير من أصناف السلع سواء المنتجة محلياً او الواردة من بلدان الشرق على اختلافها، والتي قامت على تصريفها مجموعة من الأسواق المتنوعة ما بين أسبوعية ويومية ودائمة ومتخصصة ، كما أشرنا إلى العامل الجغرافي وكيف كان له أبلغ الأثر في تبوَّء هذه المناطق مكانة متميزة في المجال التجاري، واختتمنا هذه الدراسة بابراز عدد من الحقائق تتصل بنظم المعاملات التجارية السائدة في أسواقها ، فأوضحت معرفة بلاد قامة والسراة للتعامل النقدي وبينت أنواع العملة المتداولة في أسواقها ، وشيوع الاعتماد على النقد الفضي نظراً للتدهور الذي اصاب النقد الذهبي، كما أبرزت وسائل التعامل الأخرى التي شاعت في أسواق السروات ومنها المقايضة والبيع بالأجل وغير ذلك ،

واختتمت الدراسة بعرض موجز نجموعة من المكاييل والموازين والمقاييس المستخدمة في بلاد قامة والسراة وأبرزت أن منها بعض الوحدات اشتركت في استعمالها مع مثيلاتها من بلدان الشرق، وأوضحت كيف أن هذه الوحدات كانت عيارةا تختلف باختلاف المدن من ناحية ، ونوعية السلع المباعة بهذه الوحدات من ناحية أخرى و كذلك أثبت معرفة بلاد قامة والسراة لنظام الحسبة والمحتسب شألها في ذلك شأن غيرها من الأقطار الاسلامية الأخرى و

ورغم ما قدمناه في هذه الدراسة ، فإننا نوصي الدارسين والباحثين المهتمين بتراث وفكر وحضارة الجزيرة العربية عامة ، وتهامة والسراة خاصة أن يُعْنوا بهذه المنطقة المهمة من أرض الجزيرة العربية التي طواها الإهمال والنسيان فعاشت معزولة فترة طويلة خلال عصور الإسلام ، حتى نتوصل إلى حقيقة أهميتها ودورها التاريخي على مر العصور الإسلامية ه

# الثالث عشر: الحواشي والتعليقات

- أنظر جمال الدين محمد بن منظور لسان العرب نسقه وعلق عليه علي شيري (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) جــ ٢٠٠٦ ٣٠٦ (مادة :- قم)؛ إسماعيل بن حماد الجوهري الصحاح :- تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (معلومات النشر بدون ، ٢٠٤١هـ /١٩٨٢م) جــ ٥، ص ١٨٧٨ (مادة :- قم) ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي معجم البلدان (بيروت: دار صادر (٤٠٤١هـ /١٩٨٤م) جــ ٢ (مادة :- قمام) صحح ومابعدها •
- عمد بن حبيب (البغدادي) ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، صحخه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق (بيروت :- عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٥٧ وما بعدها، لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ/ ١٣٩٧م) ص ١٨١ ومابعدها؛ ابو معين الدين ناصر خسرو ، سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ترجمه عن الفارسية وحققه ، أحمد خالد البدلي (جامعة الملك سعود) :- عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨٣م) ص ١٩٨٩م) ص ١٩٨٩م صفة بلاد اليمن ، ومكة ، وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر ، تحقيق أوسكر لوفغرين (ليدن : مطبعة بريل ، ومابعدها ، ص ١٧ ومابعدها ،
- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٦٥، ٦٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣، ٣٤١، عمد بن أحمد العقيلي، المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان، منشورات نادي جازان الأدبي (القاهرة: مطابع نمضة مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢١٣، ٤٢٥، ٢٢٤؛ أحمد بن عمر الزيلعي، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة ، (الرياض: الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٩م) ص٧٥ ومابعدها، عبد الله محمد أبو داهش، أهل تمامة :- المخلاف السليماني وحلي بن يعقوب

- وأحوازها في القرون الإسلامية الوسيطة (٤٠٠٠-١٢٠هــ/١٠٠٩م) من ٢٤ هـــ/١٢٠٩م) من ٢٤ ومابعدها ٠ (الرياض: مكتبة العبيكان ٢٤٠٠هـــ/١٩٩٩م) من ٢٤ ومابعدها ٠
- المصادر نفسها، كما انظر: عائق بن عيث البلادي، بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مكة المكرمة:دار مكة،١٤٠٧هـ/١٩٨٩م) ص ٢٨ ومابعدها، أيضاً الباحث له خبرة بهذه المواطن كونه زارها وتجول في أرجائها مرات عديدة وفي أوقات مختلفة على مدار عشرين عاماً (٢٠٠٧هـ/ ١٤٨١م ١٤٢١هـ/ ١٠٠٠م).
- انظر، یاقوت الحموی، معجم البلدان، جـــ (مادة :- حجاز) ص ۲۱۹؛ زکریا بن محمد بن محمود القزوینی، آثار البلاد وأخبار العباد (بیروت : دار صادر، ۲۰۶ هــ/ ۱۹۸۶) ص ۸۶ ۹۰، صالح أحمد العلی، " تحدید الحجاز عند المتقدمین" مجلة العرب (۱۳۸۸هــ/۱۹۸۸) جـــ (۱۳۹۰) عبد الله الوهیبی، " الحجاز کما حدده الحغرافیون العرب " مجلة کلیة الآداب بجامعة الریاض (الملك سعود حالیـــــــــ) جـــ (۱۳۹۰هــ/۱۳۹۰م) ص ۵۳ ومابعدها.
- المصادر نفسها، أيضاً انظر غيثان بن علي بن جريس " بلاد تمامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل" ، مجلة المؤرخ العربي العدد الثاني، المجلد الأول (مارس/ ١٩٩٤م) ص ٧٣ وما بعدها .
- ٧ لمزيد من التفصيلات عن هذه السروات انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٩ ومابعدها ، غيثان بن علي بن ومابعدها،عاتق البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١٤ ومابعدها ، غيثان بن علي بن جريس، " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة، عدد (٣) سنة (١٩) (ربيع الآخر والجماديان/ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٧٦ ومابعدها .
  - ٨ المصادر نفسها •
- ٩ المصادر نفسها، بالإضافة إلى كتاب ، عبد الرحمن صادق الشريف ، جغرافية، المملكة العربية السعودية ، (إقليم جنوب غرب المملكة) (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ١٣٣٣ ومابعدها ،
  - ١٠ المصادر نفسها التي وردت في حاشيتي (٨ ، ٩ ) ٠

- 11 عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ص ١٣٧ ومابعدها، صالح بن علي بن عبد الرحمن الشمراني "أشكال المدرجات الزراعية، وتوزيعها المكاني، وأهميتها في إقليم السراة جنوب غربي المملكة العربية السعودية" تم نشر هذا البحث ضمن سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ( مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٩م) ص ٢٣٠ غيثان بن علي بن جريس، عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠م) ص ٢٩٠ (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص ١٩ ومابعدها،
  - ١٢ المصادر نفسها •
- ۱۳ محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ٢٠٤١هـ/١٩٨٧م) جـ١، ص٦٧ وما بعدها، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٤٤ ومابعدها، غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العـــرب للهمداني "، ص ٧٨ ومابعدها،
- 19 انظر: أبو عبد الله عمر الواقدي، فتوح الشام (بيروت: دار الجيسل: دوت، جدا، ص ومابعدها؛ محمد بن عبد الله الأزدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (بيروت: دار الكتب العلمية، ٥٠٤ هــ/١٩٨٣م) ص ١٢٨ ومابعدها، أبو محمد أحمد بن أعثم، كتاب الفتوح، مصور من طبعة حيدر آباد بالهند (بيروت: دار الندوة، ١٣٨٨هــ/١٩٨٨م) جدا، ص ١٠٤، ١١٤ ومابعدها؛ نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشدر، دوت) ص ١٢٥ وما بعدها، عبد الرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص٢٩٣ ومابعدها،
- 10 لمزيد من التفصيلات عن مراسلات الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده، انظر ابن حبيب و كتاب المنمق، ص ١٩٩ ٢١١، جمال الدين بن الجوزي و صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب: دار الوعي، محمد بن جرير الطبري و تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار

- سويدان ١٣٨٢هــ/١٩٦٦م) جــ٣، ص ١٣٠، ١٣١١ ١٣٦، ١٣٦، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخريسن ( بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١هــ/١٩٩٠م) جــ٣، ص ٢٦ ومابعدها ؛ محمد حيد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت: دار النفائس ، ٢٠٥ هــ/١٩٨٥م) ص ٢٤١، ٢٨٩، ٢٩٠ ومابعدها ،
- 17 انظر: جميع المصادر الواردة في حاشيتي (١٤، ١٥) ، كما انظر عبد الواحد محمد راغب دلال ، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ( القاهرة : مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٦٤هـ/١٩٥٩م)، ص ٢٥٤ ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس " تاريخ علاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى "مجلة العصور مج (٩) جـ (١) علاف جرش علال ١٤١٤هـ/١٩٩٩م) ، ص٣٦ ومابعدها ،
- 1۷ لمزيد من التفصيلات عن اهتمامات خلفاء بني أمية والخلفاء الأول من بني العباس ببلاد قامة والسراة ، وارسال الولاة إلى الحجاز، والذين هم بدورهم يمدون إصلاحاقم وأعمالهم إلى هذه البلاد موضوع الدراسة، انظر : محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ٣٠٤ ١هــ/١٩٨٣م) جــ ١، ص ١٨٨، ١٩١، ١٩١، ١٩١؛ عبد الرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢٩٣ ومابعدها،
- ۱۸ المصادر نفسها، كما انظر عبد الواحد دلال و البيان ، ص ۲۵۰، ومابعدها، كما انظر ايضاً :- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي و اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول (القاهرة: دار الفكر، ١٤٤٤هـ/١٤٩٤م) ، ص ٢١٩ ومابعدها و
- انظر المصادر التي وردت في حاشيتي (١٧ ، ١٨) ، كما انظر : ابن جريس " بلاد تمامة والسراة كما وصفها الرحالة ، ٠٠ " ص٧٧ ومابعدها؛ عبد الله أبو داهش أهل تمامة، ص٨٠١ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه انظر : أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة (معلومات النشر غير مذكورة) (١٤١٧هـــ) ، ص ٥٥ ومابعدها ،

طبقات فحول الشعراء • قراءة وشرح محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني • د • ت) جـــ ٢ ، ص ٥٩٣ ، ٥٩٣ ، وعن المعادن ومواطنها وأهميتها في شبه الجزيرة العربية وخاصة في بلاد قامة والسراة وكذلك أرض اليمن ، انظر: – الحسن بن أحمد الهمداني • كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ( السويد: ابسالا، المحمداني • كتاب ١٠٤٥ ومابعدها •

٢١ - انظر معلومات أكثر في المصادر والمراجع الواردة في الحواشي الآنفة الذكر (١٩، ١٩، ١٩، ١٠) وعن الحسبه وما يقوم به المحتسب من أعمال، انظر :- يجيى بن عمر • كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق (تونس، د • ت /١٣٩٥هـ/١٩٩٥م) ص ٦٥ ومابعدها، ضياء الدين محمد بن الأخوة • كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة • تحقيق محمد شعبان (القاهرة، د • ت / ١٣٩٦هـ/١٩٩٦) ص ٧٧ ومابعدها •

٢٢ - المصادر نفسها •

١٣٧ - انظر : أحمد بن عبد الله القلقشندي ، مآثر الآنافة في معالم الحلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فرج ( مطبعة الكويت، طبعة مصورة، ٥٠٤ هـ ١٩٨٥م) جـ١، ص١٩٨٠ تقي الدين المقريزي ، الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، د٠ت ،١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٥٥، أحمد العلي " طرق المواصلات في الحجاز" مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٩٨م) جـ١١ ،سنة (٢) ، ص٩٧٥ ومابعدها، حسين علي المسري " نجران ودورها السياسي والاقتصادي " مجلة المؤرخ المصري ( جامعة القاهرة : كلية الآداب، العدد (٩) يوليو (١٩٩٢) ، ص٧٧ - ٨٧ ومابعدها ،

٢٢ - انظر : أبو الفرج قدامة • نبذة من كتاب الحراج وصنعة الكتابة • ملحق بكتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك • تحقيق ام • دي غوي (ليدن ك مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٣٠٩م) ، ص ١٨٨٩-١٨٩ ، ابن جريس " بلاد تمامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون • • • " ص ٧٤ ومابعدها •

- ۲۵ انظر معلومات أكثر عن الخيزران عند شمس الدين أبو العباس بن حلكان وفيات الأعيان وبيات الأعيان وبياروت ، دار صادر (۱۳۹۷هـ/۱۹۹۷م)، جـ۱، ص۲۷۷، ۲۷۷ و ۲۷۲، ۳۲۹ و ۲۷۷، ۳۲۲ و ۲۷۷ و ۲۷ و ۲۷۷ و ۲۷۷ و ۲۷ و ۲
- ۲۲ انظر : القلقشندي، مآثر الآنافة، جــ ۱، ص۸۶، حسين المسري " نجران ودورها مسياسي ٠٠٠ ص ٨٣ ومابعدها٠
- - ۲۸ المصادر نفسها •
  - ۲۹ ناصر خسرو، سفرنامة، ص ۱ ٤١ ۱ ٤٢ .
  - ٣٠ ابن المجاور، تاريخ المستبصر ، جــ١، ص ٣٧ •
- ٣١ وقد لمس الباحث سيطرة القبيلة وسطوقا من خلال رصده لتاريخ قامة والسراة خلال استقرائه القرون الإسلامية المتأخرة الماضية، كما أنه أيضاً وجد ذلك واضحاً من خلال استقرائه للعديد من الوثائق السياسية والحضارية في الثلاثة القرون الماضية، وللمزيد من التفصيلات انظر : غيثان بن علي بن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين التفصيلات انظر عشر والرابع عشر الهجريين (ابحا: مطابع مازن، ١٤١٧هـ/١٩٩٩م) ص ١٦ ومابعدها، وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ومابعدها، وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ومابعدها، ومابعدها، ص ١٥٥ ومابعدها،
- ۳۲ انظر: أحمد السباعي، تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ط٤، جـ١، ص ١٤٨ ومابعدها، كما انظر: عبد الله أبو داهش و أهل السراة، ص ٢٩ ومابعدها، وللمؤلف نفسه و أهل قامة ، ص ٤٥ ومابعدها و (وعن تاريخ مكة المكرمة في العصور الوسطى، وكيف كان وضع طبقات الأشراف بها، سياسياً وحضارياً) انظر، تقي الدين محمد محمد بين أحمد الفاسي و شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام و تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (بيروت ، معلومات النشر غير مذكورة) جزءان و العلماء والأدباء (بيروت ، معلومات النشر غير مذكورة) جزءان و العلماء والأدباء (بيروت ، معلومات النشر غير مذكورة)

- ۳۳ وعن موقع بلاد قامة والسراة، وأهميتها الحضارية، وصلاقا مع جيرانها من أهل اليمن والحجاز، انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٩٩ وما بعدها، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم، وبغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٨م) ط٢، جـ٧، ص ٩٧ ومابعدها،
- ٣٤ انظر : سورة قريش في القرآن الكريم وتفسيرها في تفسير القرآن الكريم لإبن كثير (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩١م) ، جـــ، ص ٥٩٢ ٠
- ۳۵ الهمسداني ، صفة جزيرة العرب، ص ۹۹ ومابعدها، جواد علي، المفصل ، جــ٧ ، ص الهمسداني ، ومابعدها،

Patricia Crone Meccan Trade, and the Rise of Islam. (Oxford, 1987) PP. 12 ff.

- ٣٧ جواد علي، المفصل، جـ٧، ص٣١٧ ايضاً يروي لنا بعض المسنين في جنوب المملكة العربية السعودية عن معاناقم في الماضي، وأن الدواب مثل: الجمال، والحمير كانت الوسيلة الرئيسة في نقل بضائعهم وحوائجهم المختلفة كما أن الباحث شاهد نشاطات الناس في هذه المناطق خلال الأربعين سنة الماضية كونه عاش معهم ومارس مع أهله العديد من الحرف والمهن المختلفة
  - ٣٨ المصادر نفسها ه
- ٣٩ ويظهر أن هذه العقبات كانت مسلوكة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، ولكن في العصر الحديث تدخلت الآلات الحديثة فشقت الطرق الممهدة التي أصبحت تستخدم بالسيارات ، وصارت شريان حيوي يربط الجبال السروية بالأراضي التهامية ، ومن أهم تلك العقبات الممهدة اليوم مايلي : عقبة بني سعد جنوبي الطائف ، يليها عقبة غامد وزهران ، المعروفة بـ (المخواة) ، ثم عقبة الأبناء ، ثم عقبة بني عمرو، فعقبة تلاع ، ثم عقبة سنان التي تنحدر من أرض النماص إلى بلاد خاط والمجاردة، ثم عقبة ساقين ، وعلى مقربة من شمال أبها تأتي عقبة شعار، أو (عقبة تيه)، ثم عقبة ضلع المنحدرة من مدينة أبها

- إلى جازان، ثم عقبة الفرشه ببلاد قحطان، وغيرها من الممرات والعقبات الأخرى. مشاهدات الباحث وإنطباعاته أثناء تجواله في هذه البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة إلى جازان ونجران ، ولمرات عديدة.
- ٤٠ انظر سورة الفيل في القرآن الكريم ، وتفسيرها في تفسير ابن كثير، جــ٤، ص٥٨٦ه،
   انظر : ايضاً الأزرقي ، أخبار مكة ، جــ١، ص١٣٦ ومابعدها .
  - 13 المصادر نفسها، جواد على ، المفصل، جــــ، ص ١٥٨ ومابعدها •
- ٤٢ انظر مقالة حسين المسري " نجران ودورها السياسي والاقتصادي ٠٠٠ " ، ص٤٤ ومابعدها ٠٠٠ انظر ايضاً : ابن جريس " بلاد تمامة والسراة كما وصفها الرحالة ٠٠٠ "
   ص ٥٧ ومابعدها ٠
- 27 المراجع نفسها كما أن الباحث تجول في أنحاء عديدة من المناطق التي مر بها درب الفيل، وقابل البعض من المعمرين هناك، وسمع بعضهم يطلق اسم "درب الفيل" أو " درب أسعد " على أجزاء من تلك المواطن وانني أحث أقسام الآثار العلمية في جامعات المملكة أن تولى هذا الطريق وهذه الأجزاء بعض الاهتمام من الدراسة والتنقيب •
- 33 نزار عبد اللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص٣٧ ومابعدها ، عبد الرحمن عبد الوحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص ٧٧ ومابعدها ،
- 63 أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه كتاب المسالك والممالك، تحقيق ام دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٩هـــ/١٨٨٩م) ، ص١٣٣٠ ومابعدها
  - ٤٦ قدامة، كتاب الخراج، ص١٨٨ ١٩٢، ١٩٢ ١٩٣٠
- ٤٧ أبو اسحاق الحربي. كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد
   الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١هــ/١٩٨١م) .
- ۱۸۶ أحمد بن اليعقوبي كتاب البلدان تحقيق أم دي غوي (ليدن:مطبعة بريل،
   ۱۸۹۲ م) ص ۳۱۳ وما بعدها
  - ٤٩ الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٩ ومابعدها ،

- ٥ شمس الدين أبو عبد الله المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم تحقيق أم دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٧م) ص ١١١ ومابعدها •
- ١٥ محمد بن محمد الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت: عالم الكتب، ٩٠٥ هــ/١٩٨٩م) جــ ١، ص١٤٥ ومابعدها،
- ٢٥٠ حسين المسري " نجران ٥٠٠ " ص ٧٧ و مابعدها ، عبد الواحد دلال ١٠ البيان ، ص ٢٥٠ ٥٢
   و مابعدها ٠
  - ٣٣٥ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٣٣٩ ومابعدها.
    - ع المصدر نفسه ، ص ۲۹۰۰
    - ٥٥ المصدر نفسه ، ص ٣٤١ ه
    - ٥٦ ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٤ ومابعدها ه
- ٥٧ وطلحة الملك تقع اليوم في الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب في بلاد قحطان، إلى الشمال من مدينة نجران ه
  - ۵۸ قدامة، كتاب الخراج، ص ۱۸۸ ۱۸۹ •
  - ٥٩ الإدريسي، نزهة المشتاق، جــ١، ص١٤٦، ١٤٦٠
- ٣ انظر عصام الفقي اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٧ ومابعدها، حسين المسسري انجران • • "، ص ٨٦ ومابعدها ، جميل حرب، محمود حسين الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ( جدة : دار قامة للنشر، ٥ ١٤ هـ / ١٩٨٥م) ص ١١٧ ومابعدها •
- ۳۱ جواد علي، تاريخ المفصل، جــ٧، ص ٣٨٥، حسين المسري، " نجران، ١٠٠ " ص ٣١٥ و مابعدها،
- 77 المراجع نفسها، ولمزيد من التفصيلات عن مخلاف جوش ( منطقة عسير الحالية) انظر:غيثان بن علي بن جويس " تاريخ مخلاف جوش خلال القرون الإسلامية الأولى" عبلة العصور (رجب /١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) مجلد (٩) الجزء الأول، ص٣٣-٧٧ .
- انظر : محمد بن أحمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع (بيروت: مطابع دار النفائس،  $3 \cdot 18 190$ مم) مج7، ج-7، ص $8 \cdot 7$ ، عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص $8 \cdot 6$  ه

- ٦٤ محمد بن سعيد بن عوض آل رداد الإسمري تاريخ رجال الحجر ، المسمى : نافذة الفكر على وطن ونسب رجال الحجر (جدة : مكتبة السوادي ، ١٤١٧هـ) ، ص الفكر على وطن ونسب رجال الحجر (جدة : مكتبة السوادي ، ١٤١٧ هـ) ، ص
   ١٨٣ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، ١٧٣ ، عبد الله أبو داهش أهل السراة ، ص ٥٥ ٥٥ •
- ٦٥ لزيد من التفصيلات عن الجيوش العثمانية وكيف كانت تأيي عبر بلاد تمامة والسراة ما بين اليمن والحجاز، انظر: شرف بن عبد المحسن البركايي، الرحلة اليمانية، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن إلياس (بيروت: دار نشر تراث العرب، ١٣٨٦هـ)، ص٣٤ ومابعدها، غيثان بن جريس، بلاد بني شهر، ص ١١٥ ومابعدها.
- - ٣٧ محمد بن أحمد الحجري مجموعة بلدان اليمن ، مج٢، جـ٣، ص٤٠٥ .
- ٦٨ المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٨٦، ناصر خسرو، سفر نامة، ١٤١ ١٤٢، ابن المجاور،
   تاريخ المستبصر، جــ١، ص ٣٧ ٠

- 79 مشاهدة ومعاصرة الباحث لهذه العلاقات ، إلى جانب حصوله على عشرات الوثائق الحديثة وهي تعكس علاقة الأحلاف القبلية بين سكان أهل السراة مع بعضهم البعض،
   وكذلك مع سكان أهل مّامة مع أهل السراة •
- ٧٠ معاصرة الباحث للكثير من الجوانب الحضارية ببلاد تمامة والسراة خلال العقود الأربعة
   الأخيرة ٠
- ٧١ انظر : البركاتي ، الرحلة ، ص ٤٣ ومابعدها ، ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو ،
   ص ١١٥ ومابعدها .
- ٧٧ عبور الباحث لأغلب هذه العقبات، ومشاهدة بعض النقوش والرسوم في العديد من أجزائها مما يدل على ألها كانت تستخدم بالتجار وأهل البلاد يوم أن كانت وسائل نقلهم الجمال والحمير فقط.
  - ٧٣ انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤١ ومابعدها •
- - ٧٥ عمارة اليمني ، تاريخ اليمن، ص ٧٧ وما بعدها
    - ٧٦ المصدر نفسه،
  - ۷۷ الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٦٤٦ ٦٤٧ •
- ٧٨ انظر : أحمد بن عمر الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ق٣-٩هـ/٩ ٧٨
   ٥١م حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت (٣٩) الحولية (٧) (٢٠١١هـ/١٩٨٦م)
   ص ١١،١٢٠٠
- ٧٩ محمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن، مج٢، جـ٣، ص ٢٠٤، عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص ٥٥، وللمؤلف نفسه، أهل قامة، ص ١٢٧،

- ٠٨ عبد الله أبو داهش ، أهل تمامة، ص ١٢٨، انظر أيضاً " أرجوزه الحج " تحقيق أحمد الشامي. مجلة العرب ( جــ٥ -٦/ سنة ٢٩/ ذو القعدة والحجة/ ١٤١٤هـــ) ، ص
   ٣٢٤ .
  - ٨١ المراجع نفسها ٠
- ٨٢ الشقيق :- البلدة المعروفة في زماننا انظر العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ،جــ١، ص١٦٦ •
- ۸۳ محمد أحمد العقيلي، من أدب جنوب الجزيرة ( جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٢٨ محمد أحمد العقيلي، من أدب جنوب الجزيرة ( جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٢٨٠ .
- ۱۸۰ لزيد من التفصيلات انظر: حسن بن إبراهيم الفقيه، مخلاف عشم (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٩م)، ص٢٠٢ ومابعدها، وللمؤلف نفسه، مدينة السرين الفرزية (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٩م)، ص ٩٣ ومابعدها، أحمد عمر الزيلعي الخُلُف والخليف، آثارهما ونقوشهما الإسلامية (الرياض: مطابع الخالد، ١٤١٧هــ)، ص٨٣ ومابعدها، وللمؤلف نفسه، نقوش إسلامية من حَمْداًنه بوادي عليب (الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هــ/ ١٩٩٥م)، ص٣٣ ومابعدها، عاتق البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١١ ومابعدها،
- ١٠٥ انظر: موريس تاميزية، رحلة في بلاد العرب: الحملة المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) ترجمة محمد بن عبد الله آل زلفة (الرياض: مطابع الشريف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ولمزيد من التفصيلات انظر: غيثان بن علي بن جريس "إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربين " بحث قدم ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٠هـ/ ١٤٩٩م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب: العرب واوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) (القاهرة: منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢١هـ/، ٢٠٠٠م) ، ص
- ٨٦ انظر البركاتي ، الرحلة ، ص ٢١ ومابعدها ، وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ مدينة أبما حاضرة منطقة عسير انظر ، غيثان بن علي بن جريس ، أبما حاضرة عسير (الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ص ١٥ ومابعدها .

- ٨٧ انظر البركاني، الرحلة، ص ٢١ ومابعدها •
- ٨٨ وعن أهمية البحر الأحر في مجال التجارة عبر العصور التاريخية، وخاصة العهد الإسلامي المبكر والوسيط، انظر العديد من الدراسات في كتاب: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية والمعاصرة والقاهرة، ١٩٨٠م)، وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة ابحاث علمية محكمة قدمت في سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس في الفترة الممتدة من (١٠٥-١٥ مارس/ ١٩٧٩م) تحت اشراف الأستاذ الدكتور/ أحمد عزت عبد الكريم و
- ٨٩ انظر، عمر فاروق " الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية " مجلة العسرب ( ١٣٩ هـ ١٩٧٠ م) جـ ١ ، ص ٢١ ومابعدها؛ غيثان بن علي بن جريس بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ( الإسكندرية : دار المعرفة، ١٩٩٤م)، ص ٢٦ ومابعدها •

Umar Farug "Some Aspects of the Abbasid - Husanid Relations during the Early Abbasid Period, 132-193A. H/ 750 - 809 A.D" <u>Arabica</u>. Vol XXII (1975) PP. 170 - 9.

- ٩٠ انظر كتاب :- البحر الحمر الآنف الذكر في حاشية (٨٨) ، وخاصة الدراسات الواردة
   في هذا الكتاب والمتعلقة بالتاريخ الحديث ،
- 91 انظر : حمد الجاسر " حول الجار والشعيبه " مجلة العرب (١٣٩٠هـــ/١٩٧٠م)جـــ١، ص ١١٧٠-١١٧٠ •
- 97 لمزيد من التفصيلات عن القنفذة انظر: عاتق بن غيث البلادي بين مكة واليمن، رحلات ومشاهدات (مكة المكرمة: دارمكة للطباعة، ٤ ٤ ١هـ /١٩٨٤م) ، ص١١٧ ١٣٨
- 99 عرام السلمي، كتاب أسماء جبال تمامة وسكانها (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هــ/ ١٣٥٥م) ، ص ١٩٩٩ ، المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ١٩٥٨ ومابعدها، ولمزيد من التفصيلات عن الطريق التجاري البحري في البحر الحمر، وأهمية الموانىء الواقعة على هذا البحر انظر: -

Angelo Pesce. <u>Jiddah :- Portrait of an Arabian City</u> (London, 1974) PP. 17 ff, Magbul Ahmad. "Commercial Relations of India with the Arab (1000 B.C. Upto Modern Times)" <u>Islamic Culture</u>. Vol. XXX VIII (1946) PP. 141ff.

- 99 غيثان بن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جــ ١ ، جــ ١ و و و و المبعدها ، كما انظر للمؤلف نفسه " الهجرات العربية إلى ساحل شرق افريقيا في العصور الوسطى و آثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري " بحث منشور في كتاب: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، الجزء الثاني ، للمؤلف نفسه ، (الاسكندرية : دار السماح ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م ) ، ص٣٧ ومابعدها ،
- 90 انظر المراجع الآنفة الذكر في حاشية (٩٣)، كما انظر معلومات أكثر عند السيد محمد يوسف " علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري" مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٥٣م) ١٥، ص٢ ومابعدها، محمد إبراهيم زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين " مجلة الدارة (٥٠١هـ/١٩٥٩م) جــ١١، ص١١٣ ومابعدها،
- 97 انظر: حسن صالح شهاب ، عدن فرضه اليمن (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) ص٧٩ ومابعدها، ابو داهش، أهل قمامة، ص٣٧ ومابعدها، ابن جريس "الهجرات العربية إلى ساحل شرق أفريقيا، ، " ص٥٤ ومابعدها،
- 9٧ الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني بذكر ملوك المخلاف السليماني ٩٧ (مخطوط) ورقة (٤)، نزار الحديثي، أهل اليمن، ص٣٧ ومابعدها،
- ۹۸ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨-٢٥٩، لقد شرح محمد العقيلي أغلب المواطن التي ذكرها الهمداني، انظر: المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان، ص ٧٠، ١٩٩، ١٩٩، ١٩٩، ٢٨٤
  - 99 الهمداني، صفة ، ص ٢٥٩
    - ١٠٠- المصدر نفسه،
  - ١٠١- اليعقوبي، البلدان، ص٢١٨٠ .
  - ١٠٢ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٤٧ ٠
- ۱۰۳ يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـــ/١٩٦٨م)،جـــ١، ص٣٧٧٠ .

- ٤٠١- عاكش، الديباج الخسرواني ، ص ٩، أبو داهش، أهل قمامة، ص٣٠٠
- ١٠٥ العقيلي ، المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان ، ص ٥٩ ، أبو داهش ، أهل قمامة، ص٣١ .
  - ١٠٦- اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٩، ٣٢٠ •
  - ١٠٧ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ ، ٢٥٩ ، ٣٨١ •
  - ١٠٨ اليعقوبي، البلدان ، ص٣١٩، ٣٢٠، عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص٦٦، ٦٦٠ •
- ۱۰۹ محمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن ، مج۱، جــ١،ص١١٧ ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جــ١، ص٣٩٩ ٠٠٤ ٠
- ١١٠ يجيى بن الحسين، غاية الأماني، جـ١، ص٣٣٣، عبد الرحمن (ابن الديبع)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق محمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق معمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق معمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المستفيد في أخبار زبيد تحقيق معمد عيسى الصالحية (الكويت، د ن، معلى بغية المعمد المعمد
  - ١١١- الهمداني، صفة ، ص ٣٤١٠
  - ١١٢ الأزرقي، أخبار مكة، جــ ١، ص ١٩١ .
    - ۱۱۳ المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ۸۲ •
  - ١١٤ حسن الفقيه ، مدينة السرين ، ص ٢٠٦٠ ٠
- 117 ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٣٣، اليعقوبي، البلدان، ص٣١٦ ، الإدريسي، نزهة المشتاق، جــ١، ص١٤٥ .
  - ١١٧ المصادر نفسها •
- ١١٨ ياقوت الحموي ، معجم ، جـ٤، ص١٢٦؛ حسن الفقيه ، مخلاف عشــم ، ص١١،
   ٣٩ ، ١٩

- ١١٩ محمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن، مج١،جـ١، ص٧٨٠٠
- ١٢٠ أحمد الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلى "، ص١١ .
- ۱۲۱ محمد بن عبد الله بن بطوطة و رحلة ابن بطوطة و تحقيق على المنتصر الكتابي (بيروت: مؤسسة الرسالة: ١٤٠٥هـ ١٤٠٥م)، جــ ١، ص ٢٧١ و
  - ١٢٢ أحمد الزيلعي " المواقع المندثرة في وادي حلى ٠٠٠ ، ٣٠٠ .
    - 177- المرجع نفسه ·
- 1 1 2 تجوال الباحث في مدن وقرى قمامة خلال عام (1 2 1 هــ/١٩٩٥م)، وشاهد أن كثير من المدن الحضارية الحديثة هناك قد قامت على أنقاض أو قريبة من المراكز الحضارية القديمة والرسوم والنقوش والآثار تؤكد على أهمية ماذكرنا، ولازالت المنطقة تحتاج إلى دراسات آثرية متآنية لتوضح العمق التاريخي والحضاري لهذه البلاد
  - ١٢٥ المرجع نفسه،
  - ١٢٦ الهمدايي ، صفة جزيرة العرب، ص ٣٣٨ ٣٤٠
- ١٢٧ حسين المسري " نجران ٥٠٠ "، ص ٤١ ٥٠؛ محمد الأكوع الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩١هـ ١٣٩٨م) ، ص ١٤٩ ، ولمزيد من المعلومات في بعض المصادر التاريخية المبكرة، انظر: أحمد بن يحيى المبلاذري، فتوح المبلدان (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٤٩٦م) ، ص ٧٩٧ ، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار (بيروت: مكتبة لبنان ، ١٩٧٥م) ، ص ٧٩٥ محمد بن الحسين، غاية الأماني، جا، ص ٩٩٠ ،
- 17۸ المصادر والمراجع الآنفة الذكر في حاشيتي (١٢٦، ١٢٧)، بالإضافة إلى ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جــ١، ص٨، ٩٧، ١٤، صالح العلي " طرق المواصلات في الحجاز " مجلة العرب (الرياض، ١٣٨٨هـــ/١٩٦٨م) ، جــ١١، سنة (٢) ، ص ٩٧٥ .
  - ١٢٩ انظر : ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ٠٠٠ ، ص٣٣ ومابعدها٠
- ١٣٠ زيارة الباحث لمدينة جرش في عام (١٤١٣-١٤١٤هـ ١٩٩٣-١٩٩٩م) ومشاهدته للعديد من الآثار والنقوش التي تعود إلى القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة.

- **١٣١** المرجع نفسه ٠
- ١٣٢ الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص٥٥٥ ومابعدها
  - ١٣٣ المصدر نفسه •
- ۱۳۴ المصدر نفسه، انظر: ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" ، ص٧٦ ومابعدها •
- ١٣٥ جواد علي ، المفصل، جـ ٧، ص٣٦٥ ومابعدها ، سعيد الأسمري و تاريخ رجال الحجر، ص١٣٥ وما بعدها، ابن جريس،" تاريخ مخلاف جرش و ١٠٠، ص٢٥ ومابعدها، عبد الله أبو داهش و أهل السراة، ص ٥٣ ، حسين المسري "نجران و ٥٠ " ص ٨٢ ومابعدها و
- ١٣٦ المراجع نفسها، انظر أيضاً ، قدامة ، الخراج ، ص١٨٩ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ١٣٩ جـ ١ ، ٣٧
  - ١٣٧ المصادر والمراجع الآنفة الذكو في حاشيتي (١٣٥-١٣٦)٠
    - ١٣٨ المصادر والمراجع نفسها ٠
    - ١٣٩- المصادر والمراجع نفسها ٠
    - ١٤٠ المصادر والمراجع نفسها •
    - ١٤١ المصادر والمراجع نفسها ٥
- 1 ٤٢ انظر: حسين المسري " نجران ٥٠٠ ، ص ٨٦ وما بعدها، عبد الله أبو داهش، أهل قامة ١٠٩ ، وللمؤلف نفسه أهل السراة، ص٥٦ -٥٣ ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ٥٠٠ ، ص ٦٣ ومابعدها ٠
  - - ٧٦ الهمداني ، صفة ، ص ٧٦ •
    - ١٤٥ المقدسي ، أحسن ، ص ١٤٥ .
    - ١٤٦ –ابن المجاور، تاريخ، جـــ١، ص ٥٣ ٠
      - ۱٤۷ المقدسي، أحسن ، ص٨٦ ·
- 1 1 1 الأسواق الأسبوعية القديمة تعد بالعشرات بل بالمئات في بلاد تمامة والسراة، فالباحث في احدى جولاته بهذه البلاد خلال الأعوام الثلاثة (١٤١٣هــ/١٤١٩ م- ١٤١٥ هــ/

999م) حصر ما يزيد عن مائتين وخمسين سوقاً في المنطقة الواقعة بين جازان وعسير جنوباً إلى تمامة وسراة قبائل بني سعد جنوبي الطائف ومكة المكرمة، وشاهد أن بعض تلك الأسواق لازالت تعمل في أيام معلومة من كل أسبوع، المصدر:مشاهدات الباحث وانطباعاته (١٤١٣هـــ/١٩٩٥م).

- 159- المرجع نفسه.
- ١٥٠ المرجع نفسه،
- 101 حسين المسري " نجران ٠٠٠ "، ص ٨٣ وما بعدها، عصام الدين الفقي اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٢٧ •
- 107 وعن مهام المحتسب، أو عامل السوق، انظر : يحيى بن عمر كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، ص ٢٦ وما بعدها، ابن الأخوة، كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٧٥ وما بعدها
  - ١٥٣ الأزرقي، أخبار مكة ، جـــ١، ص ١٩١ .
- -100 غيثان ابن جريس، عسير ١١٠٠ ١٤٠ه...، ص١٧١، ١٧٢، سعيد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، ص١٧١ وما بعدها، مشاهدات الباحث للعديد من الأسواق الأسبوعية في المنطقة خلال الثلاثة عقود الماضية،
  - ١٥٦- المراجع نفسها.
  - ١٥٧- المراجع نفسهاه
- ۱۵۸ قدامة كتاب الحراج، ص۱۸۹ ۱۹، المقدسي ، أحسن التقاسيم، ص۱۸۹ ، ابن المجاور، تاريخ، جــ۱، ص ۲۱، ۳۷ ، سعيد الأسمري تاريخ رجال الحجر، ص۱۷۵ ۱۷۶ •
   ۱۷۲
  - ١٥٩ ابن المجاور، تاريخ ،جــ١، ص٢٦،٣٧ .
  - ١٦٠ معاصرة الباحث الأحداث المنطقة وتغير الله منذ حوالي أربعين عاماً
    - ١٦١- المرجع نفسه.
    - ١٦٢- ابن جيبر ٠ الرحلة، ص١٠٤٠ ٠

- - ١٦٤ الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٢ •
- ١٦٥- قدامة، كتاب الخراج، ص، ١٨٩، ١٩٠٠
- ١٦٦ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦، ٨٧ ،٩٧-٩٨ ه
- ۱۹۷- انظر عبد الله بن عبد العزيز البكري. معجم ما استعجم. تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ۱۶۰۳هــ/۱۹۸۳م)، جـــ، ص۱۲۹ .
  - ١٦٨ حسين المسري " نجران ٥٠٠ ، ص٨٤ ، ٨٤ ٠
- 179 انظر: تفصيلات أكثر عند أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري. كتاب النبات، الجزءان الأول والثاني، تحقيق محمد حميد الله، (نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، عام ١٩٧٣م)، والجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، شرح وتحقيق المستشرق برفحارد لفين، بمدينة (بفيسبادن بألمانيا، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- ۱۷۱ انظر الدينوري. كتاب النبات (طبعة بفيسبادن)، ص ۲۶۶ ۲۶۷، قدامة، كتاب الخراج، ص ۱۸۹ .
  - ۱۷۲ الهمداني، صفة، ص ۲۵۸ •
- 1۷۳ انظر أبو القاسم بن حوقل كتاب المسالك والممالك (صورة الأرض) تحقيق أم دي غوي (لبدن : مطبعة بريل، ١٨٧٣م) ، ص٣٦، أبو اسحاق إبراهيم الأصطخري كتاب مسالك الممالك ، تحقيق أم دي غوي (لبدن : مطبعة بريل، ١٨٧٠م) ، ص٢٤، قدامة ، كتاب الخراج، ص١٨٩
  - ١٧٤ الإدريسي، نزهة، جــ١، ص ١٥١
    - ١٧٥ المصدر نفسه، جــ١، ص ١٤٦٠

- ۱۷۱ ابن المجاور، تاریخ، جــ۱، ص۸۹، ۹۷، ۱۶۰، المقدسي، أحسن التقاسیم، ص۸۷، ۹۷، ۱۶۰ المقدسي، أحسن التقاسیم، ص۸۷، ۹۷، ۹۸، قدامة ۱۰ الخراج، ص۱۸۹، حسین المسري " نجران ۲۰۰۰، ص۸۶،
  - ١٧٧- جواد علي، المفصل ، جـ٧، ص ٢٩٣٠
  - ۱۷۸ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص۱۸، الهمدايي، صفة، ص۲۶، ۲۵۲، ۲۵۷، ۲۲۰ .
- 1۷۹ المسري " نجران ٥٠٠٠ ، ص٨٤، انظر أيضاً : عمر بن بحر الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، (بيروت : دار الكتاب الجديد، ١٩٦٦م)،
  - ١٨٠ البلاذري فتوح البلدان، ص٧٥٥ ، حسين المسري " نجران • "، ص٥٥ • ٩ •
- 111- الحوالي، اليمن الخضراء، ص١٥٢، أحمد أمين ﴿ فجر الإسلامِ ﴿ (القاهرة : مكتبة النهضة، ١٩٦٥م) ، ص ٢٦ ﴿
  - ١٨٢ البلاذري، فتوح البلدان ، ص٥٥، المسري " نجران ٠٠٠"، ص ٨٤ ٨٥٠
- ۱۸۳ انظر : رأفت البنداري " دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية" مجلة الدارة عدد (۲۰) (۲۰۸ هـ)، ص ۲۰۸ •
- ۱۸٤ انظر: الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٥ ، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧، ٨٧ ، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧، ١٠
  - ١٨٥ سعيد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، ص١٧٥ ومابعدها،
  - ١٨٦ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٦، ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جــ١، ص٥٣ .
    - ١٨٧ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، جـــ١، ص ٢٠٩ •
    - ١٨٨ المصدر نفسه، سعيد الأسمري، تاريخ رجال الحجر، ١٧٣ ومابعدها.
      - ١٨٩- المرجع نفسه، أيضاً انظر:
- Magbul Ahmad "Comercial Relation of India with the Arab" PP. 16 ff.
- ١٩٠ السيد محمد يوسف ، " علاقات العرب التجارية بالهند • " ، ص٩ ومابعدها؛ محمد إبراهيم زعروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها • " ، ص١٦ ومابعدها
  - ۱۹۱ ابن حبيب، كتاب المنمق، ص٧٨١-٢٨١ .

- - ۱۹۳ ناصر خسرو، سفرنامة ، ص ۱۵٤ ·
  - ۹۹-۹۸ ابن جبیر ، الرحلة ، ص۹۹-۹۹ .
    - 190- المصدر نفسه،
- ۱۸۳ ابن بطوطة ، رحلة ، جــ ۱، ص ۱۸۳ .
  - ۱۹۷ ابن المجاور، تاریخ، جـــ۱، ص ۲۷ •
- ١٩٨ المصادر الآنفة الذكر التي وردت في حواش (١٩٢ ١٩٧).
  - ٩٩ ١٩٩ ابن جبير الرحلة ، ٩٩ ٩٩ •
- ٠٠٠ جواد علي، المفصل، جـ٧، ص ٣٦٥ ومابعدها، عصام الدين الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص
   ٢٢٧ ومابعدها ٠
- ٢٠١ انظر: أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتما الخارجية (٣٠١هـ) (الرياض: عمادة شؤون المكتبات ٤٠١هـ/ ١٩٨١م)ص ٣٠٠ ومابعدها،عبدالله السيف الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، (بيروت، ٣٠٠هـ/ ١٩٨٣م)، ص ١٥٠٠.
  - ۲۰۲ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ۹۹
    - ٢٠٣- المصدر نفسه ٠
    - ٢٠٤- المصدر نفسه،
    - ٣٠٥ المصدر نفسه،
      - ۲۰۳ انظر:-
- S.D. Goitien "from Aden to Andia" <u>Journal of the Economic and Social History of the Orient</u>. Vol. XXII. Parts 1-2 (Leiden, 1980) P.60.; " Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times" <u>Islamic Culture</u>. Vol. XXX VII. No. I (1963)P. 199.
- ابن المجاور، تاريخ، جــ١، ص ٨٠ ، ولعل تسمية هذا الدينار بــ (الأحمر)، لأن لونه
   عيل إلى اللون الأحمر ،
  - ۲۰۸ ابن المجاور، تاریخ ، جـــ۱، ۱۲ –۱۳، ۸۰
  - ٧٠٩ يجيي بن الحسين ، غاية الأماني، جــ ١ ، ص ٣٨٨ ٠
- ٢١- انظر :- مجهول، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة مخطوط بدار المخطوطات اليمنية، ورقة ٢١-٦٢ •

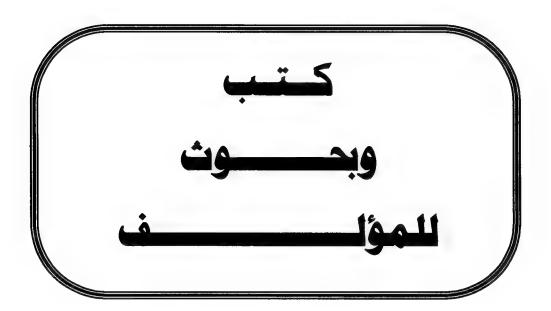
- ٢١١ وكان الدفع بالأجل يُعرف في بلاد الأندلس باسم القبالة (Copala) ، بينما عرفت في اليمن باسم التقبيل، حيث ينزل تجار التمور في موسم جني التمور، فيأخذ كل تاجر على قدر استطاعته ثم يسدد الثمن من عملية البيع في يوم محدد يتم الاتفاق عليه بين التاجر وصاحب الثمرة انظر : ابن المجاور، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٧٩ ٠ ٠
  - ۲۱۲ المصدر نفسه، ص ۸۹ ، ۱۶۶ •
- ٣١٣ الَمَنَّ في بيع ووزن السمن = ٨٠٠ درهم، فيكون وزن الجمنة تقريباً حوالي ١٢,٥
  - ۲۱۶ ابن الحجاور، تاریخ، جـــ۱، ص ۸۹ •
- -717 بينما يذكر ابن المجاور أن المَنّ في اليمن = (717) درهماً ويباع به الحرير ويوزن به العود والزعفران، وطبقاً لذلك فهو يساوي في اليمن (717) جم أي كيلاً واحداً في حين أن مَنّ الحرير في مناطق أخرى كان يساوي (717) درهماً أي حوالي  $\frac{1}{2}$ 812 جرام وانظر: ابن المجاور ، تاريخ ، جــ (717) من 718 عمد الطيب باعزمة وتاريخ ثغر عدن ،(ليدن: مطبعة بريل، 718 من 718 من 718
  - ٢١٧ المصادر نفسها التي وردت في حاشية (٢١٥، ٢١٦) .
    - ۲۱۸ المصادر نفسها •

- ٢١٩- المصادر نفسها ٠
- ۲۲۰ المصادر نفسها ٠
- ٢٢١ المصادر نفسها •
- ٣٢٣ القيراط: جزء من الدينار، وكان يستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة، ويعادل في جزيرة العرب حوالي ١٩٥٥ر، جم، انظر: ابن المجاور، تاريـــــــخ ص ٨٩، ١٤٣، هنتس، المكائيل، ص ٤٤،
- ۲۲۶ انظر أبو عبد الله الزبير بن بكار جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر (القاهرة، ۱۳۸۱هـ/ ۱۹۹۱م) ، جــ۱ ، ص ۶۹ •
- ۲۲۰ القاسم بن سلام أبو عبيد كتاب الأموال تحقيق محمد خليل هراس (القاهسرة ، ۱۳۹٦ هـــ/۱۹۷۹م) ص ۳۳۰ الدينار كوحدة وزن يساوي نظرياً مثقالاً واحداً، وكوزن سبيكة ذهبية يساوي (٤,٣٣٣) جم، انظر : هنتس، المكائيل ، ص ۲۹
  - ٣٢٦ انظر : عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية ، ص١٥٠ .
  - ٧٢٧ انظر : ابن المجاور ، تاريخ ، جــ١، ص ١٩؛ هنتس ، المكائيل ، ص١٩٠ .
    - ۲۲۸ ابن المجاور، تاریخ ، ط1، ص ۱۳ ه
- ٢٢٩ لزيد من التفصيلات عن المدّ والصاع وغيرهما، انظر: أبو عبيد، كتاب الأميوال،
   ص٣٢٩، ٣٢٩، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٨-٩٩، عبد الله السيف، الحياة الاقتصادية، ص١٥٠، هنتس، المكائيل، ص ٦٤٠
  - ۲۳۰ ابن المجاور، تاریخ ، جـــ۱، ص۱۳ ه
  - ۲۳۱ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ۹۹ .

- ٣٣٢ انظر عبد الله السيف ، ص ١٥٠ ، هنتس ، ص ٩٣ ٠
  - ۲۳۳ هنتس ، ص ۹۱ ۹۲ ۰
  - ۲۳۶ المرجع نفسه ، ص ۸۶ ، ۸۷
    - ٣٣٥ المرجع نفسه ، ص ٨٥ ٠
- ٢٣٦ جواد على، المفصل، جـ٧، ص ٢٢، ٢٢٣ ومابعدها
  - ۲۳۷ الهمداين ، صفة ، ۳۳۸ ۳۴۰ •
- ۱۳۸ أبو الفداء إسماعيل بن كثير · البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف، ١٤٠٠ هـ/ ١٢٠٠ ) جـــ ١٤٠٠ ، ص ٢٦ ،
- ٣٣٩ عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص٠٥، نقلاً عن ابن فهد في كتابه: (أتحاف الوري)٠
- ٢٤٠ عبد الله بن على النعمان الضمدي، العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني و عظوط ، جــ ٢، ص ١٨١، ١٨٢ (يوجد صورة من هذا المخطوط ضمن أوراق مكتبة الباحث)،
  - ٧٤١ المصدر نفسه ، جـــ٣، ص ٥٠٤ ٠
- ∀ ۲ ۲ − لازالت هذه الأمراض تظهر في الأجزاء التهامية ، وخاصة الحميات فقد عاصر الباحث، في شهر جمادى الثانية عام (۲ ۲ ۲ ۱ ۱ هـ/ • ۲ م) ظهور مرض الحمى في منطقة جازان، ثم إنتشارها في أماكن عديدة من المملكة العربية السعودية، وقد توفي على أثرها عشرات الأشخاص ، مع أن عدداً من الأجهزة الحكومية تصدت لهذا المرض الذي أطلق عليه (حمى الوادي المتصدع)، وقد تحتاج إلى وقت طويل للقضاء عليه
  - ٧٤٣ عبدالله الضمدي، العقيق اليمايي، جــ٧، ص٧٤٢
    - عبد الله أبو داهش، أهل السراة، ص ٥٠-٥١ .
  - ٢٤٥ أحمد بن محمد المشني" الشقيري" مجلة العرب ، جــ١١-١٢ (الجماديان/١٤١هـ)،
     ص ٧٩٨، انظر ايضاً : أبو داهش، أهل قامة، ص ١١٩٠
    - ٢٤٦ عبد الله الضمدي ، جــ٤، ص ٢٠٨ ٠

- ٧٤٧ انظر : عبد الله بن حسين العصامي · سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (مصر: المطبعة السلفية ، د · ت) جــــ ، ص ٢٠٠ ·
  - ٧٤٨ عبد الله أبو داهش ، أهل تمامة ، ص ١١٩ .
- ٧٤٩ معاصرة الباحث للكثير من المسنين في بلاد قامة والسراة، وهم يذكرون ما عانوه في حياقم المعيشية الماضية من جوع وعدم وجود الأمن على أموالهم وأرواحهم، كما أيضاً من يطلع على الوثائق التاريخية في العصر الحديث، وخاصة ما يمس التاريخ السياسي لأهل قامة والسراة وبقية قبائل الجزيرة العربية فإنه سوف يجد ويلمس صحة ما رواه الرواه وتناقلوه عن بعضهم البعض
  - ٢٥٠ المرجع نفسه.
- ۲۵۱ انظر تقي الدين محمد الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ٢٠١٤ ١٤٨٨) جــ٤، ص٨٦٠ •
- ۲۵۷ انظر ابن حجر العسقلاني أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠١٤هـ/ ١٩٨٦م)، جــــ، ص ١٧٧ •
- ٣٥٣ عز الدين بن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام (جدة : دار المدين، ١٤٠٦ ١٤٠٦م)
  - ٢٥٤ ابن المجاور ، تاريخ ، جــ١، ص ٥٢ ومابعدها ه





## الكتب:

-7

- السيرة النبوية (جدة دار السيرة النبوية (جدة دار السيرة النبوية (جدة دار السيلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ ١٤١٩هـ ١٩٩٢م ، ١٤١٤هـ ١٩٩٥م ، ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ وثانية وثالثة ورابعة ، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبحا الأدبي عام ١٤١هـ / ١٩٩٣م) .
- صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول (حدة ، دار البلاد للطبع والنشر ،
   ۱۹۹۳ می ۱۹۹۳ می ۱۹۹۳ می ۱۹۹۳ می طبعتان أولی وثانیة .
- ٤- بحوث في الستاريخ والحضارة الاسلامية ، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأســـتاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس إتحاد المؤرخين العرب (الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م) .
- ٥- عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠- ١٠٠- ٥- ١٠٠- ١٠٠- ١٠٠- (حدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٠٠٠- ١١٠٠- ١٤١٥) ٠
- تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤م) ١٠
   الجزء الأول ، (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ٠
- الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجرة العربية والمشقافية والمستجارية حتى القرن الرابع الهجري ، دراسة نشرت في هيئة كتب بمركز بحوث كلية التربية بأبما ، وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) ،

- ۸- أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض:مطابع الفرزدق،١٤١٧هـ/ ١٤١٨م) (۱٩٩٧م) •
- 9- الأقـــليات الإسلامية في العالم (١) أفريقيا الجزء الأول (أبمًا: نادي أبمًا الأدبي ، ١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / السر سيد أحمد العراقي ) وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـــ/١٩٩٩م) •
- ١٠ بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الثاني (الإسكندرية: دار السماح للطباعة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) •
- ۱۱ عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية (حدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ۱٤۲۰هـ /۱۹۹۹م) .
- ۱۲ <u>دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية</u> (حدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، (۱۲ ۱ ۱ هـ/۲۰۰۰م) ) .
- ١٠٠ عسير الحديث والمعاصر (حدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) .
- 1- تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (٢٠٠١-١٤٢هـ / ١٩٨٢ مـ الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢) على نفقة وزارة التعليم العالي وحامعة الملك خالد ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ، ثم أعيد طبعه مرة ثانية في عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) .
- دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبحا (١٣٩٦-٢٠٠١هـ /١٣٩٦ هـ /١٩٧٦)
   رالنشأة التطور الإلغاء) (جدة :وكالة الرواد ،٤٢٤ اهـ/٢٠٠٣م)

- دراسات في تاريخ تمامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١هـ ق ١ ٠هـ / ق ٧٥ ق ١ ٦م) الجزء الأول (تحت الطبع) .
  - ١٧ صفحات من تاريخ عسير الجزءان الأول و الثابي رتحت الطبع)
    - ١٨ من ذكريات طالب مبتعث في كل من أمريكا وبريطانيا (مخطوط) .
      - ١٩ رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية (مخطوط) .

## ب البحوث:

- "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" بحلة الدارة ، ربيع الآخر والجماديان (٤١٤هـ) ، العدد الثالث ، السنة (١٩) ، ص ٢٧-١١١ ، كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبما الأدبي ، عدد (٢٧) جمادى الأولى ، (٢٤٠هـ /١٩٩٩م)،
- ۲- "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" بحلة العرب (حـــ٩-١٠) سنة (۲۷) (الربيعان) (۱۶۱۳هـــ /۱۹۹۲م) ، ص ٢٠٠ ۲۲٤ ٠
- " بـــلاد قامـــة والســراة كمــا وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م)، ص٧٣-١٠٠ وقــد أعيــد نشــرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبما الأدبي ، عدد (٢٩) (محرم / ١٤٢١هــ / ٢٠٠٠م)، ص٣٢-٩٤ .

- اتـــاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مج٩ ، حــ١٠ (رحـــب ١٤١٤هــ / ١٩٩٤م)، ص٦٣-٧٨ ، وقد تم إعادة نشره مع بعــض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبما الأدبي ، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هــ) ، ص٣٦-١٠٠ .
- ٦- "أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ / ٧٧٤ ١٦٩ هـ / ٢٠٠٥م) " بحلة الدارة (رجب ، وشعبان ، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع ، سنة (١٦) ، ص١١٣-١٢٩ .
- الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هم / ٧٥٧م ١٥٨هم / ٧٧٤م)" ، منشور ضحمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ / ١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في بجلة العرب ، وعلى جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، سنة (٢٩) من ص (١٥-٣٣) ثم في الجزء الآخر من (١٧٥ ١٨٤) ،
- "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام" مجلة حامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثامن (رجب ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ص١٤٣ عـ ثم أعيد نشر هذه الدراسة

- في مجـــلة العـــرب ، وعلى جزئين في العددين المتتالين (ذو القعدة والحجة ، على العددين المتتالين (ذو القعدة والحجة ، على ١٤١٨هـــ/ ١٤١٨هـــ/ ١٤١٨هـــ/ ١٤١٩م) ، سنة (٢٩) ، ص ١٤١١هــ ، عدد عددين المتتالين (ذو القعدة والحجة ،
- 9- "تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس" بحلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ / ٢٩٩٢م) ص٨٨٥-٩٠، وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل، العدد (٥١٢) (شعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٨٢-، ٩٠ .
- -۱- "صور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المسبكرة" منشورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة ، ورقم السلسلة (۸۹) (۱۱۱هه/۱۹۹۱م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (۱۱۵) عام (۲۰) المحرم مراداهه (۱۱۵) ، ص۲۵-۷۰ .
- ۱۱ اصور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني عباس" مجلة السدارة ، العدد الأول ، السنة (۱۸) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ،
- ۱۲ "الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز" بحلة العرب، حـــ ٧ و ٨ سنة (١٦) (محرم وصفر / ١٤١٢هــ / ١٩٩١م) ، ص١٤٤٧ ٠
- ۱۳ "أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة" بحلة المسئل ، العدد (٤٩٢) ، مج٥٥ ، جمادى الأول والآخر ١٤١٢هـ / المسنهل ، العدد (٤٩٢) ، مج٥٠ ، جمادى الأول والآخر ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٨٦-٢٠ .

- ۱۵- "مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز" (۱۳۲–۲۳۲هـ) ، معدد (٤٩) ، مج ٥٥ ، (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص
- ۱۰ "علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس (۱۳۲ –۲۳۲هـ/۹۷۷ مرم ۱۵۰ مرم (۵۰) مرمج (۵۰) مرمج (۵۰) مرمج (۵۰) مرمج (۵۰) مرمج (۵۰) مرمج (۵۰) مرم (۵۰) مرم (۵۰) مرم (۵۰) مرم (۵۰) مرم (۵۰) ، (شعبان ، ۱۶۱۳هـ / ۱۹۹۳م) ، ص۲۰-۳۰ مرم (۵۰) ، (شعبان ، ۱۶۱۳هـ / ۱۹۹۳م) ، ص۲۰-۳۰ مرم (۵۰)
- 17 "أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى" بحلة المنهل ، العدد (٤٩٨) ، مج٥٥ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٧-٥٥ ،
- ۱۷- "العسرب في مقديشو وأشرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام" بحلة المؤرخ العربي ، العدد الأول، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) ص ١٢٨-١٠٨ ، ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل ، عدد (١٤٥) مج٥٥ ، شوال ، ذو القعدة (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ص٨٤- ٩٥ ، كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشرت في مجلة العرب ، حـ٣، ٤ ،سنة (٣٠) (رمضان ، شوال) ١٤١٥هـ، (١٩٩٥م)،
- ۱۸ "المديسنة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ۱۳۲ ۱۹۹هـ" بحلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (۹۹۱) مج ٥٤ (الربيعان / ١٤١٣هـ / ١٤٩٣م) ، ص١٤١٣ ١٢٠ ٠

- ١٩ "القسدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة" بحلة المنهل (العدد السنوي الحاص)عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان / ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ،
   ص٠٤-٥٥ ،
- "الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/ ١٠٠٠
   ١٤١٣هـ/ ١٠٠٠
   الجلد مقالة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، 11-13 .
- ۲۱ "العمائم تيجان العرب" بحلة بيادر الصادرة من نادي أبما الأدبي ، العدد
   (٨) ، محرم ١٤١٣هـ. ، ص٦٦-٧١ .
- ۲۲ المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي" ، بحلة بيادر الصادرة من نادي أبحا الأدبي ، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ، ص٦٢- ٧٧ .
- "الدوغة بين اليهودية والإسلام" مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣ ، ذو
   الحجة (٤١٢)هـ /١٩٩٢م) ص ٩٠-٩٦ ،
- ٢٤ "يهسود الدونمة في الميزان" بحلة التضامن الإسلامي ، السنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هــ ١٩٩٢م) ص٢٤ ٣٠ .
- "آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة" بحلة المنهل، العدد (٥٠٥)
   مـــج ٥٥ (صــفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص١٦-١١ ، ثم أجرى عليه
   بعــض التعديلات ونشرت في مجلة القافلة العدد (١١) مج٤٤ (ذو القعدة
   ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٤٤-٧٤ .

- ۲۲- "كيف نبني ثقافتنا" بحلة المنهل ، العدد (٥٠٦) مج ٥٥ (المحرم ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م. ٣٦-٣٩ .
- "المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبما (فرع جامعة الملك سعود)" عصلة المستهل ، العدد (٤٨٧) مج٥٠ ، (رمضان وشوال ٤١١هـ / ١٩٠٠م) ص١٩٠٠ ١٩٣٠ .
- "صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحسلية" مجلة العرب ، حــ٧ ، ٨ ، سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ / ٤٦١ م.) ، صـ٥٤٥ ٤٦١ .
- ۱۲۹ "مسن رسسائل المسلك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشسائر العسيرية" بحلة العرب ، حسا ۱۲۱، ۱۲، سنة (۲۷) (الجماديان ، ۱٤۱۳هـ / ۱۹۹۲م) ، ص ۲۳۰–۷۰۱ .
- ٣١ "أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية" بعلة العرب ، حــ ٩ ، ١٠ ، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـــ/ ١٩٩١م)، ص٤٥٥ ٦١١ .
- "وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) " بحلة العرب ، حــ "، ٤١٠ ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٤١٠ القسم الأول ، وقد نشر هذا البحث في كتابنا : صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الأول ، ٢٥- ، ٩ ،

- ۳۲- "العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق" مجلة العرب ، جـ ٧، ٨،
   سنة (٢٨) (محرم وصفر / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص٢٨٦ ٤٩٨ .
- "صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية" ، بحلة المنهل ( ضمن العدد (١٣٥) مج ٥٥ ، رمضان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص
- ٣٧- "الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى" بحلة المؤرخ العربي ، العدد (٣) بحلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م، ص٦٧-٥٠٠٠
- "جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥-٢٧ جمادى الآخر ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ ١٤١٥هـ ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب "الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول" (منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص٢٢٧-٢٧١٠ .

- ٣٩ "مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام " مجلة المنهل ، العدد (٥٢٣) المحلد (٥٧٠) المحام (٥٧٠) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٦-٥١ .
- .٤- "مكانـة شعر اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة" محلة الحـرس الوطني ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، ص٨٠١-١٠٩٠
- اعــد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هــ (٩٩٥م) ، ص العــد (٥٢٥) مج ١٤١٦ الربيعان ١١٤١هــ (١٩٩٥م) ، ص
- عدد (۱۸) ربیع ثانی ۱٤۱۷هـ (۱۹۹۸م) ، ص ۲۵-۷٤ . اهـ الأدبي ، عدد (۱۸) ربیع ثانی ۱٤۱۷هـ (۱۹۹۹م) ، ص ۲۵-۷٤ .
- عه "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى" (٢٠٠-٩٠٠ه ١٠٠ وليو العصور الوسطى" (٢٠٠-٩٠٠ وليو ١٢٠٠ وليو العدد السادس عشر ، يوليو العدد السادس عشر ، يوليو ١٩٠٦ و ١٩٩١ (الصادرة من قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة ١٨٩٠ ١٨٩٠ ١٨٩٠ •
- 10- المحدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي أفريقيا في العصور الوسطى" بحلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، المحلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ / ١٩٩٧/٩٦) ص١٣١-١٣١

- 27 "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي الإسلامي الوسيط" بحلة كلية البنات بجامعة عين شمس ، عدد (١٩) (١٤١٧هــ/١٩٩٦) ،
- التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)" . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبما الأدبي . عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ص٢٩٦-٤٤ .
- الإسلام والملغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصور الوسطى"، بحله المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) (مارس ١٩٩٧م) ص١٩١٥ ١٩٩٠م.
- 93 "أهم مراكز صناعة السيوف الإسلامية" بحلة الحصاد (رجب ١٤١٤هـ / ديسمبر / ١٩٩٣م) ، ص١٦-١٨٠
- " أوراق من تاريخ عسير خلال عهد الملك عبد العزيز كما أملاها الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)" (دراسة وتحقيق) . مجلة بيادر الصادرة من النادي الأدبي بأبحا ، عدد (٢٢) (رمضان / ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ص٥٥-٥٨ ، كما أجرينا بعض التصويبات والإضافات على هذه المخطوطة ، وقدمناها محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض ، بمناسبة الاحتفال أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض ، بمناسبة الاحتفال المحاضرة : (ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز) وسوف تنشر ضمن أعمال المؤتمر ،
- "قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة
   عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبد العزيز " نشرت هذه المقالة في

جملة بيادر عدد (٢٥) (رمضان/١٤١هـ – ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص عرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ص١١٥ – ١٣٩٠ .

- "إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨-١٠ شعبان/ ١٤٢٠هـ ، الموافق ٢١-١٨ نوفمبر ١٩٩٩م) ، ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، كما أضيف عليها بعض المعلومات وألقيت محاضرة في (سمينار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، (سمينار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية،

"بلاد السراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة" بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد - الثلاثاء ٧-٩ من ذي القعدة الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد - الثلاثاء ٧-٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هــــ /١٥-١٥ مسن فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سعود - كلية الآداب ، وهذا البحث سوف ينشر ضمن أعمال الندوة ،

جامعة الملك خالد في ٢٠/٧/١٨ هـ ، الموافق ١٤٢٠/١٠/١٥ م .

- ٥٥- "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)" . مجلة المنهل العدد (٥٧١) المحلد (٦٦) العام (٦٦) شوال ذو القعدة (٦١) ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص٢٦-٤٩ .
- ١٨٧٣ هـ ١٣٣٧ ١٢٨٨ وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٨ -١٣٣٧ هـ ١٨٧٣ هـ ١٨٧٣ ما العلمية ، القسم الثاني في طريقه للنشر في إحدى المحلات العلمية ، وسوف ينشر أيضاً ضمن الأعمال المجموعة في كتابنا : صفحات من تاريخ عسير ، الجزء الثاني ،

"التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبلي التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، بحث مقدم في ندوة التعليم العالي في عسير : ربع قرن من الإنجاز والعطاء ، المنعقدة بمدينة أبحا تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢-١/٨/٣٦ هـ/٢٩- /٣/ أكـتوبر ، ، ، ٢م) وقد تم نشر هذا في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت "سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات بخصوص هذه الندوة تحت "سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات (ألركز الإعلامي بالجامعة /٢٢٦ هـ)، ص٥٥ ا-٢٢٦ ، كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : "بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر" ، (حدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، عسير الحديث والمعاصر" ، (حدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ،

-07

"ملامع النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة مـــن (٢٥-٢١/٨/٢٧)، ونشرت ضــمن بحــوث الندوة في كتاب : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي ضــمن بحــوث الندوة في كتاب : طرق التجارة العالمية عبر العالم العرب عــلى مر عصور التاريخ (حصاد (٨))، منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهــرة ، (٢٢١هــ / ٢٠٠٠م) ، ص١٥٥-٢٢٢، كما نشرت هذه الدراســة مــع دراســات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : دراســات في تـــاريخ تهامــة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١٥- ١٠هـ/ ق٧-١٢م) الجزء الأول .

الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)" ، بحلة بيادر الصادرة من نادي المرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)" ، بحلة بيادر الصادرة من نادي أكما الأدبي، عدد (٣٣) جمادى الأولى (٢٠٠١هــ/٢٠١م) ص٥١٥-٨٣ ،

- 90- "أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر" نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣٥) (الحرم /٢٢٧هـ / مايو ٢٠٠٢م) ص٢٥-٣٤ .
- ٦٠ "بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبتر" طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخطيج العربية والذي عقد بمدينة عمان في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ص٥٢٥-٥٩٥ .
- المسبكرة والوسسيطة" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين المسلمة في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٥هـ الموافق ٣٠ أكتوبر القاهرة في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٥هـ الموافق ٣٠ أكتوبر أول نوفمبر / ٢٠٠١م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب: المراكز المثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور حصاد (٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (٢٢١هـ / ٢٠٠١م) كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السيرة في كتاب له بعضوان " دراسات في تاريخ قامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١هـ ق ١٥٠٠م) ، الجزء الأول.
  - "تاريخ بيشه خلال القرون الإسلامية الأولى" (بحث في طريقه للنشر) .
    - "تاريخ نجران خلال العهود الإسلامية الأولى" (بحث تحت الطبع) .
  - "تاريخ محائل عسير خلال القرون المتأخرة الماضية" (بحث تحت الطبع) .

Studies in
Tihama and Al- Sarah History in
Early and Middle Islamic Ages
Hijra: 1<sup>st</sup>-10<sup>th</sup> centuries /7<sup>th</sup>-16<sup>th</sup>
centuries A.D.

### Professor Ghithan Ali Jrais

Dept. of Social Sciences
College of Arabic, Social & Administrative Sciences

King Khaled University

First Edition 1424 -2003

Studies in
Tihama and Al- Sarah History in
Early and Middle Islamic Ages
Hijra: 1st-10th centuries /7th-16th
centuries A.D.